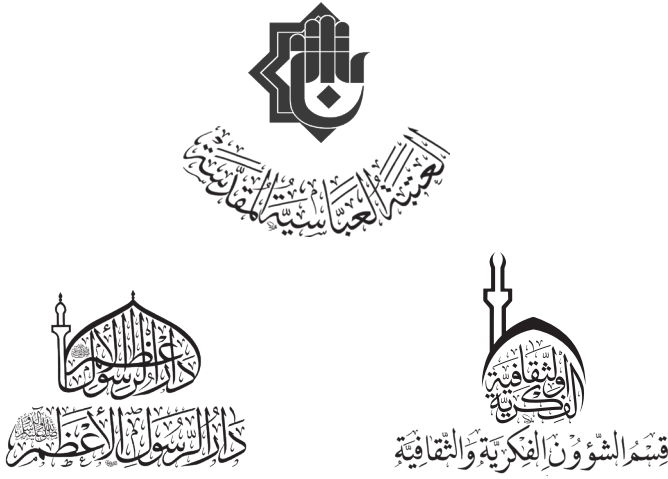




وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ





العنوان: المستشرق جون جلكرايست ودوره في كتابة السيرة النبوية من خلال كتابه  
( محمد النبي في الإسلام )

المؤلف: صلاح فلاح عمران الخفاجي

المراجعة اللغوية: دار الرسول الأعظم ﷺ

الإدارة الفنية: م. د. ياسين خضير عيسى

الإعداد والتحرير: حسن علي عبداللطيف المرسومي / عيسى سالم جواد الكريطي

الإدارة الإلكترونية: م. د. محمد جاسم عبد إبراهيم

التصميم والإخراج الطباعي: أحمد نعمة عبد الكريم / حيدر حسين علي

الطبعة: الأولى

النسخة: الأولى

عدد النسخ: ١٠٠

سنة الطبع: ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

المطبعة: شعبة الطباعة الرقمية

الناشر: العتبة العباسية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - دار الرسول الأعظم ﷺ

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة - دار الرسول الأعظم ﷺ

المسشرق  
جونز جاكيرست

ودوره في كتابة السيرة النبوية من خلال كتابه

محمد النبي في الإسلام

صلاح فلاح عمران الخفاجي

الخفاجي، صلاح فلاح عمران، 1974- مؤلف.  
المستشرق جون جلكرايست ودوره في كتابة السيرة النبوية من خلال كتابه محمد النبي في الإسلام  
ORIENTALIST JOHN GILCHRIST AND HIS ROLE IN WRITING THE BIOGRAPHY OF THE PROPHET =  
THROUGH HIS BOOK MUHAMMAD THE PROPHET OF ISLAM / صلاح فلاح عمران الخفاجي : المراجعة  
اللغوية دار الرسول الأعظم : أعداد وتحرير حسن علي عبد اللطيف المرسومي، عيسى سالم جواد الكريطي،  
الطبعة الأولى-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، دار الرسول  
الأعظم صلى الله عليه وآله، 1447 هـ = 2025.  
355 صفحة : 24 سم. (سلسلة السيرة = CHRONICLE SERIES : 26)  
الأصل رسالة جامعية (ماجستير) - جامعة بابل، 2018.  
يتضمن إرجاعات بليوجرافية : صفحة 334-350.  
النص باللغة العربية : ومختلص باللغة الانجليزية.  
ISBN : 9789922260587  
1. جلكرايست، جون، 1944- محمد النبي في الإسلام، 2. محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي  
الإسلام، 53 قبل الهجرة-11 هجري، 3. السيرة النبوية -- دفع مطاعن، 4. الإسلام والاستشراق والمستشرقون.  
أ. العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله،  
صحيح لغوي، ب. المرسومي، حسن علي عبد اللطيف، 1975- معد، ج. الكريطي، عيسى سالم جواد، 1997-  
معد، د. العنوان.

LCC: BP75.2 .K43 2025

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة  
المهترسة أثناء النشر



التقييم الدولي المعياري للكتاب  
ISBN:978- 9922- 26- 058- 7

٩٦٨ / ٩٢٣

خ ٧٢٣ الخفاجي ، صلاح فلاح عمران

المستشرق جون جلكرايست ودوره في كتابة السيرة النبوية من خلال كتابه (محمد النبي ﷺ  
في الإسلام )

صلاح فلاح عمران الخفاجي - ط١ - كربلاء المقدسة: العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون  
الفكرية والثقافية. دار الرسول الأعظم ﷺ ، ٢٠٢٦ .

٣٥٦ ص ؛ ٢٤ سم ، - (سلسلة السيرة للرسائل والإطاريح الجامعية الثانية ؛ ت ٢٦)

١ - المستشرقون - تراجم ٢- جلكرايست ، جون (مستشرق من جنوب افريقيا)

٢ - السيرة النبوية أ- العنوان ب - السلسلة

رقم الإيداع ٣٥٦٦ / ٢٠٢٦

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٥٦٦) لسنة ٢٠٢٦

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة ٥٦٠٠١

رقم صندوق البريد (ص.ب) (٢٣٢)

جمهورية العراق - كربلاء المقدسة

رسالة ماجستير تقدم بها الطالب صلاح فلاح عمران الخفاجي  
الى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة بابل  
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي  
بإشراف الأستاذ الدكتورة زينب فاضل مرجان

وحصلت على المرتبة العاشرة في المسابقة  
الدولية للرسائل والأطاريح الجامعية الثانية  
التي أقامتها دار الرسول الأعظم ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فقد شغلت سيرة الإسلام ونبيه ﷺ عقول الكتّاب والمفكرين، من شرق الأرض وغربها، فتعرّضوا لها، وعرضوها على وفق رؤاهم وأفكارهم، ولعلّ من أبرز أولئك الذين كتبوا في سيرة النبي المصطفى ﷺ المستشرقين الذين كانت كتاباتهم تتأرجح بين الإنصاف وعدمه، كل بحسب مرجعياته ومنطلقاته.

تبرز أهمية هذا الإصدار بـ(المستشرق جون جلكريست ودوره في كتابة السيرة النبوية من خلال كتابه ( محمد النبي ﷺ في الإسلام )) الفائز في المسابقة الدولية الثانية للرسائل والأطاريح الجامعية وقد حازت رسالة الماجستير هذه المرتبة العاشرة؛ لما تنطوي عليه من أهمية معرفية ومنهجية رصينة التي أقامتها دارُ الرسول الأعظم ﷺ التابعة لقسم الشؤون الفكرية في العتبة العباسية المقدسة - في كونه يعالج طرحَ مستشرقٍ جنوب إفريقيٍّ معاصر، يمتهن التبشير ويدعو له، وقد كانت المعالجة موضوعية أكاديمية، استندت إلى أصول منهج البحث العلمي في نقض الأفكار وردّها؛ وتبني الدار طباعة هذه الرسالة، التي يعلن عنها كل ستين، إذ يكون المضمار للباحثين في الحصول على قصب السبق، وتقديم نتاجاتهم الأكاديمية العلمية والفكرية الرصينة.

إنّ دار الرسول الأعظم ﷺ إذ تضع بين يدي القارئ الكريم هذا المنجز، تحرص على هدفها الأساس، وهو الدفاع عن شخص النبي الكريم ﷺ؛ ولذا فهي تدعو

فرسان العقول لشحذ الهمم والأقلام، للتصدي لكل شائبة لحقت -أو أريد لها أن تلحق- بالرسول الخاتم ﷺ والإنسان الكامل، وسيرته المباركة، كل ذلك تحت هدي الكتاب الذي لا ينطق بغير الحق، ومن أصدق من الله حديثاً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المحتويات

|                                                                      |    |
|----------------------------------------------------------------------|----|
| كلمة دار الرسول الأعظم ﷺ.....                                        | ٦  |
| المُقدِّمة.....                                                      | ١٢ |
| الفصل الأول                                                          |    |
| حياة المستشرق جون جلكريايسٲ وموارده ومنهجه في كتابه محمد النبي ﷺ في  |    |
| الأسلام.....                                                         | ٢٩ |
| المبحث الأول: دراسته في حياة المستشرق جلكريايسٲ.....                 | ٢٩ |
| ١- حياته.....                                                        | ٢٩ |
| ٢- مؤلفاته.....                                                      | ٣٧ |
| ٣- مناظرات جلكريايسٲ مع مجموعة من علماء المسلمين ومفكرهم.....        | ٣٩ |
| ٤- دوافعه في تأليف الكتاب.....                                       | ٤٤ |
| ٥- وصف الكتاب.....                                                   | ٤٦ |
| المبحث الثاني: موارد جلكريايسٲ في كتابه محمد النبي ﷺ في الأسلام..... | ٤٨ |
| المبحث الثالث: منهج جلكريايسٲ في كتابه محمد النبي ﷺ في الأسلام.....  | ٦٢ |
| الفصل الثاني                                                         |    |
| حياة النبي ﷺ في مكة في ضوء كتاب جلكريايسٲ.....                       | ٧٧ |
| المبحث الأول: حياة النبي ﷺ قبل البعثة.....                           | ٧٧ |
| ١- الولادة.....                                                      | ٧٧ |
| ٢- إرضاع النبي ﷺ.....                                                | ٨٠ |
| ٣- حادثة شق الصدر.....                                               | ٨٧ |

|          |                                               |
|----------|-----------------------------------------------|
| ٩١.....  | ٤- عمل النبي ﷺ                                |
| ٩٦.....  | ٥- لقاء بحيرا الراهب                          |
| ١٠٣..... | ٦- زواج النبي ﷺ من خديجة                      |
| ١١٠..... | ٧- إعادة بناء الكعبة                          |
| ١١٢..... | المبحث الثاني : الوحي والنبوة                 |
| ١١٢..... | مفهوم الوحي                                   |
| ١١٩..... | مصدر الوحي                                    |
| ١٢٢..... | صور الوحي                                     |
| ١٢٥..... | آراء المستشرقين حول مصدرية الوحي              |
| ١٣٢..... | المبحث الثالث : الدعوة في مكة والصراع مع قريش |
| ١٣٢..... | ١- الهجرة الى الحبشة                          |
| ١٣٧..... | ٢- الغرانيق                                   |
| ١٤٧..... | ٣- ذهاب النبي ﷺ للطائف                        |
| ١٤٩..... | ٤- الاسراء والمعراج                           |
| ١٦٤..... | ٥- بيعة العقبة الأولى والثانية                |

### الفصل الثالث

|          |                                                              |
|----------|--------------------------------------------------------------|
| ١٦٩..... | حياة النبي ﷺ في المدينة في ضوء كتاب جلكريست                  |
| ١٦٩..... | المبحث الأول : حياة النبي ﷺ من الهجرة حتى تتغير اتجاه القبلة |
| ١٦٩..... | ١- الهجرة الى يثرب                                           |

٢- دخول النبي ﷺ الى قباء والمدينة ..... ١٨٢

٣- تغير اتجاه القبلة ..... ١٨٦

المبحث الثاني : صراع النبي ﷺ مع قريش ..... ١٩٠

١- غزوة نخلة ٢هـ ..... ١٩٠

٢- معركة بدر ٢هـ ..... ١٩٦

٣- معركة أحد ٣هـ ..... ٢٠٤

٤- معركة الخندق ٥هـ ..... ٢١٤

المبحث الثالث : صراع النبي ﷺ مع اليهود ..... ٢٢٦

١- يهود بني القينقاع ..... ٢٣٤

٢- يهود بني النضير ..... ٢٤١

٣- يهود بني قريظة ..... ٢٤٨

المبحث الرابع : مآخذ جلكرياست حول تعدد زيجات النبي ﷺ ..... ٢٥٦

## الفصل الرابع

حياة النبي ﷺ من السنة الخامسة حتى وفاته في ضوء كتاب جلكرياست ..... ٢٨١

المبحث الأول : علاقة النبي ﷺ مع قريش في المدينة ..... ٢٨١

١- صلح الحديبية ..... ٢٨١

٢- فتح مكة المكرمة ..... ٢٩٠

المبحث الثاني : ثانياً صراع النبي ﷺ مع القوى شمال المدينة ..... ٢٩٧

١- غزوة خيبر ٧هـ ..... ٢٩٧

٢- غزوتا حنين والطائف ٨هـ ..... ٣٠٠

|                                                               |     |
|---------------------------------------------------------------|-----|
| المبحث الثالث : علاقة النبي ﷺ مع بعض الشخصيات والمنافقين..... | ٣٠٣ |
| ١- عقوبة كعب بن الأشرف .....                                  | ٣٠٣ |
| ٢- عقوبة سلام بن ابي الحقيق .....                             | ٣٠٦ |
| ٣- عقوبة الحارث بن سويد .....                                 | ٣٠٨ |
| ٤- عقوبة أبو عفك .....                                        | ٣١٠ |
| ٥- عقوبة عصماء بنت مروان .....                                | ٣١١ |
| ٦- المنافقون .....                                            | ٣١٢ |
| المبحث الرابع : وفاة النبي ﷺ .....                            | ٣٢٠ |
| الخاتمة .....                                                 | ٣٢٩ |
| التوصيات .....                                                | ٣٣٣ |
| المصادر والمراجع .....                                        | ٣٣٥ |
| Abstract .....                                                | ٣٥٣ |
| The word Al Dar .....                                         | ٣٥٥ |

لا ينال باحث الشرف والرفعة والكرامة إلا بدفاعه عن شخص النبي ﷺ ومحاولته تمييز الزيف من الحقائق الاستشراقية لغرض الوصول إلى الحقيقة التي احتوتها المصادر الإسلامية؛ لذلك عمد الباحث إلى جمع الأقوال المتناثرة والتي خلفها المستشرقون في كتبهم سواء الأجنبية منها وغير المترجمة أو التي ترجمت لكي تتبين معالم السيرة النبوية الصحيحة، ويعد الاستشراق جزءاً لا يتجزأ من الصراع الحضاري بين عالمين مختلفين، أحدهما: ويمثله العالم الإسلامي الشرقي ببعده الحضاري والديني، والآخر: المسيحي الغربي؛ وبذلك شكلت حياة النبي ﷺ وسيرته ميداناً واسعاً في كتابات المستشرقين .

وإن أفضل ما تقدمه فاتحة لعرض الأفكار التي وردت في هذه الدراسة المتواضعة هو قول للمستشرق وات «ليس بين كبار رجال العالم رجل كثر شائئوه كمحمد، ومن الصعب فهم السبب الذي دعا إلى ذلك فلقد كان الإسلام خلال قرون عدة العدو الأكبر للمسيحية ولم تكن المسيحية في الحقيقة على اتصال مباشر بأي دولة أخرى منظمة توازي الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وتعرضت السنة النبوية المطهرة للطعون والشبهات من الحاقدين منذ الوهلة الأولى لظهور الإسلام، وازدادت هذه الهجمة في القرن العشرين، وبخاصة على أيدي المستشرقين التي كانت تتحكم فيهم العديد من الأغراض، وفي مقدمتها محاولة إبعاد المسلمين عن دينهم، ومن ثم تشكيكهم بأهم مصادر شريعتهم، فألف العديد من المستشرقين الذين ينتمون إلى قسمين، أحدهما: منصف، وهو الذي كتب

وفق شروط البحث التاريخي مبتعداً عن الأهواء والاتجاهات والانتهاآت، والآخر: غير منصف، وهو الذي أظهر حقه وجاهر بالعداوة والخصومة بما استعمله من أساليب الدس والتحريف والخديعة والمكر، وقد اطلع هؤلاء المستشرقين على التاريخ الإسلامي من خلال مظهره ولم يكن نظرهم عن تعمق واعتقاد بالمفاهيم الإسلامية؛ لذلك قاموا بتأويل بعض مسائل العقيدة الإسلامية بعيداً عن الحقيقة ومحاولاتهم إحلالها بدلاً عن الحقيقة الثابتة، بل تعدوا ذلك إلى قيامهم بتفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً علمياً من خلال الإفراط في تطبيق النظريات العلمية الحديثة. وبمجرد التأمل بالعنوان الذي طرحه جلكريست لكتابه موضوع الدراسة وهو ((محمد النبي في الإسلام)) فإنه يتبادر في ذهن القارئ محاولة المستشرق إلى خلق حالة من الشك والتضليل لدى القارئ من خلال الفصل بين نبوة محمد ﷺ ودين الإسلام وهي غاية طالما روج لها الكثير من المستشرقين.

ثم إن المستشرقين في تعاملهم مع الدراسات الإسلامية، وعند تعاطيهم مع السيرة النبوية استخدموا منهجاً بعيداً عن الموضوعية والحيادية، ويعتقد الباحث أن سبب هذا يعود إلى النظرة الاستعلائية التي ينظر بها الغرب للشرق، ويمثل جلكريست وجهة النظر الاستشراقية المعاصرة بكل وجهاتها تمثيلاً دقيقاً بعد أن عجزت عن الوصول إلى غاياتها التقليدية؛ فعمد جلكريست إلى إيجاد وسائل جديدة تمكنه من خلالها للوصول إلى أهدافهم.

وعلى هذه الأسس لا يمكن لنا بناء أحكامنا عن الاستشراق وكأنه حالة واحدة متجانسة، واختزال جهود المستشرقين وما قدموه في حقل دراسة السيرة النبوية

والتاريخ الإسلامي وكأنه يخضع لرؤية وحيدة بقيت تشكل النظرة الواحدة لهذا التاريخ، إذ سنجد أن اختلاف وجهات النظر وتعدددها هو السمة التي صاحبت الرؤية الاستشراقية في المعالجة، فظهرت على هذا الأساس الاتجاهات الدينية أو الاقتصادية أو العرقية والتي حاولت تفسير الأحداث التاريخية للسيرة النبوية، لكنها اختلفت من حيث الدوافع والأسباب والغايات.

إلا أن ما يثير التساؤلات هو موقف الكثير من المؤرخين العرب والذين يتناولون الروايات الإسلامية ويؤكدون صحتها، وبخاصة تلك الروايات التي وردت في كتب الصحاح متناسين أمراً مهماً، وهو ما توصلت إليه الدراسات الحديثة في أن صحة السند لا تعني بالضرورة صحة المتن.

لذلك يعد موضوع السيرة من الموضوعات التي توجهت إليها أقلام الغربيين فألفوا الكتب عن سيرة المصطفى، وتحت عناوانات ومسميات مختلفة تدور جميعها عن حياة النبي ﷺ ولم يكن الهدف البارز في كتاباتهم اعتبار شخصية النبي ﷺ قيادية دينية وسياسية بل العكس من ذلك؛ فقد تكاثفت جميع أقلام المستشرقين لإيجاد الثغرات والأباطيل للوصول للغاية الأساسية، وهي تشويه الدين الإسلامي متأثرين بحقد الكنيسة، فأغلب كتاباتهم التي كانت ومازالت تخفي بصورة مباشرة وغير مباشرة عوامل الحقد الديني ضد هذا الدين الذي كشف زور ما جاء به بنو إسرائيل وليس ما جاء به موسى ﷺ وما نشرته الكنيسة والذي لم يحتو على قاسم مشترك مع ما جاء على يد السيد المسيح ﷺ وقد تزايد هذا الحقد الدفين عندما انتشر الإسلام وبدأ يمد له مكاناً داخل بلدانهم.

ولابد من الإشارة إلى موضوع تشابه الأسماء والذي وقعت فيه الباحثة مروة بسيوني وهي طالبة ماجستير من جامعة الإسكندرية، إذ تبين أنه يوجد اثنان من المستشرقين يحملون الاسم الأول نفسه جون جلكريايت والذي ولد (١٧٥٩م) وهو يعمل كجراح، ومن أشهر مؤلفاته قاموس للغة الهندوستانية، والآخر هو جون جلكريايت المعاصر، وهو المستشرق موضوع الدراسة، والذي يعمل بالتبشير ويمتهن المحاماة، لأن مثل هذا الامر يوقع الباحثين في الخطأ وهو ما دفع الباحث إلى البحث والتدقيق في سيرة حياة المستشرقين بالرجوع إلى الكنية وإلى سنة الولادة لغرض تفادي الوقوع في مثل هذه الأخطاء.

كما يحتل موضوع دراسة السيرة النبوية أهمية كبيرة؛ لأنها لم تكن قد كتبت من قبل على أيدي أناس مبشرين، وحاولوا الاستفادة من موقعهم في جنوب أفريقيا واحتكاكهم بالمسلمين لغرض التأثير فيهم لجذبهم إلى المسيحية.

ويعد جلكريايت أهم من درس السيرة النبوية للنبي ﷺ في الوقت الحاضر بشيء من الإنصاف والموضوعية تارةً في بعض موضوعاته إلا أننا نراه يعتمد التضييل، ومحاولة تشويه سيرة النبي الأكرم ﷺ في موضوعات أخرى، ولكن بأسلوب يختلف عن غيره من المستشرقين سواء من القدماء كانوا أم من المعاصرين؛ إذ يمكن أن نعهده من كبار المستشرقين الحاليين حين تبني أسلوباً جديداً وهو عقد المناظرات، والمحاورات، ومحاولة محاججة خصومه سواء بالمناظرات المباشرة أم بتأليف الكتب والمقالات. ولم يكتفِ عند هذا الحد؛ إذ ما يزال في التبشير إلى هذا الوقت في جنوب أفريقيا، ومن ثم يكون على احتكاك كامل مع المسلمين مما يهيئ لديه الفرصة لتغيير

أسلوبه بين الحين والآخر لغرض التأثير بالمسلمين، لذلك كان لابد من التنويه إلى هذا المستشرق ومحاولة التصدي لمثل هذه الأفكار. كما أن للاستشراق آثاراً كبيرة في عدد ليس بالقليل من أبناء المسلمين، والذي أدى من ثم إلى انحراف الكثير منهم ومحاولة الوقوف بوجه الكثير من الراغبين في الدخول للإسلام، فقد استخدم هؤلاء المستشرقون منهجاً خاصاً وضعوه بأنفسهم؛ إذ إنهم يبيتون فكرة مسبقة ثم يأخذون من وقائع الأحداث ما يؤيد فكرتهم.

وبما أن المواقف العلمية في الدراسة لا تجيز إطلاق الأحكام جزافاً بمجرد معرفة هوية المستشرق أو قوميته فكان لابد من التعرف على ما قدمه المستشرق جلكريست، ومحاولة البحث في أقواله بالإمكانات المتوفرة باستخدام المنهج التحليلي في عرض أقواله ومقارنتها بالرواية الإسلامية، وكما وجد الباحث نفسه أمام مسؤولية كبيرة لمحاولة صد السهام الموجهة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فسعى إلى محاولة الرد عليهم. ونظراً لعدم وجود دراسة تخص المستشرق جلكريست وبخاصة في موضوع كتابه (محمد النبي في الإسلام) وما تعرض له من تناوله لسيرته ﷺ في ضوء الرؤية الإسلامية ونقد هذه الآراء نقداً علمياً حيث تتبع الباحث الترتيب الزمني للأحداث التي ناقشها المستشرق بالرجوع إلى المصادر الإسلامية الصحيحة مع التركيز على مصادر السيرة والرجوع إلى بعض كتابات المستشرقين والرد عليها لتدعيم المناقشة وهذا ما سعى إليه الباحث للكشف عن آثار الغزو الفكري الاستشراقي وتطاوله على سيرة النبي ﷺ.

### أسباب اختيار الموضوع:

دحض كافة الأكاذيب التي تناولها المستشرق جلكريست لوقائع السيرة النبوية والتي جاءت بها المصادر الإسلامية، باعتماده على الروايات الضعيفة والشاذة، كما أن كتابات المستشرق جلكريست عن النبي ﷺ لم يتم دراستها ونقدتها في دراسة علمية نقدية، وإبراز ما في هذه الدراسات من أغراض ودوافع دينية من خلال اتباعه مناهج متعددة، وهي ميزة ميزته عن غيره من المستشرقين الآخرين، لذلك جاءت دراسته الموسومة ((المستشرق جون جلكريست ودوره في كتابة السيرة النبوية من خلال كتابه محمد النبي في الإسلام)).

### منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج العلمي التاريخي والتبع الاستقرائي لخصر التوجهات والآراء الاستشراقية وقد اعتمد الباحث المنهج التحليلي والمقارن فيما يخص مناقشة الافتراءات بحيث أورد آراء المستشرق ثم أعقبها بما جاء في المصادر الإسلامية والتاريخية الموثوقة للوقوف على الرؤية الإسلامية الصحيحة .

وقد حاول الباحث الرد على ما أثاره جلكريست من خلال تحليل نص الرواية التاريخية ومقارنته مع ما أثاره عدد من المستشرقين الآخرين محاولاً الابتعاد عن الرد بالنص القرآني والذي استخدمه المستشرق جلكريست في تدعيم رأيه في مواقع كثيرة من الكتاب على الرغم من التشكيك به، إلا أن الباحث قد استخدمه في مواضع قليلة استلزمت وجود النص القرآني، فضلاً عن استخدام المنهج التحليلي الوصفي في بعض المواقع التاريخية من الرسالة، وقد عمد الباحث إلى إجراء ترجمة موجزة

للأعلام والمستشرقين الذين وردت أسماؤهم في الدراسة إلا إذا لم يجد لهم ترجمة، وقام الباحث بوضع تعريفات موجزة للأماكن والمفردات الغريبة التي وردت فيها.

### الصعوبات :

أما أهم الصعوبات التي واجهت الباحث فهو موضوع الترجمة بالدرجة الأولى، وما يتعلق بالمستشرق جلكرايست في كتابه (محمد النبي في الإسلام)، إذ إن أسلوبه قد تميز عن غيره من المستشرقين بالالتواء ودس الشبهات واختيار المفردات، فضلاً عن أن الكتاب كان باللغة الإنكليزية، وهذا ما دفع الباحث لترجمته إلى اللغة العربية لغرض دراسته، كما أن الباحث عمد إلى ذكر الكتاب باللغة الإنكليزية في الهامش في حالة الاقتباس منه.

كما أن نقص المصادر والمراجع وصعوبة الوصول إليها وندرتها، ولاسيما أن الدراسة تتعلق بتيار استشراقي معاصر؛ ولندرة الكتب المترجمة في هذا المجال بسبب حداثة هذا الموضوع، فضلاً عن أن العراق يخلو من أي مؤسسات أو مراكز بحثية أكاديمية مختصة بعلم الاستشراق، يمكن أن ترفد الباحث بما يحتاج إليه لغرض إكمال الدراسة مما دفع به إلى الاستعانة بكتب المختصين في البلدان العربية، ولاسيما مصر والسعودية ودول المغرب العربي.

ولعل أهم الصعوبات هي قلة المصادر العربية والأجنبية التي تتحدث عن سيرة جلكرايست، وهذا ما دفع الباحث إلى القيام بالعديد من الاتصالات سواء الهاتفية أو البريدية ومن خلال الاتصال بشخصيات لها علاقات في بلد المستشرق والاستعانة بمتترجمين سواء أكانوا في العراق أم في جنوب أفريقيا لغرض تسهيل

عملية الترجمة؛ ولم نأخذ بنظر الاعتبار اختلاف اللهجات، لغرض رقد الرسالة بمعلومات عن المستشرق.

### خطة الدراسة:

طبقاً للمادة التي وقفنا عليها وجدنا من المناسب أن نقسم دراستنا إلى مقدمة وأربعة فصول واستنتاجات .

فتناولنا في الفصل الأول حياة المستشرق ومؤلفاته ومناظراته، والتي استطاع الباحث من خلالها الحصول على معلومات جديدة حيث لم يتسن لأحد من قبل الحصول عليها من خلال الاتصالات التي أجراها مع وكيل أعمال المستشرق، والاتصال مع المستشرق نفسه عن طريق البريد الإلكتروني ومن ثم قسم الباحث هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول/ احتوى على معلومات دقيقة عن سيرة حياة المستشرق جلكرايست فضلاً عن مؤلفاته ومناظراته التي عقدها مع خصومه .

المبحث الثاني/ وفيه تناول الباحث أهم الموارد التي اعتمد عليها المستشرق في كتابه محمد النبي في الإسلام ثم إعطاء نبذة عن كل مورد ومؤلفه وتحليل هذه المصادر.

المبحث الثالث/ وفيه أشار الباحث إلى منهجه في كتابه المذكور مع ذكر الأساليب التي اعتمدها والمناهج المتبعة حيث لم يعتمد المستشرق على منهج واحد في الدراسة، وإنما تطرق إلى العديد من المناهج لغرض التأثير بأكثر عدد من المتابعين له حيث نراه يتبع منهجاً معيناً ثم فجأة يغير هذا المنهج إلى منهج آخر بعد أن رأى أن المنهج السابق لا يجدي نفعاً في الوصول للأهداف المرجوة.

أما الفصل الثاني فتناول الباحث فيه حياة النبي محمد ﷺ في مكة، أي نشأته الأولى في ضوء كتاب محمد النبي في الإسلام للمستشرق جون جلكريست، وقد قسم هذا الفصل أيضاً إلى ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول/** تطرق الباحث فيه الى سيرة حياة النبي ﷺ قبل البعثة وما هي اهم الاحداث التي أوردها المستشرق في كتابه حيث تناول مسألة ولادة النبي ﷺ ورضاعته وحادثة شق الصدر هذا بالإضافة الى عمل النبي ﷺ وكذلك رحلته الى الشام ولقاء الراهب بحيرا ثم تناول زواجه من السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ، ولأهمية حادثة بناء الكعبة اضطر المستشرق إلى تناولها ومن ثم أصبح لزاماً على الباحث تناولها.

**المبحث الثاني/** خصص المبحث الثاني إلى مسألة الوحي والنبوة وفيها تم إعطاء التعريفات اللغوية والاصطلاحية، وتناول الباحث مفهوم الوحي ومصدره من وجهة نظر جلكريست والنظرية التي تبناها، وأهم الصور الخاصة للوحي، وبيان آراء المستشرقين فيها.

**المبحث الثالث/** ذكر الباحث في هذا المبحث الدعوة في مكة والصراع مع قريش، وأهم الأحداث التي رافقت هذه المرحلة من الدعوة وهي الهجرة إلى الحبشة بعد ازدياد أذى قريش لهم وكذلك مسألة الغرانيق وما أثارته بأوساط المستشرقين من لغط، وما احتوته حادثة الإسراء والمعراج من أهداف في وجهة نظر المستشرقين ومحاولاتهم البائسة لغرض إرجاع أصل الديانة الإسلامية لأصول وديانات أخرى؛ فقد حاول الباحث إثباتها بالطرائق العلمية، ثم تطرق الباحث إلى إيراد مسألة ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف وبيعة العقبة الأولى والثانية وما فيها من أحداث.

أما الفصل الثالث فتناول الباحث فيه حياة النبي محمد ﷺ في المدينة حتى السنة الخامسة للهجرة وقسم الفصل إلى أربعة مباحث تناول فيها:-

**المبحث الأول/ حياة النبي ﷺ في المدينة بدءاً من الهجرة إلى يثرب حتى دخوله ﷺ إلى قباء وتغير اتجاه القبلة .**

**المبحث الثاني/ وذكر الباحث في هذا المبحث صراع النبي ﷺ مع قريش؛ إذ تناول فيه أهم الموضوعات التي عرج عليها جلكرياست بالذكر، ومنها غزوة نخلة، ومعركة بدر، ومعركة أحد، ومعركة الخندق.**

**المبحث الثالث/ تناول الباحث فيه صراع النبي ﷺ مع يهود المدينة؛ إذ ذكر صراعه ﷺ مع يهود بني القينقاع، ويهود بني النضير، ويهود بني قريظة .**

**المبحث الرابع/ ذكر الباحث فيه المزاعم التي تطرق إليها المستشرق جلكرياست حول تعدد زوجات النبي ﷺ التي كانت في المدينة**

**أما الفصل الرابع ففيه ذكر الباحث حياة النبي ﷺ من السنة الخامسة حتى وفاته ﷺ إذ تم تقسيمه إلى أربعة مباحث تناول فيها:-**

**المبحث الأول/ ذكر فيه الباحث علاقة النبي ﷺ مع قريش في المدينة، فتناول صلح الحديبية، وفتح مكة.**

**المبحث الثاني/ تناول فيه الباحث صراع النبي ﷺ مع القوى شمال المدينة، والتي تضمنت غزوة خيبر، وحنين، وكذلك الطائف.**

المبحث الثالث/ تطرق الباحث فيه إلى ذكر علاقة النبي ﷺ ببعض الشخصيات التي عاقبها النبي ﷺ لما تسببت به من أذى للإسلام والمسلمين وشخص النبي ﷺ وكذلك علاقته ﷺ بالمنافقين.

المبحث الرابع/ وتناول فيه الباحث وفاة النبي ﷺ .  
الدراسات السابقة :

رسالة الماجستير بعنوان (موقف سيديو من السيرة النبوية (دراسة نقدية ) في كلية الآداب جامعة الأنبار عام ٢٠١١م، للطالب حامد جاسم حمادي المحمدي، وأطروحة الدكتوراه (السيرة النبوية في الاستشراق الفرنسي في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين ) في كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد عام ٢٠١٤م، للطالب بهمن صالح محمد.

عرض لأهم المصادر

كتب التفسير :

تعد كتب التفسير مادة علمية دسمة بما توفره من معلومات عن سيرة المصطفى ﷺ من خلال تفسيرها للآيات والسور القرآنية بما يتلاءم وأسباب النزول، ومنها كتاب جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٣١٠هـ/ ٩٢٢ م) وتفسير الكشاف للزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وكتاب مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) وبخاصة في موضوع زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش .

### كتب الحديث :

استعان الباحث بكتاب الموطأ لمالك بن أنس (١٧٩هـ / ٧٩٥م) وكذلك مسند أحمد بن حنبل، لابن حنبل (ت: ٢٤١هـ / ٨٥٥م) وكتاب صحيح البخاري للبخاري (ت: ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) التي رفدت الرسالة في الكثير من المعلومات للرد على شبهات جلكريست، لأنها من أهم موارده في كتابه (محمد النبي في الإسلام).

### كتب السير :

لما كان أساس موضوع هذه الدراسة والبحث هو السيرة النبوية للنبي ﷺ فمن اللازم على الباحث الاعتماد على كتب السير؛ فقد استعان بكتاب السيرة لابن إسحاق (ت: ١٥١هـ / ٧٦٨م) وكتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت: ٢١٨هـ / ٨٣٣م) والذي هو اختصار لما جاء في سيرة ابن إسحاق، وقد أفاد منه الباحث بشكل كبير في حياة النبي ﷺ من نشأته ثم رضاعته، وحادثه شق الصدر، وبيعة العقبة، وما يتعلق بحياة النبي ﷺ في مكة والمدينة، وكذلك كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م) وكذلك كتاب زاد المعاد لابن القيم (ت: ٧٥١هـ / ١٣٥٠م).

### كتب المغازي:

استعان الباحث بمجموعة من كتب المغازي والفتوح؛ لما لها من دور في تقديم مادة علمية غزيرة وغنية عن سيرة النبي ﷺ ولاسيما في المدينة المنورة بتتبع التاريخ الزمني للأحداث، ومن هذه الكتب كتاب المغازي للواقدي (٢٠٧هـ / ٨٢٢م) والذي لنا فيه من المادة العلمية وبخاصة علاقة النبي ﷺ باليهود، وكذلك كتاب

فتوح البلدان للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، وكذلك كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).

### كتب التاريخ العام :

اعتمد الباحث على مفصل مهم من مفصل المعلومات التاريخية المهمة وهو كتب التاريخ العام والتي احتوت على مادة غزيرة عن موضوع البحث؛ فاستعان بكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م) إذ انتفع الباحث كثيراً بالمادة التاريخية التي تخص سيرة النبي ﷺ؛ إذ احتوى الكتاب على كثير من التفاصيل، وعلى أهم الأحداث التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية في فصول البحث المتعددة، وكذلك كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) إذ اعتمد في أغلب مروياته على كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري، وكذلك كتاب البداية والنهاية لابن كثير (ت: ٧٤٤هـ / ١٣٧٢م) والذي يعد من الموسوعات التاريخية المهمة لما احتواه من معلومات عن تاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ العرب في ظهور الإسلام وسيرة النبي الأكرم ﷺ.

### كتب التراجم والطبقات :

احتوت كتب التراجم والطبقات على المادة العلمية التاريخية الغزيرة والمهمة عن سيرة حياة المصطفى ﷺ وقد أفادت الدراسة بمعلومات عن الرجال والنساء في الحقبة الزمنية التي تعلق بها الدراسة؛ فاستعان بها الباحث على إيضاح الكثير من المعلومات من حيث النقد والتحليل ومن أبرز هذه الكتب كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد محمد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) من خلال ترجمة الشخصيات التي كانت لها علاقات مع النبي ﷺ وكتاب الطبقات لابن خياط (ت: ٣٨٠هـ / ٨٩٦م) واستعان الباحث أيضاً بعدد من الكتب الخاصة بالتراجم مثل كتاب الثقات

ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان (ت: ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)، فضلاً عن كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

### كتب الانساب :

وهذه الكتب من المصادر الأولية التي أفاد منها الباحث في الحصول على المادة التاريخية التي تخص موضوع الدراسة، ومن هذه الكتب كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) إذ احتوى بين أوراقه على مادة علمية ذات قيمة عالية، وكتاب أنساب العرب للعوتبي (ت: ٥١١هـ / ١١١٧م) فقد احتوى على مادة علمية استطاع الباحث من خلالها أن يحصل على أنساب عدد من الشخصيات، وكتاب الأنساب للسمعاني (ت: ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) إذ أعانت الباحث في تزويده بأنساب بعض الشخصيات وترجماتها.

### كتب تاريخ المدن والرحلات الجغرافية:

لابد من الإشارة هنا إلى استعانة الباحث بكتب البلدان ولاسيما كتاب تاريخ المدينة لابن شبه (ت: ٢٦٢هـ / ٨٧٥م) الذي يعد جامعاً لأخبار السير والمغازي في المدينة، وكذلك كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر (ت: ٥٧١هـ / ١١٧٥م) وقد أفاد الباحث في الدراسة من خلال عرض الروايات الخاصة بالمغازي إضافة إلى أسماء المواقع.

كما استعان الباحث باستخدام عدد من كتب الرحلات الجغرافية لغرض تقديم شروح وافية جغرافية كانت أو تاريخية لأسماء المدن والقرى، ومن أهم هذه المصادر كتاب الكتاب العزيز أو المسالك والممالك للعزيزي (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) وكذلك كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)،

وما احتواه كتاب مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لابن شياثل (ت: ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) حيث احتوت هذه المصادر على مادة علمية غزيرة عن أسماء الأماكن والمدن التي احتوتها الرسالة.

### كتب المعجمات اللغوية :

حاول الباحث الرجوع إلى المعجمات اللغوية لغرض الحصول على بعض التوضيح عن المفردات الغريبة التي وردت في الرسالة، ومنها الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (ت: ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) ومعجم لسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م) والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ / ١٤١٤م).

### المراجع الحديثة:

اعتمد الباحث في دراسة كتاب (محمد النبي في الإسلام) على عدد من المراجع وبخاصة ما يتعلق بمنهاج الاستشراق، وكذلك ما يتعلق بانتشار الإسلام، ومن هذه الكتب كتاب موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي لغرض الحصول على ترجمة لبعض شخصيات الاستشراق، وكذلك كتاب نقد الخطاب الاستشراقي للحاج ساسي الذي تناول فيه أقوال المستشرقين المنصفين وغير المنصفين، وكتاب شبهات حول الإسلام لمحمد قطب، وكتاب المنهج في كتابة الغربيين عن التاريخ الإسلامي لعبد العظيم الديب.

### الكتب الأجنبية المترجمة :

تناول سيرة النبي الأكرم ﷺ كثير من المستشرقين لذلك كان لزاماً على الباحث التطرق لهذه الكتب. وقد توخى الباحث الدقة والحذر في النقل منها وذلك لأنها أوردت بعض المادة التاريخية التي لا يمكن التغافل عنها لغرض الإفادة منها في

الاستنتاجات والتحليلات، ومن هذه الكتب كتاب حياة محمد للمستشرق إميل در منغم، وكتاب محمد للمستشرق المكسيم رودنسون، وكتاب الأبطال لتوماس كارليل، وكتاب محمد في مكة ومحمد في المدينة للمستشرق مونجيري وات، وقد احتوت هذه الكتب على مادة علمية ساعدت الباحث في الرد على المستشرق جلكريست وإجراء المقارنة معهم .

#### الكتب الأجنبية غير المترجمة :

من الأبواب التي استطاع الباحث الاستعانة بها للحصول على وجهة النظر الاستشراقية وبيان ما كُتب عن حياة النبي ﷺ، وأهم المحطات التي تضمنتها سيرة حياته ﷺ وما احتوته هذه الكتب من مادة علمية تاريخية استشراقية معاصرة، وقد ضمنها الباحث في قائمة المصادر والمراجع .

وهنا لابد من الإشارة إلى موضوع مهم وهو أن بعض الأحداث الرئيسة في السيرة النبوية كبعض الغزوات، والتي تمثل بداية الصراع مع الروم لم يشر إليها جلكريست في كتابه؛ لذلك لم نجد حاجة لتناولها ضمن خطة الرسالة؛ إذ لم يكن له رأي يناقشه حول هذه الأحداث.

إن هذه الرسالة المتواضعة بما احتوته من آراء ونقاشات محدودة ما هي إلا محاولة لتتبع الرأي الغربي بسيرة النبي ﷺ المعاصرة بغية مناقشة ما فيها من شبهات وأباطيل ودحضها؛ لذا أدعو من الله تعالى أن يكون عوناً لي بأن يسدد كلماتي للدفاع عن خير خلق الله سيدي ومولاي أبي القاسم محمد ﷺ فإن سددت فهو بتوفيق الله ومَنِّه، وإن أخفقت فهو من عند نفسي، والحمد لله رب العالمين .



حياة المستشرق جون جلكرايست وموارده ومنهجه  
في (كتابه محمد النبي في الإسلام)

## المبحث الأول

### دراسة في حياة المستشرق جلكريايت

#### ١- حياته

ليس من السهولة بمكان على أي باحث الحصول على معلومات أو جمعها عن شخص معاصر، وهذا ما أكدته الكثير من الدراسات التي حاولت البحث عن حياة المستشرق جلكريايت بالقول: «إن من الصعب على أي باحث في سيرة وحياة شخصية معاصرة وما زالت موجودة أن يجد لها ترجمة وتفاصيل في كتب السيرة والتراجم والموسوعات من ولادته ونشأته ومراحل حياته العلمية»<sup>(١)</sup>، إذ إننا «لأنعلم كثيراً عن جون جلكريايت ولا عن سنة ولادته»<sup>(٢)</sup>.

إن صعوبة الحصول على ترجمة كافية وشاملة عن مستشرق معاصر، ربما يرجع سببه إلى حالة التعتيم التي رافقت بعض شخصيات الاستشراق، ولا سيما أن هذه الشخصية الاستشراقية قد وجدت لتنفيذ أجندات مدفوعة من قبل حركات دولية وهذا ما أكدته فيما بعد الاتصالات معه، إذ يمكن أن نفهم أن انتقال الصراع بين النصارى والمسلمين إلى مناظرات فكرية كبيرة حولها الزمان إلى حروب حتى اضطر النصارى إلى العودة من جديد إلى سلاح الفكر الموجه من المؤسسة الكنسية تارة والمؤسسة السياسية تارة أخرى<sup>(٣)</sup>، وهو ما أدى إلى زيادة عدد المبشرين العاملين في جنوب أفريقيا وحدها إلى (١١٣٠٠٠) وكان هدف الكنيسة الغربية من هذا إيقاف المد الإسلامي في جنوب أفريقيا، فضلاً عن أن المنصرين اليوم ليسوا فقط من القساوسة وإنما من الخبراء والأطباء والفنيين<sup>(٤)</sup>.

١- الشمري، جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكريايت أنموذجاً، ص ١٧٩.

٢- إسماعيل، موقف المستشرقين من القرآن الكريم جون جلكريايت وكتابه جمع القرآن أنموذجاً، ص ١٠.

٣- المهاجر، دور الاستشراق في صياغة موقف الكنيسة من الإسلام المجمع الفاتيكاني الثاني أنموذجاً، ص ٩٠٥.

٤- ديدات، بين الإنجيل والقرآن، ص ٢٢.

ولذلك سعى القساوسة والرهبان إلى تعلم اللغة العربية والتضلع في الدراسات الإسلامية من أجل فهم الدين الإسلامي ثم نقضه من أساسه ورد أتباعه إلى النصرانية؛ فنتج عندهم مثل هؤلاء العلماء الذين يقارعون العلماء المسلمين، ويردون عليهم من كتبهم لذلك نشأ المد التبشيري المعاصر<sup>(١)</sup>، وهو ما أنتج لنا شخصيات على شاكلة جلكريست، وأشار إلى ذلك المستشرق صموئيل زويمر<sup>(٢)</sup> بقوله: «مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريماً وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ومن ثم فلا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها؛ وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية... لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع حتى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية...»<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يتضح بأن هناك منهجاً علمياً توخته الكنيسة مع المسلمين بهدف التعرف على الإسلام والمسلمين أكثر<sup>(٤)</sup>، وقد استخدم النصارى شتى الوسائل لغرض إرجاع فرض الدين المسيحي في كثير من المناطق وخير دليل على ذلك بداية حركة الارتداد النصراني في الأندلس التي انتهت بسقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م آخر معاقل المسلمين في الأندلس<sup>(٥)</sup>، ويرى الباحث أن الكنيسة قد انطلقت بثوب جديد للتبشير بالمسيحية التي كان جون جلكريست يمثلها، وعمدت إلى تنفيذ هذه المخططات، وقد أحيطت هذه الشخصيات بشيء من التكتّم والعزلة لغرض إعطائها المساحة الكافية للعمل والتحرك لتحقيق أهدافها، لذلك فجّل ما حصلنا عليه هو معلومات قليلة عن سيرة المستشرق

١- المهاجر، دور الاستشراق في صياغة موقف الكنيسة من الإسلام المجمع الفاتيكاني الثاني أنموذجاً، ص ٩١٣-٩١٤.

٢- صموئيل زويمر: (١٨٦٧-١٩٥٢م) رئيس المبشرين في الشرق الأوسط وله مصنفات عديدة في العلاقات بين المسيحية والإسلام وقد امتاز بتعصبه الشديد للمسيحية، للمزيد ينظر: العقيقي، المستشرقون، ج ٢، ص ١٠٠٥.

٣- ال توم، صموئيل زويمر حياته وجهوده التصيرية، ص ٩٢.

٤- المهاجر، دور الاستشراق في صياغة موقف الكنيسة من الإسلام المجمع الفاتيكاني الثاني أنموذجاً، ص ٩١١.

٥- ديدات، بين الإنجيل والقرآن، ص ٢٣.



جلكريايت عن طريق ما كان يترشح إلينا أو يتركه هو إلينا في مقدمات مؤلفاته العديدة وهي معلومات بسيطة :

Gilchrist John، Africa South، 1982 December "جون جلكريايت - جنوب

أفريقيا - ديسمبر ١٩٨٢" (١)

أو في ما تركه في مقدمات أحد كتبه : 2th Africal south Benoni Gilchrist John : 2003 August

"جون جلكريايت - بينوني - جنوب أفريقيا ١٢ أغسطس ٢٠٠٣" (٢)

وللتعريف بالمستشرق يمكننا أن نبدأ باسمه المشتق (Gilchrist) والذي تبين أنه مشتق من كلمتين (Gille criosd) والتي تعني خادم المسيح (٣).

«جلكريايت هو من جنوب أفريقيا وتحدث أكثر من ثلاثين عاماً عن توعية الشخصية المسلمة في جنوب أفريقيا بالمسيحية، هذا إذا ما أضفنا أنه كاتب معروف على الصعيد الدولي ويعتقد بل ويجزم أن الطريقة الأكثر فعالية لإقناع المسلمين باتباع المسيحية والاعتراف بالانجيل ككتاب مقدس هو عن طريق الحوار والمناقشة» (٤)، إذ إن النصارى قد أيقنوا بعد فشل الحروب الصليبية من تحقيق غاياتهم وتطلعاتهم في إعادة مجد الإمبراطورية الصليبية وتبين لهم أنه لاجدوى من محاربة الإسلام ولا بد من إيجاد سلاح آخر لمحاربتهم ومحاولة التشكيك بعقيدتهم (٥).

من أجل ذلك حظيت قضية إيجاد المناخ المناسب لانتشار أفكار الغزاة في شعوب الأمة الإسلامية بعناية كبرى، من قبل أعداء الإسلام والمسلمين، مهما اختلفت توجهاتهم، وتباينت أغراضهم، وتصارعت مذاهبهم. كما أن أعداء الإسلام جميعاً،

١- Gilchrist John and medowell Josh See-11-debate Islam the in Deedat Ahmed - Gilchrist John Sharing the Gospel with Muslims p-٩

٢- http://www.first-names-meaning.com/names/name-GILCHRIS.htm، بسيوني، جمع

القرآن للمستشرق جون جلكريايت (دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة)، ص ١.

٣- الشمري، جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكريايت، ص ١٨٠.

٤- إسماعيل، موقف المستشرقين من القرآن الكريم جون جلكريايت وكتابه جمع القرآن أنموذجاً، ص ٩.

يوصون عملاءهم وأجراءهم وعناصرهم بالعمل على إيجاد المناخ المناسب لبث أفكارهم ومبادئهم ومذاهبهم، وعرقلة كل تقدم من شأنه أن يفسد عليهم خططهم، فالمنظمات الدينية المسيحية التبشيرية والاستشراقية، قد تحارب قضية الإيمان بالله واليوم الآخر، وتعمل على نشر الأفكار الإلحادية والمادية المتطرفة بين أبناء المسلمين وبناتهم، بقصد هدم الإسلام عدوها الأكبر، زاعمين أن ذلك هو التمهيد المناسب لنشر النصرانية بعدئذٍ، فإزاحة الإسلام بالفكر المادي الإلحادي، أو بأي مذهب مناقض لكل دين، سيهيئ المناخ المناسب لتقبل دعوة المبشرين بالنصرانية بين أبناء المسلمين الذين ألدوا<sup>(١)</sup>. «جلكريست مستشرق من جنوب أفريقيا ولد في مدينة بينوني درس القانون وامتهن المحاماة واعتنق المذهب البروتستانتي<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>، وهو ما أكده الشمري بقوله : «ويمتهن جلكريست المحاماة وهو أيضاً كاتب عدل وثائق نقل الملكية في جنوب أفريقيا وينتمي للديانة المسيحية، المذهب البروتستانتي وقد انخرط في التبشير الإسلامي منذ ٣٥ سنة»<sup>(٤)</sup>.



١-الدمشقي، كواشف زيوف، ص ١٠٥.  
٢-البروتستانتية : من المذاهب المسيحية والتي نشأت عن حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦م) والتي تدعو إلى تحرر الفرد من سلطان الكنيسة وتجعله مسؤولاً أمام الله تعالى وحده على جميع أعماله، وسمي الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح الكنسي (بروتستنت ) لأنهم خرجوا على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية وعندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجهم، للمزيد ينظر : عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ج ١، ص ١٩٧؛ الشمري، جمع القرآن، ص ١٨١.  
٣-إساعيل، موقف المستشرقين من القرآن الكريم جون جلكريست وكتابه جمع القرآن أنموذجاً، ص ١٠.  
٤-جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكريست أنموذجاً، ص ١٨١-١٨٢.

«وعقد العديد من المناقشات والمناظرات والحوارات مع عدد من الشخصيات المسلمة ومنهم الشيخ شبير خليفة<sup>(١)</sup> والشيخ أحمد ديدات<sup>(٢)</sup>. ويوسف إسماعيل<sup>(٣)</sup> من جنوب أفريقيا<sup>(٤)</sup>».

وحاول الباحث الحصول على معلومات عن المستشرق موضوع الدراسة لكن من دون جدوى وهذا ما أكدّه علاء الدين محمد إسماعيل<sup>(٥)</sup> الذي قال بعدم استطاعته تأمين الاتصال بالمستشرق وكذلك بين سبب اهتمامه بالكتابة عن هذا المستشرق لما يتمتع به عن غيره من المستشرقين وبنظرة التحاملية على الإسلام وعلى نبيه محمد ﷺ ولكن بأسلوب يميزه عن غيره من خلال اختيار الألفاظ المناسبة التي لها التأثير في بسطاء عامة الناس، ومحاولته المستمرة في دس الشبهات

١- شبير خليفة: داعية إسلامي، ورئيس الإعلام الإسلامي والدعوة، المركز الدولي في تورنتو - كندا ورئيس مركز الدوحة الدولي لنشر الإسلام وهو كثيراً ما يسافر ليمثل الإسلام في المحاضرات العامة والحوارات بين الأديان وهو ناشط إسلامي وواعظ، وهو أيضاً «مفكر وله مناقشات ومناظرات في أجزاء مختلفة من العالم ولد شبير خليفة في عائلة مسلمة في غينيا وانتقلت إلى كندا في عام ١٩٧٨ وهو حاصل على شهادة البكالوريوس في الدراسات الدينية من جامعة لورانس في سدبري، وآناريو مع التخصص في الأدب التوراتي، وعلى شهادة الماجستير في الدراسات الدينية من جامعة تورنتو مع تخصص في التفسير القرآني وقد حصل على شهادة الدكتوراه منها، كما أنه يدرس اللغة العربية في جامعة تورنتو وله عدة منشورات منها (العلم في القرآن) وكتاب (تناقضات واضحة في الكتاب المقدس) ينظر: الشمري، جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكريست أنموذجاً، ص ١٨١

<http://shabir-Ally/wiki/en-wikipedia-org>

٢- أحمد ديدات: داعية إسلامي وهو أكثر الباحثين في نصوص الإنجيل فهو عالم مسلم متخصص في تاريخ الإنجيل المسيحي واسمه أحمد حسين ديدات ولد في إقليم سورات في الهند سنة ١٩١٨ وعند زيارة بعثة آدم في أربعينيات القرن العشرين والتي كانت نقطة التحول في حياته ولذلك قرر الشيخ دراسة الإنجيل وأصبحت له القدرة على العمل من أجل الإسلام، كما قام الشيخ بالقاء العديد من المحاضرات عن الإسلام ورسوله كما = كانت له العديد من المناظرات مع كثير من المبشرين المسيحيين ومنهم المستشرق جون جلكريست. للمزيد ينظر: كتاب بعنوان أحمد ديدات، محمد حسن، الجامعة الإسلامية الدولية في ماليزيا، ص ٣، منشور على الأنترنت وعلى الموقع <http://www.google.ae/url?url=http://www.youtube.com/watch?v=9-p1g4AtCBE>؛ الشمري، جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكريست أنموذجاً، ص ١٨٣.

٣- يوسف إسماعيل: وهو شخص يعمل في المحاماة وعضو المجلس البرلماني الدولي إذ شارك في المناقشات بين الأديان وحصل على شهادة القانون من جامعة ديربان وشارك في مناقشات تركزت على أهمية المسيحية؛ ينظر موقع على اليوتيوب

<http://www.youtube.com/watch?v=9-p1g4AtCBE>

٤- تسجيل فيديو لمجموعة مناظرات بين جلكريست وشبير ودييدات في موقع اليوتيوب على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=9-p1g4AtCBE>

وينظر كذلك: إسماعيل، موقف المستشرقين من القرآن الكريم جون جلكريست وكتابه جمع القرآن أنموذجاً، ص ١١؛ الشمري، جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكريست، ص ١٨٣.

٥- وهو تدريسي (دكتور) في إحدى الجامعات الماليزية وهو متخصص بتاريخ الأديان، وهذا ما عرفته من خلال اتصال هاتفي معه، وله بحث مقدم في مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه في جامعة القصيم في المملكة العربية السعودية وعنوانه موقف المستشرقين من القرآن الكريم جون جلكريست وكتابه جمع القرآن أنموذجاً.

من خلال ما كان يعرضه من التحليلات والتعليقات الملتوية ومحاولة التشكيك والافتراضات والادعاءات الباطلة<sup>(١)</sup>.

وتابع الباحث محاولاته المستمرة لغرض تأمين التواصل مع المستشرق جلكريست عن طرق البريد الإلكتروني عن طريق موقعه على الأنترنت :

<http://answering - islam org /authors/gilchrist html>

وبعد الاتصال وإرسال الرسائل لعدة مرات وانتظار الرد وصلني الرد وكان :  
with correspond to unable is and professional busy a is Gilchrist John)  
(questions answer to readers his

جون جلكريست هو مشغول بشكل كبير وغير قادر على التواصل مع قرائه للإجابة عن الأسئلة.

وهو أمر مثير للشك توصلنا به إلى أن هناك منظمات قد تقف وراء هكذا شخصية وهي التي تفرض عليه ما يبيده في حياته وما يخفيه، ولأغراض وموانع لوجستية خفية، عجز الباحث عن التوصل إليها .

وبعد الاتصال بشخصيات داخل العراق وخارجه تمكنت من التواصل مع الشخص المسؤول عن عقده المناظرات والحوار وهو (يوكن كاتز / Katz Jochen) الذي أرسل لي تسجيلات تمكنت من خلالها الحصول على معلومات عن جلكريست وهو يعيش في جوهانسبيرغ في جنوب أفريقيا في مدينة بينوني، وقضى معظم حياته في مقاطعة أونيسا، وأكمل دراسته في جامعة جوهانسبيرغ، واستطاع الحصول على الدرجة الفخرية في الأبحاث نتيجة لما قام به من أبحاث كان لها دور في عملية التبشير بالمسيحية في جنوب أفريقيا وحصل على شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة جوهانسبيرغ، في القانون المدني، ويعد جلكريست أفضل وأقدم من تحاور مع علماء المسلمين منذ منتصف السبعينيات<sup>(٢)</sup> .

١ - اتصال هاتفي مع الدكتور علاء الدين محمد إسماعيل، بتاريخ ٢٨ / ٨ / ٢٠١٧ .  
٢ - <http://www.PfanderFilmscom-٢>

وقد اعتمد الباحث عدة طرائق لغرض تأمين الاتصال بالمستشرق جلكريست وبالفعل تم الحصول على معلومات يسيرة عن حياته ومنها أنه من مواليد ١٩٣٩م<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على سبب ابتعاد المستشرق عن وسائل الاتصال الحديثة بسبب كبر السن، فضلاً عن أنه أضاف أن والده كان يعمل في أحد المناجم في جنوب أفريقيا، وقد دخل المدرسة التابعة لكنيسة سانتينانس المسيحية في بينوني والتحق بعدها بالدراسة الثانوية ومن بعدها الجامعة<sup>(٢)</sup>، وهذا يبين مدى تأثير هذه الفترة في المستشرق في خلق الشخصية التبشيرية لديه وكذلك في تحديد موقفه من الإسلام .

وتركزت معظم أبحاثه عن الإسلام وعلاقته بالمسيحية واستمر بالتبشير بالمسيحية لمدة أكثر من ٤٠ سنة<sup>(٣)</sup>، وترجمت مؤلفاته إلى أكثر من ٢٠ لغة في أربعة عشر بلداً؛ إذ ترجمت إلى اللغة الأسبانية، والصينية، والهولندية، والفنلندية، والأندونيسية، والملايو، والروسية، فكانت أبحاثه مبنية على قاعدة علمية تطويرية حضارية<sup>(٤)</sup>.

وذكر المستشرق جلكريست أنه قد سافر إلى العديد من البلدان سواء الأوربية منها أم العربية، ويبدو أن هناك سبباً لهذه الأسفار، فقد أوضح سببها أن سفره إلى دول أوربية كانت للحصول على بعض المعلومات التي تخص الديانة المسيحية بعد أن أثّرت عدة شبهات حول صلب المسيح، وتطرق إلى سفره إلى الدول العربية ولاسيما مصر، والجزائر، والمغرب، وبعض البلدان الأفريقية لغرض الاطلاع على أحوال المسلمين والتعرف على معتقداتهم<sup>(٥)</sup>.

وتطرق أيضاً في اللقاء الفيديوي إلى حالته الاجتماعية؛ إذ ذكر أنه متزوج من السيدة روز مري، وله اثنان من الأولاد، وهما جورج وديفيد<sup>(٦)</sup>.

١- ينظر ملحق رقم (٨) رسالة من قبل المستشرق جلكريست على البريد الإلكتروني.  
٢- م. ن.

٣- <http://www.youtube.com/watch?v=9-p1g4AtCBE-3>  
٤- <http://www.youtube.com/watch?v=Dlr-cWew8-4>

٥- ينظر ملحق رقم (٨) رسالة من قبل المستشرق جلكريست على البريد الإلكتروني  
٦- <http://www.youtube.com/watch?v=9-p1g4AtCBE-6>

ويعمل جلكريست كاتبَ عدل ومدير معهد وكلاء العقار في جنوب أفريقيا، ورئيس تحرير المالية وإدارة قرض منزلك أيضاً<sup>(١)</sup>.

وهو مدير صندوق شركة كابيتال - بيلدر - وهي المجموعة الاستشارية المتبادلة القديمة (بي تي واي) المحدودة<sup>(٢)</sup>.

ويُستدَلُّ من المهنة التي يعمل بها (رئيس تحرير مالية قرض منزلك) أنها من أدوات الاستعمار، التي لاتزال تعمل بفعالية كبيرة من اعتماد الجانب المادي من أجل الترويج للديانة المسيحية وهو ما اتبع من قبل أغلب الدول الاستعمارية في كسب ود أهالي البلاد التي يسيطرون عليها .

واستطاع الباحث الحصول على العنوان البريدي للمستشرق جلكريست والذي هو (Benoni 1500 Republic of South Africa، BOX1804.O.P.) وهذا ما دفع

الباحث إلى إرسال الرسائل البريدية السريعة وإلى الآن ينتظر الرد .

واستطاع الباحث التواصل مع مدير أعمال جلكريست من خلال الاتصال فكان الرد: إنه فضلاً عن ما يقوم به من أعمال إلا أنه يقوم بإعطاء الدروس لمجموعة كبيرة من المبشرين داخل مدينة بينوني في جنوب أفريقيا وهم من المبشرين الجدد، وفي داخل الكنيسة البروتستانتية هناك، وهو من مواليد ١٩٤٤م، وأضاف أن زوجته، والتي تدعى روز مري أيضاً تشاطره الرأي وممارسة العمل نفسه في التبشير، وهي تعمل على تأليف كتاب حول مدى التشابه بين القرآن والإنجيل، كما ذكر أن أحد أبنائه، وهو جورج يعمل طبيب أسنان في المدينة نفسها<sup>(٣)</sup>، ويتضح أن هذه الأسرة قد تبنت العمل التبشيري بوصفه عملاً تقوم به لغرض الحصول على الأجر، وكذلك الدفاع عن العقيدة التي آمنوا بها، ولهذا فقد انخرطوا ضمن المنظمات والمؤسسات التي أسستها الكنيسة

١- <http://www.youtube.com/watch?v=9-p1g4AtCBE>

٢- <http://www.boomberg.com>

٣- ينظر ملحق رقم (٧) اتصال هاتفي مع يوكن كاتز مدير أعماله ١٢ / ١ / ٢٠١٨

ودعمتها وأسهمت بوجودها لغرض الوقوف بوجه الإسلام، وهو ما أكدته بنفسه بالقول: «ولا يفوتني أن أذكر أني تزوجت من السيدة روز بعد أن تخرجت من الجامعة وهي تشاطرنى الرأي في كثير من مناقشاتي التي أقوم بها وسوف استمر بها وأتوقع أن يعود النصر إلى ما ملكوه في سابق العهود، إذما بذلنا مزيداً من الجهد لاستعادة ما تم نهبه من ممتلكاتنا»<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على مدى تعصب المستشرق لديانته.

ولابد على الباحث من التطرق إلى مسألة وقوع الباحث العربي في الاشتباه بمؤلفات المستشرق جلكريست مع مستشرق إنكليزي آخر يحمل الاسم نفسه، وهذا الأمر دفعنا إلى طرح سؤال على المستشرق جلكريست في مسألة التمييز بينهما فأجاب: «هذا الموضوع يمكن فك رموزه من خلال التدقيق الذي يمكن أن تجريه على الأقوال والأفعال لكل منا، فأبحاثنا هي من تجعلك تميز بيننا وكثيراً ما يقع الاشتباه مع الطبيب جون وهو إنكليزي الجنسية وعاش بحدود القرن التاسع عشر ويعد من العلماء الأفاضل الذين أكن لهم كل الاحترام، فضلاً من أنه لا يوجد لديه هذا الكم الهائل من المؤلفات التي تميزني عنه»<sup>(٢)</sup>.

ثم إن القارئ لأسلوب جلكريست يراه قد اتبع المنهج نفسه المتبع في المدرسة الإنكليزية وهو ما تبناه كثير من المستشرقين ولاسيما وات لذلك يمكن عده امتداداً للمدرسة الإنكليزية.

## ٢- مؤلفاته العلمية:

من الملاحظ على منهجية جلكريست في تأليف العديد من مؤلفاته اعتماده على الأسلوب الدفاعي لأفكاره ومعتقداته والناقد لكتابات غيره من معارضيه، ولاسيما كتابات المسلمين في محاولة منه للدفاع عن الديانة المسيحية<sup>(٣)</sup>، وقد اتبع جلكريست

١- ينظر ملحق رقم (٨) رسالة من قبل المستشرق جلكريست على البريد الإلكتروني

٢- ينظر ملحق رقم (٧) اتصال هاتفي مع يوكن كاتز مدير أعماله ١٢ / ٣ / ٢٠١٨

٣- الشمري، جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكريست أنموذجاً، ص ١٨٥.

الأسلوب السهل في القراءة للشخص العامي البسيط اللغة؛ وذلك لبعده عن التعقيدات الأكاديمية التي قد نجدها عند غيره من المستشرقين، وقد أكد المستشرق جلكريست أن من أهم مؤلفاته هو كتاب جمع القرآن والذي أثبت فيه أنه ليس بكلام الله بل هو وحي بشري أوجده نبي الإسلام<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه المؤلفات عبارة عن كتب تم طبعها، والقسم الكبير منها مطروح في مكتبة الأمازون وفي المكتبات التابعة للكنيسة في الدول الأوروبية، ومن أهم مؤلفاته، ما يأتي :

١ - كتاب التاريخ النصي للقرآن والإنجيل وهو حول دراسة القرآن والكتاب المقدس.

٢ - (The Christian Witness to the Muslim). الشاهد المسيحي إلى المسلم

٣ - (The crucifixion of Christ and his Resurrection). صلب المسيح وقيامته

٤ - (What Indeed Was the Sign of Jonah). ما كان في الواقع علامة يونا

٥ - (صلب المسيح حقيقة لا افتراء ) وقد كان رداً حول كتاب أحمد ديدات (صلب

المسيح بين الحقيقة والافتراء).

٦ - (The Bible is the Word of God) الكتاب المقدس هو كلام الله .

٧ - (The Islam Drbate Josh McDowell and John Gilchristvs -Ahmed deed-)

(at مناقشة الإسلام جوش ماكديويل وجون جلكريست مقابل أحمد ديدات

٨ - (Deedat in the Balance). ديدات في الميزان

٩ - (Christ In Islam And Christianitiy) المسيح في الإسلام والمسيحية

١٠ - (Is Muhammad Foretold in the Bible?). هل محمد ذكر في الإنجيل

١١ - (Origins and Sources of the Gospel) أصول ومصادر الإنجيل

١٢ - (Eid-ul-Adha : Abraham and the Sacrifice) عيد الأضحى : إبراهيم والنحر

١٣ - (The Second Coming Of Jesus) المجيء الثاني ليسوع

١٤ - (Jam AL - Quran :Thecodification Of The Quran Text) كتاب جمع

## القران- تدوين النص القرآني

١٥ - (The Scripture Of Islam The Quran) القرآن الكتاب المقدس للإسلام

١٦ - (Muhammad and the Religion of Islam) محمد ودين الإسلام

١٧ - (Muhammad The Prophet of Islam) محمد النبي في الإسلام

١٨ - (FACING THE MUSLIM CHALLENGE) مواجهة تحدي المسلمين

١٩ - (CHRISL IN ISLAM AND CHRISTIANTY) المسيحية والإسلام في الميزان

٢٠ - (Sharing the Gospel with Muslims) تقاسم الإنجيل مع المسلمين .

٢١ - (The Prophet after Moses Jesus Muslims) النبي بعد موسى (يسوع للمسلمين)

وقد وجهنا سؤالاً إلى المستشرق جلكريايسـت عن آخر مؤلفاته فكانت إجابته: «آخر ما قمت بتأليفه كتاب بعنوان (الإمامية بين الصدق والخرافة ) تناولت فيه حياة الأئمة من نسل فاطمة البنت الوحيدة لمحمد، وما هي أهم معتقداتهم بموضوع الغيبة وبعد موضوعهم عن موضوع المسيح المنتظر وهو في طور الطباعة»<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على استمرار المستشرق في محاولة التطرق إلى كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالديانة الإسلامية، بل يمكن أن نرى جلكريايسـت قد انتقل إلى أهم دعائم الديانة الإسلامية؛ إذ ابتدأها بالقرآن، وبعدها بحياة النبي الأكرم ﷺ ثم تطرق لحياة الأئمة عليهم السلام مما يدل على مدى اطلاعهم على تاريخ الإسلام، أو أن هناك منظمات هي من تقوم برسم هذه السياسة .

### ٣- مناظرات جلكريايسـت:

المناظرة لغةً: وهي الجدل، وأن يستخرج الرجل من مناظره كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها من مريت الشاه إذا حلبتها واستخرجت لبنها حتى ذكر أن النبي ﷺ قال: (لا تمار في القرآن فإن وراءه فيه كفر)<sup>(٢)</sup>، وهو ما يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا

١ - ينظر ملحق رقم (٧) اتصال هاتفي مع يوكـن كاتـز مدير أعماله ١٢ / ٣ / ٢٠١٨ .  
٢ - الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٥، ص ٢٠٤ .

أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد<sup>(١)</sup>، وناظر مناظرة، أي بمعنى جادله مجادلة<sup>(٢)</sup>.  
 المناظرة اصطلاحاً: «علم يتعلق بقواعد نظرية وأخلاقية تضبط المباحثات  
 والمناظرات لاستبعاد الخطأ والشك من النتائج التي يتوصل إليها المتناظران، وقد يعبر  
 عنه بعلم «الجدل» لأن المجادل مناظر أيضاً وربما يفرق بينهما بأن الجدل لا يكون إلا  
 بين اثنين متحاورين، والنظر قد يكون من جانب شخص واحد يتأمل ويستنبط لنفسه،  
 والغرض من المناظرة إن كان لمجرد إفحام الخصم والتغلب عليه بصورة أو بأخرى فهي  
 حرام وممنوعة وإن كانت المناظرة لإظهار الحق أو لإلزام الخصم بالحق والصواب فهي  
 مشروعة، وتكون فرض كفاية، لأن إظهار الحق مصلحة عامة، ومن فروض الكفاية  
 ويدل عليه قوله تعالى ﴿لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٣)</sup> «<sup>(٤)</sup>».

وهذه من أبرز الموضوعات التي أولاهها المستشرق جلكريست الاهتمام، ألا وهي  
 مسألة عقد المناظرات مع العديد من الشخصيات التي تبنت الدفاع عن الإسلام مثل:  
 أحمد ديدات، وشبير خليفة، ويوسف إسماعيل، وبشير فانيا<sup>(٥)</sup>، وقد ظهر ذلك واضحاً  
 في كثير من مناظراته التي تم عرضها على كثير من المواقع على الأنترنت .

وتناول جلكريست ذلك بالحديث عن السبب الذي دفعه للدخول في مثل هكذا  
 مناظرات في شريط مسجل على اليوتيوب بين فيه السبب في كتاباته عن الإسلام والقرآن؛  
 إذ ذكر أن أولى اللقاءات كانت في منتصف السبعينيات مع الشيخ أحمد ديدات، واكتسبت  
 هذه المناظرات شهرة كبيرة في جنوب أفريقيا<sup>(٦)</sup>، وقد عقد جلكريست العديد منها؛ إذ

بلغت تسعاً مع الداعية أحمد ديدات على مواقع عديدة هي :

<https://www.youtube.com/watch?v=HHKVKEEjrT8>

١ - القزويني، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٢٩٦.

٢ - الحموي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج ٢، ص ٦١٢.

٣ - العنكبوت: ٤٦.

٤ - مجموعة مؤلفين، مفاهيم إسلامية، ج ١، ص ١٤.

٥ - بشير فانيا : وهو إحدى الشخصيات الإسلامية التي تولت الدفاع عن الإسلام، وقد امتنهن المحاماة في جنوب أفريقيا،

ينظر موسوعة الوكيبيديا <https://www.youtube.com/watch?v=9DVa38KDfa0>

٦ - <http://www.youtube.com/watch>

المحاضرة التحضيرية لمناظرة أحمد ديدات مع جون جلكريست في قاعة اثلون شيفك سنتر في الثاني عشر من أبريل عام ١٩٨٨.

<https://www.youtube.com/results?Search>

مناظرة بين المحامي المبشر جون جلكريست والشيخ ديدات حول مغزى الروح القدس على قناة SABC عام ١٩٧٥.

[query=Shabir+Ally+John+Gilchrist and=Sha](https://www.youtube.com/watch?v=Shabir+Ally+John+Gilchrist+and+Sha)

مناظرة كاملة بين المبشر المحامي جلكريست والداعية الإسلامي ديدات حول هل الكتاب المقدس كلمة الله على قناة SABC في عام ١٩٦٧.

[p1g4AtCBE-9=v?watch/com.youtube.www//:https](https://www.youtube.com/watch?v=p1g4AtCBE-9)

مناظرة شاملة بين أحمد ديدات ومولاني صوفي والسيد جلكريست والقس يونافنش هينودد تحدثوا فيها عن الإسلام والمسيحية وهي عبارة عن مجموعة من الاستجابات.

[https://www.youtube.com/watch?v=eo\\_VfxZmjxA](https://www.youtube.com/watch?v=eo_VfxZmjxA)

مناظرة بين أحمد ديدات والمحامي جلكريست حول اعتقاد المسلمين أن الكتاب المقدس المذكور في القرآن هو الإنجيل علماً أن الإنجيل الذي يدرس هو ليس الذي نزل

على يسوع المسيح وقد تمت هذه المناظرة بتاريخ ١٦ / ٤ / ١٩٧٩.

<https://www.youtube.com/watch?v=w1jIHb-IPK0>

مناظرة بين ديدات وجلكريست في مركز نشر الدعوة الإسلامية حول قيامة المسيح

بتاريخ ١٠ / ٩ / ١٩٨٣.

<https://www.youtube.com/watch?v=12qAj5qdLqs>

مناظرة بين المبشر جون جلكريست والداعية الإسلامي أحمد ديدات حول يسوع

هو النبي الوحيد بلا خطيئة وليس محمداً وكانت بتاريخ ٩ / ٢ / ١٩٨٥.

<https://www.youtube.com/watch?v=myvQtW2Dqs4>

مناظرة بين الداعية الإسلامي أحمد ديدات والمحامي جلكريست وقد تناولوا

اليسوع في إنجيل يوحنا وذكر محمد فيه بتاريخ ١٢ / يوليو / ١٩٨٥.

وقد أكد جلكريايت أن السبب الدافع له لعقد مثل هكذا مناظرات هو ما تناولته محاضرات ديدات والتي أراد فيها إثبات عدة أمور منها أن الإنجيل ليس بكلام الله وأنه قد تم تحريفه وأن المسيح ليس ابن الله، كل هذه الأمور هي التي دفعته للكتابة وعقد المناظرات<sup>(١)</sup>، وتنوع هذا السجال الكلامي بين لقاءات مباشرة ومواجهات صريحة، أو مؤتمرات، أو قد يتحول هذا الصراع إلى تأليف الكتب في بعض الأحيان أو المقالات للرد على ادعاءات الآخر .

ولم تكن هذه اللقاءات مقتصرة على أحمد ديدات بل تعدت لتشمل شخصيات إسلامية أخرى منها شبير خليفة؛ إذ بلغت عدد المناظرات التي عقدها مع المستشرق جلكريايت أكثر من سبع مناظرات على عدة مواقع هي :

<https://www.youtube.com/watch?v=pDAGiv72Rzo>

مناظرة بين جلكريايت والداعية شبير خليفة حول الكتاب المقدس والقرآن ونهج السلام والعنف بينهما وقد عقدت على قاعة ساليفا بتاريخ ٢٨ / ٨ / ٢٠٠٩ .

[https://www.youtube.com/watch?v=R8\\_FirnV5yE](https://www.youtube.com/watch?v=R8_FirnV5yE)

مناظرة بين جلكريايت وشبير خليفة حول اليسوع هل هو نبي كما يعتقد المسيحيون وضرورة فهم الاختلافات بين وجهات النظر المسيحية والإسلامية بتاريخ ٢٥ / ٩ / ٢٠٠٩ .

<https://www.youtube.com/watch?v=rJb82ODLDnA>

مناظرة الجدل بين المسيحيين والمسلمين في مفهوم الله وكانت بين جلكريايت وشبير خليفة في جوهانسبورغ على قاعة جيوا هول ماغير بتاريخ ٣٠ / مايو / ٢٠١٠ .

<https://www.youtube.com/watch?v=X2oX17yq91M>

مناظرة بين شبير خليفة وجلكريايت حول صلب المسيح وقيامته حقيقة أم خيال بتاريخ ٢٥ / ٢ / ٢٠٠٧، في مركز نشر الدعوة الإسلامية في جنوب أفريقيا .

[https://www.youtube.com/watch?v=OAaYKH7NbNI&list=PL1C7F68B5](https://www.youtube.com/watch?v=OAaYKH7NbNI&list=PL1C7F68B548009FDD)

48009FDD

مناظرة بين المحامي جلكرايست وشبير خليفة حول الأصول الإلهية وسلطة ومصدقية الكتاب المقدس في قاعة مدينة دوربان الساعة السادسة مساء بتاريخ ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٩.

<https://www.youtube.com/watch?v=wybPHRShsmo&list=PL1C7F68B548009FDD&index=2>

مناظرة عقدت بين جلكرايست وشبير خليفة حول هل كان اليسوع على استعداد للموت على الصليب ؟ وهل قام المسيح حقاً من الموت، وهل اليسوع قادم من الموت بتاريخ ١٠ / ٩ / ٢٠٠٩.

<https://www.youtube.com/watch?v=FCD2aUuVPHw>

مناظرة بين شبير خليفة والمحامي جلكرايست حول أصول الكتاب المقدس والقرآن وهل للإسلام والمسيحية أصول مختلفة ؟ أي كتاب هو كلام الله الكتاب المقدس أم القرآن بتاريخ ١٢ / ٦ / ٢٠١١.

ثم إن هناك عدداً من المناظرات قد عقدت بين جلكرايست ويوسف إسماعيل وهي أيضاً تدور حول الإسلام والقرآن وقد نشر قسم منها على مواقع الأنترنت الآتية :  
<https://www.youtube.com/watch?v=IRCpoGtx4bQ>

مناظرة بين جون جلكرايست ويوسف إسماعيل عنوانها هروب محمد من مكة إلى المدينة بتاريخ ٢٧ / ٧ / ٢٠١٢.

<https://www.youtube.com/watch?v=sN7bmqpeoDc>

مناظرة عقدت بين المبشر جلكرايست والداعية الإسلامي يوسف إسماعيل حول حقيقة الإسلام بالإشارة إلى إنجيل برنابا والذي يعد أحد الكتب التي ظهرت في القرن السادس عشر والذي يناقض الكتاب المقدس والدقة التاريخية.

وعقد جلكرايست مناظرتين مع شخصية أخرى هو بشير فانيا حول مفهوم الله في المسيحية والإسلام ومنشورة على مواقع الأنترنت :

[https://www.youtube.com/watch?v=INlj\\_UFWWH0](https://www.youtube.com/watch?v=INlj_UFWWH0)

مناظرة بين بشير فانيا مع جون جلكريست في مدينة جوهانسبيرغ بتاريخ ٣٠/ماي/ ٢٠١٠ وكان محور المحاضرة حول الإسلام ونبيه.

[https://www.youtube.com/watch?v=Uv76xj0e9u8rd\\_skm](https://www.youtube.com/watch?v=Uv76xj0e9u8rd_skm)

مناقشة بين جلكريست وبشير فانيا في وجهات النظر على الثالوث في جنوب أفريقيا في عام ٢٠١٠.

ولم يكتفِ جلكريست بهذا القدر بل تعدى ذلك إلى عقد المؤتمرات أو الندوات للتعريف بالمسيحية في جنوب أفريقيا والتي يتضح من خلالها أنه يطمح إلى ممارسة عمله وهو التبشير بالمسيحية ويمكن أن نطلع على ذلك من خلال الرابط الآتي على الأنترنت: <https://www.youtube.com/watch?v=Z-8s5jnLvCQ>

وهي محاضرة ألقاها جلكريست في إحدى الحداثات العامة بعنوان الوصول إلى المسلمين من أجل نشر الديانة المسيحية وكانت بتاريخ ٥/٣/٢٠١٤.

إذ يتكلم فيها عن الإسلام ونبيه الكريم ﷺ وينفي بها صفة النبوة عنه، وقد كانت أغلب هذه المناظرات التي عقدها تدور حول الإنجيل وعلاقته بالإسلام والقرآن، وهو ما أدى فيما بعد إلى أن ينصب اهتمام جلكريست لدرس الديانة الإسلامية وتاريخ القرآن وكذلك التاريخ الإسلامي، وبذل كل ما في وسعه لغرض النيل من الإسلام ونبيه، الأمر الذي دفعه إلى القول: إن القرآن ليس هو الذي أنزل على النبي ﷺ وإنما تم تحريفه، وقد عمد الباحث إلى عمل جدول بياني في الملحق لتوضيح مدى ازدياد عدد المناظرات التي عقدها جلكريست ابتداءً من سنة ١٩٧٥ إلى سنة ٢٠١٧<sup>(١)</sup>.

### دوافعه في تأليف الكتاب:

إن السبب الرئيس وراء اهتمام المستشرق جلكريست بموضوع ديانة الإسلام وبخاصة حياة النبي ﷺ يرجع إلى ما يقوم به من دور في حركة التنصير في جنوب أفريقيا إذ تشهد هذه المناطق موجة من الحركة التنصيرية. وقد استعمل الباحث كلمة تنصير

بدلاً من كلمة تبشير؛ لأن التبشير هو محاولة الترويج أو إبراز دور إحدى الديانات وإظهار سماتها الإنسانية على الأخرى في حين أن كلمة التنصير تعني محاولة إرغام بقية الديانات على اعتناق النصرانية بشتى الوسائل، وجلكريايت هو أحد الشخصيات التي مارست الترويج لنشر النصرانية في جنوب أفريقيا، بل تعدى الأمر إلى محاولة القضاء على الديانة الإسلامية هناك، ويمكن أن نرى ذلك واضحاً من خلال المناظرات التي عقدها جلكريايت في جنوب أفريقيا، فضلاً عن قيامه بتأليف عدد غير قليل من الكتب عن جمع القرآن وحياة النبي ومقارنة الديانة الإسلامية بالديانة المسيحية وغيرها من الكتب التي تبرز الديانة المسيحية على الديانات الأخرى.

إن جلكريايت من الشخصيات التي تبنت موقف الكنيسة المسيحية في أوروبا لذلك اعتمد على تنفيذ الأهداف التي كانت قد أعدتها الكنيسة لوقف المد الإسلامي في جنوب أفريقيا.

وهو ما أكدته بقوله : «على الرغم من أنني رجل محترف نشأت في مجال الأعمال التجارية، فإن وجود بضع مئات من الآلاف من المسلمين في جنوب أفريقيا أعطاني الفرصة للمشاركة في وزارة التبشير المستمر في ما بينهم من المسلمين»<sup>(١)</sup>، ومن ثم دفعه ذلك للقول: «سوف يميل كثيرون إلى استنتاج أن هذا الكتاب ليس فقط وصفاً للإسلام ولكن أيضاً دحض له أنا لا أعتذر عن هذا لدي احترام صحيح لمحمد وكتابه ودينه، لكنه أعتقد مخلصاً (أي جلكريايت) أنه لا يقارن مع يسوع المسيح، وأن المسيحية في شكلها الكتابي هي أعلى بكثير من الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

١- جلكريايت، محمد ودين الإسلام، ص ٢.

٢- م.ن، ص ٢

## وصف الكتاب :

يتألف كتاب محمد النبي في الإسلام للمستشرق جون جلكريست من ١١٤ صفحة وهو باللغة الإنكليزية وبعد ترجمته من قبل الباحث تكون من ١٦٨ صفحة ويرصد خلاله المستشرق جلكريست حياة النبي ﷺ وبداية ظهور الدعوة وما مرت به من أطوار عبر تاريخها العظيم في خمسة فصول وكل واحد منها يحتوي على عدة موضوعات؛ إذ راعى خلالها الترتيب الزمني في سرد الروايات دون سرد الأسانيد، وهي كما يأتي:

### 1-THE PROLOGUE: ARABIA BEFORE ISLAM

Pagan Arabia in Pre- Islamic Times

Christian and Jewish Influences

Abraha and the Year of the Elephant

Muhammads First Forty Years

## الفصل الأول :

الجزيرة العربية قبل الإسلام عبدة الأصنام الوثنيون في عصور ما قبل الإسلام-  
المسيحية والتأثيرات اليهودية-إبرهة وعام الفيل- الأربعةون سنة الأولى من عمر محمد.

### 2-THE BIOGRAPHY: THE LIFE OF MUHAMMAD

The Prophet of the Arabs at Mecca

Al- Hijrah and the Commencement of Islam

Muhammad Ten Years at Medina

The Capture of Mecca and Other Triumphs

## الفصل الثاني :

السيرة الذاتية: حياة محمد نبي العرب في مكة المكرمة-الهجرة وبداية الإسلام-  
سنوات محمد العشر في المدينة المنورة- محاصرة مكة وغيرها من انتصارات.

### 3-HIS PERSONALITY: THE CHARACTER OF MUHAMMAD

A Review of Muhammad s Personality

His Treatment of his Enemies



His Relationships with Jews and Christians  
Evaluating Muhammad s Many Marriages

الفصل الثالث :

شخصيته: شخصية محمد مراجعة لشخصية محمد - تعامله مع أعدائه - علاقاته مع اليهود والمسيحيين - تقييم لزيجات محمد المتعددة.

4-THE REVELATION: THE MESSENGER OF ALLAH

Iqra!- The Call to Prophecy

Muhammad s Experience of the Revelation

Al - Mi raj: The Nocturnal Ascension

The Messenger to all the Worlds

الفصل الرابع :

الوحي: رسول الله اقرأ - الدعوة إلى النبوة - تجربة محمد مع الوحي - المعراج:

الصعود الليلي - الرسول إلى جميع العالمين.

5-THE LEGEND : MUHAMMAD IN POPULAR ISLAM

The Names of the Prophet

The Beautiful Model and Intercessor

Nur -i- Muhammad : The Light of Muhammad

Maulid an-Nabi : His Birthday Celebrations

Miracles Attributed to Muhammad

الفصل الخامس :

الأسطورة: محمد في الإسلام الشعبي، أسماء النبي الأسوة الحسنة والشفيع - نور

محمد: نور محمد - المولد النبوي - المعجزات التي نسبت إلى محمد.

وهو مطبوع بموافقة: (مركز موارد التبشير الإسلامي في الجنوب الأفريقي) (صندوق بريد

٣٤٢، موندور ٢١١٠. جنوب أفريقيا حقوق الطبع والنشر محفوظة لميرسكا ١٩٩٤ ISBN

٠-٩٥٨٣٩٠٥-١-٧ على الأنترنت هي طبعة مطابقة للطبعة المطبوعة في عام ١٩٩٤).

## المبحث الثاني

## الموارد

تطرق جلكريايت في أثناء كتابه لعدة موارد، والتي كانت الرافد في كتابه محمد النبي في الإسلام وهو عدد ليس بالقليل من المصادر العربية قياساً بحجم الكتاب الذي ألفه وقد عم التنوع في موارد جلكريايت في استسقاء معلوماته؛ فنراه قد شمل كتب الحديث، والفقه، والتفسير، والسيرة، والتراجم، وكتب التاريخ، وهي ميزة ميزته عن غيره من المستشرقين والذين كتبوا عن سيرة النبي ﷺ باعتمادهم على كتب تخص السيرة فقط .

اعتمد جلكريايت في استسقاء معلوماته عن الديانة الإسلامية على العديد من الكتب؛ إذ أشار إلى ذلك بقوله « تعتبر بعض الكتابات التي كثيراً ما اعتمد عليها في توفير المعلومات للكتب والمؤلفات التي أظهرتها وكذلك في رد الخصوم الذين يحاولون جادين الدفاع عن دينهم المزعوم ولكنه بدون جدوى، وذلك لقلّة ما في أيديهم من حجج تمكنهم من خلالها رد خصومهم، ومنها صحيح البخاري، وصحيح مسلم ويعد من الكتب المعتمدة عند الأغلبية المسلمة، كذلك كتاب سيرة ابن إسحاق والذي يحتوي على معلومات دقيقة وعلمية عن حياة نبيهم وكيفية نشوء الإسلام<sup>(١)</sup>، ويمكن أن نرد على ما قاله جلكريايت بأن هذه الكتب تفتقر إلى البعد الزمني عن حياة النبي ﷺ لأنها كتبت بعد فترة زمنية ليست بالقليلة، فضلاً عن ما يحيط في بعض هذه الكتب من شبهات في مسألة تدوينها، كما لا يفوتنا أن نذكر أن قسماً منها قد تم تهذيبه من قبل الآخرين ولا سيما سيرة ابن إسحاق من قبل ابن هشام بعد احتوائها على أشعار فاسدة، فضلاً عن أنها لا تعد من الكتب المعتمدة عند جميع المسلمين.

وحاول جلكريايت أن يكون محايداً ولكنه كغيره من الأوربيين ذوي المشارب المختلفة في مصادرها وتفكيرها ومعتقداتها، ولم تكن نطمح إلى الكثير من الإنصاف

أو حتى التجرد بل كنا نأمل منه بوصفه باحثاً ومطلعاً على التاريخ الإسلامي وتاريخ القرآن وسيرة النبي ﷺ أن يختلف عن الآخرين في مراجعاته وأطروحاته، فقد كان كثيراً ما يتوقف عند موضوع تأثر الإسلام بالديانات السابقة ما يوحى للقارئ بأنه تركيبة توليفية من هنا وهناك، فالديانة اليهودية والنصرانية هما ديانتان سماويتان والإسلام لم يأت لنسخها أو طمسها أو ليحل محلها بل جاء مكملًا ومتممًا لها، ومن ثم يجب أن تكون هناك قواعد مشتركة بينها وبخاصة فيما يخص الصوم والصلاة والعبادات الأخرى.

ومن خلال اطلاعنا على السيرة النبوية والتي خطت بيد المستشرق جلكريست نجد أن هذا الكتاب ممثلاً لوجهة النظر الأخرى غير المحايدة، وبخاصة مسألة الإسراء والمعراج فيما يتعلق بالعهد المكي وكذلك اليهود وعلاقتهم بالمسلمين في المدني من خلال المواقف والاستنتاجات والتحليلات لتلك الأحداث .

ولم يستعمل جلكريست الأسلوب المنهجي في إيراد ما تم اقتباسه بطرائق منهجية البحث التاريخي؛ إذ يذكر المتن أو المعلومة المقتبسة بعدها يذكر بين قوسين اسم المؤلف أو اسم الكتاب ومن ثم الجزء أو الصفحة، ومن هذه الموارد :

### القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم أساس التشريع الإسلامي، والمصدر الأول لتاريخ العرب في مرحلة ما قبل الإسلام، وكذلك يعد أوثق المصادر المدونة على الإطلاق، لأنه تنزيل من الله تعالى <sup>(١)</sup> ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ <sup>(٢)</sup>، وهو أيضاً الكتاب الذي لم يستطع أحد تزويره أو تحريفه أو تبديل آياته، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ <sup>(٣)</sup>. كان القرآن الكريم على الدوام دليل المسلمين ووجهتهم <sup>(٤)</sup>، أي أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من

١- سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص ١٨؛ حسين، الأدب الجاهلي، ص ٦٨.

٢- فصلت، ٤٢.

٣- الحجر، ٩.

٤- النحاس، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ج ١، ص ٧.

كلام النبي أو البشر ككل، أو أن يكون كلام جبريل كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

ويعد القرآن واحداً من أكثر المصادر قبولاً وتصديقاً عند الكثيرين ولا سيما عند المستشرقين، ولذلك أحال جلكريست إليه في كثير من الموضوعات عند عرضه لكتابه محمد النبي في الإسلام، والذي يُعد من الموارد الأساسية في هذا الكتاب، ولكننا لا نعرف سبب استخدامه من المستشرق في حين إنه يشكك فيه وذلك من خلال إصراره المستمر في عدم سلامة النص القرآني وتقلبه الدائم بتحريف القرآن، من باب من فمك أدينك كونهم يسوقون دائماً أفكاراً مفادها أن القرآن غير مترابط وغير متناسق من الناحية اللغوية، لذلك استخدموه غير فاهمين لنصوده ولا لطبيعة مروياته العربية لأجل دحض مفاهيم الإسلام، مع وجود كتاب للمؤلف يشكك في مسألة حفظ القرآن وسلامته، هذا مع عدم تغافلنا عن الخلفية الدينية للمستشرق وعمله في التبشير المسيحي في جنوب أفريقيا؛ فقد حاول من خلال هذه الأمور أن تكون لديه الحجة القوية التي تمكنه من إقناع عدد غير قليل من ذوي الإيمان الضعيف من المسلمين في جنوب أفريقيا والتي لاتزال أرضاً خصبة لمثل هكذا صراع حتى وقتنا الحاضر، ويعد جلكريست جزءاً من أدوات هذا الصراع في جنوب أفريقيا كما ذكرنا ذلك سلفاً، وأكد ذلك باستعماله القرآن لغرض إثبات صحة نظريته التحاملية، أي أنه لم يذكر الآيات القرآنية إلا لغرض التشكيك في الإسلام؛ إذ نراه في بعض المرات يذكر الآية القرآنية مع الاختلاف في نمط الترجمة، أو يقوم بذكر الآية القرآنية بالإشارة إلى رقم السورة والآية فقط فمن ذلك: «والأهم من ذلك، وربما حتى بصورة غير عادية، أنه لم يحافظ فقط على مساره ولكن أيضاً حافظ على فهم واضح جداً لحدوده. لم يكن أكثر من إنسان، لا يختلف عن رسل الله الذين سبقوه ومعرض للرحيل في أي وقت كما حصل معهم (سورة ٣: ١٤٤). فقد

كان همُّه الرئيس هو أن يتبع مستمعيه طريق ربه (سورة ٢٥ : ٥٧). على الرغم من أنه رفض وسخر منه على أنه يمتلكه الجنون فقد كان يرى نفسه فقط منذراً ومخدراً من أجل دعوة قومه في العودة والرجوع إلى الحقيقة (سورة ٧ : ١٨٤) <sup>(١)</sup>، وعند قيامي بجرد عدد المواضع التي أحال بها المستشرق إلى القرآن الكريم نجدها بلغت ١٢٩ موضعاً.

### الكتاب المقدس

الإنجيل لغةً: كلمة مأخوذة من اللفظ اليوناني: (إيفا نجليون EVANGELION)، وتعني: (الخير الطيب) أو (البشارة) <sup>(٢)</sup>.

وأما اصطلاحاً: فهي تعني بحسب زعم النصارى: (بشرى الخلاص من خطيئة آدم عليه السلام الأزلية) وأن السيد المسيح عليه السلام قد استعملها لهذا الغرض، وهي رسالة ضد الشر، وشاع استعمالها على: إنجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وقد اعتمدت هذه الأنجيل الأربعة عند النصارى بموجب قرار مجمع نيقية <sup>(٣)</sup> عام (٣٢٥هـ / ٩٣٦م) <sup>(٤)</sup>.

وأما توصيف الإنجيل في القرآن الكريم، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ <sup>(٥)</sup>، وتناول جلكريست الكتاب المقدس بجزئه الجديد، أي (الإنجيل).

وهو أحد المناهل التي استقى منها جلكريست الكثير من معلوماته، أو محاولاته المستمرة لغرض الإحالة لها والاستشهاد في كثير من نصوصه، لغرض إثبات صحة ادعائه وذلك بالنظر إلى انتشار الديانة المسيحية في أوروبا ومن ثم محاولة الحصول على أتباع له هناك، والتأثير في عدد ليس بالقليل من المسلمين المتعاشين في أوروبا وجنوب

١ - Islam of prophet the Mhammad, Gilchrist - p50

٢ - الهاشمي، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ج ١، ص ٩٨.

٣ - مجمع نيقية: وهو أحد المجمع المسكونية التي يعقدها رجال الدين المسيحيون لحل المشاكل الإيمانية والروحية. ينظر: ملطي، قاموس المصطلحات الكنسية، ص ٤٨.

٤ - ديورات، قصة الحضارة، ج ١١، ص ١٠٦.

٥ - المائدة، ٤٦.

أفريقيا على حد سواء، ومحاولة إعطاء الدليل والسند لأتباعه في المناطق التي كان يروج فيها للمسيحية ولا سيما في جنوب أفريقيا التي تشهد موجة تبشيرية قوية لنشر الديانة المسيحية وذكر جلكريست ذلك بالقول: «واحدة من الثمار العظيمة للإصلاح البروتستانتي كانت الحركة التبشيرية التي انتشرت اليوم وزاد وعلا نفوذها في كل ركن من أركان المعمورة. وقد ثبت أنه أكثر نجاحاً في بعض المجالات منه في مجالات أخرى، وبناء على ذلك، فإن معظم القوى التبشيرية البروتستانتية تشارك اليوم في تلك الميادين التي ثبت أنها أكثر خصوبة»<sup>(١)</sup>، حاول أن يستفيد النصارى مما أعطاهم الله بقوله: «منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كانت هناك ظاهرة في الشرق التي حددها المسيحيون المميزون باعتبارها العناية، هاجر المسلمون مئات الآلاف من أوطانهم التقليدية إلى الدول الغربية... لقد أتيحت للكنيسة في الغرب فرصة فريدة لتبشير الإسلام على عتبة بابها... وقد أظهرت التجربة أن نمو الطوائف المسلمة الأقلية في البلدان المسيحية فتح الباب أمام شكل أكثر شمولاً للوزارة مما كان ممكناً حتى الآن في معظم الأراضي الإسلامية في جميع أنحاء العالم المسيحي، هناك وعي متزايد من الإسلام والحاجة إلى تبشير المسلمين، وخاصة أولئك الذين هم الآن جيراننا...»<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر جلكريست في كتابه (محمد النبي في الإسلام) الكتاب المقدس في كثير من المواضع لغرض إظهار مدى إنسانية الديانة المسيحية، وتناول النص المقدس من خلال ذكره للأسفار وكذلك أرقامها «أحب أعداءك، افعل الخير لأولئك الذين يكرهونك، بارك أولئك الذين يسبونك، صلّ من أجل أولئك الذين يسيئون إليك (لوقا ٦: ٢٧-٢٨)»<sup>(٣)</sup>. ثم محاولات المستشرق المستمرة لإيجاد حالة من التشابه بين ما ورد في الكتاب المقدس وما جاء في النص القرآني متمثلاً «بإيجاز بولص عند الرومان (٩: ٤-٥)، يا أبناء

١- جلكريست، محمد ودين الإسلام، ص ١.

٢- م. ن، ص ٢.

٣- Gilchrist، Islam of prophet the Mnhammad، 59p

إسرائيل! اذكروا تفضيلي لكم والوفاء بعهدكم معي. (سورة، ٢: ٤٠)، لقد أعطينا بني إسرائيل الكتاب المقدس، والحكم والنبوة، وقدمنا لهم الخيرات، وفضلناهم على الأمم الأخرى. (سورة ٤٥: ١٦)»<sup>(١)</sup>، ومن ثم محاولة القول: إن الديانة الإسلامية مستمدة من الديانة والتعاليم المسيحية، وقد قام الباحث بإجراء مسح لعدد المرات التي أحال فيها المستشرق إلى الكتاب المقدس وتبين أنها بلغت (٢٣) مرة، وفي مختلف الموضوعات.

### كتب الحديث

كان لكتب الحديث حضور متميز في موارد المستشرق جون جلكريايس في كتابه محمد النبي في الإسلام ومنها :

#### ١- صحيح البخاري<sup>(٢)</sup> (ت: ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)

يعد صحيح البخاري واحداً من أهم المصادر التي اعتمدها جلكريايس<sup>(٣)</sup> في كتابه الموسوم محمد النبي في الإسلام علماً أنه من كتب الحديث، وقد أجرى الباحث مسحاً لعدد المرات التي استخدم فيها المستشرق جلكريايس كتاب صحيح البخاري، وقد كانت جميع إحالاته من ضمن محور الدراسة التي يقوم بها، وذكرها بصيغة (صحيح البخاري) (٢٣) مرة معتمداً على صيغة واحدة بذكره للكتاب كما أنه لم يذكر اسم مؤلف الكتاب بشكل صريح بل اكتفى بذكر صحيح البخاري ولم يذكر أيضاً الطبعة التي اعتمد عليها بل اكتفى بذكر اسم الكتاب والمجلد والصفحة، ويحيل في بعض الأحيان مرتين في الصفحة الواحدة للكتاب نفسه.

١- Gilchrist, Islam of prophet the Mnhammad, p61

٢- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وقال ابن ماكولا: بذذبه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع، ولد في شوال سنة ١٩٤هـ وقد سافر إلى بغداد والكوفة ودمشق والمدينة لتلقي العلم، وعقد الكثير من مجالسه في بغداد، ومن أشهر كتبه هو صحيح البخاري والذي يعد من الصحاح الستة، توفي سنة (٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٨٨-١٩٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١١٦.

٣- Islam of prophet the Mnhammad, p20-24-31-40-45-54-55-57-70-71-77-80-83-84-85-86-87-88-112-113

## ٢- صحيح مسلم<sup>(١)</sup> (ت: ٢٦١هـ / ٨٧٤م)

عندما نتحدث عن المصادر التي تناولها المستشرق جلكريست ورواياته فإننا نجد أن صحيح مسلم لا يقل شأنًا عن غيره من المصادر الأخرى، وقد باتت دليلاً أو حجة لديه يهدد بها تارة ويشكك تارة أخرى بصحة سيرة النبي ﷺ وتنوعت موارد كتاب محمد النبي في الإسلام بالنسبة لكتب الحديث، ويعد كتاب صحيح مسلم واحداً من المصادر التي أحال إليها جلكريست والتي كانت الصيغة الغالبة في أكثر إحالاته لهذا المصدر هو صحيح مسلم مع ذكر المجلد ورقم الصفحة دون أن يذكر اسم المؤلف الصريح أو اسم الكتاب الصريح واكتفى بذكر (صحيح مسلم)<sup>(٢)</sup> وبلغت إحالاته في الأعم الأغلب بهذه الصيغة لـ (٢٤) مرة، في حين كانت هناك إحالة لمرة واحدة بصيغة (صاحب مسلم)<sup>(٣)</sup>، وقد اكتفى المستشرق بالإشارة إليه بهذه الصيغة، وقد دأب جلكريست عند إحالاته التأكيد على المصادر المختصة وهذا مانراه واضحاً فعند الإشارة إلى حديث فإنه يذكر الكتب الخاصة بالحديث «روى أبو هريرة<sup>(٤)</sup> عن رسول الله قوله: أنا الأقرب إلى يسوع المسيح من بين هذه البشرية جمعاء، وجميع الأنبياء من أمهات مختلفات، ولكن يعودون إلى دين واحد. (صحيح

١- مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح وقد اختلف في مسألة ولادته ولكن رجحت أنه ولد سنة (٢٠٦هـ) في خلافة المأمون، وقد رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر وأنه توفي ودفن في نيسابور عام (٢٦١هـ)، مؤلفاته: الجامع المسند الصحيح، التمييز، الكنى والأسماء، الطبقات، المنفردات والوحدان، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٩٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج ١٢، ص ٥٥٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١١٤.

٢- Islam of prophet the Mnhammad, Gilchrist-٢ p19-20-33-40-43-53-55-66-72-73-80- 87-89-93-94-95-99-104

Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p77-٣

٤- أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي البجلي المدني، وقد اختلف في اسمه فمنهم من يقول: إنه عبد شمس وآخر، إنه عمرو بن غنم وآخر يقول: عبد الرحمن، وقيل: إن اسمه في الجاهلية عبد شمس وكنيته أبو الأسود، فساه النبي ﷺ عبد الله وكناه بأبي هريرة، وقد سئل لم كنوك بأبي هريرة فقال: كان لأهلي غنم أرهاها وكانت لي هرة فكنوني أبا هريرة وكناني النبي أبا هرة روى عن النبي ﷺ خمسة آلاف حديث وثلاثمائة حديث وأربعة وسبعين حديثاً، وكان إسلامه عام خيبر ولزم النبي ﷺ ثلاث سنوات، واستعمله معاوية على المدينة واختلف في عام وفاته؛ فمنهم من يقول: إنه توفي عام ٥٧هـ والأرجح أنه توفي سنة ٥٩هـ ودفن فيها، ينظر: الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٨٨٥؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٦٧، ص ٣٠٣-٣١٢؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٢٣، ص ٣٥٠؛ الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، ج ٢، ص ١٢٥؛ الغزي، ديوان الإسلام، ج ٤، ص ٣٥١.



مسلم، المجلد ٤، ص ١٢٦٠»<sup>(١)</sup>، واعتمد جلكريست في كتابه على هذا المورد اعتماداً واضحاً، والسبب في ذلك يعود إلى ميل المستشرق وتوجهه إلى جهة من الجهات دون أخرى، ومن ثم فإنه فقد ميزة من مميزات المؤرخ في التزامه جانب الحياد في تعامله مع النصوص التاريخية والكتب التاريخية .

### ٣- سنن أبي داود<sup>(٢)</sup> (ت: ٣١٦هـ / ٩٢٨م)

واحد من الموارد التي أخذ منها جلكريست في كتابه سابق الذكر بيد أننا نجده لم يكثر منه في مضامين كتاب محمد النبي في الإسلام على الرغم من كونه واحداً من كتب الصحاح الستة الشهيرة، التي تحتل مكانة كبيرة عند أهل السنة بوصفه من أمهات مصادر الحديث، أسند جلكريست عدداً من إ حالاته أو معلوماته إلى هذا المورد والذي يمكن أن نستدل على مضمونه من خلال اسمه في حين إنه لم يذكر الاسم الصريح لأبي داود وإنما اكتفى بالكنية الخاصة به، وحاول عدم ذكر هوية الكتاب كاملة، وربما هذا ينطبق في كل إ حالاته الأولى، وكانت أغلب إ حالاته لهذا المورد بصيغة (سنن أبي داود)<sup>(٣)</sup> والتي ذكرها (٤) مرات فقط مما يدل على اعتماده على هذا المصدر في حالات معينة، إذ ذكر «روى ابن عمر»<sup>(٤)</sup> عن النبي ﷺ قوله: «من بين كل الأفع»<sup>(٥)</sup>، ومن خلال استخدام المستشرق لكتب الحديث نستدل على عمق اطلاعه على دين الإسلام وسيرة نبيه كون الحديث النبوي يعد المصدر الثاني عند كتابة السيرة النبوية بعد القرآن ؛ لذا ركز اهتمامه في الاعتماد على هذه الكتب

١- 53 Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p 53-١.

٢- أبو داود: عبد الله بن سليمان بن الأشعث وسليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني، ولد سنة ٢٣٠هـ في سجستان، وقد رحل به أبوه يطوف به شرقاً وغرباً فقدم إلى أصبهان ثم ارتحل مع أبيه إلى الشام ومصر ثم الكوفة والبصرة، وكان عالماً بالأنساب والأخبار والمغازي، وقد صنف المسند والسنن والتفسير توفي في بغداد سنة ٣١٦ ودفن في بغداد، للمزيد ينظر: الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، ج ٥، ص ٤٣٥؛ الأصباني، طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، ج ٣، ص ٥٣٣؛ القزويني، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج ٣، ص ٦١٠؛ البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج ٩، ص ٤٧١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٢٢١.

٣- 104-69-100 Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p68-69-100- 104-٣.

٤- ابن عمر : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، وأمه زينب بنت مطعون، وكان إسلامه بمكة وهاجر مع أبيه إلى المدينة وكان يكنى أبا عبد الرحمن، للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٤٢؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٤٩.

٥- 69 Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p69-٥.

بغية التشكيك في سيرة النبي ﷺ خاصة والنبوة عامة؛ وذلك باتخاذها دليلاً يستند إليه في محاوراته التي كان يعقدها وبعض المسلمين والتي سنتناولها فيما بعد.

#### ٤- كتب السيرة

أ. السيرة لابن إسحاق<sup>(١)</sup> (ت: ١٥١هـ / ٧٦٨م)

مثلما أشرنا سابقاً أن جلكريست قد اعتمد في كتابه محمد النبي في الإسلام على موارد كثيرة وفي مختلف التخصصات فقد اعتمد في كثير من إحالاته على كتاب السيرة لابن إسحاق علماً أنه استمر على نهجه الثابت في عدم ذكر رقم الطبعة أو دار النشر للكتاب الذي اعتمده .

وأحال جلكريست إلى ابن إسحاق في (٢١) مرة وبصيغ مختلفة من الإحالة، فقد أحال بصيغة (ابن إسحاق، سيرة رسول الله)<sup>(٢)</sup> لـ (١٨) مرة وأحال في بعض الأحيان بصيغة (ابن إسحاق)<sup>(٣)</sup> لمرة واحدة فقط دون ذكر اسم الكتاب؛ وكذلك أحال بذكر (المرجع السابق)<sup>(٤)</sup> لمرة واحدة أيضاً والغريب أنه في إحدى إحالاته وردت بصيغة (الحمالات)<sup>(٥)</sup> وكانت لمرة واحدة، ويمكن أن نبين أمرين، الأول: هو ذكره للمرجع السابق وهو أمر كرره مسبقاً في حين إن كتاب ابن إسحاق هو من المصادر الأصيلة في السيرة النبوية الشريفة إن ابن إسحاق هذا قد توفي سنة (١٥١هـ) والأمر الثاني: هو ذكره لكتاب الحمالات على الرغم من أن الكتاب مذكور باسم السير والمغازي وليس باسم الحمالات .

١- محمد بن إسحاق: أبو بكر، وقيل أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل يسار بن كوتان المطلبية بالولاء المدني صاحب المغازي والسير كان جده يسار مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف القرشي، سباه خالد بن الوليد من عين التمر، ولد سنة ثمانين وهو صاحب المغازي والسير، وكان محمد بن إسحاق قد أتى أبا جعفر المنصور وهو بالحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة، وأن محمد بن إسحاق رأى أنس بن مالك وتوفي محمد بن إسحاق ببغداد سنة (١٥١هـ / ٧٦٨م)، ودفن في بغداد، والمطلبية: نسبة إلى المطلب بن عبد مناف، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٧٦-٢٧٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٣٤؛ الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٨؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٩، ص٤٤.

Gilchrist, Mhammad the propet of Islam, p26-28-40-46-55-56-57-58-62-63-64--٢  
68-81-88-89-91-95

Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p27-٣

Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p58-٤

Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p23-٥

ويبدو أنّ جلكريا يست قد أحال إليه في كثير من المرات بوصفه من المصادر الأقرب إلى حياة النبي ﷺ.

ب. السيرة النبوية لابن هشام (ت: ٢١٣هـ / ٨٢٨م)<sup>(١)</sup>

واحد من المصادر الأساسية في دراسة سيرة النبي ﷺ ويعد هذا الكتاب من مؤلفات المؤرخ العربي ابن هشام والذي يعتمد عليه كثير من الباحثين ألا أننا نرى أن المستشرق جلكريا يست لم يعتمد عليه اعتماداً كلياً في أخذ رواياته بل إنه أحال إليه إحالات قليلة في إيراد معلوماته، وهي لا تتناسب مع شهرة هذا المؤلف، ويبدو أن السبب وراء إحالات جلكريا يست القليلة لكتاب السيرة النبوية لابن هشام هو قلة ما موجود فيها من روايات تخدم أهداف وتوجهات المستشرق، ومن ثم لم يجد فيها ما يستطيع من خلاله أن يعزز رأيه، ولم يشر إلى ذلك بشكل صريح وإنما كانت منقولات أشار إليها جلكريا يست عن كتاب ابن هشام، ولم يذكر الطبعة أيضاً على عادته، وقد أحال إليه مرتين، الأولى كانت بصيغة (ابن هشام)<sup>(٢)</sup>، والثانية كان قد أحال إليها بصيغة (ابن هشام، سيرة رسول الله)<sup>(٣)</sup>.

١- ابن هشام صاحب السيرة: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، والمعافري بن يعفر وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها بشر كثير عامتهم في مصر، وابن هشام هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق وهدبها وخصها وهو مشهور بحمل العلم، وهو من مصر وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب وتوفي بمصر في سنة (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م)، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٧٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٢٩.

Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p23-٢

Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p23-٣

## ٥- كتب المغازي

كتاب المغازي للواقدي (ت: ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)<sup>(١)</sup>

واحد من المصادر التي استقى منها جلكريست معلوماته في كتاب محمد النبي في الإسلام إذ أحال إليه مرة واحدة وبصيغة (سيرة الواقدي)<sup>(٢)</sup>.

ويجد المدقق في الموارد التي تطرقنا إليها، والتي اعتمدها جلكريست في كتابه محمد النبي في الإسلام أنه قد اعتمد على المصادر الإسلامية، وهذا لا يعني أنه لم يطلع أو يتطرق إلى المصادر الأجنبية بل أراد أن يسكت ألسنتنا بعدم الرد عليه لأنه قد اعتمد المصادر الإسلامية، أما المطلع على آرائه فيراه قد تبنى عدداً ليس بالقليل من آراء غيره من المستشرقين الذين سبقوه في هذا المضمار، والأمر البادئ أن جلكريست عندما أخذ من المصادر الإسلامية كان قد انتقى مادته منها انتقاءً بحيث يفيد موضوع دراسته وحاول التركيز على الأمور اللافتة للانتباه.

## ٦- كتب الطبقات

الطبقات الكبرى لابن سعد<sup>(٣)</sup> (ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)

سجل كتاب الطبقات حضوراً متميزاً في كتاب المستشرق جلكريست، وهو من مؤلفات ابن سعد، ويعد هذا الكتاب من جملة المصادر والموارد الكثيرة التي يرجع إليها كثير من الباحثين، وهذا الكتاب يتحدث عن طبقات الرجال وتراجمهم، وأخذ

١- الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم، وقيل مولى بني سهم بن أسلم، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه، وسمع من صغار التابعين، في الحجاز والشام، وكان المأمون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته، وكانت ولادة الواقدي في سنة ثلاثين ومائة. وتوفي سنة (٢٠٧هـ / ٨٢٢م)، وقدم إلى بغداد فولاه المأمون القضاء في جانبها الشرقي إلى أن توفي، ودفن في مقبرة الخيزران وهو صاحب التصانيف والمغازي، للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٤٨-٣٥٠؛ البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤٥٥؛ الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٣١١.

٢- Islam of prophet the Mhhammad, Gilchrist-23.

٣- محمد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله البصري الزهري مولى بني هاشم وهو كاتب الواقدي، ولد بعد الستين ومائة، وكان من أهل الفضل والعلم، وصنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين وهو من أهل العدالة، توفي ببغداد يوم الأحد لأربع خلون من جمادي الآخرة سنة (٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، ودفن في مقبرة باب الشام، وهو ابن اثنتين وستين سنة. للمزيد ينظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٢٦٦؛ تاريخ بغداد وذبوله، ج ٣، ص ٣٦٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٥١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٦٦٤.



جلكريا يست من الكتاب المذكور معلومات مهمة وأدخل الكتاب كأحد موارده المهمة لما له علاقة بحياة النبي ﷺ وسيرته على الرغم من أنه لم يذكر رقم الطبعة أو دار النشر، والطبعة للطبعة التي اعتمدها، وقد بلغت إحالاته لكتاب الطبقات الكبرى بما يساوي (١٥) مرة، وجاءت إحالاته بصيغ مختلفة فتارة (ابن سعد، الطبقات الكبرى) <sup>(١)</sup> ل(١١) مرة في حين كانت إحالاته بصيغة (ابن سعد، المرجع السابق) <sup>(٢)</sup> ل(٣) مرات، أما إحالاته بصيغة (الطبقات الكبرى) <sup>(٣)</sup> لمرة واحدة فقط .

ومن الملاحظات التي سجلها الباحث قيام المستشرق بذكر كلمة المرجع السابق، وهو أمر لم يكن في منهجية البحث التاريخي المعروفة لدينا أو المعمول بها، لأن كتاب الطبقات الكبرى هو من المصادر الكبيرة والمشهورة في التاريخ الإسلامي، وهو من المصادر الأصيلة وليس مرجعاً لأن مؤلفه قد توفي سنة (٢٣٠هـ / ٨٤٤م) .

#### ٧- كتب الفقه

الموطأ لمالك بن أنس <sup>(٤)</sup> (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)

دخل كتاب الموطأ ضمن موارد المستشرق جلكريا يست في كتابه محمد النبي في الإسلام؛ إذ حوى على معلومات تاريخية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسيرة النبي ﷺ؛ إذ إن جلكريا يست قد استقى معلوماته منه، وكتاب الموطأ هذا هو من مؤلفات مالك بن أنس، وقد كانت إحالاته بصيغة (الموطأ، الإمام مالك) <sup>(٥)</sup> إذ تناوله لمرة واحدة فقط، ولم يذكر لنا المستشرق الطبعة أو دار النشر لكتاب الموطأ الذي اعتمد عليه.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p17-29-31-38-55-62-64-68-77-80-89.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p24-25-56-٢

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p23-٣

٤- مالك أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني إمام دار الهجرة، حليف بني تميم من قريش، وأمه هي: عالية بنت شريك، ومولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين، وهو الإمام الثاني عند أهل السنة والجماعة وصاحب المذهب المالكي، وتوفي سنة (١٧٩هـ / ٧٩٥م)، للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٣٥-١٣٧؛ أسد الغابة، ابن الأثير، ص ١٥؛ التنوير، تهذيب الأسماء واللغات، ج ٢، ص ٧٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٤٩

٥- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p66.

## ٨- كتب علوم القرآن

الإتقان في علوم القرآن : وهو من مؤلفات المؤرخ السيوطي (٩١١هـ / ١٥٠٥م)<sup>(١)</sup> وهو واحدٌ من المصادر التي أدخلها جلكريست<sup>(٢)</sup> ضمن موارده عندما ألف كتابه موضوع الدراسة؛ إذ استقى معلوماته منه، وقد أخذ المستشرق جلكريست ضمناً في كتابه وتحديداً عند سرده للروايات في محاولة منه لإيجاد ما يستطيع من خلاله التشكيك في سيرة النبي ﷺ ومما تجدر الإشارة إليه أن جلكريست حاول عدم ذكر اسم كتاب المؤرخ العربي السيوطي لكن ومن خلال تتبع الروايات والتدقيق في أصل ما أورده لنا وجدناه قد اعتمد على كتابه الإتقان في جمع القرآن، وأحال المستشرق جلكريست إلى هذا الكتاب لـ (٤) مرات وبصيغ مختلفة؛ فقد أحال إليه بصيغة (جلال الدين السيوطي) لثلاث مرات، كما أحال إليه بصيغة (السيوطي)<sup>(٣)</sup> مرة واحدة فقط.

## ٩- كتب التفسير

أ- تفسير القرآن للطبري (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)<sup>(٤)</sup>

يعد هذا الكتاب، أي (البيان في تفسير آي القرآن) مورداً من الموارد التي أخذ منها جلكريست عدداً من معلوماته في عرض رواياته، والتي تضمنها كتابه محمد النبي ﷺ في الإسلام، وقد اغترف منه ضمناً أيضاً ولم يشر إلى ذلك صراحة، إذ لم يشر إلى

١- السيوطي : هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن بكر الكمال بن محمد السيوطي المصري الشافعي، ولد في أسيوط سنة ٨٤٩هـ في كنف أحد أوصيائه وارتحل إلى الشام واليمن والحجاز والهند والمغرب وتلمذ على يد كثير من علماء هذه الأمصار، وقد وصل عدد مصنفاته إلى ستمائة مصنف، ومنها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور وطبقات الحفاظ وكتاب تناسق الدرر في تناسب السور وغيرها من المصنفات وتوفي في القاهرة سنة ٩١١هـ، للمزيد ينظر : السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص ٦٥-٧٠، السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، ص ٣٣٥-٣٤٤، الغزي، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج١، ص ٢٢٧.

٢- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p96-105-108-

Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p105-٣

٤- الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، وهو المؤرخ المعروف من أهل طبرستان وكان مولده سنة ٢٢٤هـ، وكان من أفراد الدهر علماً، وذكاء أكثر الترحال ولقي النبلاء من الرجال وأخذ علمه من علماء مصر والشام والكوفة والبصرة وبغداد والري، ومن أكثر آثاره أهمية كتاب تاريخ الرسل والملوك والذي احتوى على تاريخ العالم منذ بدء الخليقة وكتاب تفسير آي القرآن وكتاب تهذيب الآثار، ومؤلفات أخرى، وكان عالماً بالفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والعروض توفي سنة ٣١٠هـ، للمزيد ينظر : ابن النديم، الفهرست، ص ٢٨٧؛ الحموي، معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج ٦ ص ٢٤٤١-٢٤٦٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٢٦٨.

اسم الكتاب بل تم التوصل إليه عن طريق تتبع الرواية التي ذكرها جلكرايست، حاله في ذلك حال غيره من المستشرقين الذين تناولوا سيرة النبي ﷺ، ومما يلحظ أنه استخدمه مرتين، وقد أحال جلكرايست إليه إحالات قليلة مقارنة بأهمية مؤلفات الطبري الذي توفي في سنة (٣١٠هـ / ٩٢٢م)، وقد وردت إحالته بصيغة (الطبري)<sup>(١)</sup> دون أن يذكر الصفحة أو الجزء أو المجلد، إذ يمكن أن نستدل على أن جلكرايست قد استقى معلوماته عن تفسير القرآن منه .

#### ب- تفسير الكشف للزنجشري (ت: ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)<sup>(٢)</sup>

هو واحد من المصادر التي استعان بها جلكرايست في عرض معلوماته ورواياته، في موضوعات محددة، وقد تعامل معه جلكرايست تعاملًا لا يقل عن غيره من الموارد الأخرى المذكورة سابقاً، وقد أحال إليه مرة واحدة فقط عندما أحال إليه بصيغة (الزنجشري)<sup>(٣)</sup> ولم يشر إلى اسم الكتاب أو رقم الطبعة التي استقى معلوماته منها، إلا أنه من خلال تتبع الرواية والتدقيق تم التوصل إلى أنه كتاب الكشف للزنجشري .

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p23-24.

٢- الزنجشري: محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزنجشري، وكنيته أبو القاسم، وقد لقب بجار الله لأنه جاور مكة المكرمة زماناً، وخوارزم بلدة في العراق وزنجشري قرية منها ولد سنة ٤٦٧هـ وكان محباً للعلم حتى أصبح يضرب به المثل في العلم والأدب والنحو والتفسير واللغة وقد دخل إلى بغداد فسأل عن سبب قطع رجله فقال : دعاء الوالدة وذلك أنني في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله وانفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق فجذبه فانقطعت رجله فتألمت أُمي لذلك وقالت : قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله فلما وصلت إلى سن طلب رحلت إلى بخارى فسقطت عن الدابة وكسرت رجلي وعملت عملاً أوجب قطعها، وكان يستعمل في المشي جازن من خشب محلها وبعدها انتقل إلى خراسان ثم بغداد ثم الحجاز ومكة ثم رجع إلى خوارزم، وذكرت جميع التراجم أن الزنجشري معتزلي الاعتقاد وله كتب كثيرة توفي الزنجشري سنة ٥٣٨هـ بقرية جرجانية من بلدة خوارزم، للمزيد ينظر : الزنجشري، تفسير الكشف، ص ٦؛ السمعاني، الأنساب، ج ٦، ص ٣١٥؛ ابن المستوفي، تاريخ إربل، ج ١، ص ٤١٠؛ ابن القفطي، إنباه الرواة عن أنباء النحاة، ج ٣، ص ٢٦٨؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج ٥، ص ١٦٨؛ السيوطي، طبقات المفسرين العشرين، ص ١٣٠؛ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج ٣، ص ٢٩٦.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p24-٣

## المبحث الثالث

### منهج المستشرق جون جلكريست في كتابه

#### محمد النبي في الإسلام

يتفق جميع المستشرقين في زعمهم أنهم يلتزمون بطريقة البحث العلمي الموضوعي والحياد، أو الدعوة إلى وحدة الأديان وتعاونها<sup>(١)</sup>.

وقد أكد كثير منهم على شرط المنهج العلمي، والتجرد من الأهواء، وعدم الوقوع تحت سلطانها.

ويزعم آخرون بأن التحقيق والتحرر والدقة والموضوعية هي طريقة منهجهم وأسلوبهم في جميع ما يبحثون فيه، كما أنهم يزعمون أيضاً أنهم يدرسون العقائد الدينية الإسلامية على أسس من المبادئ العلمية والفكرية<sup>(٢)</sup>، ولكنهم على الرغم من ذلك لم يصلوا إلى نتائج إيجابية.

كما أن الحدس والخيال التصوري والظن بغير علم هو الميزة التي تغلب على أكثر المستشرقين الذين يريدون أن يطعنوا بالإسلام، إذ إن غياب أمانتهم في النقل، وعدم إدراكهم لحقيقة المجتمع الإسلامي وأسس تكوينه، هو الذي دفعهم لمثل هذه المحاولات؛ لغرض تعميق الخلاف بين الطوائف الإسلامية، وكثيراً ما أكدوا على أن المنشقين عن الإسلام هم أصحاب فكر تحرري ثوري وهو ما دفعهم إلى أن يتهموا الإسلام بكل ما هو شاذ وغريب<sup>(٣)</sup>. وقد تناول المستشرقون عدداً كبيراً من الوسائل لغرض التأثير في المجتمع الإسلامي وكان التبشير من أهمها في المجتمع الإسلامي؛ فالحملات التبشيرية في العالم الإسلامي للمسيحية كانت تزاوّل أعمالاً إنسانية عديدة لغرض التأثير في الإنسان المسلم، ومنها بناء المستشفيات وتشكيل الجمعيات وتأسيس المدارس، وليس هذا فحسب بل تطور

١- عتر، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، ص ٣٧.

٢- الشربيني، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، ج ٢، ص ١١٨.

٣- عبد الله، الاستشراق، ص ٦٣-٦٤..

إلى إلقاء المحاضرات في الجامعات والتجمعات<sup>(١)</sup>، إذ تعد السيرة النبوية إحدى أوسع الحقول التي تناولها المستشرقون؛ إذ اختلفت مناهجهم في البحث التي اعتمدها لذلك الغرض، ومن ثم جاءت النتائج التي حصلوا عليها متباينة إلى حد التعارض الكلي، وبخاصة عندما جاءوا بآراء وأفكار وأقوال تثير العجب .

إن الإسلام واحد من الأديان التي كثيراً ما تتعرض للنقد والتجريح، وكذلك التجريم من قبل عدد كبير من المستشرقين، مبتعدين عن الإنصاف والموضوعية والحياد في دراسته والعكس صحيح عند دراستهم للديانات الوضعية؛ فقد ذكر ذلك الأمين أن: "الاستشراق بدراسته للديانات الوضعية مثل البوذية والهندوسية وغيرها من الديانات الأخرى غالباً ما تكون دراسات موضوعية وبعيدة عن التجريح"<sup>(٢)</sup>، ومن ثم يمكن أن نتصور أن الإسلام الذي يتحدث عنه هؤلاء المستشرقون ومحمد ﷺ الذي يتناولونه بدراستهم هو (دين ورسول) من نسج خيالهم وليس بالضبط الإسلام الذي ندين به أو الرسول الذي نصدقه ونهتدي به، وهذا يعني أن دراستهم للإسلام ليست دراسة علمية وإنما كانت دراسة أيديولوجية مدفوعة بما كان المستشرقون يدينون به.

ثم إن المستشرقين في تعاملهم مع الروايات الإسلامية بشكل عام وتعايطهم مع سيرة المصطفى ﷺ بشكل خاص نراهم قد استخدموا منهجاً بعيداً عن العلمية والموضوعية والحيادية والسبب في ذلك يعود إلى النظرة الاستعلائية التي ينظر بها الغرب إلى الشرق<sup>(٣)</sup>. ومن الملاحظ على الدراسات الاستشراقية الحديثة للسيرة النبوية ولاسيما الاستشراق المعاصر أنه تميز بظهور عدد من المستشرقين الذين طرحوا آراء ناقدة أو معارضة لآراء وتفسيرات زملائهم، بل مفندة لآرائهم بوصفها غير علمية ولا تستند إلى المصادر الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

١- السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص ٢٦.

٢- مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية وتطبيقاتها في السنة النبوية، ج ٢، ص ١٢٤٢.

٣- الأمين، مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية وتطبيقاتها في السنة النبوية، ج ٢، ص ١٢٣١.

٤- ناجي، الاستشراق في التاريخ (الإشكاليات، الدوافع، التوجهات، الاهتمامات)، ص ٢٥٧.

وقد ألف في السيرة النبوية الكثير من المستشرقين من مختلف الطوائف والأديان وكانوا بين منصفين وغير منصفين، وكان عدد كبير منهم من المبشرين بديانتهم . «يعد الاستشراق من أخطر أدوات فرض المنهج العلمي الغربي، ذلك أن الاستشراق في أبسط مفاهيمه، إنما هو استخدام العلم في خدمة السياسة ولذلك فقد ارتبط الاستشراق بالاستعمار واتخذ من روابطه الدينية أساساً لتدمير النفس العربية الإسلامية وإخراجها من صورتها وحدودها»<sup>(١)</sup>.

مما تقدم يمكن أن نعزو سبب جهل المستشرقين ومن عمل بهذا الحقل التام أو الجزئي بالجوانب الموضوعية للعقيدة الإسلامية وما كان يحيط بالدعوة الإسلامية من عناصر وأحداث كانت هي السبب في عدم توصل الدراسات الاستشراقية إلى نتائج صحيحة فضلاً عن تعمدهم المستمر للإساءة للإسلام .

يضاف إلى ذلك أن المستشرقين لا يمثلون اتجاهًا واحدًا، ومع ذلك فقد كانت بينهم بعض نقاط التلاقي، فهم أبناء ثقافة ومجتمع واحد، يختلف عن المجتمع الإسلامي وثقافته ومن ثم فهناك العديد من السمات المنهجية التي ميزت مناهجهم والتي قد تتشابه أو تختلف، ويستطيع الباحث في دراسات المستشرقين أن يضع يديه على عدد من الأخطاء والثغرات المنهجية والتي احتوتها بحوثهم ودراساتهم، في حين إن الغالبية منهم قد أعلنوا أنهم يقومون بالبحث العلمي الحيادي الجاد الخالي من التعصب<sup>(٢)</sup>، وتبعاً لذلك نجد الإشادة بدقة إلى منهج المستشرقين وتجردهم للبحث العلمي وقدرتهم على التمييز والتدقيق بكل ما هو قادم من الغرب<sup>(٣)</sup>، ومع كل هذه الشعارات البراقة التي رفعها المستشرقون فقد أخفوا خلفها عدم التزامهم بالمنهج العلمي الصحيح وخيانتهم للأمانة العلمية في أبحاثهم عن السيرة النبوية .

١- الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد، ص ٤٢٢.

٢- عتر، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، ص ٥٥.

٣- الديب، المستشرقون والتراث، ص ٢٧.

ثم إن الباحث الجاد في السيرة النبوية والذي يرغب في استعمال منهج البحث العلمي الدقيق والصحيح ينبغي أن يلم ببعض الشروط التي تمكنه من التزام جانب الحياد في منهجه، وهي: التجرد التام عن الهوى وعدم اعتماد القرارات المسبقة، واختيار الأخبار والمصادر الصحيحة والدقيقة، واستخدام الموقف الموضوعي، ومن ثم الإحاطة بمنهج البحث العلمي والتاريخي الصحيحة، فضلاً عن احترام المصدر الغيبي للرسالة المحمدية<sup>(١)</sup>، لأن عدم الاتكاء على هذه الأمور سيؤدي بهم إلى الوقوع فريسةً في شرك التعصب لمذاهبهم ودياناتهم، لأن المستشرق الأوربي حالماً يتجه إلى الإسلام فإنه يختل توازنه ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب حتى إن قسماً منهم جعلوا من أنفسهم فريسة للتحزب في كتاباتهم عن الإسلام<sup>(٢)</sup>.

لذلك أصبح من الواجب بل من الضروري أن نتناول هذه الدراسات بالبحث والتقصي بهدف تصحيح المفاهيم الخاطئة التي استقرت في الأذهان، ولهذا يجب الوقوف على المنهج الذي استخدمه جلكريست في كتابه موضوع الدراسة لغرض رد الشبهات والشكوك التي أثارها، ويمكن الاستدلال على أن هناك عدة مناهج قد استخدمت في هذا الكتاب:

### أولاً: المنهج التاريخي

وهو عملية ترتيب الوقائع التاريخية والاجتماعية وتنظيمها وتبويبها وترتيبها ثم الإخبار عنها، والتعريف بالظاهرة الفكرية نفسها والهدف من هذا المنهج هو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات التي تتعلق بموضوع الدراسة<sup>(٣)</sup>، ويمكن أن نرى ذلك واضحاً في سرده للحوادث التي مرت على النبي ﷺ في غار حراء؛ وذلك بالقول: إنه ﷺ كانت تصيبه حالات من اللاشعور وهو متصل مع ما نزل عليه فيما يتعلق بحادثة شق الصدر «كان محمد في البداية غير مقتنع بهذه الرؤية ويخشى أن يكون قد زاره أحد الجن،

١ - نخبة من العلماء، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ج ١، ص ١١٨.

٢ - أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٥٣.

٣ - ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، ص ٩.

وهي مخلوقات شيطانية كان قد علم أنها تلهم الشعراء الذين جاءوا قبله حتى أصبحوا في النهاية مضطربين عقلياً (مجانين) حيث تملكهم هذه المخلوقات الشيطانية»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: منهج الأثر والتأثر

إن من شأن هذا المنهج أن يرد الظواهر إلى عوامل خارجية ساعدت على قيامها، وهو أحد المناهج التي اتبعتها غالبية كبيرة من المستشرقين؛ إذ تم إفراغ الإسلام من ذاتيته وذلك بإحالة إلى مصادر خارجية<sup>(٢)</sup>، ولقد عبر عن ذلك بشكل جلي المستشرق كولد تسيهر<sup>(٣)</sup> قائلاً «تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية والتي تأثر بها تأثراً عميقاً... ولقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإحياء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، وصار يعد هذه التعاليم وحيّاً إلهياً»<sup>(٤)</sup>، وظهر هذا النوع لدى العديد من المستشرقين الذين كلما وجدوا تشابهاً أو اتفاقاً بين الإسلام وعجزوا عن رده، برز لهم هذا المنهج في ادعائهم أن الإسلام قد أخذ واستقى من الديانات الأخرى والحضارات السابقة، وقد استخدم من قبل المستشرق جلكريست في كثير من المواقع، ثم إنه كان يعرض النصوص القرآنية والتوراتية والإنجيلية لمحاولة القول: إن الإسلام هو جزء لا يتجزأ من هذه الديانات التي سبقتها، إنه أي محمد ﷺ قد اقتبس الكثير منها؛ إذ ذكر جلكريست ذلك بالقول: «أجاب (جعفر بن أبي طالب) أنهم كانوا قوماً غارقين في الجهل وعبادة الأوثان مع عدم وجود نظام ثابت من الحكم أو القوانين الاجتماعية... بعد ذلك، وحيث إنهم على بينة من إيمانه المسيحي، فقد قرؤوا عليه آيات من سورة

١-٢٤ Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p24

٢- النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لأراء (وات بروكلان- فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص ٣٤.

٣- كولد تسيهر: مجري يكتب بالألمانية والفرنسية والإنجليزية ولد سنة ١٨٥٠م في بلاد المجر وأسرته يهودية ذات مكانة وقدر كبير، وأثارة غزيرة، ويعد في زمرة الحاقدين على الإسلام وعقيدته، ولاسيما في كتابه ((العقيدة والشرعية في الإسلام))، بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ١٩٧.

٤- العقيدة والشرعية، ص ١٢.

(١٩: ٢٩-٣٣) وهي تصف بعض الأحداث المتعلقة بولادة يسوع. وعند سماعه لها قال الملك: إنه لم يجد فيها أي خطأ، كما أعرب أباطرة الكنائس الموجودة في الحبشة عن دهشتهم من هذه الآيات وهو أمر مثير للاهتمام بما فيه الكفاية، ويوجد فيه ما يوازيه في الكتاب المقدس، واصفاً له بأنه معجزة إذ تقول الآيات: إن يسوع تحدث في مهده بينما كان رضيعاً<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: منهج المقابلة والمطابقة

وهو عملية تحليل النصوص إلى عناصرها الأولية، ومن ثم إرجاعها إلى أخرى سابقة لها، وهي عملية ترسخت في أذهان المستشرقين طبقاً لأحكام وقرارات مسبقة مفادها أن النصوص القرآنية التي يدرسونها ليست إلا صورة لما ورد في غيره من الديانات الأخرى قبل أن يبعث النبي ﷺ بالرسالة الإسلامية. وقد استخدم بعض المستشرقين هذا المنهج في تحقيق النصوص التراثية ونشرها، وقد أجادوا في ذلك إجادة لا ينكرها أحد<sup>(٢)</sup>، وقد أجاد المستشرقون في هذا المنهج والسبب في ذلك هو إجادتهم اللغات واطلاعهم على المخطوطات.

### رابعاً: المنهج الإسقاطي<sup>(٣)</sup>

«يقوم في هذا المنهج المستشرق بإسقاط الواقع المعاصر الذي يعيش فيه، على الوقائع التاريخية القديمة، فتفسر تلك الوقائع بالاعتماد على أفكار المستشرق وخبرته ومن ثم فهو لا يرى إلا الصورة الذهنية التي كونها بنفسه ولو كلف ذلك أن يجانب الموضوعية أو الحقيقة»<sup>(٤)</sup> أي دراسة الظواهر الإسلامية، وفي ذهن المستشرق صورة معينة لأفكار معينة وهي غير موجودة من الناحية الفعلية لكنهم يسعون لإيجادها في

١- Gilchrist، Islam of prophet the Mnhammad، 25.p.

٢- البدرابي، الاستشراق المشبوه، العدد ٥٣٤، ص ٢٠٣.

٣- الإسقاط : حالة من اللا شعورية تلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته إلى غيره تنزيهاً وتعظيماً لنفسه،

أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ص ١٥.

٤- الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ص ١٦٩.

أذهانهم ويلتمسون لها الحلول والفروض، وإن لم توجد الظاهرة الفكرية بالفعل ولكن لا محل لها من تصوراتهم، فإنهم يحاولون نفيها مهما كانت صحة وجودها، لذلك تتمثل في خضوع الباحث لهواه وعدم تحرره من الأحكام المسبقة التي يكونها عن الموضوع الذي يبحث فيه وهو من ثم يعكس بيئته التي تركت انطباعاته الثقافية عليه.<sup>(١)</sup>

وهنا يقوم المستشرق بتحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوربية؛ فهم حكموا على الإسلام بمقاييس غربية بعيدة عن الحقيقة<sup>(٢)</sup>. وتناول جلكرايست ذلك بالقول: «توفي عبد المطلب عندما كان محمد عمره ثماني سنوات فقط وأصبح عمه أبو طالب بعد ذلك ولي أمره والمسؤول عنه رسمياً... وتقول التقاليد الإسلامية إنه عندما وصلت قافلة إلى مدينة بصرى، خرج راهب مسيحي اسمه، «بحيرا» للسلام على القافلة. ويقال إنه كان على دراية جيدة بالدين المسيحي إنه اكتسب معظم معرفته من كتاب كان لديه في صومعته. وقد لاحظ أن محمداً يبدو أنه يتناسب مع الوصف الخاص بالنبي الأخير الذي يتنظره بحيرا بفارغ الصبر، وقد استجوبه لبعض الوقت، ونظر إلى ظهره لمعرفة ما إذا كان يمكن أن يجد علامة معينة والتي يعتقد أنها علامة على خاتم النبوة بين كتفيه. وعند اكتشافه لذلك دعا أبا طالب وأمره أن يعتني عناية فائقة بالفتى عندما يعود إلى مكة حيث إنه كُتب له مستقبل عظيم»<sup>(٣)</sup>.

#### خامساً: منهج الشك الديكارتى<sup>(٤)</sup>

وهي عملية التشكيك في الإرث الحضاري الإسلامي وليس ذلك فحسب بل ذهب عدد ليس بالقليل إلى التشكيك بالنصوص القرآنية، وصدق الوحي، ثم قام هؤلاء

١-الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ج١، ص٢٠٢.

٢-زفروفي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٢١.

٣-Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p15-٣.

٤-الديكارتى: منهج أخرجه لنا رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠م) وهو فيلسوف فرنسي وعالم رياضيات وفيزيائي وقد كرس نفسه إلى البحث العلمي والفلسفي المنعزل وقد ارتبطت نظريته الفلسفية بالنظرية الرياضية من خلال الاعتدال على الفكر المادي في التفكير وذلك بإخضاع كل شيء إلى التحليل والتفكير والمنطق ومن ثم الوصول إلى مرحلة الشك للوصول إلى النتيجة الحقيقية وهو صاحب المقولة الشهيرة (أنا أفكر إذن أنا موجود) للمزيد ينظر : روزنتال يودن، الموسوعة الفلسفية، لجنة العلماء السوفيت بإشراف، ص٢١٠.

المستشرقون بتدريب أتباعهم ومن تتلمذ على أيديهم من العرب المسلمين على استخدام هذا المنهج فخرج لنا من بني جلدتنا من هو يشكك في النص القرآني.

ويعتمد كثير من المستشرقين المنهج الديكارتي في تعاملهم مع الرواية والخبر التاريخي متجاهلين ومتغافلين تماماً معايير النقد الإسلامية، ومن ثم كان بديهاً أن تقع مصادمات كثيرة بين دراسات المستشرقين ودراسات المسلمين سواء كان بين المنصفين منهم او بين المتحاملين، ولكن من الغريب الا يطبق هؤلاء المستشرقون هذا المنهج على ميراثهم إذ ذكر «أن الاستشراق لم يخضع لمنهج الشك هذا، بل اتخذت مسلمات وحقائق وهذا ينافي طرق البحث العلمي المنهجي»<sup>(١)</sup>.

وتناول جلكريايس<sup>(٢)</sup> ذلك بالقول «يبدو أن الصبي عانى بالفعل من تجارب بدنية غريبة والتي كانت في وقت لاحق تظهر نفسها مرة أخرى عندما كان يعتقد انه كان يتلقى الوحي الإلهي. فقد تكون نوبة من الصرع على الرغم من عدم وجود شيء أكيد يمكن أن يقال عن الحادثة»، ويبدو ان المستشرق حاول الاستفادة من هذا الامر بالقول الى ان كل ما كان يتاب النبي ﷺ هي حالات غير طبيعية في محاولة الى اثبات عدم صحة الوحي الالهي.

### سادساً: منهج البناء والهدم

ويعتمد هذا المنهج على عنصرين الاول البناء : ونقصد به المدح والاطراء من قبل المستشرق لبعض الجوانب المراد دراستها بحيث تكون هذه الجوانب غير ضرورية وغير رئيسة وبعبدة عن الموضوع برمته، والعنصر الاخر هو الهدم وفيه مجرد الباحث اهم اركان الموضوع حتى يسقطه تماماً<sup>(٣)</sup>. واعرب جلكريايس عن ذلك بالقول :«والامر الاكثر اهمية كان هناك حذر ويقظة حول كيف اعد محمد لهذا الدين وما الذي قاده الى

١- المسلاتي، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين (أطروحة دكتوراه)، ص ٢٣٠.

٢- Islam of prophet the Mnhammad, Gilchrist, p15.

٣- النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية ص ٣٥.

القناعة والايان الراسخ بأنه اختير من بين الناس كواحد من انبياء الله العظماء، فهناك تناقض واضح في هذا الامر بسبب انه بدأ دعوته الدينية، ليس كشخص طامح للمجد او منصب النبوة»<sup>(١)</sup>، في حين نراه يناقض ذلك بالقول «وانما بدلاً من ذلك، ونوعاً ما كباحث روحي في صميم الرؤى المتألقة التي قبله»<sup>(٢)</sup>.

### سابعاً: المنهج العلماني

وهو نوع من أنواع المناهج الذي يستبعد فيه وقوع ظواهر دينية لا تخضع لقوانين الأجسام المادية المعروفة<sup>(٣)</sup>، أي «اعتقاده القدرة على إخضاع كل ظاهرة تاريخية أو بشرية، لمقولات التحليل العقلي الخالص حتى لو كانت (غيبية)»<sup>(٤)</sup>، وهذا ما أكدته المستشرق دينيه بقوله: « من المستحيل أن يتجرد المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة»<sup>(٥)</sup>، وأوضح المستشرق جلكريست<sup>(٦)</sup> ذلك بقوله: « قصة صعود محمد الليلي لها خيوط موازية واضحة في أساطير دينية أخرى وكتابات يعود تاريخها إلى قرون قبل الإسلام. فهناك محفوظات عند يهود الحجاز تشبه المعراج وروايات في أحلام مدراش وهي أيضاً مشابهة أو موازية لها. على أي حال، فقد جاءت من أعمال زرادشت أقرب تشابه يمكن أن نراه. في كتاب بهلوي قديم يعرف باسم كتاب ارتا فيراف»، وأراد جلكريست من ذلك محاولة إرجاع بعض ما موجود في الديانة الإسلامية إلى ديانات أخرى مع عدم إخضاع ما تناقلته الديانات الأخرى لقوانين الأجسام المادية وفرض المنهج المادي على كل ما طرحته الديانة الإسلامية.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p75-١

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p75-٢

٣- نقره، القرآن والمستشرقون بحث في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ج ١، ص ٢٣٦.

٤- خليل، الاستشراق والسيرة النبوية، (ضمن مناهج المستشرقين)، ج ١، ص ١٧٤.

٥- محمد رسول الله ﷺ، ص ٢٧-٢٨.

٦- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p89 -٦



ثامناً: تضخيم بعض الحوادث والمبالغة فيها والتقليل من حوادث أخرى

أي قيامهم بإغفال الحقائق التي تخالف استنتاجاتهم، وعلى الرغم من امتلاكهم القرائن والحقائق التي تثبت عكس ذلك؛ فقد ذكر حادثة قتل كعب بن الأشرف بالقول: وكان الأول من هؤلاء (كعب بن أشرف)، «وهو يهودي كان مقيماً في المدينة، وكان منذ فترة طويلة مصدر إزعاج للنبي من خلال تأليفه آيات ساخرة ضد النبي بعد معركة بدر أصبح تهديداً حقيقياً عندما زار مكة وأثار قبيلة قريش على شن غارة انتقامية ضد المسلمين على أمل تحييد مكاسبهم وتقليل الهيبة المتزايدة التي حصل عليها محمد في مدينته الجديدة. وقد قام بتأليف قصائد ترثي قادة قريش الذين قُتلوا في بدر، وعندما علم محمد بمخططاته، أوضح لأتباعه أنه يريد بعيداً عن طريقه»<sup>(١)</sup>، إذ نراه يفرد الصفحات تلو الصفحات لبيان أمر واحد وهو أن النبي سفاك للدماء، في حين تغاضي عن ذكر كثير من الأعمال التي لها دور كبير في مسيرة الإسلام، ومنها دور النبي ﷺ في حلف الفضول، وموقفه من التنظيمات التي قام بها النبي ﷺ عند دخوله للمدينة، وكذلك قتال النبي ﷺ في معركة أحد، والتي حاول المستشرق جلكريست التغافل عن ذكرها، فضلاً عن ما تناقلته كتب التاريخ والحديث والسيرة عن بيعة الغدير.

### تاسعاً: المنهج المادي

وهو يمنح العامل المادي أهمية قصوى في تفسير الواقعة التاريخية، فقد فسروا من خلاله التوسع المبكر والسريع للإسلام، فيقوم هذا المنهج على التفسير المادي للأحداث التاريخية على أساس أن الأوضاع الاقتصادية والمادية هي التي تشكل فكر الإنسان ومعتقداته وسلوكه، وأن كل هذا يجري من خلال الصراع الطبقي بين المجتمعات وفي أدوار حتمية ومن ثم إخضاع جميع حقائق السيرة للتفسير المادي<sup>(٢)</sup>،

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p54-

٢- الغامدي، محاضرات مادة أسس التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ٥٨.

من ذلك أن «محمدًا، أخذ خمس هذه الغنائم لاستغلالها وتوزيعها على المحتاجين»<sup>(١)</sup>، كذلك ما ذكره جلكريست في أن زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ كان لأغراض مادية بحتة<sup>(٢)</sup>.

### عاشراً: المنهج العكسي

وهو ذلك المنهج الذي يأتي على أوثق الأخبار وأدق، والأبناء فيقلبها عمداً إلى عكسها وفقاً لتصوير مسبق في ذهنه، إذ قال جلكريست: «في الواقع كانت المعاهدة لا تكاد تكون منصفة حيث يبدو أن محمدًا قد تنازل ووافق على شروط مهينة للمسلمين»<sup>(٣)</sup> في محاولة منه إلى قلب الحقيقة من النصر الذي حققه المسلمون من خلال هذا الصلح لأن قريشاً اعترفت بهم كدولة لها كيائها وهذا ما حصل بالنهاية، والذي أراد المستشرق أن يغض الطرف عنه وهو ما أكدته مرة أخرى «إن معاهدة الحديبية لم تجعل قريشاً والمسلمين متحالفين. فقد قرر محمد منذ فترة طويلة أن يغزو مكة ويدخلها للإسلام ولم يمض وقت طويل حتى وجد الفرصة لذلك لتسيير حملة ضدها»<sup>(٤)</sup>، في محاولة منه إلى إبراز أمر مهم، وهو أن النبي ﷺ لم يلتزم بصلح الحديبية والذي عقده مع قريش، ومن ثم بدأ يتحين الفرص للإخلال فيه، ما أدى إلى تعميم الواقعة الفردية لتتحول إلى ظاهرة، ومن ثم تقديم تصورات واستنباط أحكام من قبل المستشرق، ومن ثم تعميمها على جميع الجوانب<sup>(٥)</sup>.

### أحد عشر: المنهج الانتقائي

• الانتقائية في المصادر واعتماد غير الموثوق منها يعد من أهم العيوب التي تؤاخذ على المستشرقين؛ إذ اعتمدوا مصادر معينة أو تابعة لجهة أو فئة دون أخرى، وكذلك الرجوع

Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p35-١

Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p20-21-٢

Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p25-٣

Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p42-٤

Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p27-٥

إلى المصادر غير الموثوقة لدى المسلمين أو غير المتخصصة أو إلى المصادر التي ضعفها المسلمون أو طعنوا في أمانة أصحابها أو الرجوع إلى المراجع التي كان أصحابها منحازين إلى فئة معينة<sup>(١)</sup>، فراه اعتمد على صحيح مسلم وصحيح البخاري وهما من كتب الحديث، وكذلك أخذ من الواقدي وهو من غير الثقة، ولم يتطرق إلا في بعض النقاط أو الإشارات البسيطة إلى سيرة ابن هشام، والطبري، وابن الأثير، وغيرها من الكتب الأخرى .

● الاستعانة بالضعيف والشاذ من الروايات، أي استخدام أساليب التشكيك والافتراض والادعاءات الباطلة والاعتماد على الأثر الضعيف والشاذ، وهنا يعتمد فيه المستشرق على رأي أو فكرة مهما كان مصدرها؛ ولو كانت فكرة شاذة وضعيفة، بشرط أن تتفق مع وجهة نظر المستشرق وأهدافه التي يسعى لتحقيقها، ومن ثم فهم لا يلتفتون إلا إلى الصورة التي تتفق مع موقفهم، فتجعل الواحد منهم غير موضوعي مع الإسلام، وأخطر ما موجود في هذا المنهج هو تأكيده على السلبيات أكثر منه على الإيجابيات، وقد أخذ المستشرقون الخبر الضعيف والشاذ والحكم بموجبه، ومن ثم الاستعانة بالشاذ لأن هذا الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك<sup>(٢)</sup>، «فهم يملكون في شكوكهم إلى مدى بعيد، ويطرحون افتراضات لا رصيدها من الواقع التاريخي، بل إنهم ينفون العديد من الروايات، ويتشبثون في المقابل بكل ما هو ضعيف وشاذ»<sup>(٣)</sup>، إذ يعتمد المستشرقون على التفسير الاختياري للنصوص التاريخية وانتقاء الروايات التي تؤيد مزاعمهم<sup>(٤)</sup>، وليس هذا فحسب بل ذهبوا إلى تحريف النصوص ونقلها نقلاً مشوهاً بل وعرضها عرضاً مبتوراً<sup>(٥)</sup>، وبخاصة فيما يتعلق بهجرة المسلمين إلى الحبشة، والتي نسبها إلى بلال؛ إذ قال «ولكن بلالاً شجع محمداً وقام بإقناعه بأن شعب بلاده كانوا مسيحيين يخشون الله

١- مطبقاني، الاستشراق، ص ٢٥.

٢- النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ص ٣٥.

٣- نخبة من العلماء، منهج المستشرقين في الدراسات العربية، ج ١، ص ١٣٠.

٤- مغيلي، المنهج المنحرف في دراسة التاريخ الإسلامي، ص ٣١٠.

٥- الديب، المنهج في كتابة الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص ٣٥.

وأَنهم سوف يرحبون به بشكل أفضل بكثير هناك. أرسل محمد وفقاً لذلك العديد من أتباعه حيث إنهم استطاعوا العبور إلى الحبشة»<sup>(١)</sup>.

• اقتطاع النص القرآني من سياقه العام لغرض إثبات صحة دعواه؛ إذ يقوم المستشرق باقتطاع النص القرآني بما يتناسب مع الأمر الذي يريد أن يدعمه بهذه الآية، يضاف إلى ذلك أن جلكريست من غير المعتقدين سواء بالقرآن أم بنبوة محمد ﷺ لكننا لا نعرف سبب استشاده بالآيات القرآنية، كما أنه يقوم بذكر رقم السورة والآية دون ذكرها بشكل كامل، من ذلك ما نصه « فعلياً، لا شيء يمكن أن يقال حول هذا الحادث في القرآن. العديد من الكتاب والمعلقين بحثوا في تفسير سورة، ٥٣: ٦-١٨، وهي الآية التي وصفت الرؤية المدهشة التي عاشها محمد، كإشارة إلى ليلة الصعود (الإسراء)، ولكن لا يبدو أن الآية تشير إلى واحدة من رؤاه الأولى في وقت بدأ نزول الوحي»<sup>(٢)</sup>، وهو ما يطلق عليه بالتناقض المنهجي.

• البدء بفرض ادعائه ودس شبهاته ثم يبدأ بفرض أهم الآراء التي توصل لها العلماء المسلمون حول تلك الشبهة ثم تناولها بالتعليل والتحليل المتتوي لغرض إثبات صحة ادعائه .

• اتباعه الأسلوب البسيط والسهل من خلال سبك الجمل لغرض الإفادة منها في التأثير على بسطاء العامة من الناس .

اثنا عشر : عدم ذكر الطبعة الخاصة لكل من الموارد التي اعتمد عليها فهو لم يذكر إلا اسم الكتاب أو اسم المؤلف في بعض الأحيان ورقم الجزء أو المجلد ومن ثم يذكر الصفحة، فضلاً عن اختلاف الطبعات من طبعة إلى أخرى، وهو أمر متعارف عليه لدى الباحثين.

ثلاثة عشر : لم يذكر المستشرق الهامش الخاص بكل اقتباس في أسفل الصفحة، بل يذكر الهامش بعد الرواية التي يذكرها، أي في المتن، وهو منهج لم يتبع مسبقاً في البحث التاريخي، بالإضافة إلى أن من الملاحظات التي سجلت على منهجية جلكريست في كتابه موضوع الدراسة هو قيامه بسرد الصفحات الواحدة تلو الأخرى دون أن يذكر المصدر الذي اقتبس منه معلوماته، مما يدل على اتباعه لمنهج التضليل والتشكيك في إيراد رواياته.

أربعة عشر : منهجيته عند ذكر النبي ﷺ

ذكر جلكريست النبي ﷺ في كتابه مرات كثيرة وقد اختلفت منهجيته فيها ولا سيما في مسألة الصلاة والتسليم عليه فتارة يذكره باسمه (محمد)<sup>(١)</sup> وأخرى يذكر (نبي الإسلام)<sup>(٢)</sup>، ومرة أخرى يذكر (نبي المسلمين)<sup>(٣)</sup>.



١- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p1-

٢- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p11- ومواقع أخرى كثيرة

٣- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p35-41-68-73-77-94-95-



حياة النبي ﷺ في مكة في ضوء كتاب جلکرایست

## المبحث الأول : حياة النبي ﷺ قبل البعثة

### ١- الولادة

من بين الروايات المتعددة التي تناولت عام ولادة النبي ﷺ رجح جلكريست أنه ولد في عام (٥٧٠م) وهو بذلك يتفق مع لفيف من المستشرقين، وينسجم مع ما ذكرته الروايات الإسلامية التي أكدت على ذلك، وقد عبر عن ذلك فيما نصه: «كان يعتقد دائماً من قبل المؤرخين المسلمين أن محمداً ولد في عام ٥٧٠م، وهي سنة الفيل نفسها»<sup>(١)</sup>. وهو يتفق مع ماذهب إليه بروكلمان<sup>(٢)</sup> إذ قال: «ولد سنة ٥٧٠م وهي سنة الفيل نفسها»<sup>(٣)</sup>، وذكر ذلك أيضاً وليم موير<sup>(٤)</sup> بأن أحداثها لم تجر في عهود خلت بل وقعت في عام ٥٧٠م<sup>(٥)</sup>، وهو ما أكدته المستشرق كلود كاهن<sup>(٦)</sup> إذ ذكر أنه ولد حوالي عام ٥٧٠م في مكة<sup>(٧)</sup>.

وقد اتفق جلكريست مع مضمون الرواية الإسلامية، والتي أكدت أكثر المصادر من أن عام ولادة النبي ﷺ هو عام (٥٧٠م) وهو أمر أجمعت عليه أغلبها من خلال الروايات التي ذكرت أن النبي ﷺ «بعث على رأس الأربعين»<sup>(٨)</sup>.

١- Gilchrist، Islam of prophet the Mnhammad، p13.

٢- بروكلمان: وهو مستشرق ألماني ولد في مدينة روستوك، وعاش ثانياً وثلاثين سنة (١٨٦٨-١٩٥٦م)، وتخصص باللغات الشرقية على يد أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه، ونبغ فيها وصارت له شهرة واسعة في فقه اللغة العربية وقراءتها القراءة الفصيحة وكتابتها الكتابة السليمة، إضافة إلى شهرته في معرفة التاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي حتى عهد إماماً لمن بعده من المستشرقين في هذا المجال، ومن آثاره: كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) للمزيد: ينظر؛ البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ٢٠؛ العقيلي، المستشرقون، ج ٢، ص ٤٢٤.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p13.

٤- وليم موير : أسكتلندي، تعلم الحقوق في جلاسجو وأدنبرا، أرسل إلى البنغال ثم عين أميناً لحكومة الهند (١٨٦٥-١٨٦٨) ثم رئيساً لجامعة أدنبرا . ومن آثاره سيرة النبي ص والتاريخ الإسلامي في أربعة أجزاء، وحوليات الخلافة، البدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٥٨٧.

٥- The Life of Mohammed، p.18.

٦- كلود كاهن: وهو مستشرق فرنسي ولد في عام ١٩٠٩ في باريس ودرس تاريخ الشرق الاوسط واللغات الشرقية ثم تعمق في دراسة التاريخ الإسلامي، وعين محاضراً في مدرسة اللغات الشرقية في باريس، وأستاذاً لتاريخ الإسلام في كلية الآداب في جامعة ستراسبورغ (١٩٤٥م) وفي جامعة باريس، وله أعداد كبيرة من الدراسات والأبحاث، كما أنجز عدداً من المؤلفات عن الحروب الصليبية . للمزيد ينظر : كاهن الإسلام (منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية)، المقدمة، ص ٢٠؛ خليل، قالوا في الإسلام، ص ١٢٥.

٧- الإسلام (منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية)، ص ٣٢.

٨- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٩٠؛ اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك،

وسن الأربعين تعد حدا لبلوغ الإنسان نضجه العقلي وكمال إدراكه، وهذا ما أكدته القرآن الكريم: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وذكر أن ولادة النبي ﷺ كانت في ربيع الأول، وبعد خمسين يوماً من واقعة الفيل<sup>(٢)</sup>، علماً أن هذا التاريخ كان قبل النسيء<sup>(٣)</sup>، وقد كان العرب يطبقون الأشهر القمرية على السنة الشمسية من أجل تثبيت موسم السوق التجارية ولهذا اتفق شهر ربيع الأول مع شهر نيسان الذي ولد فيه النبي<sup>(٤)</sup>، وهو ما أكدته المستشرق الأسباني برنت<sup>(٥)</sup> بالقول: «إن سبب الخلاف هو اعتماد العرب للتأريخين القمري والشمسي لأن اعتمادهما من قبل العرب أدى الى زيادة شهر لكل سنتين أو ثلاثة سنوات»<sup>(٦)</sup>.

ج ٢، ص ٢٠٢؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر في المغازي والشئال والسير، م ١، ص ١١٠؛ ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، م ١، ج ٢، ص ١٨.

١- الأحقاف: ١٥.

٢- أبو الربيع، الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ج ١، ص ١٦٧.

٣- هي شعيرة من شعائر العرب في الجاهلية كان يقوم بها بنو فقيم من قبيلة كنانة العدنانية من أهل الحرم المكي، إذ كانوا ينسؤون الشهور على العرب فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ويؤخرون ذلك الشهر، ومنهم من كان ينسئ الشهور، وكانوا يكسبون في كل عامين شهراً، وفي كل ثلاثة أعوام شهراً، وكانوا إذا حجوا في شهر من السنة لم يخطؤوا أن يجعلوا يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، كهية ذلك في شهر ذي الحجة، حتى يكون يوم النحر اليوم العاشر من ذلك الشهر، ويقيمون بمنى، فلا يبيعون في يوم عرفة، ولا في أيام منى، وفيهم أنزلت: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ للمزيد ينظر: ابن أبي حاتم الرازي تفسير القرآن، ج ٦، ص ١٧٩٣-١٧٩٤؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٣، ص ٩٢.

٤- الخوئي دراسة تحليلية في السيرة النبوية - عصر قبل الهجرة، ص ١٣٣-١٣٤.

٥- خوان برنت خينيس: وهو أحد المستعربين الأكاديميين الذين كرسوا جهودهم لخدمة الحضارة الإسلامية في الأندلس، وقد ولد عام ١٩٢٣م ودرس في جامعة برشلونة وسافر إلى المغرب، وله العديد من المؤلفات في القرآن والسيرة والحضارة الإسلامية، للمزيد ينظر: السنيدي، السيرة النبوية في الكتابات الأسبانية (خوان برنت والسيرة النبوية)، ص ٦-٧.

٦- نقلاً عن، السنيدي، صالح بن محمد، السيرة النبوية في الكتابات الأسبانية (خوان برنت والسيرة النبوية)، ص ١٠.



في حين إن هناك عدداً من المستشرقين أرادوا التشكيك في عام ولادته؛ فجيوم<sup>(١)</sup> قال: «ولد محمد بمكة سنة ٥٧٠ م وهو تاريخ لا يمكن الجزم به»<sup>(٢)</sup>، في حين نرى أن كارليل<sup>(٣)</sup> يقول «ولد الرجل محمد عام ٥٨٠ ميلادية»<sup>(٤)</sup>.

وأراد بعض المستشرقين تأخير ولادة النبي ﷺ فيصبح تاريخ بعثته ﷺ في سن الثلاثين، وإذا كان الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين، ومحمد بعث على رأس الثلاثين؛ فمحمد ليس نبياً<sup>(٥)</sup>.

وذكر أحد الباحثين قائلاً «إن المستشرقون أرادوا أن يضعوا حالات من الشك حول مولده حيث حاول عدد منهم إثارة مجموعة من النقاط للنقاش والجدل والتي كانوا يرمون من ورائها إلى التقليل من أهمية النبي ﷺ ومن ثم التشكيك في صدق نبوته وصدق عقيدته بحيث أراد هؤلاء المستشرقين إبعاد النبي ﷺ من صفة الكمال»<sup>(٦)</sup>.

وأخيراً يتفق الباحث مع ما ذكرته المصادر الإسلامية في أن النبي ﷺ قد ولد سنة ٥٧٠ م، وهو عام الفيل وهو من الأمور المتفق عليها عند العرب سابقاً في أن تتخذ من الأحداث المهمة التي ترقى لأن تكون في أذهان الناس كبداية للتاريخ، وعام الفيل وهو العام الذي حدثت فيه حملة إبراهيم الحبشي<sup>(٧)</sup> وكانت من الأحداث المهمة، والتي يمكن أن تكون علامة على تاريخ ولادته .

١- جيوم : تخرج من جامعة أكسفورد وعمل في فرنسا ثم في مصر خلال الحرب العالمية الأولى، وقد عين محاضراً للغة العربية في المعهد الملكي في لندن وانتخب عضواً للمجمع العلمي العربي في دمشق ثم العراق، ينظر : عقيقي، المستشرقون، ج ١، ص ٥٤٣.

٢- الإسلام، ص ٢٥.

٣- توماس كارليل : إنجليزي، من أهم آثاره : الأبطال ترجمة، علي أدهم، وفيه فصل عن النبي ﷺ، فيه كثير من الإنصاف، العقيقي، المستشرقون، ج ٢، ص ٥٣.

٤- الأبطال، ص ٥٩.

٥- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٢.

٦- نقلاً عن أحمد، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين المعاصرين دراسة نقدية، ص ١١٨.

٧- إبراهيم : يعرف بالحشية أبراهام، إبراهيم، من ملوك اليمن لقب بالأشرم لشرم شفتيه وأنفه وهو المعروف بقصة صاحب الفيل الذي هاجم الكعبة المشرفة للثأر مما حل بكنيسة القليس ولم يتمكن من تنفيذ مآربه بعد أن أرسل الله تعالى عليه جيشاً من الطيور حطمته. ينظر : الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٣٧-١٣٩؛ نولدكه، تاريخ إيرانيين وعربها در زمان ساسانيان، ص ٣٣٢-٣٣٤.

## ٢- إرضاع النبي ﷺ

وفي موضوع إرسال النبي محمد ﷺ إلى البادية مع السيدة حليلة السعدية بعد ولادته ببضعة أشهر؛ إذ نجد المستشرق جلكريست يتفق مع مضمون الرواية الإسلامية التي تناولت هذا الموضوع، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ما ذكره ابن هشام من حديث حليلة السعدية وقولها: «..... خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه، في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً، قالت: فخرجت على أتان<sup>(١)</sup> لي قمرءاء معنا شارف لنا والله ما تبضُّ بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بُكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه ... ولكننا كُنَّا نرجو الغيث والفرج ... والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. فلما وضعته في حجرني أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما ... ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لبنا ... فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشبُّ شاباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً<sup>(٢)</sup>.

فلم يعترض هذا المستشرق على ما ورد في هذه الرواية، ولم يضع القارئ أمام تصور واضح حينما قال: «وقررت أمه آمنة إرساله بعيداً لئتم تربيته من امرأة من إحدى القبائل البدوية المحلية في هوازن والمعروفة باسم قبيلة بني سعد»<sup>(٣)</sup>.

١- الأتان: وهي الأنثى من جنس الحمير. الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج٦، ص٣٤٥.

٢- السيرة النبوية، ج١، ص٨٤-٨٥.

٣- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p14-3.



على الرغم من أن بعض المصادر الإسلامية ذكرت أسباب إرسال النبي ﷺ إلى البادية، وهذه العادة الجارية تجعل الأطفال أكثر فصاحة، وهذا ادعاء غير صحيح بدليل أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، وهذا يعني أن لغة قريش كانت أفصح من بقية اللهجات، ومحمد ﷺ من قريش؛ فالأولى أن يتعلم الفصاحة في بيئته وليس في بيئة أخرى.

ولا نعتقد أن هذه الأسباب هي من الأسباب الموضوعية الحقيقية التي دفعت ذوي النبي ﷺ (جده وأمه) إلى اتخاذ هذا القرار وإرساله إلى البادية فقط لكي يصبح فصيحاً وسليماً في بدنه.

وقد ذكر جلكريايس أن أمه قامت بإرساله بعيداً لتتم تربيته، ولا نعرف ما الأمر الذي كان جلكريايس يرمي إليه، فهل الطفل حين يبتعد عن أمه تكون نشأته أفضل؟ ثم إن هناك سؤالاً آخر، وهو كيف للأم أن تصبر عن وليدها الأول لترسله إلى البادية بعيداً عنها ولعدة سنين، وهذا ما ذهب إليه الغزالي في قوله « فلا يمكن القبول بفكرة أن الأم تترك ابنها الطفل الرضيع ينتقل إلى مكان آخر بعيداً عنها لا تراه ولا تسمعه لمدة عام أو عامين أو أكثر من ذلك كيف لغريزة الأمومة أن لا تتحرك في مواجهة هذه العادات التي تتحدث عنها هذه الروايات !!! كيف للأم أن يكون لديها القدرة والصبر على فراقه وتتخلى عن طفلها الرضيع بسهولة !!! »<sup>(١)</sup>، ويمكن أن يكون السبب في أن الأم قد أصابها داء فأصبحت عاجزة عن تلبية حاجات رضيعها الغذائية، ولم يعد بإمكانها إرضاعه، حينها لابد من أن تبحث هذه الأم عن مرضعة أخرى لعدم وجود البدائل فتكون مستعدة لمفارقة رضيعها حفاظاً على حياته، وهذا يعني أنه خيار اضطراري وليس خياراً اختيارياً.

كما يمكن لنا أن نذكر رواية أخرى وهي «أن إعرابياً سأله : يا رسول الله من أدبك؟ قال : الله أدبني وأنا أفصح العرب، بيد أني من قريش وربيت في حجر هوازن بني سعد

١- الغزالي، السيرة النبوية المطهرة برؤية جديدة، كتاب مخطوط تحت الطبع.

بن بكر»<sup>(١)</sup>، وهناك رواية أخرى يفتخر بها النبي ﷺ بنسبه؛ إذ ورد في الرواية، قال ﷺ «أنا أفصح العرب، بيد أي من قريش، نشأت في بني سعد»<sup>(٢)</sup> واسترضعت في بني زهرة<sup>(٣)</sup>. وذكر جلكريست ما نصه «رفض عدد من المرضعات المحتملات هذه الفرصة لأنهن لم يتوقعن مكافأة معقولة من الأرملة ولكن واحدة منهن في نهاية المطاف، حليلة، أخذت الطفل الصغير محمداً»<sup>(٤)</sup>.

والغريب أن جلكريست ينقل هذه القصة ولم يورد لنا المصدر الذي اعتمده في نقلها هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد أهمل جلكريست أن النبي ﷺ نشأ في أعز بيوت قريش التي عرفت بأنها أقوى قبائل مكة مكانة وشرفاً وجاهاً، وهو من بني هاشم الذين يمثلون أكثر البطون نفوذاً بحكم سدانيتها للكعبة والتي لا يمكن لأحد أن يناها إلا إذا كان من ذوي الرأي والحكمة والجاه والمنعة، ومن ثم فإن السدانة مرتبطة أيضاً بالجانب المادي للعائلة التي كانت تتولى هذه المهنة؛ لذلك نرى كيف أن المرضعات لم يتوقعن مكافأة معقولة من الأرملة في حين إن الذي تكفل به هو جده عبد المطلب، وهو من زعماء قريش، فهو لم يتطرق إلى ذلك بشيء من التحليل للرواية التي يقوم باقتباسها فقط، ويقوم باقتطاع النص الذي يمكنه من عرض ما يبتغيه.

وذكر المؤرخون أن حليلة قالت «...إني لأكره أن أراجع وأنا بين صواحيبي ولم أجد رضيعاً...»<sup>(٥)</sup>، فهل ينبغي لكل من حضرت من المرضعات أن تحصل على طفل؟ وهل عدداً لأطفال يجب أن يتلاءم وعدد المرضعات اللاتي قدمن من قبيلة بني سعد؟ وهل بالضرورة أن تحصل كل واحدة منهن على طفل وتأخذه معها؟ فإذا كانت الرضاعة

١- المفيد، الاختصاص، ص ١٨٧.

٢- ابن قتيبة، غريب الحديث، ج ١، ص ٢٨٥؛ ابن عبد البر، الاستذكار، ج ٢، ص ٤٨٠؛ ابن عبد البر، التمهيد، ج ٨، ص ٢٧٩؛ الكردي، تاريخ القرآن الكريم، ص ٨٥.

٣- العسقلاني، تلخيص التحرير في تخريج أحاديث الرافي الكبير، ج ٤، ص ١٤.

٤- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p14.

٥- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٢٠٢؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ١، ص ٤٨؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٤٦؛ بنت الشاطئ، مع المصطفى، ص ٤٣.

مهنة، فإن الرزق مكفول ومقدر من الله وليس بالضرورة أن هذه المرأة تحصل على رزقها؟ ثم هل يوجد وقت محدد وخاص للمرضعات ليخرجن بشكل جماعي؟ وهل الولادات والأطفال بعمر الرضاعة يتحدد بوقت معين؟ فالولادات مستمرة لا وقت لها، ويمكن أن تخرج المرضعات في أي وقت.

هذا بالإضافة إلى أن الروايات لا تشير إلى أن هناك طفلاً رضيعاً قد رفض غير النبي ﷺ! فهل كل الأطفال الآخرين من الأغنياء؟، وإن النبي ﷺ هو الطفل الفقير اليتيم الوحيد من بينهم؟ فكيف يكون فقيراً وأهله أسياد مكة!!!.

مما تقدم من الروايات التي قد وردت في المصادر الإسلامية يمكننا أن نتوصل إلى أن «هذا الأمر (أمر التماس الرضعاء) جزء من الممارسة المجتمعية في ذلك العصر»<sup>(١)</sup>.

وهنا يمكن أن نطرح سؤالاً، مفاده: لماذا يقتصر الأمر على النبي ﷺ لكي يتم إرساله إلى البادية؟ ويمكن أن نلتمس ذلك من خلال مراجعة كتب التراجم والشخصيات وكتب التاريخ العام لشخصيات قد ولدت في المرحلة نفسها (مرحلة ولادة النبي ﷺ) فلم يذكر أنهم قد أرسلوا إلى البادية سوى النبي ﷺ فلم نعرف مرضعة أبي بكر مثلاً، أو من هي مرضعة عمر أو عثمان.

وقد كانت هناك أسباب وراء البحث عن مرضعة، وهي «إما بسبب أن الأم المباشرة لكل طفل رضيع كانت عاجزة وغير قادرة عن أداء وظيفتها في غذاء الطفل الرضيع لذلك تبدأ عملية التماس المرضعة من نساء البادية القريبة من مكة كجزء من عادات ذلك المجتمع لعدم توفر المرضعة في مكة»<sup>(٢)</sup>.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل الناس كانوا يسلمون أولادهم لمن يشاء في أخذه للرضاعة؟ الجواب بالطبع: لا، لأن الأمر يجب أن يعتمد على المعرفة السابقة للتعامل والمرضعات في إرضاع أولادهم، فبعد المطلب إذا كان فعلاً يبحث عن مرضعة للنبي ﷺ

١- الغزالي، السيرة النبوية المطهرة برؤية جديدة، كتاب مخطوط تحت الطبع.

كان الأجدر به أن يلجأ إلى مرضعة اعتاد التعامل معها أو تمت معرفتها في إرضاع أبنائه السابقين أو (أحفاده) لأنها عادة أهل مكة .

وجدير بالذكر أن الإمام الصادق عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام برزت عنايتهم الكبيرة بذكر أحداث سيرة جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله في أدق الأمور، فلم يدعوا صغيرة ولا كبيرة مما له صلة بحياة النبي صلى الله عليه وآله وتاريخه إلا ذكروها فكيف بهذه القضية ؟ والرواية الوحيدة التي تحمل إشارات حول قصة إرضاعه هي : عن عبد الله بن مسكان<sup>(١)</sup>، عن عمار بن حبان<sup>(٢)</sup> عن الصادق عليه السلام قال : « عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أخت له من الرضاعة فلما نظر إليها سُر بها، وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها، ثم أقبل يحدها ويضحك في وجهها، ثم قامت وذهبت وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له : يا رسول الله، صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل، فقال : إنها كانت أبر بوالديها منه »<sup>(٣)</sup>. وهذه الرواية دليل على أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد أرسل إلى البادية لغرض الرضاعة.

تناول هذه القصة عدد من المستشرقين فأثبت عدد منهم هذه الواقعة ونفاها قسم آخر، فقد تحدث دينيه<sup>(٤)</sup> عن قصة حليلة السعدية ورضاعتها للنبي محمد صلى الله عليه وآله وإقامته في بني سعد بصورة مطولة في جميع تفاصيلها منذ أن أخذته حليلة وأبقته في بني سعد إلى أن انتقل إلى أمه، إذ قال : « كان محمد يجب إعادة ذكريات تلك الفترة وكثيراً ما كان يقول : إن من نعم الله علي التي لا تقدر، أني ولدت من قريش أشرف القبائل وأنى نشأت في بادية بني سعد أصبح المواطن بالحجاز »<sup>(٥)</sup>.

١- عبد الله بن مسكان، أبو محمد مولى (عزة)، ثقة، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وقيل : إنه روى عن أبي عبد الله عليه السلام، مات في أيام أبي الحسن عليه السلام من أهم آثاره كتاب الإمامة وكتاب الحلال والحرام ينظر : النجاشي، فهرست أسماء مصنفى الشيعة المشهور برجال النجاشي، ص ٢١٤-٢١٥؛ الشبستري، الفائق في رواة أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ج ٢، ص ٢٣٢.

٢- عمار بن حبان : روى عنه عبد الله بن مسكان. ينظر : الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٣، ص ٢٦٧؛ الأردبيلي، جامع الرواة، ج ١، ص ٦١١.

٣- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٦١.

٤- دينيه آتين : فرنسي تعلم في فرنسا ثم قصد الجزائر وأشهر إسلامه وسمى بـ (ناصر الدين) ١٩٢٧م، وحج بيت الله الحرام ودفن بالجزائر . ومن آثاره : ( محمد رسول الله، وله بالفرنسية ( حياة العرب وحياء الصحراء، وأشعة النور، العقبيقي، المستشرقون، ج ١، ص ٢٢٨ .

٥- محمد رسول الله، ص ١٠٨-١٠٩ .

أما تقييم الأحداث الأولى لحياة النبي ﷺ من قبل المستشرقين، والذين ينكرون هذه القصة هو وليم موير الذي قال: «إن رواية استرضاع النبي محمد ﷺ لدى بني سعد من قبل حليلة السعدية هي محض أساطير»<sup>(١)</sup>.

أما المستشرق توراندرية<sup>(٢)</sup> فتكلم أيضاً على حياة النبي ﷺ؛ إذ يقول: «وأكثر ما جاءنا عن حياته الأولى معلومات أسطورية»<sup>(٣)</sup>، في حين إن بعضهم أراد التشكيك في حياة النبي ﷺ، وذكر بعضهم الآخر من أنها غامضة؛ فقد ذكر المستشرق كارل بروكلمان ذلك بقوله «ولسنا نملك بينة موثوقاً بها عن حياة النبي الأولى»<sup>(٤)</sup>، أما رودنسون<sup>(٥)</sup> فيقول في طفولة النبي ﷺ «إنه لا يملك معلومات مؤكدة عنها»<sup>(٦)</sup>، أما جاك ريسلر<sup>(٧)</sup> فتحدث عن حياة النبي ﷺ الأولى فيقول: «فإننا لا نملك أبداً شهادات أكيدة حول سنواته الأولى وحياته»<sup>(٨)</sup>.

في حين إن رالف لنتون<sup>(٩)</sup> يقول: «كانت طفولة محمد غير مستقرة وصعبة لأن الطفل اليتيم كثيراً ما كان يذهب ليقيم عند مختلف المرضعات والأقارب»<sup>(١٠)</sup>.

ثم يذكر جلكرايست أن النبي ﷺ قد بقي في ديار بني سعد للستين الأوليين؛ إذ يقول: «عندما حاولت حليلة إعادته بعد هذه الفترة، بينت آمنة أنها لا تعتقد أن مناخ مكة سيكون جيداً بالنسبة له، وبناء على ذلك قررت آمنة أن يبقى سنتين آخرين إذ إن

١- نقلاً عن، الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ٧٨.

٢- توراندرية: هو أسقف على المذهب اللوثري الذي نشر كتابه الموسوم (محمد الرجل وعقيدته)، سنة ١٩٣٢ من أوائل من مثل هذا الاتجاه، ينظر: فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص ٥٧.

٣- نقلاً عن، شامة، الإسلام في الفكر الأوربي، ص ٣٩.

٤- تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٢-٣٣.

٥- مكسيم رودنسون، المولود، ١٩١٥م، فرنسي مدير مدرسة الدراسات العليا بباريس ركز في أبحاثه على الجانب الاقتصادي في الإسلام وله كتاب (جاذبية الإسلام)؛ العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٣٥٩.

٦- نقلاً عن، الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ٢، ص ١٠٦.

٧- جاك ريسلر: باحث فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي في باريس؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص ٥.

٨- الحضارة العربية، ص ٣٤.

٩- رالف لنتون: من ألع علماء الانثربولوجيا في العالم ولد عام ١٨٩٣، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة هارفارد ثم أصبح رئيساً للجمعية الانثربولوجية الأمريكية، وله العديد من البحوث والمؤلفات في مجال تخصصه توفي سنة ١٩٥٤، للمزيد ينظر، شجرة الحضارة، ج ٢، ص ١٢ مقدمة المترجم.

١٠- شجرة الحضارة، ج ٢، ص ٤٣٠.

حليمة ستظل مسؤولة عنه»<sup>(١)</sup>. وهنا يحاول جلكريست الحصول على عذر جديد لبقاء النبي ﷺ في بني سعد؛ لذا أورد أن أمه أصرت على بقاءه بحجة أن مناخ مكة سيكون غير جيد في حين إن مكة من المناطق التي تقل فيها الأمراض والأوبئة؛ بالإضافة إلى أن ديار بني سعد لا تبعد مسافات شاسعة عن مكة، ولا تقع في مناطق جبلية مرتفعة ليكون الجو معتدلاً فيها فضلاً عن أنه ذكر أن ديارهم كانت تعاني من الجذب، ومن ثم ارتفاع درجات الحرارة.

ويسهب جلكريست في القول: إنه قبل انتهاء الفترة مرة أخرى حدث حادث غريب له «ولوقت ذهب في أغماء واضح، لذلك فقد كانوا يشعرون بالقلق الشديد لأنهم كانوا يعتقدون عادة أن مثل هذا السلوك هو علامة على تأثير روح شريرة عليه وقرروا أن يرجعوا الطفل إلى والدته على الفور»<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة الإلحاح من قبل أمه؛ فقد أدى ذلك إلى القبول باصطحابه مرة أخرى إلى البادية؛ إذ يقول جلكريست: «وبصعوبة نوعاً ما تمكنت آمنة من إقناعهم بأن الحادثة لم تكن تدعو للقلق، أخذوا الطفل مرة أخرى وأبقوه لمدة سنة أخرى»<sup>(٣)</sup>، ولا نعرف على أي أمر اعتمد جلكريست في هذا الرأي، وهل المدة التي قضاها ﷺ في قبيلة بني سعد هي خمس سنوات، وكم كان عمره عندما أخذه حليمة لرضاعته؛ فإذا ذهبنا إلى ما ذهب إليه جلكريست فسيكون عمر النبي ﷺ هو في السادسة من العمر، وهذا يتقاطع مع ما ذهبت إليه المصادر الإسلامية من أن أم النبي ﷺ قد توفيت وهي في طريق عودتها من يثرب، وكان عمره ست سنوات «فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب»<sup>(٤)</sup>، وهذا دليل على أن النبي ﷺ كان عند أمه وهو قبل هذا السن.

١-١٤. Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p14-١

٢-١٥. Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p15-٢

٣-١٥. Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p15-٣

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٠٤.

ومن العرض للرواية التي ذكرتها المصادر الإسلامية وماذهب إليه جلكريست يمكن أن نتوصل إلى أن النبي ﷺ قد تم إرساله إلى البادية بعد أن أصبحت أمه غير قادرة على تلبية حاجته الغذائية؛ إذ إن حليبها قد جف أو قل ولا يكفيه للرضاعة، وبعد عجزهم عن التماس المرضعة في مكة؛ وذلك بسبب صغر المجتمع المكي لذلك أرسل إلى البادية، إضافة إلى أن مدة الرضاعة حولان، بحسب ما مذكور في القرآن ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾<sup>(١)</sup>. مما يعني انتفاء الحاجة لبقائه في البادية، ولكن يبدو أن القصص المنسوجة في خيال جلكريست ما هي إلا نتيجة القصص التي وضعت حول حياة النبي ﷺ في المصادر الإسلامية فضلاً عن قيام عدد من المؤرخين بتشويه الكثير من الأحداث، ولا ننسى أن التاريخ كتب في العصور العباسية المتأخرة وقبلها التدوين للحديث في العصر الأموي، أي بعد ١٠٠ هـ التي قد استقبلها المستشرقون وبدؤوا بصياغة مايجلو لهم لغرض التشويه وإضافة مايتلاءم وأهدافهم وتوجهاتهم، وقد قام جلكريست وهو أحدهم بإدلاء رأيه بالانكفاء على أقوال هؤلاء المستشرقين، وأن أمر بقاء النبي ﷺ في بادية بني سعد لمدة خمس سنوات لا أساس له لأنه يتعارض مع جميع الروايات الإسلامية التي ذكرت الحادث.

### ٣- حادثة شق الصدر

علق جلكريست على حادثة شق صدر النبي ﷺ والتي وردت في عدد من المصادر الإسلامية حيث اتفق معها جلكريست لا شيء إلا لأنه أراد من خلالها إيجاد ربط ما بين تصورات النبي ﷺ وحادثة الوحي فيما بعد؛ إذ صور حادثة شق الصدر على أنها جزء من تجارب مؤلمة كان النبي ﷺ قد مر بها قبل نزول الوحي عليه بقوله: «وبتجاهل الرواية الأسطورية التي زينت الحادث قد يبدو أن الصبي عانى بالفعل من تجارب بدنية غريبة والتي كانت في وقت لاحق تظهر نفسها مرة أخرى عندما كان يعتقد أنه كان يتلقى

الوحي الإلهي»<sup>(١)</sup>، وليس هذا فحسب بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال: « فقد تكون نوبة من الصرع على الرغم من عدم وجود شيء أكيد يمكن أن يقال عن الحادثة»<sup>(٢)</sup>. والذي يتأمل في محور الرواية التي أوردتها المصادر الإسلامية، والتي اتفق معها جلكريست ومضمونها «والله إنه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: ذلك أخي القريشي قد أخذه رجلان عليها ثياب بيض، فأضجعه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً منتعماً وجهه قالت: فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له: ما لك يا بني، قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا شيئاً لا أدري ما هو، قالت: فرجعنا إلى خبائنا»<sup>(٣)</sup>.

وقد ظهر عدد من المستشرقين ممن ينكر وقوع هذا الحادث بل إن قسماً منهم قد ذهب إلى ما ذهب إليه جلكريست؛ فالمستشرق وليم موير «لا يرضى أن يشير إلى قصة الرجلين في ثيابهما البيضاء، ويذكر أنه إن كانت حليلة وزوجها قد نبها لشيء أصاب الطفل، فلعله نوبة عصبية أصابته، ولم يكن لها أن تؤذي صحته لحسن تكوينه»<sup>(٤)</sup>.

أما المستشرق رودنسون فقال «إن الروايات التاريخية المتعلقة بالسيرة النبوية ترقى إلى ١٢٥ سنة من حياة الرسول، وكم لعب الخيال دوره إبان هذه الفترة الطويلة ويؤكد بأن حادثة شق الصدر بأنها غير صحيحة»<sup>(٥)</sup>.

١- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p15-١

٢- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p15-٢

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٦٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢٩٤.

٤- عصفور، الافتراءات الواردة على الرسول والقرآن، ص ١١٧.

٥- نقلاً عن، الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ١، ص ٦٣.

وأما المستشرق هربرت جوتشالك<sup>(١)</sup> «فذكر هذه الحادثة كما وردت في كتب السيرة إلا أنه في الأخير ادعى بأنها أسطورة»<sup>(٢)</sup>.

يعد جلكريست أحد المستشرقين الذين يعرضون كل أحداث حياة النبي محمد ﷺ بميزان المنظور المادي البشري المؤلف الذي لا يقبل أي صلة بالغيبيات والمعجزات حتى ولو كان الأمر يتعلق بحياة الأنبياء، ولا يدري هؤلاء أن استعمال هذا الميزان يبطل معجزات الأنبياء جميعاً بما فيهم موسى وعيسى ﷺ؛ فلماذا يقبل هؤلاء المستشرقون بمعجزات موسى ﷺ وبمعجزات عيسى ﷺ، ولا يقبلون بمعجزات النبي محمد ﷺ، فعلى سبيل المثال فقد كانت ولادة عيسى ﷺ وطفولته وسيرته مجالاً لأمر وأحداث ومعجزات؛ فهو مولود بلا أب وتكلم في المهد صبيّاً، ووقعت لموسى في طفولته أمور غريبة كذلك؛ فليس من المنطق العلمي أن توزن أحداث حياة الأنبياء بمقاييس الفكر المادي فحسب.

ولو كانت الحكمة من هذه الحادثة إزالة غدة الشر من جسم النبي ﷺ إذ لو كان الشر منبعه غدة في الجسم أو علقه في بعض أعضائه لأمكن أن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية ولكن يبدو أن الحكمة هي إظهار النبي ﷺ وتهيته للعصمة والوحي منذ صغره<sup>(٣)</sup>.

ونرى أن جلكريست من خلال ما تقدم يسوق لنا الرواية عقب الأخرى للوصول إلى حقيقة يصورها بما مفاده «أن مثل هذا السلوك هو علامة على تأثير روح شريرة»<sup>(٤)</sup>. وكان الهدف منها هو أن النبي ﷺ كان يعاني من نوبات الصرع والجنون وتأثير روح شريرة عليه للوصول إلى أن الوحي بأكمله كان من تصورات النبي ﷺ والتي كان

١- هربرت جوتشالك: ولد ١٩١٩م ونشأ في جنوب بروسيا بدأ حياته بدراسة الطب وشارك في الحرب العالمية الثانية، ثم درس الفلسفة وعلم النفس والتاريخ والأدب لمدة سبع سنوات ومن أشهر كتبه كتاب «الإسلام قوة عالمية محرّكة». ينظر؛ شامة، الإسلام في الفكر الأوروبي، ص ١٤.

٢- نقلاً عن، بسيني، جمع القرآن للمستشرق جون جلكريست (دراسة تحليلية)، ص ١٣٢.

٣- البوطي، فقه السيرة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ص ٤٧.

٤- Gilchrist، Islam of prophet the Mhhammad، p15.

يعيشها في صباه، وهذا ما ذهب إليه أيضاً المستشرق موير عندما قال «لعل الذي حدث نوبة عصبية أصابته ولم يكن لها أن تؤذي صحته لحسن تكوينه»<sup>(١)</sup>، كما ذكرنا ذلك سلفاً. لذلك نرى أن جلكريست يحاول القول: إن هذا السبب هو الذي دفع مرضعته حليلة إلى إرجاعه إلى أمه «وقررُوا أن يرجعوا الطفل إلى والدته على الفور»<sup>(٢)</sup>، في حين إنه لم يذكر ما تمخض عن هذا اللقاء وما دار بين حليلة السعدية وآمنة؛ إذ قالت حليلة: «كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لبني لشأناً أفلا أخبرك خبره وقالت: قلت: بلى: قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضواء قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لو اضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء دعيه عنك وانطلقني راشدة»<sup>(٣)</sup>، وهذا مخالف لما أراد أن يظهره جلكريست؛ إذ إن حليلة السعدية قامت بإرجاع النبي ﷺ معها إلى بادية بني سعد، ما يدل على تهافت الرواية والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على ضعفها من خلال التمحيص الدقيق لها، ومن ثم تؤكد على أنها من الروايات الموضوعة أو المكذوبة .

وإذا رجعنا إلى سند الخبر نجده جاء عن طريق حماد بن سلمة<sup>(٤)</sup>، عن ثابت البناني<sup>(٥)</sup>، وبالاطلاع على سيرة هؤلاء وجدنا أنه لا يمكن الوثوق بنقلهم، فحماد قد تناقضت أقوال العلماء فيه<sup>(٦)</sup>.

١- نقلاً عن، ايتن، السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ص ٢٨.

٢- Islam of prophet the Mhhammad, Gilchrist-٢٠١٥، ص ١١١؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال، ج ١، ص ٢٣؛

٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١١١؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال، ج ١، ص ٢٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٦، ص ٨١-٨٤.

٤- حماد بن سلمة بن دينار الخزاز، من أهل البصرة، توفي سنة (٧٦١هـ/ ٣٨٧م)، وهو ضعيف الحديث، للمزيد ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٧٤٢.

٥- أبو محمد، ثابت البناني، ابن أسلم من العباد المتصوفة، عرف عنه كثرة العبادة وقد اختلف رأي العلماء فيه فمنهم من قال اختلط به الأمر، ومنهم من قال: إنه ضعيف وغير ثقة أو مضطرب الحديث للمزيد ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، كتاب الجرح والتعديل، ج ٢، ص ٩٤٤؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٥، ص ٩١١؛ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٢، ص ٨١٣-٨٢٣؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٧٥.

٦- الرازي، كتاب الجرح والتعديل، ج ٣، ص ١٠٤؛ ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٦١٢؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٧، ص ٧٦٢؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢٠٢؛ القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج ١، ص ٥٢٢.

أما ناقل الخبر الرئيس فهو أنس بن مالك؛ فأخبار سيرته تكفي لإسقاط قوله، منها أنه كان يكذب على الرسول ﷺ، وقد قال عنه الإمام الصادق (عليه السلام): «ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله، أبو هريرة، وأنس بن مالك، وامرأة»<sup>(١)</sup> ومن اللافت للنظر أن ترد هذه الرواية من أساطير الجاهلية لغرض تأييد بعض العقائد الفاسدة، والطعن بصدق القرآن، وعصمة النبي الأعظم ﷺ<sup>(٢)</sup>.

إن هذه الرواية وردت في أسطورة جاهلية عن أمية بن أبي الصلت<sup>(٣)</sup> ملخصها أن أمية دخل يوماً على أخت له فنام على سرير في ناحية البيت فانشق السقف وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه، فشق الواقع صدره، فأخرج قلبه، فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: أوعى؟ قال: وعى قال: أقبل؟ قال: أبى، قال: فرد قلبه في موضعه فنهض فاتبعها أمية... ثم تكررت عملية الشق أربع مرات<sup>(٤)</sup>.

وهذه الرواية كانت مشابهة للروايات التي وردت في حديث شق صدر النبي ﷺ ولنا أن نتصور كيف كان قبول المصادر لمثل هذه الأساطير في السيرة المحمدية وكأنها من المسلمات التي أخذ بصحتها على أنها اليقين، أما الغاية التي وضعت من أجلها فهي لتأييد الأفكار التي وضعت من قبل الزنادقة في العصر الأموي.

#### ٤- عمل النبي ﷺ

يتفق جلكريست مع ما ذهب إليه عدد من المستشرقين المتحاملين على النبي ﷺ والإسلام؛ إذ ذكر أنه بخطبته لامرأة ثرية وتعمل في التجارة أثبتت أنها ميرة له<sup>(٥)</sup>.

١- الصدوق، الخصال، ص ٩١؛ ابن شاذان الإيضاح، ص ١٤٥.

٢- العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، ج ٢، ٩٨-٩٩.

٣- أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر المشهور، أدرك الإسلام ولم يسلم، أمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف ولذلك رثى أمية قتل المشركين في بدر بقصيدة مشهورة لأن عتبة وشيبة ابني ربيعة بن عبد شمس، هما ابنا خاله، ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٤٨٣-٥٨٣.

٤- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ٤٣١-٥٣١.

٥- Islam of prophet the Mhhammad, Gilchrist-٥، p16.

وهذا ما لا يمكن الاتفاق عليه عن عمل النبي ﷺ فمنذ بداية حياة النبي ﷺ الأولى فقد أخذ العمل جل اهتمامه؛ فنراه ﷺ يتجه إلى العمل منذ سنين فتوته الأولى، وبذل طاقته في العمل الذي يستدعي رفقا منه ورعاية .... واتجه إلى رعي الأغنام<sup>(١)</sup>.

وقد قال ﷺ فيما ذكره ابن إسحاق «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم قيل: وأنت يا رسول الله فقال نبي الرحمة وأنا»<sup>(٢)</sup>، وقد ورد أن النبي ﷺ قد رعى الأغنام لكسب الرزق، وفي ذلك أيضاً دلائل مهمة، منها الذوق الرفيع والإحساس الدقيق وشهامة في الطبع وبر في المعاملة وبذل الوسع، فبمجرد أن تحصل في نفسه القدرة على الكسب أقبل يتكسب ويتعب نفسه لمساعدة عمه<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن أن عمه ليس فقيراً؛ إذ إن العرب لا تقبل بزعامة الفقير.

وفضلاً عن ذلك يُذكر أن النبي ﷺ مارس عمل التجارة قبل البعثة وهذا ما أكدته المصادر التاريخية الإسلامية<sup>(٤)</sup>، من خلال الرحلات التي قام بها النبي ﷺ إلى الشام كانت أم إلى اليمن، وكذلك للتجارة التي يقوم بها في أسواق مكة نفسها، وعلى أية حال فلا يمكن أن يتحول النبي ﷺ إلى إنسان عاطل عن العمل.

ولم تهمل المصادر التاريخية والإسلامية الإشارة أو التفصيل في سيرة النبي ﷺ وممارساته للأعمال بعد زواجه من السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد (رضوان الله عليه) إذ لا يمكن تصور أن النبي ﷺ قد ترك مسؤولياته تجاه أسرته وواجباته في تأمين الحياة الكريمة لها؛ فعدم المباشرة بالعمل سيؤدي حتماً إلى نفاد المال، ولكن النبي ﷺ بقي يمارس العمل في التجارة ويؤمن حاجات أسرته وهو جزء من مسؤوليته المترتبة عليه، وفي الوقت نفسه كان يقطع بعض الوقت للتردد على غار حراء للتأمل في أوضاع هذا الكون الهائل<sup>(٥)</sup>.

١- أبو زهرة، خاتم النبيين ﷺ، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، ج ١، ص ٣٢١

٢- السير والمغازي، ج ١، ص ٤٢١.

٣- الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٦٥.

٤- ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ج ١، ص ٣٧؛ البيهقي، دلائل النبوة للبيهقي، ج ١، ص ٦٤؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٥١.

٥- الغزالي. السيرة النبوية المطهرة برؤية جديدة، كتاب خطوط تحت الطبع.

ثم بدأ جلكرايست بكيال الاتهامات إلى النبي ﷺ بأنه قد خطط للزواج بالسيدة خديجة للإفادة من أموالها؛ فنراه يقول: «عندما بدأ في إعادة النظر في التراث الديني لقومه وأجداده قد وجد وقت فراغ كبير للاعتزال والاختلاء بنفسه في الجبال التي تحيط في مكة، فمنحته هذه الثروة التي كسبها من زواجه الوقت الكافي للتأمل»<sup>(١)</sup>.

فليس من المنطقي أن يبقى النبي ﷺ دون عمل بعد زواجه من السيدة خديجة ﷺ، ولا سيما أن هذا الأمر لا يتلاءم وسيرته، فنراه يؤكد بصورة مستمرة على العمل ويحث عليه، فبعد زواجه من السيدة خديجة بنت خويلد (رضوان الله عليه) أصبح لديه رأس مال كاف ليتدبّر به تجارة تشبه تجارة أهل مكة في ذلك الوقت، وقد وصلتنا بعض الروايات التي تشير إلى نشاطه التجاري، ففي رواية أنه باع أحد التجار سلعة ووعدته في مكان معين لكن التاجر نسي الأمر، وبعد أن تذكره أتاه بعد ثلاثة أيام أنتظرك»<sup>(٢)</sup>.

وبعد البعثة وردت رواية عن أبي سفيان<sup>(٣)</sup> أنه كان خارجاً إلى اليمن في تجارة ثم عاد إلى مكة، فجاءه أهل مكة يسألون عن بضائعهم، ثم جاء النبي ﷺ فسلم عليه ولم يسأله عن بضاعته ثم قام، فقال أبو سفيان لزوجته: «إن هذا ليعجبني ما من أحد من قريش له بضاعة إلا وسألني عنها، وما سألني هذا عن بضاعته فقالت لي هند<sup>(٤)</sup>: أو ما علمت شأنه، فقلت وأنا فزع، ما شأنه؟ قالت: يزعم أنه رسول الله»<sup>(٥)</sup>، ويبدو أن النبي ﷺ كان

١ - Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p16

٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٥٩؛ ابن سيد الناس، معرفة الأثر في فنون المغازي والشهائل والسير، ج٢، ص٣٣٢-٣٣٣.

٣- أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، واسمه صخر، وأمه صفية بنت حزن، أسلم يوم فتح مكة، للمزيد ينظر، البخاري، التاريخ الكبير، ج٤، ص٣١٠؛ البغوي، معجم الصحابة، ج٣، ص٣٥٢.

٤- هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وهي التي بقرت صدر الحمزة واستخرجت قلبه أسلمت يوم فتح مكة، للمزيد ينظر، الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج٦، ص٣٤٦٠.

٥- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٣٢٢.

مختصاً في بيع الأقمشة، فعندما التقاه حكيم بن حزام<sup>(١)</sup> في سوق حباشة<sup>(٢)</sup> اشترى منه نوعاً من أنواع الأقمشة<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن النبي ﷺ قد تاجر مع فرد من قبيلة زبيد اليمنية قدم مكة بتجارة فأراد بيعها إلى أبي جهل بن هشام، لكنه ظلمه بثمانها فأخذ الرجل يقول: « يا معشر قريش كيف تدخل عليكم مادة أو جلب وأنتم تظلمون من دخل إليكم، وجعل يقف على الخلق حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، فقال له رسول الله ﷺ من ظلمك؟ قال: أبو الحكم طلب مني ثلاثة جمال وهي خيار إبلي فلم أبعه إياها بالوكس، فليس يبتاعها أحد مني اتباعاً لمرضاته، فقد أكسد سلعتي وظلمني؛ فقال رسول الله ﷺ: وأين جمالك؟ قال: هي هذه بالحزورة، فابتاعها رسول الله ﷺ منه فباع جملين منها بالثمن الذي التمسه، وباع البعير الثالث وأعطى ثمنه أرامل بني عبد المطلب<sup>(٤)</sup>.

وقد يتبادر إلى الذهن أن انشغال النبي ﷺ بالتفكير والتعبد أبعدته عن دائرة الأعمال، لأنه هو الجزء الغالب على مرويات السيرة، وعلى الرغم من أن هذا الرأي قريب من الواقع، لكننا في الوقت نفسه نقول: إن التفكير والتعبد لم يأخذ كل وقت النبي ﷺ، لأنه كما تذكر الروايات كان في أوقات معينة من السنة، وهذه الروايات التي قدمناها تشير بوضوح إلى أنه استمر في العمل التجاري، لكن ليس فيها ما يدل على أنه خرج إلى خارج مكة للتجارة. ثم نلاحظ أن جمهور المستشرقين قد ظلوا يشككون في كل رواية وردت في السيرة ولا سيما في أخبار مرحلة ما قبل البعثة النبوية، وقد أشرنا إلى الشبهات التي أثرت في حياة النبي ﷺ قبل البعثة، غير أنهم لم يشككوا في عمله بالتجارة قبل البعثة لأنهم فضلوا

١- حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، ابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ، ويكنى بأبي خالد له حديث في الكتب الستة روى عنه ابنه حزام، وعبد الله بن الحارث بن نوفل وسعيد بن المسيب وموسى بن طلحة، وعروة، وغيرهم. للمزيد ينظر، المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٥، ص ٧٨٥؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٧٩.

٢- حباشة: وأصل الحباشة الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية، للمزيد ينظر؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٠؛ شراب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ص ٩٦.

٣- المقرئ، إمتاع الإسماع، ج ١، ص ٥١.

٤- البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣١٠.

عدم إثارتها لاتخاذها وسيلة لوجود الاتصال بينه وبين اليهود والمسيحيين<sup>(١)</sup>.

وذهب جلكريست إلى ما ذهب إليه بروكلمان؛ إذ ذكر «والذي يبدو بأن هذا الزواج لم يضمن له حاجاته المادية فحسب بل حمل إليه ارتياحاً من نواح أخرى أيضاً... وليس من شك في أنه انصرف بعيد زواجه إلى تحقيق مشروعات زوجه التجارية في حماسة وعزم»<sup>(٢)</sup>.

وقد شاطره في هذا الرأي المستشرق الروسي بندلي جوزي<sup>(٣)</sup> قائلاً: « وإنه ليغلب على ظني أنه كان لهذا التفاوت الكبير في الثروة بين أعمامه، والتأمل العميق في أصل هذا التفاوت، ومصادر تلك الثروة ثم في أساليب التجارة وطرق معاملة التجار وأصحاب المال للناس، أعظم تأثيراً على عواطف الفتى ونفسيته، وأن هذا التباين في الفقر والغنى بين أعضاء العائلة الواحدة هو الذي نبه أفكار النبي إلى النزاع الاجتماعي الموجود بين طبقات الناس في بلده، والبحث عن منابعه، وهو الذي دفعه إلى إعلان الحرب الكلامية على الطبقة الفاجرة المحتكرة لموارد الثروة والمستغلة لأتعاب الفقراء وسكان البادية السذج، رسخت هذه الفكرة في نفس المصلح العربي، وساعد على تقويتها وإنائها في ما كان يراقبه يوماً حين صار تاجراً أو بالأحرى وكيلاً تجارياً لأمرائه خديجة»<sup>(٤)</sup> وهو في ذلك حاول إدخال دور الجانب المادي وتأثيره في النبي ﷺ أي محاولة تفسير زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة ﷺ تفسيراً مادياً، وليس هذا فحسب بل تأثير الجانب المادي في شخصية النبي ﷺ لخروجه من ثم بهذا الدين، متناسياً أن النبي ﷺ كان من أكثر عوائل قريش ثروة وجاهاً، وهو يريد بذلك التقليل من مكانة النبي ﷺ.

وقد زعم ذلك أيضاً المستشرق رودنسون بقوله: «إن هذا الرجل الفقير الذي كان يعمل عند الناس بالأجرة ليكسب قوت يومه بالكاد أصبح غنياً وذا أهمية بعد زواجه

١- شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص ٦٨٣.

٢- تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٣.

٣- بندلي جوزي (١٨٧١-١٩٤٢): مستشرق روسي من القدس وهو نصراني، تخصص باللغات السامية والدراسات الشرقية، وتولى التدريس في معهد الرهبان، ثم في جامعة قازان، ثم في جامعة باد، إلى أن توفي، وقد عدّه المستشرقون الروس مرجعاً من مراجعهم... للمزيد ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ٣، ص ٦٦-٦٧.

٤- من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، ص ٥٣-٥٤.

من السيدة خديجة»<sup>(١)</sup>، وقد تغافل عن حقيقة واضحة هي مكانة بني هاشم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

في حين إننا نرى أن هناك عدداً من المستشرقين قد أنصف النبي ﷺ في أقواله فيذكر توماس كارليل: «ولما شب محمد وترعرع صار يصحبه عمه في أسفاره التجارية ... وفي الثامنة عشر من عمره نراه فارساً مقاتلاً يتبع عمه في الحروب»<sup>(٢)</sup>، وهنا يظهر النبي ﷺ ومدى تفانيه منذ نعومة أظفاره لغرض كسب قوته؛ فكيف به وقد أصبح رباً لأسرة لها احتياجاتها؛ فلا يمكن أن يكون النبي ﷺ عاطلاً عن العمل .

#### ٥ - لقاء بحيرا الراهب<sup>(٣)</sup>

كان لقاء النبي محمد ﷺ بالراهب من بين القضايا التي أثار حولها المستشرقون الشبهات وقد شكك جلكريست في ذلك؛ إذ ذكر «أن بحيرا وهو راهب مسيحي والذي خرج من صومعته للسلام على القافلة ويقال إنه كان على دراية جيدة بالدين المسيحي وإنه اكتسب معظم معرفته من كتاب كان لديه في صومعته»<sup>(٤)</sup>، في هذه الرواية ليس في مسألة حدوثها وإنما في مدى تأثيرها في الدين الإسلامي لذلك لا بد من الوقوف عندها ومقارنتها بالمصادر العربية من كتب الأحاديث والتاريخ والسيرة.

ويبدو أن توجهات جلكريست في ذكره لقصة الراهب بحيرا إنما هي لبيان مدى تأثير الدين المسيحي في النبي ﷺ وكذلك تأثيرها في تعاليم الإسلام؛ إذ كانت توجهات لفيف من المستشرقين إلى القول: إن الدين الإسلامي قد استل أكثر عقائده من الديانة المسيحية .

وكل هذه فرضيات جادت بها قرائح المستشرقين وخيالاتهم الواسعة فضلاً عن

١ - نقلاً عن، أبو ليلة، محمد بين الحقيقة والافتراء (في الرد على الكاتب اليهودي الفرنسي مكسيم رودنسون)، ص ٧٥.

٢ - الأبطال، ص ٦٨.

٣ - بحيرا الراهب : كان من يهود تيماء. وفي «مروج الذهب» للمسعودي أنه كان نصرانياً من عبد القيس، يقال له جرجيس، وهو قد رأى النبي ﷺ قبل المبعث وأمن به، ينظر، ابن مندة، معرفة الصحابة، ص ٣١٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٤٧٥.

أنهم وجدوا ما يعزز أقوالهم، وما خطته أعلامهم من افتراءات في كثير من كتب السيرة والتاريخ ما ينهض دليلاً مسعفاً لأي من تلك الافتراضات؛ فالمستشرقون أنفسهم هدم بعضهم ما افترضه بعضهم الآخر<sup>(١)</sup>.

فتروي لنا كتب السيرة هذا الحادث «أن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً فلما تهباً للرحيل وأجمع السير صب له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته، ياعم إلى من تكلني لا أب لي ولا أم؟ فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي... فخرج به معه فلما نزل الركب بصري من أرض الشام وبها راهب، يقال له بحيرا في صومعة له وكان أعلم أهل النصرانية وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا منه؛ فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة... على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم؛ فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحرکم وعبدكم... قال رسول الله ﷺ لا تسألني باللات والعزى شيئاً فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال: له بحيرا فبالله إلا أخبرتني عما أسالك عنه قال: سلني عما بدا لك... فجعل يسأله عن أشياء من حاله... فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده»<sup>(٢)</sup>، وبحيرا هذا رجل نصراني كان يعلم صفات النبي ﷺ الذي سيأتي من بشارات الأنبياء السابقين قبل أن يطمس اليهود والنصارى معالم تلك البشارات<sup>(٣)</sup>، وأخذ بحيرا بيد النبي محمد ﷺ، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين<sup>(٤)</sup>.

١- محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق، ص ١٩٩.

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٦؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١، ص ٣٦-٣٨.

٣- المطعني، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، ص ٤٩٣.

٤- الخركوشي، شرف المصطفى، ج ١، ص ٤٠٤؛ ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،

يتضح من هذا أن مدة اللقاء كانت قصيرة جداً لم تتجاوز مدة الغداء ولا تسمح بأخذ كل المعلومات التي ذكرها جلكريست من أن النبي محمداً ﷺ قد أخذها من بحيرا الراهب. وعلى افتراض أن النبي محمداً ﷺ تعلم على يد بحيرا الراهب، ألا يحتاج هذا التعلم إلى أوقات طويلة للدراسة، بل إلى انقطاع للدرس والتحصيل من جانب النبي ﷺ، فلقد ولد ﷺ يتيماً وقضى طفولته المبكرة في ديار بني سعد، ثم بعد ذلك عاد إلى مكة وبقي في كفالة جده عبد المطلب، ثم كفالة عمه أبي طالب بعد وفاة جده، وقضى جزءاً من طفولته في رعي الغنم، ثم انتقل بعد ذلك إلى التجارة، وقد ذكرنا أنه خرج في تجارة مع عمه وهو ابن اثني عشرة سنة، وهي المرة التي لقي فيها بحيرا الراهب لقاءً عابراً ثم مرة أخرى في تجارة السيدة خديجة ﷺ، ثم بعد ذلك تزوجها، وبقي في مكة ثم مالت نفسه الشريفة إلى العزلة، وأخذ يتعبد في غار حراء، ويبقى فيه الليالي حتى إذا نزل عليه الوحي بقوله : اقرأ وبعدها بدأت مسيرة الدعوة والجهاد المتواصل حتى أتاه اليقين. هذه هي حياة الرسول ﷺ بإجماع كتب السيرة والتاريخ فهل كان فيها فرصة للتنقل بين يدي هذا المعلم أو ذاك في مكة وخارجها <sup>(١)</sup> .

ثم إن الذي جاء به النبي ﷺ لم يكن يحتوي على بضعة مبادئ أو قليل من التشريعات فقد اشتمل على عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق الغرض منها تنظيم أمور الناس في معاشرتهم، فكيف تسنى للنبي ﷺ أن يتعلم ويحصل على هذا كله وهو في مكة التي لم يبرحها إلا في رحلتين تجاريتين، إحداهما: إلى الشام، وهو صبي في الثانية عشرة من عمره، والأخرى وهو شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، فكيف تسنى له أن يتعلم هذا كله، أو يحصله وهو النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب <sup>(٢)</sup> .

بهذا نرى أنها كانت رحلة عابرة، وكان سن النبي ﷺ لا يؤهله لتلقي الدراسة، أما المدة التي التقى فيها بحيرا فكانت قصيرة ولا تعدو مدة لتناول الطعام، يضاف إلى ذلك

أن النبي ﷺ لم يحارب الوثنية فقط بل عارض المسيحية التي حرفت بعد نبينا عيسى عليه السلام أول ما جهر برسالته .

ولو أن بحيرا هو مصدر هذا الفيض الإسلامي لكان هو الأخرى والأجدر بالنبوة والرسالة لهذا الأمر العظيم؛ فلماذا أودعها للنبي محمد ﷺ؛ فكيف يجوز لعاقل أن يتصور النبي ﷺ تلميذاً لرهبان النصارى يطرح قرآنه ويلقن عقيدته من توراتهم وإنجيلهم وسائر مصادرهم، وهو يتلو القرآن الكريم الذي يصدر في انتقاده لهذه المصادر، وما جاء فيها فإن القرآن الكريم؛ إذ يستعرض أهل الكتاب بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بَمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

هذا من جانب، وأما الجانب الآخر الذي يجب أن نتناوله فهو أن جلكريا يست حين يتناول الروايات والقصص الإسلامية والديانة الإسلامية يعدها نوعاً من الخرافات والتقاليد التي توارثها العرب، ولم يخبرنا ممن استقاها العرب؛ إذ يقول: «القصة الكاملة لهذه الحادثة يدعمها الكثير من المادة الأسطورية الخيالية لكن الحدث ككل يعتبره المسلمون شاهداً مثيراً على المستقبل النبوي من قبل مسيحي متعلم والأسطورة حول ختم النبوة الذي بين كتفيه هي اعتقاد أساسي لإيمان المسلمين حتى يومنا هذا»<sup>(٢)</sup>.

ولكن الأمر اللافت للنظر أن هذه الرواية لم نجد لها دليلاً في القرآن أو الحديث، سوى بعض ما كان يذكره النبي ﷺ لأصحابه من بعض معجزاته عملاً بقول الله تبارك وتعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>(٣)</sup> فكان ﷺ يقول: ((إني لأعرف حجراً كان يسلم علي قبل أن أبعث))<sup>(٤)</sup> فضلاً عن أن هذه الحادثة لم تنقل عن أهل البيت عليه السلام.

١- النساء، ٤٧.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p15-٢.

٣- الضحى، ١١.

٤- الطبراني، الروض الداني (المعجم الصغير)، ج ١، ص ١١٥.

ومن جانب آخر عد جلكريست لقاء بحيرا الراهب هو فرصة لإثبات أن أصل الديانة الإسلامية هو من مدى التأثير الحاصل من الديانة المسيحية أو أن ظهور هذه الديانة هو نتيجة هذا اللقاء، ثم يذهب إلى القول: إن هذه اللقاء الذي حدث بصورة مغايرة لما مذكور بالمصادر الإسلامية إنما اعتمدته المصادر الإسلامية لإثبات نبوة النبي محمد ﷺ؛ لذلك تم تزوين هذا الحادث؛ إذ يطرح القصة الكاملة لهذه الحادثة ويدعمها بالكثير من الأسطورية الخيالية<sup>(١)</sup>.

وإن ما أرادت المصادر إثباته منها هو بيان أن النبي محمداً ﷺ هو المختار ببيان ختم النبوة الذي يحمله بين كتفيه، وأن أصل الاعتقاد بالنبي ﷺ هو لوجود هذا الختم؛ إذ يقول «إن ختم النبوة الذي بيت كتفيه هي اعتقاد أساسي لإيمان المسلمين حتى يومنا هذا»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في الرواية التي ذكرها هذا المستشرق والتي اقتبسها من المصادر الإسلامية دون تدقيق وتمحيص أن بحيرا يسأله عن حاله وأموره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، وهذا يعني أن جلكريست أراد أن يشير إلى أن النبي ﷺ مذكور في الكتب القديمة كالنوراة والإنجيل ذكراً مفصلاً، أي أنه مذكور باسمه وصفته وألقابه وأحواله من يوم ولادته إلى يوم وفاته.

وهنا لابد من إيراد حقيقة ذهبت عن جلكريست أو أنه تغافل عنها لغرض أن يصل إلى غايته، وهي أن كتب اليهود والنصارى المقدسة في العصر الذي بُعث فيه النبي ﷺ كانت بصفته التي هي عليها الآن، ولم يطرأ عليها أي تغيير يذكر منذ ذلك الوقت، وإلى يومنا هذا فلم نجد هذا الوصف الذي اعتمد عليه ليس عند جلكريست فحسب، بل عند مستشرقين آخرين من اليهود والنصارى، وأن هذه الكتب تخلو من أي وصف للنبي ﷺ وختم النبوة الذي تكلم عنه جلكريست، والسبب يعود إلى أن هذه الكتب ليست هي الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام أو التوراة التي نزلت على

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p15-

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p15-



موسى عليه السلام، ولكنها كتب لا تمت إلى التوراة بصلة؛ فهي مجرد سجل إخباري كان تدوينه على أيادي كهان اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>.

وإن ذلك الأمر يدفعنا إلى أن نتساءل عن الكيفية التي تعرف بها على ذلك الخاتم، فهل بين الأنبياء الأولين السابقين للنبي صلى الله عليه وآله ذلك الختم برسم توضيحي وثائقي لا يحتمل الشك والخطأ لكي تكون واضحة إلى درجة يتعرف عليه بحيرا دون غيره.

ثم إن من جملة الحوار الذي دار بين بحيرا الراهب وأبي طالب، والذي ذكره جلكرايست هو أن «الراهب حذره على وجه الخصوص كل الحذر من اليهود»<sup>(٢)</sup>.

وهنا ينبغي الالتفات إلى مسألة مهمة هي: إذا كانت التوراة تبشر بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله هذا التبشير؛ فلماذا يريد اليهود قتله، وهم يؤمنون بالتوراة، ولماذا يريدون قتله وهو لما يزل غلاماً صغيراً ولم يكن قد ظهر منه ما يدل على إعلان النبوة في هذا العمر وهذا الوقت المبكر؟

وقد تأثر جلكرايست بغيره من المستشرقين، وذهب أيضاً إلى ما ذهبوا إليه؛ فقد زعم جورج<sup>(٣)</sup> بوش أن بحيرا هو الذي درس محمداً صلى الله عليه وآله تاريخ الكتاب المقدس اليهودي والمسيحي وما به من عقائد، وأن بحيرا هو واضع خطة الدين الجديد الذي هو مزيج من اليهودية والمسيحية، ومن ثم فإن بحيرا هو المسؤول أكثر من محمد عن السور المهمة في القرآن الكريم...<sup>(٤)</sup>، وهذا الكلام لا يمكن الركون إليه فإذا كان الإسلام مثلما ادعى بوش فرعاً منبثقاً عن اليهودية والنصرانية ومزيجاً منهما فهل جاءت عقائده وتشريعاته مماثلة لعقائد وتشريعات كل منهما أم مخالفة ومناقضة لهما.

١- بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، ص ٥٨٢.

٢- جورج بوش: مستشرق أمريكي، كان أستاذاً في اللغة العبرية والآداب الشرقية في جامعة نيويورك وله مؤلفات

٣- جورج بوش: مستشرق أمريكي، ينظر: بغدادي، كتاب محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين للقس الأمريكي جورج بوش (١٧٩٦-١٨٥٩م) عرض ونقد، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ١١.

٤- محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين، ص ١٤٤.

يقول وليم موير «وخلال مدة مكوثه في بصرى انتهز الفرصة ليتحقق من ممارسات الكنيسة السورية ومعتقداتها فحاور الرهبان ورجال الكنيسة الذين صادفهم في طريقه»<sup>(١)</sup>. في حين إن الروايات تذكر أن مدة اللقاء كانت قصيرة جداً ولا تسمح بأخذ كل المعلومات التي زعم جورج بوش ومویر أن النبي محمداً ﷺ قد أخذها من بحيرا الراهب. وقد تغافل جلكريست حقيقة أن آخر الديانات السماوية هي الديانة الإسلامية التي ظهرت قبل ألف وأربعمائة سنة ودون كتابها في أثناء حياة نبيها ﷺ وكتبت أحاديث النبي ﷺ وسيرته ومغازيه خلال القرن الأول من نزول هذه الديانة، والغريب أن جلكريست يذكر أن الديانة الإسلامية تحتوي كثيراً من التقاليد القديمة، وكذلك تحتوي مادة أسطورية خيالية في حين تناسى جلكريست أن كتاب التوراة المنزل على النبي موسى ﷺ وكتاب الإنجيل المنزل على النبي عيسى ﷺ قد ظهرا قبل الديانة الإسلامية، وقد تم تدوينها بعد مدة بعيدة عن نزولها أي أن هناك فوارق بين الأزمنة، أزمنة نزولها، وأزمنة تدوينها؛ فالأحرى أن تكون هذه المدونات التي دونوها هي من تحتوي على هذه المادة الأسطورية والخيالية .

ولم يذكر جلكريست حقيقة مهمة وهي وجود نسخة واحدة للقرآن الكريم في حين إن هناك عدداً ليس بالقليل من النسخ للتوراة والإنجيل دونت كل نسخة منها بصورة مختلفة عن النسخة الأخرى، ولم تدون سيرة أنبيائهم، وهم لا يزالون يعتمدون في تدوين سيرة أنبياء الله السابقين على القرآن الكريم، وهذا ما دفع الكثير من المستشرقين إلى اعتناق الإسلام بعد البحث والدراسة، ومنهم المستشرقة كارن ارمسترونج<sup>(٢)</sup> التي قالت: «إن الرسول ﷺ كان رجلاً خيراً ذا خلق حسن مع النساء حكيماً محباً للأطفال، رفيقاً

١- The Life of Mohammed، p.18-١

٢- ارمسترونج : مستشرقة بريطانية ولدت سنة ١٩٤٤ في بريطانيا وهي كاثوليكية الديانة ثم تحولت بعد ذلك إلى الديانة الإسلامية بعد لقاءات متعددة مع أهل الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلامية ولها كتابات منصفة للإسلام، وكتابه، ونبيه، للمزيد ينظر : وزوز، الاستشراق المنصف ما له وما عليه كارن ارمسترونج أنموذجاً، بحوث مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه، ص ١٠٣٠ .

بالحيوان، وإنه حمل رسالة أعظم من رسالة المسيح (عليه السلام)<sup>(١)</sup>، وهذا دليل على تغير عقيدة الكثير من المستشرقين بعد قيامهم بالدراسة والتحليل للديانة المسيحية والإسلامية.

## ٦- زواج النبي ﷺ من خديجة

إن زواج النبي ﷺ هو من الموضوعات المهمة التي تهافت عليها المستشرقون لغرض الطعن والتحريف من خلالها في سيرة النبي ﷺ فأعدوا حراهم بدلاً من أفلامهم لغرض تشويه حياة النبي ﷺ وبخاصة فيما يتعلق بمسألة زواجه .  
ولذلك يجب التعرف في البداية على نسب خديجة (عليها السلام)؛ فهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى<sup>(٢)</sup>، فهي تجتمع مع النبي ﷺ في قصي. وقد جمعت السيدة خديجة المناقب العديدة، فقال الإمام الصادق (عليه السلام) بشأنها: «... خديجة بنت خويلد... سيدة نساء قریش...»<sup>(٣)</sup>.

فقد جمعت إلى جانب ثروتها المادية الشرف والعفة والعقل والحكمة، و أشارت المصادر الإسلامية<sup>(٤)</sup> إلى أنها كانت امرأة حازمة شريفة مع ما أراد الله من كرامتها، فأرسلت إلى النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها، وكانت من أوسط نساء قریش نسباً وأكثرهن مالاً، وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكثير من أبناء قومها حريصون على الاقتران بها لو يقدر لهم ذلك.

وكانت خديجة أول امرأة تزوجها النبي ﷺ<sup>(٥)</sup>، وفي زواج النبي ﷺ من خديجة (عليها السلام) جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : «...وقالت اي خديجة يا محمد اعرض عليك أمراً... قال، وما هو ؟ قالت أريد أن تتزوجني، فقد تباركت بك، ورأيت منك ما أحب، وأنا من عرفت شرفي وحسبي ونسبي وموضعي من قومي وسيادتي في الناس، وكثير لا ينالون

١- نقلاً عن، وزوز، الاستشراق المنصف ما له وما عليه كارن ارمسترونج أنموذجاً، ص ١٠٣٥.

٢- الدولابي، الذرية الطاهرة النبوية، ص ٤٤.

٣- الحميري، قرب الإسناد، ص ٣٢٦.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٢٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٩.

٥- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٢٢.

تزويجي، وقد عرضت نفسي عليك، فقال لها رسول الله أو تفعلين ذلك؟ فقالت: ما قلت إلا ما أريد أن أفعله فقال لها: حتى استأمر عمي وأخبرك ما يكون إن شاء الله تعالى، وانطلق إلى عمه فأخبره ما قالت خديجة، فقال له عمه: يا بني إنها من قوم كرام فتزوجها، ولا تخالفها فإنها فائقة الحسب والنسب والشرف والمال...»<sup>(١)</sup>.

واعتماداً على ما ورد من روايات للإمام الصادق عليه السلام يمكن أن نذهب إلى أن كل ما يروى من أن التجارة والعمل التجاري مع النبي صلى الله عليه وآله هو السبب الرئيس في زواج خديجة عليه السلام هو كلام غير مقبول وعار عن الدقة، لأن الحديث عن الأسباب التجارية يعطي انطباعاً مادياً وكأن الأمر كان بصفة (صفة تجارية).

والذي يثبت ذلك أنه عند التدقيق في الروايات نجد أن قرار خديجة بعرض نفسها على النبي صلى الله عليه وآله وطلب الزواج منه، كان يسبق هذه الروايات التي تحدثت عن هذه الكرامات والربح التجاري الذي حصل في السفرة الثانية إلى الشام. ففي رواية الإمام الصادق عليه السلام: «...وكانت لخديجة منظر في مستشف الطريق تقعد فيها ونساء قومها، وكانت قاعدة في المنظر تنظر إليه ومن معها من النساء، فقالت هن: يا هؤلاء ما ترين أن لهذا قدراً عظيماً»<sup>(٢)</sup>. نلاحظ في هذه الرواية أموراً تدل على أن خديجة كانت مشغوفة بحب النبي صلى الله عليه وآله، إذ إن صعودها في العلية مع نساء لها لتتنظر إلى النبي صلى الله عليه وآله حين دخوله في بداية الطريق، فلا شك أن صعودها في ذلك اليوم لم يكن عن مصادفة، بل كان عن قصد وإرادة، إذ بلغها قدوم النبي صلى الله عليه وآله من الشام بالقافلة في ذلك اليوم فجلست تنتظره لكي تراه وتشخصه يدفعها إلى ذلك أنها رأت أن له قدراً عظيماً.

ويرى المفتي «أن المسلمين يعدون أن حياة محمد صلى الله عليه وآله وأقواله وأفعاله جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية التي تقوم على القرآن والسنة كما تعرضت لزواجه صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة (رضوان الله عليها) التي جذبت استقامته انتباهها فكلفته بتجارها الواسعة وأرسلت

١- الخصب، الهداية الكبرى، ص ٥١.

٢- م. ن، ص ٥١.

معه مسيرة الذي حكى لها بعد عودته عن المعجزات التي أتى بها الرسول ﷺ في رحلته»<sup>(١)</sup>. وفي رواية للإمام الصادق عليه السلام أنه قد طلب زواجها رجال قريش وبذلوا لها الأموال فلم تقبل، فقد ورد عنه عليه السلام: «وقد خطبها كل صنيدي ورئيس قد ابتهم، فزوجته نفسها...»<sup>(٢)</sup> وهذا يؤكد أن إصرارها على عدم الاقتران بأي شخص هو قرار متخذ قبل وقت من قيام النبي ﷺ بسفرته الثانية للشام التي تحدث عنها الرواة وعدوها السبب الرئيس لهذا الزواج. وهذا ينفي أن يكون أمر الزواج مرتبطاً بأسباب تجارية.

ولا يخفى أن خديجة (رضوان الله عليها) كانت تعيش مع النبي ﷺ في بلد واحد<sup>(٣)</sup>. فلا شك في أنها تعرف النبي ﷺ وتعرف ما اشتهر به بين أهل مكة من الصدق والأمانة وغير ذلك. وقد كانت السيدة خديجة متزوجة قبله مرتين ولو شاء أن يتزوج فتاة تقاربه في العمر لكان له ما يريد<sup>(٤)</sup>. وتزوجها النبي ﷺ في الوقت الذي كان يحتاج فيه إلى امرأة عاقلة حكيمة تدرك سمو المهمة العليا التي اختارها الله لها وتشد أزره بما كان لها من مكانة رفيعة في قومها<sup>(٥)</sup>. ويمكن أن نستدل على ذلك بقوله ﷺ عن أبي سعيد الخدري<sup>(٦)</sup> أنه قال: قال رسول الله ﷺ ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحي جاءني من جبريل عن ربي عز وجل<sup>(٧)</sup>.

ولأنّ ماذهب إليه جلكريست في موضوع زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة (رضوان الله عليها) من أنه كان لغرض مادي موضوع عارٍ عن الصحة وقد نوهنا إليه سابقاً عندما تناولنا عمل النبي ﷺ. ويمكن أن نستشهد بما ذكره المستشرق الإيرلندي السير وليم

١- المفتي، الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين الإيطاليين في الكتابة عن الرسول ﷺ والسيرة النبوية المستشرقة الإيطالية ريتادي ميليو أنموذجاً، ص ٩١.

٢- الحميري، قرب الإسناد، ص ٣٢٦.

٣- الحلبي، السيرة الحلبية، ج ١، ص ٢٢٣.

٤- الفحام، نظرة عصرية جديدة، ط ١، ص ٧٦.

٥- الترمذاني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة)، ص ٢٥٣.

٦- أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي المدني: كان من علماء الصحابة ومن شهد بيعة الشجرة، روى حديثاً كثيراً وأفتى مدة وأبوه من شهداء أحد، عاش أبو سعيد ستاً وثلاثين سنة، للمزيد ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣٦.

٧- ابن جماعة، المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، ص ٩٠.

موير؛ إذ قال : «إن محمداً لم يكن في وقت من الأوقات طامعاً في الغنى، إنما سعيه كان غيره، ولو ترك الأمر لنفسه لآثر أن يعيش في هدوء وسلام قانعاً بحالته»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن اتضح لنا أن السبب الأرجح لإقدامها على تزويج نفسها من النبي ﷺ هو إعجابها الشديد وانبهارها الكبير بهذه الشخصية العظيمة لما تحمله من ثقة عالية بالنفس ومن الصدق في التعامل والكمال الإنساني الذي تجلى واضحاً في شخصية النبي ﷺ، إذ إن النبي ﷺ هو الآخر كان يبادلها المشاعر نفسها فكانت تحظى عنده بمكانة عالية من التقدير والحب والمودة، يقول كليمان<sup>(٢)</sup> «كيف تعرف محمد إلى خديجة، وكيف أمكن أن يحصل على ثقته ويتزوج بها، الجواب على الشق الأول لا زال غير معروف عندنا، وأما على الشق الثاني فقد اتفقت الأخبار على أن محمداً كان في الدرجة العليا من شرف النفس، وكان يلقب بالأمين، أي بالرجل الثقة المعتمد عليه إلى أقصى درجة، إذ كان المثل الأعلى في الاستقامة»<sup>(٣)</sup>.

كذلك قال المستشرق سيديو<sup>(٤)</sup>، في الجزء الأول من كتابه: «ولقد بلغ محمد من العمر خمساً وعشرين سنة استحق بحسن سيرته واستقامته مع الناس أن يلقب بالأمين ثم استمر على هذه الصفات الحميدة حتى نادى بالرسالة ودعا قومه إليها فعارضوه أشد معارضة، ولكن سرعان ما لبوا بدعوته وناصروه، وما زال في قومه يعطف على الصغير ويحنو على الكبير»<sup>(٥)</sup>.

١- نقلاً عن، عصفور، الافتراءات الواردة على الرسول والقرآن، ص ٧٨.

٢- كليمان : ولد في باريس سنة (١٨٥٤-١٩٢٧) وتخرج من مدرسة اللغات السامية ومدرسة الدراسات العليا وعين مترجماً في قنصلية فرنسا بدمشق ثم في الأستاذة ثم عين قنصلاً ثم استدعي إلى باريس كأمين سر ومترجم في وزارة الخارجية وشارك في مؤتمر المستشرقين بالجزائر ثم انصرف إلى العلم والتدريس وأصبح أستاذاً للعبية والفارسية والتركية في مدرسة اللغات الشرقية، له العديد من الآثار منها ترجمة أنيس العشاق وتاريخ العرب في جزأين، والتقاليد اليهودية والمسيحية في اليمن . للمزيد ينظر : العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٢١٢.

٣- نقلاً عن، عصفور، الافتراءات الواردة على الرسول والقرآن، ص ٧٨.

٤- سيديو : مستشرق فرنسي ولد في باريس سنة ١٨٠٨ وكان والده مستشرقاً وفلكياً وتعلم على يد أبيه اللغات الشرقية والرياضيات وقد عين مدرساً للتاريخ في المدارس الثانوية فقام هو بمتابعة أبحاث أبيه في ميدان تاريخ الفلك والرياضيات، وله أبحاث عديدة في الفلك والرياضيات . للمزيد ينظر : بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٣٤٥.

٥- تاريخ العرب العام، ص ٥٨.



وبلغ من مكانة السيدة خديجة عند النبي ﷺ أنه لم يتزوج عليها طيلة حياتها معه حتى توفيت، وهذا يدل على ما كانت تحظى به من قيمة عليا عند سيد المرسلين ﷺ، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قوله: إن رسول الله ﷺ لم يتزوج على خديجة<sup>(١)</sup>، وقد جاء على لسان النبي ﷺ المزيد من الثناء على خديجة، فذكر فضائلها ومكانتها، وقال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»<sup>(٢)</sup>.

ولقد احتوى سجل أهل البيت (عليهم السلام) تاريخ جدهم المصطفى ﷺ وسيرته العطرة، فالروايات الواردة عنهم (عليهم السلام) تنفي كل ما ورد من إساءة بخصوص ما حصل في مراسم خطبة السيدة خديجة (رضوان الله عليها)، فقد روي أنه عندما أراد رسول الله ﷺ أن يتزوج خديجة بنت خويلد، «أقبل في أهل بيته ومعه نفر من قريش... فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي هذا يعني النبي ﷺ ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقللاً فإن المال رفدٌ جارٍ وظل زائل، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله....»<sup>(٣)</sup>.

إن حالة القبول بالآخر أي من قبل النبي ﷺ والسيدة خديجة كانت موجودة لدى الاثنين ولا يمكن أن تكون قد أبدتها السيدة خديجة (عليها السلام) لأنها على خلق عظيم، كما قد ذكرها «جلكريست سابقاً»، كما أن النبي ﷺ كان يتحلى بالخلق القويم الذي أعده الله له لكي يقبل مثل هذا الأمر، فضلاً عن أن حالة المجتمع العربي قبل الإسلام لا يمكن أن تتقبل

١- الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٣٩١.

٢- ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٣١٦؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٤٩٧؛ محب الدين الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص ٤٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٣، ص ٤٦؛ الأمين، أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج ٦، ص ٣١٢.

٣- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٣٩٧؛ الطبرسي، إعلام الوری بأعلام الهدى، ج ١، ص ٢٧٤.

مثل هذه الأمور في قيام المرأة بعرض الزواج وبخاصة النساء اللاتي كنَّ يشتهرن بالحسب والجاه، وأن حالة الزواج التي حصلت بين النبي ﷺ والسيدة خديجة ماهي إلا حالة اعتيادية كأى حالة زواج تقليدية من حيث العادات والتقاليد المتبعة آنذاك .

كما أنه عندما عرضت عليه الزواج لم يتردد في القبول، لأنه خبرها وعرفها طيلة مدة العمل معها، وعرف سجايها النبيلة وخلقها الرفيع، وشعر أنها هي الوحيدة القادرة على تحمل ما يشغله، فهي من أسرة متدينة عرفت التوحيد، وهي نفسها مؤمنة وإن لم تذكر الروايات ذلك، والدليل أنها صدقته عندما تبيء ولم تتردد في اتباعه، في الوقت الذي كذبه الناس، وتحملت معه في تبليغ الرسالة ما يعجز عنه أقوى الرجال .

وإذا كان زواج النبي ﷺ لأهداف مادية مثلما ذهب إليه جلكريست وأنه أعطاه الفرصة لغرض التأمل في أحوال قريش وما كانت تعيشه في وقتها؛ فكيف بالنبي ﷺ وأنه قدم مهراً ضخماً لها؛ إذ ذكر صاحب السيرة الحلبية أنه قدم مهراً قدره «عشرين بكرة، وقيل: اثنتي عشرة أوقية ونش أي ما يعادل خمس مئة درهم، وقيل غير ذلك»<sup>(١)</sup>. مما يدل على أن الشخص الذي يقدم مثل هذا المبلغ أو القيمة الاعتبارية في المنظور الإنساني هو دليل على قوة الوضع الاقتصادي الذي يعيشه هذا الفرد مما يفند ادعاء هؤلاء المتحاملين على شخص النبي ﷺ لغرض المساس بسيرته .

وإن الصداق من عادات العرب، إذ أكد ذلك آتين بقوله: «لم يكن العرب يتزوجون المرأة إلا بعد أن يجعلوا لها صداقاً تتمتع به في حال طلاقها ولقد ساد هذا العرف الحكيم الذي شرع في بلاد تتعدد فيه الزوجات وأكدت آيات عديدة من القرآن وأصبح هو القانون السائد بين المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

وأردف جلكريست القول: إنَّ خديجة (رضوان الله عليها) قد ولدت له «وقد ولد

١- الحلي، السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٣٨-١٣٩.

٢- السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ص ٤١.

سبعة أطفال من هذا الزواج ولكن أبناءهم الثلاثة توفوا للأسف في مرحلة الطفولة»<sup>(١)</sup>، وللاحاطة بمثل هذا الموضوع يمكن ان نستعرض الروايات التاريخية التي تناولت أولاد النبي ﷺ، ومثلما اشتد الجدل في مسألة زواج السيدة خديجة (رضوان الله عليها) من النبي ﷺ، برز جدال من نوع آخر، وهو أن زينب ورقية وأم كلثوم هن لسن بنات النبي ﷺ بل ربائبه، وأنهن بنات أخت خديجة (رضوان الله عليها) وقد توفيت أمهن فربتهن وعرفن فيما بعد ببنات النبي ﷺ.

وهذا ما ذكره ابن شهر آشوب<sup>(٢)</sup> الذي نقل بدوره ما ورد في كتابي «الأنوار»<sup>(٣)</sup> و«البدع»<sup>(٤)</sup> أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة .

وتعد نسبة زينب ورقية وأم كلثوم إلى النبي ﷺ بوصفهن بنات له من المسائل التي أخذت جانباً كبيراً من اللغط، والقبول والرفض، فعلى الرغم من ذهاب بعضهم إلى أنهن بنات النبي ﷺ، فإن هناك آراء جدلية تجزم بأنهن ربائبه .

وهنا لابد من التصريح بنصوص الروايات المعتبرة؛ فعن الحميري بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «وُلِدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ: الْقَاسِمُ، وَالطَّاهِرُ، وَأُمُّ كُلْثُومَ، وَرُقِيَّةُ، وَزَيْنَبُ، وَفَاطِمَةُ»<sup>(٥)</sup>.

والجميع يعلم دقة النص القرآني، فحين تذكر الآية الكريمة البنات بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد فإن هذا يعني أن هناك عدداً من البنات لا بتناً واحدة استناداً إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

١- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p16-

٢- مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٣٧.

٣- كتاب الأنوار ومفتاح السرور والأفكار في مولد محمد ﷺ، أبو الحسن البكري، وهو أبو الحسن أحمد بن عبد الله البكري، لا يوثق بروايته وكان كثير الكذب واضع القصص، توفي في أواسط القرن الثالث للهجرة. ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ج ١، ص ١١٢؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ١، ص ٢٠٢.

٤- كتاب البدع: هو كتاب أبي القاسم الكوفي المتوفى سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٢م وهو كتاب «الاستغاثة في بدع الثلاثة»، قال ابن معين: «ليس بثقة» وذكره النسائي في المتروكين، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: «لين الحديث، وذكره العقيلي في «الضعفاء»، وابن حبان في «المجروحين»، وقال الدارقطني: «منكر الحديث»، ينظر: الكوفي، تاريخ الثقات، ص ٧١؛ البغداد، إيضاح المكنون في الذليل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ٢٧٨.

٥- الحميري، قرب الإسناد، ص ٩.

٦- الأحزاب: ٥٩.



وبما أننا نذهب مع الرأي القائل: إن النبي ﷺ له سبعة أطفال، وهو الرأي الذي تبناه جلكريست يدفعنا هذا الأمر للتشكيك بعمر السيدة خديجة وأن عمرها أقل من الأربعين الذي ذكره جلكريست؛ فإذا كان لها سبعة أطفال وعمرها في بداية زواجها كان أربعين عاماً؛ فيعني أن عمرها قد كان سبعة وأربعين سنة، وهو عمر لا يؤهلها لإنجاب هذا العدد من الأطفال حتى لو أخذنا بالحسبان أن المرأة في المناطق الحارة يكون سن اليأس الخاص بها للإنجاب خمسين سنة، ومن ثم فإننا نذهب مع الرأي القائل: إن عمر السيدة خديجة خمس وثلاثون سنة أو أقل من ذلك.

#### ٧- إعادة بناء الكعبة

حينما تناول جلكريست هذا الموضوع تعامل معه على أساس أن معلوماته مؤكدة وقصته حقيقية في مجمل تفاصيلها<sup>(١)</sup>.

فهو أشار إلى قدسية الحجر الأسود وموضعه بقوله: «وكانت السمة الرئيسة للكعبة هي الحجر الأسود الذي وضع في الزاوية الشمالية الشرقية ... وأنه نزل من السماء بيد الملائكة ... إلى آدم أو كما تقول أساطير أخرى إلى إبراهيم»<sup>(٢)</sup>.

ولكنه أغفل الدور الذي أداه النبي الأكرم ﷺ في إنهاء حالة النزاع الذي كان على وشك أن يتطور إلى اقتتال بين القبائل المكية وزعمائها حول إرجاع الحجر الأسود إلى مكانه وهذا ما أكدته المصادر الإسلامية؛ إذ وصل الأمر بهم «إلى أن القبائل المكية التي كانت مشتركة في بناء الكعبة بعد أن أصابها السيل إلى أن عدت عبد الدار «جفنة»<sup>(٣)</sup> وملؤوها دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في جفنة الدم إيذاناً باستعدادهم للقتال حتى الموت ولذلك سموا لعقة الدم»<sup>(٤)</sup> وكل ذلك من حمية العصبية»<sup>(٥)</sup>.

١- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p17-١.

٢- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p17-٢.

٣- الجفنة: (البئر الصغيرة) تشبيهاً بجفنة الطعام، ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٣٤، ص ٣٥٩.

٤- لعقة الدم: أحلاف من قريش، وقال آخرون هم بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو عدي وبنو سهم وبنو جمح وسموا بذلك لأنهم تحالفوا فتحروا جزوراً فلعقوا من دمها، أو لأنهم غمسوا أيديهم فيه، و(لعقة الدم) قبائل من العرب، ينظر، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٢٦، ص ٣٥٩؛ مصطفى، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٨٢٨.

٥- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٣٠٣.



ولا تزال قريش على هذا الحال إلى أن قام أبو أمية بن المغيرة<sup>(١)</sup> محاولاً إيجاد حل فرعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال: من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه؛ ففعلوا فكان النبي ﷺ أول من دخل عليهم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه بالخبر قال ﷺ هلم إلي ثوباً فأتي به فأخذ الحجر فوضعه في يده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم رفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده وكانت قريش تسمي الرسول ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين<sup>(٢)</sup>.

ومن اللافت للنظر أن جلكريست لم يغفل دور النبي ﷺ ومكانته بين قومه نتيجة رأيه الصائب وحله المناسب وإنما حاول أن يربط بين إحساسه بقيمة هذا العمل من جهة وبين اعتقاده بأنه النبي ﷺ المنذر؛ إذ قال جلكريست: «لا شك في أن الحادث الذي انتخب فيه ليكون الحكم بين القبائل المتنازعة في مكة في قضية وضع الشيء الأكثر قداسة في الكعبة كان له علاقة كبيرة بإيمانه لاحقاً وربما كان هو السبب الصريح الواضح في اعتقاده بأنه قد تم اختياره على أن يكون الرسول المنذر المعين من قبل الله»<sup>(٣)</sup>.

أما الأسباب التي أدت بقريش للقيام بعملية الهدم وإعادة البناء، فيبينها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إنها هدمت قريش الكعبة لأن السيل كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها فانصدعت، وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر، وكان حائطاً قصيراً»<sup>(٤)</sup>.

ولقد دلت الدراسات الإسلامية لسيرة النبي الأكرم ﷺ على أن علامات النبوة قد رافقته منذ ولادته وأن بعضاً من تلك الدلائل كانت سابقة على ميلاده، والتي دلت على أنه سوف يكون للعرب النبي المرتقب الذي ينشر لواء الإسلام في جميع بقاع العالم،

١- هو أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو القائل: اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا فكان أول داخل عليهم هو النبي ﷺ، أسلم يوم فتح مكة، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩٧.

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩٧.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p18- ٣.

٤- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٢١٧؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٤٧.



ويؤسس لدولة العدل الإلهي الأساس الذي سوف تقوم عليه؛ إذ كانت نبوة النبي ﷺ قديمة قدم الخلق بالاستناد إلى قوله ﷺ «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»<sup>(١)</sup>. وإن ترحيب القبائل المتنازعة بالنبي ﷺ ليكون حكماً وفيصلاً بينهم، ووصفهم له بالصادق الأمين يدل على المكانة المتميزة التي كان يتمتع بها ﷺ في أوساط قومه، كما أن مبادرته إلى تقديم الحل المناسب والحاسم للنزاع من غير تردد أو تلوؤ تدل على مدى ما كان يتمتع به من حكمة وسرعة بديهة وحلم في مواجهة المواقف الصعبة، فارتفعت مكانته في نظر عشيرته وقومه.

ويتحدث الرسول الأكرم عن قدم رسالته ودلائل نبوته حين رأت أمه يوم مولده نوراً أضاء قصور الشام؛ إذ قال النبي ﷺ : «إني عند الله لخاتم النبيين، وأن آدم عليه السلام لمجندل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي»<sup>(٢)</sup>. وقد تعرض إلى حادثة وضع الحجر المستشرق الألماني أغسطينوس مولر<sup>(٣)</sup>؛ إذ تعرض لسياسة النبي محمد في هذا المقام، وأنه أدهش قريشاً بسياسته الرشيدة<sup>(٤)</sup>. ولقد علق عدد من المستشرقين على هذا الحادث بتعليقات مليئة بالتقدير والإعجاب لهذه المقدرة العبقريّة التي مكنت محمداً من تفهم موقفه بسرعة عظيمة، لغرض إرضاء زعماء قريش جميعاً<sup>(٥)</sup>.

## المبحث الثاني

### الوحي والنبوة

#### ١ - الوحي لغةً واصطلاحاً

الوحي لغةً : هو الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقته

١- العسبي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ج٧، ص٣٢٩؛ الفريابي، كتاب القدر، ص٢٨.

٢- الطبراني، المعجم الكبير، ج١٨، ص٢٥٢.

٣- أغسطينوس مولر (١١٤٨ هـ - ١٨٩٤ م) : باحث ألماني له العديد من المؤلفات أشهرها كتابه الإسلام، ينظر، ياقوت، نبي الرحمة الرسالة والإنسان، ص١٥٣.

٤- نقلاً عن، الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة، ص٢١.

٥- الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة، ص٢١.

إلى غيرك. يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت. ووحى وحياً وأوحى<sup>(١)</sup>، فالوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب والرسالة... وأوحى الله تعالى ووحى. قال: وحى لها القرار... والوحي: السريع: والوحي: الصوت<sup>(٢)</sup>.

في حين يقال إنه ما يوحيه الله عز وجل إلى أنبيائه، سُمي: وحياً، لأن الملك ستره عن جميع الخلق، وخص به النبي المبعوث إليه. قال الله تعالى: ﴿...يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُوراً...﴾<sup>(٣)</sup>، فمعناه: يُسر بعضهم إلى بعض<sup>(٤)</sup>.

وقد أوضح الكسائي<sup>(٥)</sup> ذلك بالقول: «وحى إليه بالكلام يحي به وحياً، وأوحى إليه، وهو أن يكلمه بكلام يخفيه من غيره»<sup>(٦)</sup>، أي إنه الإعلام الخفي، وهذا ما أكدته القرآن الكريم في كثير من الآيات، ومنها قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(٧)</sup> وهو إلهام فطري للحيوان، وهناك إلهام فطري للإنسان كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٨)</sup>، فضلاً عن الإلهام الغريزي وهو التسخير والنطق لمن جعله حياً، وأخيراً الإلهام الإلهي الخاص بالأنبياء، وهو الخاص بتبليغهم تعاليم السماء<sup>(٩)</sup>.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>.

١- ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٧٩؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٩٧.

٢- القزويني، معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ٩٣.

٣- الأنعام: ١١٢.

٤- الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج ٢، ص ٣٤١.

٥- الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي النحوي توفي (١٨٩ هـ - ٨٠٥ م) أحد أئمة القراء من أهل الكوفة، استوطن بغداد، صنف معاني القرآن، والآثار في القراءات، للمزيد بنظر، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٤٠٢.

٦- الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٥، ص ١٩٥.

٧- النحل: ٦٨.

٨- القصص: ٧.

٩- الأعرجي، الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ص ١٦.

١٠- المائدة: ١١١.

**الوحي اصطلاحاً:** بادر عدد كبير من الباحثين والمفكرين بايجاد تعريفات اصطلاحية للوحي منها: «الإشارة السريعة على سبيل الرمز والتعريف، وما جرى مجرى الإيحاء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به ... فأصل الوحي قد يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض»<sup>(١)</sup>.

في حين ذهب عبد الرزاق، وهو أحد الباحثين في مسألة الوحي إلى القول «إن اشتقاق الوحي بمعنى إلهام من الوحي أي بمعنى السرعة لأن الوحي يجيء بسرعة ويتلقى بسرعة»<sup>(٢)</sup>، وهذا مرتبط بالقدرة الالهية لله عز وجل، وأضاف «أن أصل المادة السرعة والخفاء معاً، فالوحي الإعلام السريع الخفي وأصل ذلك إلقاء الشيء إلى الغير»<sup>(٣)</sup>.

وهناك من عرفه اصطلاحاً بأنه: إلقاء الله الكلام أو المعنى في نفس النبي ﷺ بسرعة وخفاء، ومن هنا كان معنى الوحي في الشرع أخص منه في اللغة؛ إذ إن المصدر من الله والجهة المرسل إليها هم الرسل.<sup>(٤)</sup>

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نلاحظ أن مصدر الإلهام والوحي هو الله عز وجل؛ فالوحي هو الطريقة التي من خلالها يوصل الله عز وجل الرسائل السماوية إلى البشر بوساطة من يصطفاهم لذلك من الأنبياء .

### جلكريست ومفهومه للوحي

وإذا رجعنا إلى رؤية جلكريست حول مفهوم الوحي فنراه قد كوّن فكرته من خلال التشكيك بمسألة الوحي؛ فليس هناك وحي قد نزل على النبي ﷺ وذلك في قوله «من الضروري أن نفكر بالمسار الكلي لتجربة محمد مع الوحي لكي نفهم قلب وروح الدين الإسلامي . والأمر الأكثر أهمية أنه كان هناك حذر وبقطة حول كيف أعد محمد لهذا الدين و ما الذي قاده إلى القناعة والإيمان الراسخ بأنه اختير من بين الناس كواحد من

١-الأعرجي، الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ٩ - ١٤ .

٢-الدين والوحي والإسلام، ص ٤٦ .

٣-عبد الرزاق، الدين والوحي والإسلام، ص ٤٦ .

٤-عنتر، نبوة محمد ﷺ في القرآن، ص ١٦٥ .

أنبياء الله العظماء، فهناك تناقض واضح في هذا الأمر بسبب أنه بدأ دعوته الدينية، ليس كشخص طامح للمجد أو منصب النبوة وإنما بدلاً من ذلك، ونوعاً ما كباحث روحي في صميم الرؤى المتألقة التي قبله»<sup>(١)</sup>.

والذي يستقرى النص أعلاه يمكن أن يتوصل إلى أن جلكريايت قد زعم أن الدين الإسلامي هو من تخطيط النبي محمد ﷺ؛ فهو يجزم أنه لا يوجد هناك وحي، ثم بعد ذلك يصور النبي ﷺ على أنه باحث في المسائل الروحية أو حاله حال أي متصوف يحاول إيجاد حلول لمشاكل المجتمع الذي يعيش فيه، ومن ثم يكون مصدر الوحي بحسب رأي جلكريايت مصدراً بشرياً أي أنه من عند النبي ﷺ، كما زعم غيره «من أن القرآن هو من وضع شخصية محمد غير الواعية»<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن المستشرق المتحامل يفتش عن أية ثغرة في تاريخ المسلمين، أو عن أي خطأ وإن كان غير مقصود<sup>(٣)</sup>، فيقول المستشرق جلكريايت: «المعروف أنه ولبعض الوقت اعتاد الانعزال في جبل حراء في خارج مكة للتأمل في معنى الحياة في عزلة ووحدة هادئة لا يزعجه فيها أحد. هنا كان يستطيع التفكير، وبدون خوف من العقاب والأذى الاجتماعي، حتى يشكك ويتفكر ويتساءل حول اعتقادات الناس في مكة»<sup>(٤)</sup>، وهنا يجب أن نصحح الخطأ الذي وقع فيه المستشرق، وهو أن غار حراء في جبل ثور وليس جبل حراء، فضلاً عن أنه لم يوضح ما سبب الخوف الذي ألمح إليه جلكريايت؟ وما الأذى الذي قد يتعرض له النبي بمجرد التفكير بأوضاع أهله في مكة؟ وقد حاول الكثير من المستشرقين دراسة العقائد الإسلامية وسيرة النبي ﷺ لعلها تكون منفذاً يمكن من خلاله الطعن في ديانة المسلمين للوصول إلى هدفهم الأساس وهو الحد من الإسلام؛ فتعرضوا للوحي القرآني وأخذوا على عاتقهم تصوير الوحي بأنه حالات

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p75-١

٢- وات، محمد في مكة، ص ٩٥.

٣- جبياد، الإمام علي عليه السلام في كتابات المستشرقين (دراسة تاريخية تحليلية)، ص ٢٣٩

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p75- ٤

نفسية يتعرض لها النبي ﷺ ولم تصل له عن طريق السماء، وأن القرآن الذي جاء به النبي ﷺ هو من صنع يديه أو أنه أفاد مما توافر لديه من التعاليم اليهودية والمسيحية<sup>(١)</sup>. واتفق جلكريست مع آراء من سبقه من المستشرقين وبخاصة نولدكه<sup>(٢)</sup>؛ إذ صور القرآن على أنه وحي من نفس محمد ﷺ، وخلاصة القول عندهم: إن النبي ﷺ أدرك قوة عقله الذاتية، ومن ثم كانت تتنابه نوبات عنيفة من الانفعال حتى يعتقد أنه يتلقى وحيًا من الله من خلال قوله «لكن محمداً يبقى ملتزماً بالنظم»<sup>(٣)</sup>.

ثم يعود جلكريست من جديد ليؤكد ذلك بقوله: «هناك العديد من الآيات الأخرى في القرآن حيث جاءت الإيجاءات في ظروف مشابهة، أو حتى لكي تناسب الحدث، والحدوث الفعلي لمثل هذه الظاهرة في الآية القرآنية يدعم بقوة الانطباع بأن الكثير من تأليف هذا الكتاب، إذا لم يكن كله، كان ذاتياً بطبيعته»<sup>(٤)</sup>.

وهو أمر اتفق عليه معهما فلهاوزن<sup>(٥)</sup> بالقول «يبرز القرآن شأن القدرة الإلهية تارة وشأن العدل الإلهي تارة أخرى وبحسب ما كان يحس به النبي ﷺ»<sup>(٦)</sup>.

وذكرت المصادر التاريخية الإسلامية الرواية؛ إذ ورد فيها: «خرج رسول الله إلى غار حراء... حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته... جاءه جبريل بأمر الله تعالى، قال رسول الله: فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب؛ فقال اقرأ؛ قلت: ما أقرأ؟، فغطني حتى ظننت أنه الموت؛ ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ.. فغطني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء

١- الخاقاني، موقف المستشرقين الألمان من أئمة أهل البيت (عليه السلام) حتى نهاية القرن العشرين (دراسة نقدية)، ص ٩٦.  
٢- نولدكه: وهو المستشرق الألماني المشهور، ولد في ١٨٣٦م بمدينة هامبورج من أسرة عريقة، وشغل أفراده مناصب علمية وإدارية، وتعلم السامية والفارسية والتركية والسنسكريتية على أيفالد في جوتنجن الشهيرة، تحصل على الدكتوراه الأولى في ١٨٥٦م عن «تاريخ القرآن» للمزيد ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ٢، ص ٣٧٩-٣٨٢؛ فوك، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ص ٢٢٥-٢٢٨؛ المنجد، المستشرقون الألمان تراجعهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ص ١١٥-١٢٣.

٣- نولدكه، تاريخ القرآن، ص ١٥٤.

٤- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p85.

٥- يوليوس فلهاوزن: درس اللاهوت لنقد التوراة وتخرج من جامعة جوتنجن ومن أهم آثاره تاريخ اليهود ومحمد في المدينة، للمزيد ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٧٢٤.

٦- نقلاً عن، محمد، مستشرقون والإسلام، ص ١٥٦.



منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(١)</sup> «(٢)».

أما ابن هشام فيذكر: «ثم انصرف عني، وانصرفت إلى أهلي، حتى أتيت خديجة، فجلست على فخذه، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت أبشر يا ابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة... ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل... والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة، فقلولي له فليثبت»<sup>(٣)</sup>.

ثم ذكر جلكرايست «عندما كان عمر هو ومحمد يمشون حول الكعبة وتوقف الرسول فجأة وقال بأنه يعرف أنه يقف في نفس المكان الذي صلى به نبي الله إبراهيم بعد بناء البيت بمساعدة ابنه إسماعيل. سأل بعدها عمر فيما إذا كانت ستصبح كمكان للصلاة، أجاب محمد بأن لا شيء من هذا قد أوحى إليه. فيما بعد في تلك الليلة بالذات، على أي حال، استدعى عمر لكي يكشف له بأن الآية التالية قد نزلت توا إليه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(٤)</sup>... أنزلت تؤكد ما قد بينه أو أعلنه عمر بنفسه»<sup>(٥)</sup>.

وقد حاول المستشرق هنا توظيف الشاذ والمتروك في المصادر الإسلامية بحسب ما اطلع عليه من المصادر العربية، ومن ثم تبنى بعض الآراء التي تبناها بعض الباحثين المحدثين؛ إذ أكدت ذلك الباحثة الجزائرية بوعجيالة؛ فقد ذكرت أن هناك بعض الحالات التي كانت فيها استجابة مباشرة من الوحي لرأي الصحابة؛ إذ تورد السيرة ما كان من عمر في مناسبات معينة؛ إذ يتداخل عمر في أن نزول الوحي موافقاً له وقد أفردت السيرة

١- العلق، (١- ٥) ..

٢- ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٢١، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٦.

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٧.

٤- البقرة، ١٢٥.

٥- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p81- ٥.

لعمري اهتماماً خاصاً في هذا الصدد نظراً إلى أهميته ومكانته ودوره في تدعيم الدين الجديد في حياة النبي ﷺ، وكذا بعد وفاته من وجهة نظر الباحثة وعلى المستوى الاجتماعي والأخلاقي، وليس هذا فحسب بل امتد ذلك إلى محاولة إدخاله حتى في حياة النبي ﷺ مع زوجاته بسبب الغيرة التي كانت بينهن فكان عمر يحذرهن من الطلاق<sup>(١)</sup>، ولذلك نزلت الآية: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيَّابَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾<sup>(٢)</sup>، لغرض القول: إن هناك تداخلات من قبل عمر في نزول بعض الآيات القرآنية<sup>(٣)</sup>، وهو ما أكدته جلكريست في محاولة منه بالقول: إن المفسرين قد غيبوا دور عمر في أسباب نزول بعض الآيات القرآنية.

ويرى الباحث أن شخصية النبي ﷺ العظيمة التي أدها الله، هي بالمقابل في مواجهة شخصيات أخرى، ومنها ما أوردناه سابقاً في محاولة منه إلى إثبات بعض الشاذ والضعيف، والذي جاء به المفسرون لما نزل من القرآن على لسان عمر، وأيضاً ليعطي لبعض الشخصيات نفوذاً وتصوراً أكبر من غيرها لغرض التشكيك في أن القرآن مصدره سماوي، وأنه قد يكون من إحياءات محمد ﷺ وأصحابه، فضلاً عن محاولاته المستمرة لإخراج النبي ﷺ من حالة العصمة والنبوة، ولكن بأسلوب يجعل القارئ يتخيل أن ما ذكره عن النبي ﷺ هو أمر طبيعي قد يطلق على أي شخص لذلك يجب الانتباه إلى أنه يحاول أن يشكك في صحة الدعوة الإسلامية ولكن بأسلوب لا يثير الدهشة، باعتياده على بعض الكتابات العربية الشاذة والمنحرفة.

وقد اتفق جلكريست مع مضمون الرواية الإسلامية، ولكنه حاول من خلال عرضها التركيز على أمور معينة ليتمكن من خلالها من التشكيك بمفهوم الوحي على أنه وحي من غير الله.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p84-

٢- التحريم، ٥:

٣- للاستزادة ينظر: بوعجيبة، في الائتلاف والاختلاف ثنائية السائد والمهمش في الفكر الإسلامي القديم، ص ٨٩-٩٢.

## ٢- مصدر الوحي

تعد مسألة الوحي من أكثر المسائل التي غاصت بها معاول المستشرقين، والتي بدأت بكيال الاتهامات والمغالطات ومحاولة اتهام الإسلام ونبيه بشتى الأكاذيب ولا يمكن أن نحمل المستشرقين وحدهم هذا الجرم؛ فهم قد اعتمدوا على ما ذكرته المصادر العربية من حوادث وقصص ومفارقات ومغالطات في بعض الأحيان نتيجة الدس والتحريف للقصص التي وضعت من قبل الزنادقة وبعض الكتاب المأجورين في العصرين الأموي والعباسي، لكي تظهر لنا من جديد مسألة المستشرقين الذين بدؤوا بكيال التهم بالاعتماد على هؤلاء الكتاب غير المنصفين إلى وقتنا الحالي، والذي يظهر فيه عدد من المستشرقين أكثر حقداً؛ وذلك بالالتكاء على كتابات المستشرقين غير المنصفين الذين سبقوهم.

ويستحسن أن نبدأ بمناقشة موضوع الوحي بطرح هذا السؤال على هؤلاء المستشرقين، وهو كيف وصلت كتبهم المقدسة التي يؤمنون بها إلى أنبيائهم؟ والجواب بالتأكيد: إنها وصلت عن طريق الوحي؛ فوجود النبوة يستلزم وجود وحي إلهي. لقد بنى أكثر المستشرقين شبهاتهم حول القرآن وتاريخه على نظرية الوحي النفسي، ومفاد هذه النظرية هو أن الوحي القرآني فيض من وجدان النبي ﷺ الناتج عن تفكيره بخلاص قومه من الشرك والظلم<sup>(١)</sup>.

وجلكرايست أحد هؤلاء المستشرقين الذين تناولوا مسألة الوحي، وقد أفرد فصلاً كاملاً لهذا الموضوع؛ إذ تناول فيه موضوع الوحي وابتدأه بالقول: « الإسلام مثل الديانات التي جاءت قبله كاليهودية والمسيحية أسس على مبدأ أن هناك إلهاً واحداً فقط وهو الأعلى الذي خلق العالم كله والذي عكس إرادته وقوانينه وحقيقته من خلال الأنبياء من البشر، فالإسلام لا نظير له وفريد من نوعه في أن مؤسسه كان من العرب من بين أناس حتى لحظة نزوله لم يعرفوا مثل هذه الدعوة فقد انغمسوا في الوثنية وعبادة

١- الأعرجي، شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني، مجلة دراسات استشرافية، ص ٢٤.

الأصنام، على حين أن الدينين السامويين الأوليين اعتمدوا على المجاهرة بالدعوة من خلال الأنبياء الذين بعثوا من أمة واحدة فقط»<sup>(١)</sup>.

وهنا حاول جلكريست العودة إلى موضوع آخر وهو إيجاد حالة من التشابه بين الإسلام والأديان الأخرى اليهودية والنصرانية فعلى الرغم من اتفاقنا معه في أن مسألة العرب سابقاً كانوا منغمسين بالوثنية والانحلال، لكننا نود أن ننبه إلى مسألة أخرى حاول المستشرق إثارتها، ألا وهي مدى التشابه الذي كان بين الإسلام والأديان الأخرى.

وهو ما أكدته نولدكه بقوله: «عندما حمل محمد في خلوته الطويلة أفكار الغرباء (يقصد اليهود والنصارى) وتركها لتتفاعل مع فكره وأخذت تتشكل بداخله إلى أن أجبره الصوت الداخلي أخيراً أن يتقدم لمواطنيه ليهديهم»<sup>(٢)</sup>.

وقد اتفق جلكريست مع المستشرق هرخرونية<sup>(٣)</sup> في أن ثمة أشخاصاً من اليهود والنصارى أخذ منهم النبي ﷺ معلوماته التاريخية، وأنه على علم بتعاليم اليهودية أكثر من النصرانية<sup>(٤)</sup>.

وليس هذا فحسب بل إن جلكريست قد ظهر لنا بثوب جديد؛ إذ عدّ الوحي عبارة عن مجموعة من التأملات التي توصل لها النبي ﷺ حاله حال غيره من البشر بقوله: «هذه المرة مع التأمل والتفكير ربما قاده إلى ظهور رؤية متألقة أخرى في النهاية قد اكتشف لنفسه معنى الحياة كوتاما بوذا»<sup>(٥)</sup> كان مثل هذا الرجل لفترة طويلة هو أيضاً قد اعتكف

١ - Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p75.

٢ - تاريخ القرآن، ص ٦.

٣ - هرخرونية: ولد في بلدة أوسترهوتفي الهولندية ٨ فبراير ١٨٥٧ ومات في لندن في ٢٠ يونيو ١٩٣٦ درس في لندن فلسفة الإلهيات واللغات السامية وقد أقام في جدة فترة من الزمن لدراسة الإسلام، ومن آثاره كتاب مكة وكتاب الانثيون وغيرهما من المؤلفات، للمزيد ينظر: بن نوح، درس من حياة مستشرق، ص ٥٣٢.

٤ - نقلاً عن، بن نوح، درس من حياة مستشرق، ص ٥٣٤ - ٥٣٩.

٥ - بوذا: غوتاما (٥٦٣ - ٤٨٣ ق.م) فيلسوف هندي مؤسس الديانة البوذية ولد في أسرة نبيلة على الحدود الحالية بين الهند ونيبال ويقال: إنه رأى وهو في التاسعة والعشرين من عمره ولأول مرة عجوزاً ورجلاً مريضاً وناسكاً مترحلاً وجثة ميت فهالته مظاهر الحياة هذه التي لم تقع عليها عيناه من قبل فانسلك عن ماضيه وتنسك ولكنه ما لبث أن طرح بعد ست سنوات حياة التنسك الصارم واستغرق في التأمل العميق المفضي إلى التنوير وسرعان ما اجتمع حوله عدد من

في عزلة عن الوجود، ووقت للتأمل تحت شجرة اختارها لنفسه أخيراً جاء اليوم عندما أعلن عن بحثه ذات المعنى الروحي الصوفي<sup>(١)</sup>، إذ حاول إيجاد تشابه بينه وبين غيره من المرين الذين ظهروا في الوقت الحاضر، وهي محاولة منه إلى تشبيه النبي ﷺ بالمتصوف والمفكر في الجوانب السلبية لقومه، لا لشيء إلا لغرض نفي صفة النبوة عنه .

وأما الخطأ الذي وقع تحت طائلته فريق من المستشرقين فيعود إلى استخدام المنهج النقلي فيما يتعلق بتناقل الحوادث عن بعضهم وعدم الرجوع إلى المصادر الإسلامية المنصفة<sup>(٢)</sup>.

إن هذه الآراء القديمة التي ظهرت بثوب جديد، والتي ذكرت أن القرآن نتاج عربي، والنبي ﷺ هو مؤلفه يمكن أن نرد عليهم في أنه لو كان محمد هو مؤلف القرآن بما فيه من مبادئ وأفكار؛ فلماذا كان ذلك بعد أن بلغ الأربعين من عمره، أكان ليست طوال الأربعين سنة من حياته عن الدعوة ثم ينشط فجأة بعد ذلك، ويضاف إلى ذلك أنه لو كان الوحي من عند محمد؛ فلماذا لم يضمه أحاديثه؟ ولماذا لم يسرد فيه قصة حياته؟ كل ذلك وغيره يؤكد أن الوحي أمر غيبي أتى من جهة غير إنسانية، والأمر خارج عن مجال إرادة النبي ﷺ وعلمه واجتهاده، ويمكن أن نبين بطلان هذه الأمور كذلك من حيث الأسلوب البلاغي المغاير لأسلوب النبي ﷺ وفيما صدر عنه من أقوال غير القرآن، فالحديث يختلف عن القرآن من جهة أسلوبه، وكل من يطلع على قواعد اللغة العربية والبلاغة والنقد سوف يدرك تماماً الفرق الشاسع بين الأسلوبين. ومن ناحية ما تضمنه القرآن من إشارات علمية دقيقة، وموارد غيبية، وأخبار الأمم الماضية، وأمور التشريع والقوانين، وغير ذلك من العلوم والمعارف التي يزخر بها القرآن.

المريدين كانوا نواة جماعة الرهبان المتسولين التي أسسها وبقى ما تبقى من عمره في خدمتها. ينظر؛ البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص ١١٦.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p76-

٢- جواد، الإمام علي عليه السلام في كتابات المستشرقين (دراسة تاريخية تحليلية)، ص ٢٥٤

فضلاً عن أن القرآن لا يعكس شخصية النبي ﷺ في أفراحه وأحزانه؛ فإذا كان من عنده؛ فلماذا لا نجد فيه أحداثاً تخصّ جوانب من حياة النبي ﷺ فقد توفي عمه أبو طالب وزوجته خديجة (ع) في عام واحد فحزن عليهما حزناً شديداً، ومع ذلك لم نجد في القرآن أي إشارة إلى ذلك، وأنه في بعض المواقف كان القرآن يوجه ويصوّب للنبي ﷺ بعض خياراته، بل كان يأتيه عتاب على أفعاله، فقد عاتبه القرآن في مسألة أسرى بدر بقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

وقد واجه النبي ﷺ كثيراً من المواقف الشديدة التي كان يحتاج فيها إلى تفويض إلهي عن طريق القرآن لحسمها، مثل ما حلّ به عندما رماه المنافقون في أهل بيته، فلم يستطع أن يفعل شيئاً حتى جاءه الوحي بالبراءة وقطع السنة الخائضين بالإفك، فلو كان القرآن من عنده لقطع بالبراءة من أول وهلة (٢).

وحاول المستشرق في أكثر من مكان إيجاد تشابه وتأثر مع ما جاء به النبي ﷺ وما جاءت به الأديان القديمة سواء اليهودية أم المسيحية وقد تأثر برأي غيره من المستشرقين الذين ذكروا أنه «يمكن للتأثير اليهودي والمسيحي ولاسيما الرهبان .... أن يكون قد أثار فيه الحاجة للخلوة» (٣).

### ٣- صور الوحي

وأعني بذلك الأشكال التي يوحى بها الله ما يريده إلى الأنبياء والرسل وهو أمر كثيراً ما حاول المستشرقون التشكيك فيه، وهي على أربعة أنواع طبقاً للآية ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ (٤) :-

١- الأنفال، ٦٧-٦٨.

٢- مرعي، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، ص ٤٩٥.

٣- وات، محمد في مكة، ص ٨١.

٤- الشورى، ٥١.

١- الوحي المباشر: لقد حظي بعض الأنبياء بالحديث الإلهي المباشر، وإلقاء الكلمة إليهم، وإسماعهم من غير وساطة الملك جبرائيل عليه السلام وقد وصف الإمام الصادق عليه السلام هذا الصنف من الوحي الذي تلقاه نبينا محمد ﷺ بقوله « كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي وبينهما جبرئيل عليه السلام يقول: هو ذا جبرئيل، وقال لي جبرئيل، وإذا أتاه الوحي، وليس بينهما جبرئيل، تصيبه تلك السببة<sup>(١)</sup>، ويغشاه منه ما يغشاه، لثقل الوحي عليه من الله عز وجل<sup>(٢)</sup>».

فالوحي المباشر يختلف عن الإلهام الغريزي أو الفطري؛ فالإلهام قد يكون نابعاً من الذات، وقد يخطئ الإنسان فيه أو يصيب ولا يعرف مصدره، بخلاف الوحي المباشر فإنه أمر خارجي تتلقاه النفس البشرية، وتعرف مصدره جيداً، فلا يلتبس الأمر عليها، لأنه خاص بالأنبياء، ولا يكون لغير الأنبياء، بخلاف الإلهام الفطري فقد يكون لغير الأنبياء، وقد يكون إلهام خير أو إلهام شر، ويختلف مصدره<sup>(٣)</sup>.

٢- الوحي بوساطة الملك جبرئيل عليه السلام: وهذا اللون من الوحي هو الوحي المألوف في الرسالات، وبه نزلت الكتب والشرائع، فقد جعل الله جبرئيل عليه السلام وسيطاً لإيصال رسالاته إلى الأنبياء عليهم السلام، وهو أن يأتيه خفية دون أن يراه أحد؛ فتظهر على النبي ﷺ خلجات هذا الحضور عبر التغيرات والانفعالات التي تصيبه<sup>(٤)</sup> قال الله تعالى: موضعا نزول القرآن على نبينا محمد ﷺ بوساطة جبرئيل عليه السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال سبحانه ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرَائِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

١- السببة: البرهة من الدهر والمسبوت العليل الملقى كالنائم يغمض عينيه في معظم أحواله والمغشي عليه والميت، للاستزادة ينظر، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ص ٤١٢.

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٧١.

٣- العليلي، الوحي والنبوة في رؤية المستشرق وليم موير، أطروحة دكتوراه غير منشورة، ص ١٤٤.

٤- كاظم، مفهوم النبوة في الديانات الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام، ص ٦٦.

٥- الشعراء، ١٩٣- ١٩٤.

٦- البقرة، ٩٧.

أو أن يأتيه ﷺ على صورة رجل فيكلمه كما حدث نزوله على هيئة الصحابي دحية الكلبي<sup>(١)</sup>، إذ كان جبرئيل يتمثل في صورته فكان الصحابة لا يعلمون بأنه جبرئيل إلا النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

٣- الوحي بوساطة الرؤيا: ومن صور الوحي للأنبياء الرؤيا الصادقة التي يريها الله سبحانه لأنبيائه ورسوله ﷺ. وقد تحدث القرآن عن رؤى إبراهيم ويوسف ونبينا محمد ﷺ، نذكر منها ما جاء في القرآن عن الرؤيا التي أراها الله سبحانه لنبه في دخول المسجد الحرام وتحقيق النصر له. قال تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾<sup>(٣)</sup>. وقد روي عن السيدة عائشة قولها: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم...) <sup>(٤)</sup>.

٤- النفث في الروح والإلقاء في النفس: ومن صور الوحي والإلقاء الإلهي في نفوس الأنبياء هو النفث في الروح. فقد روي عن النبي ﷺ بيانه لهذه الصورة من صور الوحي، روى الإمام الصادق عليه السلام قول النبي ﷺ: (أيها الناس إني لم أدع شيئاً يقربكم إلى الجنة، ويباعدكم من النار، إلا وقد نباتكم به، ألا وإن روح القدس قد نفث في روعي، وأخبرني أن لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله عز وجل، وأجملوا في الطلب)<sup>(٥)</sup>. وهذا الحديث يوضح طريقة النفث في الروح والإلقاء في نفس النبي ﷺ المقدسة.

١- دحية بن خليفة الكلبي، دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس من الخزرج، له صحبة ورواية عن النبي ﷺ، وهو الذي كان ينزل جبريل عليه السلام في صورته، روى عنه عبد الله بن شداد بن الهاد وغيره، وكان رسول الله ﷺ بعثه إلى قيصر وفيه نزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَواً انْفُسُوا إِلَيْهَا﴾، ينظر: الدار قطني، المؤلف والمختلف، ج ٢، ص ٩٨٦؛ ابن مندة، معرفة الصحابة، ص ٥٤٩.

٢- كاظم، مفهوم النبوة في الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ٦٥.

٣- الفتح، ٢٧.

٤- البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٠-٣١.

٥- الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٨٣.



## ٥- آراء المستشرقين حول مصدر الوحي

ذهب جلكريست إلى ما ذهب إليه عدد من المستشرقين؛ فهذا كولد زيهير يقول: «فتبشير النبي العربي، ليس إلا مزيجاً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، والتي تأثر بها تأثراً عميقاً ورآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه»<sup>(١)</sup>.

وقال كارل بروكلمان: «اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية. وإنما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية»<sup>(٢)</sup>.

ويقول غوستاف لوبون<sup>(٣)</sup>: « وإذا أرجعنا القرآن إلى أصوله أمكننا عدّ الإسلام صورة مختصرة عن النصرانية... »<sup>(٤)</sup>.

ويذكر ريتشارد<sup>(٥)</sup> أن النبي ﷺ: « استمد من الكتاب المقدس كثيراً مما جاء في القرآن وبخاصة القصص... »<sup>(٦)</sup>.

وهذا يوضح حقيقة مفادها أن معظم المستشرقين من النصارى هم من طبقة رجال الدين، أو من الذين يعملون لمصلحة الكنيسة، ولذلك يحاولون رد الموضوعات الإسلامية إلى أصل نصراني، وقد أكدت أن الارتباط الثقافي بين الاستشراق والتنصير لا يزال قائماً، وسيظل كذلك مهما جرت المحاولات لفك هذا الارتباط، إذ لا يزال هناك مستشرقون منصرفون، وسيظل هناك منصرفون مستشرقون<sup>(٧)</sup>.

١- نقلاً عن، أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، ص ١٧-١٨.

٢- م.ن، ص ١٨.

٣- غوستاف لوبون: (المولود، ١٨٤١ م)، فرنسي وهو طبيب وعالم اجتماع وكان تعليمه الأولي هو الطب وقد قام بسفرات إلى شمال أفريقيا وآسيا وتوفي سنة ١٩٣١، وله العديد من المؤلفات: حضارة الهند وكتاب سر تطور الأمم للمزيد، العقلي، المستشرقون، ج ١، ص ٢٠٢.

٤- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ١٩٧٩ م)، ص ١٤٣.

٥- ريتشارد هارتمان (١٨٨١-١٩٦٥) مستشرق ألماني درس العربية وتعين أستاذاً للعربية في جامعة برلين ومديراً لمعهد اللغات الشرقية ببرلين من آثاره (تفسير القرآن) ودراسات عن البدو والوهابيين، العقلي، موسوعة المستشرقين، ج ٢، ص ٤٤٥-٤٤٦.

٦- نقلاً عن، الطهطاوي، التبشير والاستشراق، ص ٤٧.

٧- النملة، المستشرقون والتنصير، ص ١١.



ويرى الباحث أن هناك طوائف من المستشرقين سواء كانوا من اليهود أم من النصراني تحكمت فيهم الأهواء والمشاعر والغايات والأهداف ووجهتهم ليجهدوا أنفسهم برّد كل ما هو إسلامي إلى أصل يهودي أو نصراني، ولعل أولئك الذين ذهبوا إلى القول: إن النبي محمداً ﷺ قد أفاد من الديانتين اليهودية والنصرانية وجعلها مصدراً من مصادر الدين الإسلامي؛ إذ كان أغلبهم يدعي الإيمان بالرسالات، والإيمان بالوحي الإلهي، وأن الله يصطفي رسلاً من خلقه لتبليغ شرائعه، اعترفوا بذلك لأنبيائهم وأنكروه على النبي محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نرد على ذلك بقول المستشرق هنري كاستري<sup>(٢)</sup> بقوله: «ثبت إذن أن محمداً ﷺ لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه»<sup>(٣)</sup>، وكذلك قول المستشرق إدوارد مونتيه<sup>(٤)</sup>: «كان محمد بالمعنى الذي يعرفه العبرانيون القدماء ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية»<sup>(٥)</sup>.

ثم يكمل جلكريست مزاعمه وافترائه بقوله: «بالتطبع جاء اليوم الذي فيه نزل محمد من جبل حراء مع إعلان بأن بحثه قد انتهى، ولكن هذا لم يكن ذروة مجد التأمل الذي جلبه، ولم يكن هو مقتنعاً بأن اكتشافه كان بالضرورة مفيداً»<sup>(٦)</sup>.

وزعم جلكريست هذا مشابه لما جاء به در منغم<sup>(٧)</sup> الذي ذهب يصور الحالة النفسية للنبي ﷺ في أثناء تحنّته في غار حراء، والانطباعات النفسية إلى أن قال: «فلما

١- العيلان، الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية، ص ٢٧٤.  
٢- الكونت (هنري دي كاستري) مقدم في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الأفريقي ردحاً من الزمن. من آثاره: مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب ١٩٥٠، الأشراف السعديون ١٩٢١، رحلة هولندي إلى المغرب ١٩٢٦، وغيرها. ينظر: خليل، قالوا عن الإسلام، ص ٥٢.

٣- نقلاً عن، ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ص ١٤٩.  
٤- إدوارد مونتيه مستشرق من أصل سويسري، ولد عام ١٨٥٦ م، ودرس في جامعات جنيف وبرلين وهايدلبرج، حصل على الدكتوراه في اللاهوت من جامعة باريس عام ١٨٨٣ م، عيّن أستاذاً للعربية والآرامية والعهد القديم في جامعة جنيف، ثم أضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام، رأس جامعة جنيف (١٩١٠ - ١٩١٢)، توفي عام ١٩٢٧ م. نقلاً عن مقالة منشورة على الأنترنت / <https://saaid.net/arabic/292.htm>

٥- نقلاً عن، الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، ص ١١٧.  
٦- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p76.

٧- درمنغم: وهو مدير مكتبة الجزائر، وله العديد من الآثار منها حياة محمد وكذلك السنة الإسلامية وكتاب تكريم أولياء الإسلام في الأندلس، ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٢٩٧-٢٩٨.

كانت سنة ٦١٠م كانت الحالة النفسية التي يعانيتها محمد ﷺ على أشدها. . . ووجد في غار حراء مسرة تزداد كل يوم عمقاً...»<sup>(١)</sup>. وصفوة القول: إن جلكريا يست اتباع منهجاً إسقاطياً جنح فيه لإسقاط عوارض مرضية ونفسية على النبي ﷺ ليس لها أصل في الواقع الحقيقي.

أما المستشرق الفرنسي موريس<sup>(٢)</sup> فيقول: «إن النبي كان تائهاً عند الجبل مثل أي شاعر باحثاً عن الإلهام واعتكف في غار حراء إلى أن أصابه فوحان الوحي»<sup>(٣)</sup>. في حين أن نولدكه يفسر الوحي بتأثير الجانب الانفعالي العاطفي؛ إذ يقول: «كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المنهجية والإلهامات المباشرة للحس، أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج»<sup>(٤)</sup>.

وتجاهل جلكريا يست أن نبينا الأكرم ﷺ قد تشرف بالوحي الإلهي طيلة مدة رسالته وقد اشترك مع من سبقه من الأنبياء بهذه الميزة الشريفة ولم يكن الوحي المحمدي يختلف عما سبق من وحي الأنبياء، بل إن ظاهرة الوحي هي متماثلة عند جميع الانبياء بدءاً من نبينا آدم وانتهاء بالنبي محمد ﷺ وهو نابع من مصدر واحد<sup>(٥)</sup>.

وذهب جلكريا يست متسارعاً ليقول: «وفجأة وبصورة غير متوقعة للغاية كان قد رأى تلك الرؤية الغريبة لكائن خارق فوق الطبيعة في الافق... فقد تكلم فقط بكلمة واحدة «اقرأ!». رتل منذ هذه اللحظة تغير كل شيء بالنسبة لمحمد. فهو لم يكن متصوفاً روحياً متنوراً ولكن رسول، دعي من الأعلى، من الله نفسه، لكي يكشف حقيقته لناسه»<sup>(٦)</sup>.

هنا يظهر جلكريا يست نفسه بأسلوب المستشرقين المعاصرين وهو الصنف الذي يستعمل أمكر الأساليب في ألطف العبارات، ليخفي وراءها حقه الدفين، إذ استعمل

١- نقلاً عن، رضا، الوحي المحمدي، ص: ١٠٩.

٢- موريس جود : مستشرق فرنسي معاصر وله كتاب بعنوان محمد والصادر سنة ١٩٥٧، ينظر، عبد الرحمن، زوجات النبي محمد ﷺ وحكمة تعددهن، ص ٥٢.

٣- 68- 3 Pray Demombynes, mahamet, P.

٤- نقلاً عن، ماضي، الوحي القرآني، ص ٣٨٩- ٣٩٠.

٥- الغزالي، الوحي المحمدي في المنظور الاستشراقي، مجلة السدير، ص ٨٢.  
Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p76-٦

صيع الشك عند التعبير عن الحقائق التاريخية والدينية، مما يعني أنه اختلف عن غيره من المستشرقين في رؤيته للوحي ويعد هذا الاختلاف تطوراً في الموقف الاستشراقي، وهو تطور إيجابي؛ وذلك لأنه نفى عن النبي الحالات التي كانت تنسب إليه كالصرع والهستيريا والمرض النفسي، لينطلق جلكريست بتبني موقف لم يتبناه غيره من المستشرقين وهو صدق النبي ﷺ في وحيه، لكنه من عند نفسه وليس من عند الله عز وجل، وهو مشابه لما ذكره بروكلمان «أعلن محمد ما ظن أنه سمعه كوحي من عند الله»<sup>(١)</sup>، ولكن برؤى مختلفة.

إذ ذكر جلكريست أن محمداً ﷺ نزل خائفاً من جبل ثور حيث غار حراء وأخبر زوجته خديجة بأنه يشك في أن الجن كانت قد أنزلت عليه روحاً شيطانية مثل تلك التي كان يعتقد أنها تملك الشعراء المجانين الذين حوله، ولو كان ذلك لأصبح عرافاً مجنوناً مثل بقيتهم، وعندما حصلت الرؤيا المشابهة الثانية مرة أخرى بعد فترة من الزمن، رجع مذعوراً، طالباً من خديجة أن تغطيه، وعلامة خوفه من أن يكون معتدى عليه إلى حد بعيد، فقد أكدت له، على أي حال، بأن الله نفسه، الواحد الأعلى على كل الكون، وهو الذي زاره، ومنذ ذلك الوقت يقال: إن الوحي تسارع عليه على مدى السنوات الثلاث والعشرين القادمة<sup>(٢)</sup>.

فمن ناحية خوف النبي ﷺ من الوحي في المرة الأولى، فهو أمر طبيعي قد حدث لغيره من الأنبياء الذين أنزل الله عليهم وحيه، أما أن الخوف الذي أصيب به النبي ﷺ عند نزول الوحي عليه كما صورته الروايات واستمراره حتى طمأنته خديجة فغير مسوغ، إلا أن روايتنا لم تترك أي عذر للنبي ﷺ للدفاع عن نفسه وصورته بمظهر الخائف والمهزوز وحاشاه أن يكون كذلك<sup>(٣)</sup>، كما أننا نرى أن المستشرقين قد اعتمدوا على الروايات الضعيفة لإيرادها.

١ - تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٠.

٢ - Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p76- ٢.

٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٤٣.

ثم إن هذه الرواية صورت النبي ﷺ خائفاً أن يكون قد مسه الشيطان<sup>(١)</sup> في حين ذكرت الروايات الصحيحة التي جاءت عن طريق أهل البيت ﷺ غير ذلك «فعن زرارة<sup>(٢)</sup> قال : قلت لأبي عبد الله الصادق ﷺ: كيف لم يخف رسول الله فيما يأتيه من الله أن يكون مما ينزغ به الشيطان قال ﷺ: إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه»<sup>(٣)</sup>.

ونقل الحلبي قول الإمام علي ﷺ والذي جاء فيه: «إن الله القرن إسرافيل ﷺ بنبيه ثلاث سنين، يسمع حسه، ولا يرى شخصه، يعلمه الشيء بعد الشيء، ولا يذكر له القرآن، فكان في هذه المدة مبشراً بالنبوة، وأمهلته هذه المدة، ليتأهب لوحيه»<sup>(٤)</sup>.

ويمكن هنا أن نذهب إلى ما ذهب إليه الغزالي بقوله « إن كل ما توصل إليه المستشرقون من تفسيرات لظاهرة الوحي الإسلامي هي لا تطابق حقيقة الوحي فقد عبر عنها بعضهم بالحالات النفسية أو الإلهامية أو المكاشفة ... زد في ذلك أن القرآن ظل ينزل على النبي ﷺ ما يقارب الثلاث والعشرين سنة فهل يعقل أن يلازم الحدس والإلهام أو أي حالة أخرى ابتدعها المستشرقون على مدى هذه السنين ويكون معه في كل ما مرّ به من أحداث صغيرة وكبيرة شهدها الإسلام»<sup>(٥)</sup>.

وهذا الأمر يمكن أن يزول في رواية هشام بن سالم<sup>(٦)</sup> عن الإمام الصادق ﷺ الذي قال: « كان رسول الله ﷺ يقول : قال جبرائيل، وهذا جبرائيل يأمرني، ثم يكون في حال أخرى يغمى عليه ؟، قال أبو عبد الله ﷺ : إنه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرائيل أصابه ذلك لثقل الوحي من الله، وإذا كان بينهما جبرائيل لم يصبه ذلك»<sup>(٧)</sup>.

١- ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٢١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣١٠.  
٢- زرارة: زرارة بن أعين، يكنى بأبي الحسن، من أصحاب الإمام الباقر والصادق والكاظم ﷺ، كان قارئاً، فقيهاً، متكلماً، شاعراً، أديباً، توفي سنة ١٥٠ هـ. ينظر، البرقي، الرجال، ص ٤٧؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ١٢٣.  
٣- العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠١.  
٤- السيرة الحلبية، ج ١، ص ٤٠٠.  
٥- القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، ص ٥٩.  
٦- هشام بن سالم الجواليقي، أبو محمد، مولى بشر بن مروان، كوفي، روى عن الإمامين الصادق والكاظم ﷺ. ينظر، البرقي، الرجال، ص ٣٤، ص ٤٨.  
٧- الطوسي، الأمالي، ص ٦٦٣.

ويتغافل جلكريست عن حقيقة ذكرها ومفادها « محمد المتصوف تغير على الفور عندما بدأ القرآن يوحى إليه. على عكس بوذا الذي هو من بعد ذلك لم يعد يؤمن بأن الحياة الآخرة كانت هدف الإصلاح الديني، ولا كان مهتماً بالمغامرة الصوفية في عمق الروح الإلهية. فقد كان دينه من الأساس ديناً عملياً يتعلق في التعليمات الخاصة بالحياة اليومية وكذلك ظلت وظيفته في كونه متلقياً وليس مكتشفاً أبداً للحقيقة»<sup>(١)</sup>.

وهنا نقول: «إن النبي محمد ﷺ ليس متصوفاً بل كان رسولاً أرسله الله تعالى لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإن النبي ﷺ كان مهتماً اهتماماً كبيراً بالحياة اليومية للإنسان وما يقوم به من أعمال من خلال إطاعة أوامر الله عز وجل للوصول إلى هدف الإصلاح الديني في الحياة الآخرة، وهو على العكس من بوذا الذي يهدف إلى الإصلاح في الحياة الدنيا وهذا ما أيدنا فيه أبو ليلة بقوله: «فالرسول لم يكن ساحراً ولا كاهناً ولا صوفياً من أهل الباطل بل كان رجلاً ربانياً... ثم إن حياته وما تركه من آثار مادية ومعنوية، والتي غير بها وجه العالم هو دليل على عظم شأنه وأنه رسول رب العالمين»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الروايات هي التي دفعت عدداً كبيراً من المستشرقين إلى التحدث بهذا الشكل غير اللائق لشخص النبي ﷺ وتبني مثل هذه الآراء، لكننا لو قارنا الروايات التي جاءت عن طريق أهل البيت، والتي تذكر أن النبي ﷺ لم يفاجأ بالوحي، وأن هناك مرحلة إعداد وتربية إلهية للنبي ﷺ ليكون مؤهلاً لتلقي وحي الله، وتحمل هذه المسؤولية الكبرى. فقد تحدث الإمام علي عليه السلام في الإعداد لشخص النبي الكريم ﷺ من الله بقوله: «لقد قرن الله به من لدن كان فطياً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره»<sup>(٣)</sup>.

١- Gilchrist: Mnhammad the prophet of Islam، p79-

٢- محمد بين الحقيقة والافتراء (في الرد على الكاتب اليهودي الفرنسي مكسيم رودنسون)، ص ٨٦.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٧١.

ولا يسعنا إلا أن نرد عليه بقول الشاعر لا مارتين<sup>(١)</sup> «إن محمداً أقل من إله وأعظم من إنسان عادي أي أنه نبي»<sup>(٢)</sup>، هذا كله تأكيد وإثبات على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ وتفنيد لما جاءت به أيدي الكتاب المدفوعي الثمن أو من تدفعه عقيدة معينة سواء من العرب أم من الأقلام التي لها غاياتها وأهدافها من المستشرقين، ثم إن إنكار مسألة الوحي من قبل المستشرق لو كانت صادرة من شخص ملحد لكان هناك قول آخر، ولكن الذين ينكرون الوحي الذي نزل على النبي ﷺ هم من أهل الكتاب، وقد نزل الوحي أيضاً على رسلهم، أي أنهم على علم ودراية به، وليس هذا فحسب بل إنهم عملوا على الإنكار التام لنبوة محمد ﷺ.



١- لا مارتين : هو شاعر وسياسي فرنسي تولى رئاسة الحكومة المؤقتة بعد ثورة ١٨٤٨م في فرنسا، ومن أشهر أعماله تأملات شعرية وجوسلين وسقوط ملاك ينظر : البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص ٣٨٥.  
٢- نقلاً عن، الدليمي، دحض بعض الشبهات الاستشراقية حول القرآن الكريم والرسول ﷺ، قسم علوم القرآن، كلية الآداب، مجلة الجامعة العراقية، ص ١١٢.

## المبحث الثالث

### الدعوة في مكة والصراع مع قريش.

#### ١- الهجرة إلى الحبشة

من المعلوم أن قريشاً وبعد السنوات الثلاث من الدعوة الإسلامية، أخذت تصعد من موقفها ومعارضتها، وقد أشار جلكريست إلى ذلك مركزاً على موقف كل من «أبي لهب»<sup>(١)</sup> و«أبي جهل»<sup>(٢)</sup> اللذين كانا يوجهان حركة المعارضة للدعوة الإسلامية في مكة، وتحفيز الناس لممارسة مختلف الوسائل الضاغطة على معتنقي الدعوة ورجالها، وعلى النبي ﷺ بشكل خاص<sup>(٣)</sup>.

ومن بين تلك الممارسات التي وقف عليها مؤرخو السيرة النبوية للنيل من النبي ﷺ أنه كان ساجداً وحوله أناس من قريش وإذا بعقبة بن أبي معيط<sup>(٤)</sup> بسلى بعير فقذفه على ظهر النبي ﷺ، وجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، ودعت على من صنع ذلك<sup>(٥)</sup>.

ولو تأملنا طبيعة المجتمع المكي قبل الإسلام وفي بداية ظهوره، فسنجد وبدون عناء أن هذا المجتمع مبني على أساس طبقي، ومبني على وفق المنهج والعرف القبلي، وما إن عرف رؤساء القبائل دستور هذا الدين ومنهجه وقيادته ومن آمن به، حتى أعدوا العدة للقضاء عليه منذ لحظاته الأولى، وبشتى الوسائل بالقهر والقوة تارة وبالإغراء والتهديد تارة أخرى، ولما وجد النبي ﷺ أن مشركي قريش مستمرين في التنكيل

١- أبو لهب، وهو لقب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وكنيته أبو عتبة، وأبو معتب، القرشي الهاشمي عم النبي ﷺ، قتل في معركة بدر، للمزيد ينظر: ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٩، ص ١٢٦.

٢- أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، قتل على أيدي المسلمين في معركة بدر، للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٦٧، الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٨٧.

٣- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p21.

٤- عقبة بن أبي معيط: هو أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأم عقبة آمنة بنت كليب بن ربيعة وعقبة هذا عدو رسول الله ﷺ، لمزيد من التفاصيل ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٠، ص ٥٩.

٥- الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٢١٦.

بأصحابه من المسلمين خشي عليهم طول العذاب، ورأى أن يختار أرضاً يأمنون فيها على أنفسهم بعيداً عن ظلم المشركين وقسوتهم، فأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة<sup>(١)</sup>. وهي مكان يستطيع النبي ﷺ أن يأمن به على الضعفاء من المسلمين<sup>(٢)</sup>.

أما المستشرق هوبرت جريمة<sup>(٣)</sup> فأكد أن دعوة النبي محمد ﷺ عند ظهورها الأول في مكة لم تكن دينية إطلاقاً بل كان يدعو إلى نوع من أنواع الاشتراكية عن طريق دفع ضريبة محددة من أموال الأغنياء لكي تدعم بها المحتاجين<sup>(٤)</sup>، فهو يرى في الإسلام محاولة شيوعية للقضاء على السليبيات الموجودة في المجتمع، إذ يبدو هذا التحليل لا يستند إلى دليل قوي أو إلى أسس علمية صحيحة ومقبولة، فالإسلام لم يكن ديناً اشتراكياً أو نظاماً شيوعياً، هذا من جانب، ومن جانب آخر لم يكن النبي ﷺ فقيراً بحيث يدفعه فقره إلى أن يفكر في الحد من القساوة والاستبداد التي يعاني منها الفقراء كما يزعم<sup>(٥)</sup>.

وما انفك عدد من المستشرقين ومنهم بروكلمان بالتذكير دائماً في أن الإسلام يرجع في أصوله إلى المسيحية مستغلاً أي حدث تاريخي يمكن أن يستفيد منه لتعزيز هذا الاعتقاد فهو حينما يذكر مسألة الهجرة إلى الحبشة يقول: «بيد أن أعداءه ما لبثوا أن تخطوا مرحلة الإنكار المجرد لتعاليمه، فأنشؤوا يضطهدون الموالي والمعتقين الذين أظهروا إيمانهم، عزم النبي أن يقي بعض أتباعه، على الأقل أذى مضطهديهم، بواسطة الهجرة، وإذا كان لا

١- بلاد الحبشة: هي أرض واسعة شالها الخليج البربري، وهي أرض مرتفعة غرب اليمن بينها البحر ولهم صلات مع المسلمين الأوائل، الحر بها شديد جداً، وسواد لونهم لشدة الاحتراق، وأكثر أهلها نصارى يعاقبة، والمسلمون عددهم بها قليل، وهم من أكثر الناس عدداً وأطولهم أرضاً، وأكثر أرضهم صحارى لانعدام الماء وقلة الأمطار. للمزيد ينظر، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٠؛ الحربي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٩١.

٢- أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ١١٦.  
٣- هوبرت جريمة: وهو من المستشرقين الألمان البارزين، وهو الرجل الذكي الذي سلك طريقاً خاصة به، وزاول نشاطه منذ العام ١٨٨٩م في جامعة فرايبورج التي أسست في العام نفسه من آثاره: ترجمة القرآن، ومن دراساته: الإسلام و اليهودية. للمزيد ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ٢، ص ٤١٤.

٤- Gesehen، Mohammed، p:14-15.

٥- محمد، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الألمان منذ القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين (دراسة تحليلية)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، ص ١١١.

يعد في ذلك الوقت أن دينه يختلف اختلافاً كبيراً عن النصرانية فقد وجه أنباعه إلى أرض النجاشي<sup>(١)</sup> أقرب ممثل سياسي للنصرانية يمكن أن يحمي به<sup>(٢)</sup>.

ففي حادثة كبيرة مثل «الهجرة إلى الحبشة» لا نجد اهتماماً لائقاً عند بعض المستشرقين الألمان مثل فلهاوزن الذي لم يتطرق إليها في تناوله أحداث السيرة النبوية، وكذلك نولدكه؛ إذ لم يهتم بها إلا بنحو قليل<sup>(٣)</sup>، فهو ينكر تعرض أوائل الداخلين في الإسلام للتعذيب من قبل المشركين وادعى أنها قد بولغ في وقائعها.

كما أن المستشرق الألماني فردريك شواللي<sup>(٤)</sup> أغفل هذه الحقائق واستخف بها ودعا إلى عدم تصديقها، ورأى أنه لا يمكن تصديق الروايات حول الاضطهادات التي تعرض لها المؤمنون قبل الهجرة<sup>(٥)</sup>، وإن كان ما تقدم به المستشرق فردريك صحيحاً كنا نرجو منه إقامة دليل واحد على ردّها بدلاً من أحكام تطلق جزافاً، وليس بلاشير<sup>(٦)</sup> بمنأى عن هذا المنهج غير الموضوعي، ففي دراسته حول السيرة شكك في أمور منها: أن تاريخ الهجرة إلى الحبشة غير مضبوط، وطعن أيضاً في خبر المناظرة التي دارت في بلاط النجاشي<sup>(٧)</sup>.

وقد روى ابن هشام أن النبي ﷺ «لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء فقال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة... فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام<sup>(٨)</sup>.

١- النجاشي: أصحمة بن أبجر، واسمه في العربية عطية ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون فأواهم وقدم لهم المساعدة، أسلم حال وصول رسالة النبي ﷺ إليه توفي عام ٦٣٠هـ/ ٩٩م) وصلى عليه النبي صلاة الغائب، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٣٤٨؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٢٦.

٢- تاريخ الشعوب، ص ٤٠.

٣- تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٦٢.

٤- فردريك شواللي: من تلاميذه نولدكه أعاد طبع تاريخ النص القرآني بعد تحقيقه والتعليق عليه في مجلدين، طبع في ليبزيغ ما بين سنة ١٩٠٩م و١٩١٩م، للمزيد ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ٢، ص ٤١٠.

٥- Nöldeke, Theodor: Geschichte des Qorāns, Bearbeitet von: Friedric schwally, Erster-٥ Teil: über den Ursprung des Qurāns, Georg olms, S:4.

٦- بلاشير: تخرج من جامعة لايبزيك ودرس اللاهوت فآلم بالشرق، وقام بالتدريس في قصر المشير مرافقاً لنابليون وتعرف إلى دي ساسي وأصبح أستاذاً للغات الشرقية في جامعة درسدن وله العديد من الآثار، عقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٧٠٦-٧٠٧.

٧- نقلاً عن، السلوقي، دراسات المستشرقين للسيرة النبوية (معضلة محمد) لرجبس بلاشير أنموذجاً، ص ٣٣-٣٤.

٨- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٤٤. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٢٦.

ويميل جلكرايست إلى جعل صاحب هذه الفكرة «فكرة الهجرة إلى الحبشة والبحث عن ملجأ آمن هو بلال<sup>(١)</sup> بن رباح<sup>(٢)</sup>»، في حين لم يذكر لنا تفاصيل هذه الرواية، ولم يذكر لنا كم كان عدد من قام بالهجرة إلى الحبشة من المسلمين .

ويظهر أن محاولات المشركين باضطهاد المسلمين الأوائل قد ظفرت ببعض النجاح، وبخاصة فيمن لم يكن الإيذان قد تغلغل في نفسه، وقد أمر النبي ﷺ الصحابة بالخروج إلى الحبشة لعدة أسباب؛ إذ كان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي<sup>(٣)</sup>، لا يظلم أحداً بأرضه وكان يثني عليه، فهو من الملوك المسيحيين المتورين، قبل الإسلام، ومصدق هذه الصفة أنه لما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليه، ما أنزل الله على محمد ﷺ... بكى حتى اخضلت لحيته، وقال: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن الوضع الديني لم يكن في الحبشة العامل الوحيد الذي يحفز المسلمين للهجرة بل كانت هناك عدة عوامل يمكن أن تكون مساعدة للهجرة وهي أن أرض الحبشة بعيدة عن نفوذ الروم والفرس وقريش، وكان لأذى المشركين واضطهادهم للمسلمين أثر كبير في عدد من الصحابة الذين أجبروا على العودة إلى دين الوثنية، وقسم منهم قد قتل وتعرض للأذى وكان لابد من معالجة هذا الأمر.

فخرج المسلمون للحبشة فأشار لهم بأن يتفرقوا بعد أن ابتلوا أو شطت<sup>(٥)</sup> بهم عشائرتهم وأمرهم بالرحيل صوب الحبشة<sup>(٦)</sup>، كما أن طريق الهجرة ليس بالسهل، فالطريق من مكة إلى جدة بعيدة ومجهد، ثم إن المهاجرين متوجهون إلى مكان يكون غريباً عليهم، وفي البعثة المهاجرة نساء، ومنهن من أسقطت حملها في السفينة مثل

١- بلال بن رباح مولى أبي بكر، ويكنى بأبي عبد الله وهو من مولدي السراة واسم أمه حمامة، لقب بمؤذن الرسول ﷺ، ينظر؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٣٢.

٢- Gilchrist، Mhammad the prophet of Islam، p.21.

٣- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ٩٦٧؛ ابن عبد البر، التمهيد، ج ٦، ص ٦٢٣.

٤- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٨٤.

٥- شطت الدار: أي بعدت وشط فلان في حكمه شطوطاً أي جار وظلم وشط في القول شططاً، أي أغلظ فيه، للمزيد ينظر، أبو العباس الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج ١، ص ٣١٣.

٦- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ٦٨٧.

رقية بنت النبي ﷺ زوج عثمان بن عفان<sup>(١)</sup>، وقد تعرض آخرون إلى حوادث الطريق في أثناء الهجرة، فقد نهشت حية الصحابي خالد بن حزام بن خويلد الأسدي، ابن أخت أم المؤمنين خديجة (رضوان الله عليها)<sup>(٢)</sup>.

وبعد الاطلاع على المصادر الإسلامية يمكننا أن ننوه إلى سؤال مهم، وهو من صاحب فكرة الهجرة إلى الحبشة، إذ ذكر جلكريست: أن صاحب الفكرة هو بلال بن رباح، وهذا ما لا يمكن الركون إليه؛ وذلك لأن في هذه الهجرة الكثير من المجازفة، ولأن إرسال المسلمين إلى الحبشة معناه إرسالهم إلى المجهول، وقد ذكرنا أن طريق الحبشة ليس بالسهل كما أن بعض المسلمين تعرض إلى الأذى، ومعنى ذلك أنه لا توجد ضمانات للمحافظة على حياتهم، إلا إذا آمنا أن قرار إرسالهم تم بإرادة وتوجيه إلهيين، ولم يكن للنبي ﷺ إلا أن ينفذه، ومن ثم فإن الهجرة صوب الحبشة لا يمكن أن تحسب للنبي ﷺ ولا لغيره من الصحابة، وأن ورود اسم الصحابي بلال هنا قد يأتي من باب إضافة الأدوار والمبالغة في ذلك مما احتوته بعض أخبار السيرة في إسناد الأدوار إلى بعض الشخصيات القريبة من النبي ﷺ.

كما أن بلالاً قد ولد في السراة وقد نشأ ما بين مكة والمدينة<sup>(٣)</sup>، مما يتعذر عليه معرفة أجواء الحبشة وأوضاعها لكي تكون له تلك المقولة التي خاطب بها النبي ﷺ والتي ذكرها جلكريست «إن شعب بلاده (الحبشة) كانوا مسيحيين يخشون الله وإنهم سوف يرحبون به»<sup>(٤)</sup>.

١- الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ٥٥٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٤٣٢.

٢- الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ١٠٥.

٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٣٢.

٤- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p21-٤.

## ٢- الغرائيق<sup>(١)</sup>

عمد جلكريا يست مرة أخرى إلى التصريح بالقول: «بأن ما حققه النبي ﷺ في هداية بعض وجهاء مكة ومنهم حمزة<sup>(٢)</sup> الذي كان رجلاً قوياً والذي رفض دعوة ابن أخيه، والذي أقسم بالولاء لدعوته عندما سمع عن الإهانات والأذى الذي كان يقع عليه»<sup>(٣)</sup>. والذي يتأمل ما ذكره جلكريا يست يمكن أن يتبادر إلى ذهنه أن حمزة عم النبي ﷺ، والذي لم يكن على الهداية والإيمان بالدعوة الإسلامية، فقد آمن في الدعوة من دون سبب سوى تعرض النبي ﷺ إلى الأذى والإهانات؛ مما دفعته إلى دخول الإسلام، وقد تكونت هذه الرؤية لدى المستشرق في ضوء اطلاعه على الرواية الإسلامية التي ذكرت: «أقبل حمزة بن عبد المطلب متوشحاً قوسه، راجعاً من قنص له فأخبرته زوجته يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد قبل أن تأتي من أبي الحكم بن هشام! وجده هاهنا جالساً فسبه وآذاه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد. قال: فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج سريعاً لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالكعبة، معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به، فلما وصل إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس فضربه بها ضربة فشججه بها شجة منكراً»<sup>(٤)</sup>.

ولم يتطرق جلكريا يست إلى إسلام حمزة ﷺ عم الرسول ﷺ فقد ذكرت المصادر الإسلامية أن إسلامه «بعد الإعلان بالدعوة وبعد مفاوضات قريش مع أبي طالب»<sup>(٥)</sup> وعروضهم عليه وبعد أن عدلوا عن ذلك إلى العداوة والأذى»<sup>(٦)</sup>.

١- الغرائيق : والغرنوق والغريق يضم العين وفتح النون، طائر أبيض وقيل: هو طائر أسود من طير الماء طويل العنق؛ للمزيد ينظر؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ٢٨٧.

٢- حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسود رسوله وعمه، رضي الله عنه، ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. وكان يكنى بأبي عماره. للمزيد ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٥.

٣- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p22.

٤- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٣٤؛ ابن حبيب، المنق في أخبار قريش، ص ٣٣٩.

٥- أبو طالب بن عبد المطلب - واسمه عبد مناف وأمه فاطمة أم عبد الله بن عبد المطلب أيضاً - فكان منيعاً عزيزاً في قريش، وكانت قريش تطعم فإذا أطعم (أبو طالب) لم يطعم يومئذ أحد غيره. للمزيد ينظر، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٣.

٦- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦٤.



فلما أسلم حمزة عز به الدين والنبي ﷺ فكفوا عما كانوا ينالون منه<sup>(١)</sup>. والظاهر مما ذكر أن إسلام حمزة عم الرسول ﷺ لم يكن منطلقاً من عاطفته وتعصبه القبلي وذلك لأن رابطة الدم هي التي دفعته إلى اعتناق الإسلام وليس على أساس القناعة، وإنما كان بسبب القناعة الكاملة مما شاهده من مواقف النبي ﷺ وسمعته وسلوكه، وقد يكون سبب عدم إعلانه هو للحفاظ على الإسلام والمسلمين من زيادة أذى قريش لهم. ثم يذهب بعد ذلك جلكريست إلى القول: «إن محمداً كان حريصاً على الإصلاح في قومه من خلال رسالته ولم يرتح من الاضطهاد... فقد كان رجلاً واقعياً نشيطاً طوال حياته... ولكن واحدة من هذه الطرق كان ليكلفه مصداقيته»<sup>(٢)</sup>.

في محاولة منه للقول: إن النبي ﷺ كان مستعداً في لحظة من لحظات بداية نشر الدعوة والرسالة الإسلامية في مكة للتخلي عن الإسلام من أجل إيجاد نوع من التقارب مع أبناء قومه، متغافلاً عن قيام النبي ﷺ برفض كل أشكال الوساطات والمفاوضات التي قدمتها قريش، وكذلك الإغراءات التي وضعتها أمامه فما كان إلا أن أجابهم «يا عماء لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهر الله أو أهلك فيه ما تركته»<sup>(٣)</sup>.

ومن تأمل كلام جلكريست يمكنه التوصل إلى ما كان يريد قوله ومحاولته في أن يفسر ما حدث على أنه لم يكن هناك وحي منزل من السماء وإنما كان ذلك نتيجة إرهابات أو خلجات كان يعانها النبي ﷺ.

ثم يبدأ جلكريست برواية حادثة الغرانيق ليشير إلى أن النبي محمد ﷺ «كان يجلس في أحد الأيام بين القرشيين عبدة الأوثان بالقرب من الكعبة وقد اقترب منهم ثم اقتربوا منه وتلا عليهم الجزء الأول مما يعرف بسورة النجم من القرآن»<sup>(٤)</sup>.

١- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ص ٣٣٥.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p22-٢.

٣- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٦٢.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p22-٤.

حتى جاء إلى عبارة اللات<sup>(١)</sup> والعزى<sup>(٢)</sup> ومناة<sup>(٣)</sup> الثالثة، ثم قال تلك الغرائق العلى والتي يتأمل منها الشفاعة<sup>(٤)</sup>.

إن من يدقق في النص الذي أورده المستشرق جلكريست يمكن أن يتبين له عدة أمور منها أن النبي ﷺ لم يكن بعيداً عن أهل مكة لكي يلتقي بهم؛ فهو يلتقي بهم باستمرار بالقرب من الكعبة الشريفة لغرض عرض الدين الإسلامي عليهم، وقد كانوا يتهربون من اللقاء به أو محاولة التقرب منه.

يضاف إلى ذلك أن هذه القصة قد لحقها الكثير من الزيادات لغرض إثبات صحتها على أيدي الوضّاعين في العصرين الأموي والعباسي في نهاية القرن الأول والقرن الثاني الهجريين، وقد اشتهرت تلك المرحلة بكثرة الوضع وكثرة القصص التي تعرف بالاسرائيليات .

وأراد جلكريست بسرده هذه القصة وإيراده رواياتها غرضاً واحداً، وهو محاولة إخراج النبي ﷺ من حالة العصمة التي حباه الله جل جلاله بها وميّزه عن غيره كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وليس الأمر كما ذهب جلكريست من أن محمداً ﷺ «قد سعى إلى نقطة يستطيع فيها التوافق معهم، وإنه كان حريصاً جداً على الإصلاح في قومه من خلال رسالته»<sup>(٦)</sup>.

١- اللات : هي صنم لثقيف، وقد تسمى بها العرب وقد سمي ثعلبة بن عكاية ابنه تيم اللات، وتيم اللات بن ثور، وزيد اللات بن رفيدة بن ثور بن وبرة بن مر، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٦.

٢- العزى : هي صنم لغطفان، وكانوا بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدة، وسدنتها بنو شيبان بن جابر بن مرة بن عيس بن رفاع، وكانوا حلفاء بني الحارث بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف، فبعث النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، خالد بن الوليد إليها فهدم البيت وأحرق الشجرة، والعزى، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٦.

٣- مناة : هي صنم نصبها عمر بن لحي في يثرب، وكانت الأوس والخزرج والأزد وغسان يحجونها ويعظمونها، كانت مناة صخرة هذيل، وكانت بقديد، ينظر: الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ١٢٥. الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج ٥، ص ١٦٣؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٦.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p22-٤.

٥- الحج، ٥٢.

٦- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p22-٦.



فلم يتورع المستشرقون في إيراد حادثة الغرائق؛ فهذا المستشرق ميور يروي لنا حادثة الغرائق في رؤية جديدة، نقلاً عن رواية الواقدي تحت عنوان « قصة الزلّة تاق محمد إلى تسوية مع قومه باعترافه بألّهم في منظومته وعدهم شفعاء عند الإله الأعلى، وبينما كانت قريش تحيط بالكعبة، بدا محمد يتلو عليهم الآية الثالثة والخمسين»<sup>(١)</sup>، أي سورة النجم.

ثم يتبعه وات<sup>(٢)</sup> في الرأي نفسه؛ إذ أكد «وقوع هذه القصة ويرى أن هذه القصة كانت تستدعيها ظروف مرحلية حيث كان النبي ﷺ يريد أن يتآلف أهل الطائف ويثرب والنواحي المجاورة لمكة»<sup>(٣)</sup>

وقد اعتمد جلكريست على القصة التي أوردتها المصادر الإسلامية، والتي ورد فيها «وكان سبب قدومهم إلى النبي ﷺ أنه لما رأى مباحدة قومه له شق عليه وتمنى أن يأتيه الله بشيء يقاربهم به وحدث نفسه بذلك فأنزل الله ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ فلما وصل إلى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه تلك الغرائق العلى، وأن شفاعتهم لترجي، فلما سمعت ذلك قريش سرهم، والمسلمون مصدقون بذلك لرسول الله ﷺ لا يتهمون به ولا يظنون به سهواً ولا خطأ؛ فلما انتهى إلى سجدة، سجد معه المسلمون والمشركون إلا الوليد بن المغيرة<sup>(٤)</sup> فإنه لم يطق السجود لكبره فأخذ كفاً من البطحاء فسجد عليها ثم تفرق الناس»<sup>(٥)</sup>.

وقد أراد جلكريست من هذه الحادثة إخراج النبي ﷺ من حالة العصمة حيث تمكن الشيطان من إدخاله في الخطأ من حيث لا يشعر وقد أراد الواضع لهذه القصة إضفاء

١- 152-153 p. vol. II. The life of Mohammad from original sources.

٢- وات : عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرة وله العديد من الآثار، منها محمد في مكة ومحمد في المدينة وكذلك كتاب الإسلام والجماعة الموحدة، للمزيد ينظر : العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٥٥٤.

٣- نقلاً عن، صالح، وفيات مع بعض المستشرقين في دراستهم للسيرة النبوية، مجلة دراسات إسلامية بكلية الآداب، جامعة الخرطوم، ص ١٨١.

٤- الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر، وأمه أميمة بنت الوليد بن عثي بن أبي حرملة من بجيلة، وقد مات على دين قومه، ينظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٩٨.

٥- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٧٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٢٣.

حالة من الصدق فأورد أحداثاً لا صلة لها بالقصة لغرض إثبات صحتها ويمكن إثبات أن الرواية التي ذكرها جلكرياست، والتي أطلق عليها الآيات الشيطانية والمعروفة في المصادر الإسلامية بالغرانيق. إن هذه الرواية من الروايات المكذوبة بالاستناد إلى جملة أمور، فضلاً عن أنه ورد « أن هذا من وضع الزنادقة »<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

يضاف إلى ذلك ضعف السند الذي نقل الرواية، وأن جميع روايات القصة هي إما ضعيف، وإما منقطع<sup>(٣)</sup>، ويحتمل أن من قام بنقل الرواية هو غير ثقة<sup>(٤)</sup>. كما أن هذه الرواية تنافي قوله عز وجل ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾<sup>(٥)</sup>، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾<sup>(٦)</sup>.

ومن اللافت للنظر التناقض الذي أورده جلكرياست عندما وصف النبي ﷺ بأنه على فطنة ودراية بالأمر، وما امتاز به من راحة عقل؛ فكيف به يبقى غافلاً حتى المساء إلى أن جاءه جبرائيل لينبئه بأن الشيطان قد أوحى إليه ما قد أوحى، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن هناك ما يزيد من أمر التشكيك بالرواية، وهو أن المشركين قد سجدوا لله بعد قوله ﴿فأسجدوا لله واعبدوا﴾<sup>(٧)</sup> في حين إن المشركين من قريش كانوا يرفضون السجود لله استناداً إلى قوله تعالى ﴿واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزدناهم نفورا﴾<sup>(٨)</sup>.

١- ومفردها زنديق، بالكسر: من الثبوة أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يظن الكفر ويظهر الإبان أو هو معرب: زن دين، أي: دين المرأة، ج: زنادقة أو زناديق، وقد تزندق، والاسم الزندقة، ورجل زنديق وزندقي: شديد البخل. والزنديق فارسي معرب أصله: «زنده كرد» أي: يقول بدوام الدهر؛ لأن زنده: الحياة، وكرد: العمل. للمزيد ينظر: الشيباني، الرد على الجهمية والزنادقة، ص ٥٨.

٢- الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٦، ص ٣٨١.

٣- الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٣٣٣.

٤- ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ويعرف بمقدمة ابن الصلاح، ص ٢٦.

٥- الحجر، ٤٢.

٦- الكافرون، ١: ٦.

٧- النجم، ٦٢.

٨- الفرقان، ٦٠.



وهناك رواية أيضاً تثبت بطلان هذه القصة، مفادها أنه لما قرأ الرسول الكريم ﷺ سورة النجم، وانصرف الناس عنه، قال عتبة بن أبي لهب لأبيه، سأذهب وأغيظ محمداً، وكان في مجلسه التي دارت به قصة الغرانيق وسجود المسلمين والمشركين، فقال له وبصوت عال، سمعه كل من كان في مجلس النبي الكريم ﷺ، أنا أكفر بالذي ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾<sup>(١)</sup>، فدعا عليه النبي الكريم ﷺ وقال : «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك... فسلط عليه أسد فافترسه من بين قومه وهو نائم»<sup>(٢)</sup>.

ومن المرجح أن الرسول الكريم ﷺ لما قرأ سورة النجم، ولما كان في آخرها آية السجدة ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾<sup>(٣)</sup>، فمن الطبيعي أن يسجد لله عز وجل، وهنا تصور المشركون أنه سجد لأهتهم اللات والعزى ومناة الثالثة، التي وردت في السورة نفسها، فذاعت السجدة في مكة ووصلت إلى الحبشة، لتجعل المهاجرين يعودون إلى مكة المكرمة في شهر شوال من السنة الخامسة للبعثة النبوية، ليكونوا بين قبائلهم، وبجوار الرسول الكريم ﷺ وقالوا: إن العودة أحب إلينا من البقاء بالحبشة، لأن الأحوال قد تحسنت بين المسلمين والمشركين.

وهو الذي دفع جلكريست إلى القول «إن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة عادوا إلى مكة المكرمة عندما سمعوا أن محمداً وقريشاً قد حلوا خلافتهم وأن القرشيين أصبحوا مسلمين»<sup>(٤)</sup>، وهذا الأمر لا يمكن قبوله؛ لأنه لا يعرف كيف وصل الخبر إلى الحبشة بهذه السرعة في حين إن هذا الأمر قد حدث بعد شهرين من الهجرة إلى الحبشة، ومن ثم لا توجد وسائل سريعة للاتصال لكي يصل الخبر بالسرعة المطلوبة، ولكن يمكن استدراك أمر مهم هو كثرة من أسلم من أهل الكتاب، والذين قاموا بإدخال الكثير من الإسرائيليات بما يتلاءم مع أهدافهم وعقيدتهم؛ فإيمانهم لم يكن نابعاً عن عقيدة مطلقة،

١- النجم، ٨.

٢- الدولابي، الذرية الطاهرة، ج ٥، ص ٩٨.

٣- النجم، ٦٢.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p23-٤

وإنما لغرض التخلص من الجزية فضلاً عن أن محاولاتهم المستمرة في الطعن بعصمة النبي ﷺ وما لبث أن تهافت المستشرقون للإفادة من هكذا أساطير للطعن في سيرة نبينا الكريم ﷺ لذلك لا يمكن بأي حال من الأحوال القبول بهذه الرواية .

وذهب جلكريايت إلى أن المفسر الزمخشري قد أشار إلى أن هذه الآية تشير إلى المناسبة التي قام فيها الشيطان بإلقاء شيء بما يتفق مع تمنيات محمد، وقد أوضح الطبري أن هذه الآية قد أوحيت لمحمد مباشرة بعد زلة لسانه<sup>(١)</sup> .

إن ذكر هذا الموضوع من قبل جلكريايت إنما يدل على مدى اطلاعه على الكتب والمصادر العربية سواء في التاريخ والتفسير واللغة والحديث وهي ميزة تميز بها عن غيره من المستشرقين غير أننا لا نتفق معه على الرغم من استناده إلى مصادر عربية؛ وذلك لأن الآية القرآنية التي جاءت لتخفف عن النبي، وهي التي تعرف بآية التمني ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذه الآيات هي من سورة الحج، وسورة الحج مدنية جاء فيها الأمر بالحج والقتال والجهاد، أي أن هذه السورة قد نزلت على النبي ﷺ في المدينة، وجاءت بعد قصة الغرائق بسنوات عديدة، وهذه القصة حدثت في السنة الخامسة للهجرة؛ ولذلك لا نعرف لماذا أخرج الله سبحانه وتعالى أمر تهدة النبي ﷺ كل هذه السنين الطوال .

ولكن مع هذا كله يأتي كثير من المستشرقين وينقلون هذه القصة ويعدون حقيقة تاريخية، ولا يشيرون لأي تجريح أو تضعيف لهذه الروايات الواهية إلا من ندر منهم كالمستشرق البريطاني بورتن<sup>(٣)</sup>، إذ يرى أنها من تلفيقات الفقهاء<sup>(٤)</sup>، والمستشرق

١- ٢٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p24- ١

٢- الحج، ٥٢، ٥٣ .

٣- ريتشارد فرنسيس بورتن : مستشرق انكليزي رحالة. ولد في (هرفورد شاير) وكان والده (جوزيف نيتفيل بورتن) ضابطاً في الجيش البريطاني، وجدّه (إدورد بورتن) قسيساً في آيرلندا. وتعلم ريتشارد مبادئ اللاهوت في أكسفورد. وألف أربعة كتب. ودخل الحجاز سنة ١٨٥٣ م، ووضع كتاباً سماه (الحج إلى مكة والمدينة) وهو يعدّ من أعظم المراجع عند الغربيين في موضوعه. للمزيد ينظر : الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٣٨.

٤- نقلاً عن، أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية، ص ١٣٤ .

كيتي<sup>(١)</sup>؛ إذ ترفضها لضعف إسنادها<sup>(٢)</sup>، واتخذ بروكلمان هذه القصة دليلاً واضحاً على فكرة تطور التوحيد الإسلامي المزعومة [أي مع العبادة الوثنية]؛ إذ أشار في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: «تلك الغرائق العلى وأن شفاعتهن لترضى»<sup>(٣)</sup>، والقول الآخر: «إن الوحداية التجريدية التي كانت إلى حد كبير أساس قوة الإسلام على غزو القلوب واكتساب الأتباع لم تنشأ إلا تدريجياً، ولقد سبقت منا الإشارة إلى النزوع الأولي من النبي ﷺ للاعتراف بالآلهة المكية الرئيسة شفعاء عند الله»<sup>(٤)</sup>.

وقد أثار جلكريست هذه القصة، أي قصة الغرائق؛ إذ ذكر أن الكتّاب المسلمين قد بذلوا كل الجهود للتشكيك بصحتها، وهناك أسباب لاحتمال كونها صحيحة في أساساتها<sup>(٥)</sup>. ثم ذهب إلى القول بأنّ كلاً «من الطبري وسيرة الرسول ﷺ لابن اسحاق والتي قام ابن هشام بتهذيبها هي الوثائق الوحيدة على قيد الحياة من عمله ... ثم إن الكاتب قد محا بشكل متعمد المواد التي يعتقد أنها تضر محمداً»<sup>(٦)</sup>.

ونلاحظ هنا اتفاق جلكريست مع المصادر الإسلامية؛ ذلك أن ابن هشام قد هذب سيرة ابن إسحاق؛ إذ افصح «أن ابن هشام وضع سيرة ابن إسحاق بين يديه ثم تعقب ما كتبه بالتحقيق والتمحيص والتعليق فاختصر وحذف منها ما رأى أنه بعيد عن إطار السيرة النبوية»<sup>(٧)</sup>، ومن خلال الاطلاع عليها لم يذكر أنه قد محا المواد التي تضر بالنبي ﷺ في حين إن ابن هشام قد أوضح مسبقاً أنه كان ينقل عن ابن اسحاق أشعاراً فاسدة، وهذا دليل على أنه قد اقتطع هذا الشعر الفاسد من سيرة ابن اسحاق<sup>(٨)</sup>.

١- كيتي: لم أعثر لها على ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.  
٢- نقلاً عن، أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص ١٣٤.  
٣- بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص ٣٤.  
٤- بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص ٧٠.  
٥- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p23-٥.  
٦- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p23-٦.  
٧- ابن هشام، السيرة النبوية. ص ٨.  
٨- ابن هشام، السيرة النبوية. ص ٧.

وبعد الاطلاع على ما ذكره جلکرایست، وما تم ذكره في المصادر الإسلامية، وما تم إجراؤه من عمليات مقارنة وتدقيق وتمحيص للروايات وتحليلها يظهر أن هذا الموضوع قد أثاره جلکرایست لا لشيء إلا لغرض التشكيك بالنبي الأكرم ﷺ وعصمته من الخطأ وهو بداية لأمر أكبر، وهو التشكيك بالوحي الذي أنزل على النبي ﷺ وهي محاولة من قبل المستشرق في التدرج في عرض الأحداث من خلال الانتقال بها من فقرة إلى فقرة أخرى والغرض من ذلك هو الوصول إلى ما كان يرغب في عرضه من أهداف وغايات، وهو النيل من شخص النبي ﷺ، ولذلك يجب الجزم بأن قصة الغرائق لا يمكن تصديقها لأنها منافية للقرآن؛ إذ لا يمكن أن يندد فيها القرآن بالآلهة التي كانت تعبدها قريش، ومن ثم يمتدحها مرة أخرى، بقوله: تلك الغرائق العلى، وأن شفاعتهن لترتجى<sup>(١)</sup>.

ويعدُّ المستشرقون اعتراف النبي ﷺ بالآلهة الثلاثة كان وراءه هدف سياسي لكسب الأنصار في مكة والمدينة والطائف، واستمالة عدد من زعماء قريش، غير أنه من الأهمية بمكان، التأكيد على أن النبي ﷺ الذي عرف طوال عمره بروحه الكفاحية العالية التي لا تهادن، لا يمكن البتة أن يعترف بتلك الآلهة، ويقع في فخ الشرك الذي كان أساس دعواه القضاء عليه وإقامة الوحداية.. وهذا مما يؤكد بدوره اختلاق هذا الخبر المدسوس في كتب الحديث المشهورة بضعفها وعدم ثقة رواتها، ولا سيما أن هذا واضح بقول جلکرایست «فقد كان رجلاً واقعياً نشيطاً طوال حياته وأراد منهم بإخلاص الوقوف إلى جانبه»<sup>(٢)</sup>.

ولكن لو أردنا أن نحسن الرد على هذه القصة التي ترادفت على ذكرها الكثير من المصادر، وزيتها أقلام المستشرقين، ويمكن أن نرد بما رده العالم الهندي مولانا محمد<sup>(٣)</sup>، إذ قال: «إن هذه الرواية وردت عند الواقدي وعند الطبري، ومع ذلك فإنها لا ظل لها

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p22-١

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p22-٢

٣- مولانا محمد: هو محمد علي جوهر قائد سياسي وشاعر هندي ولد في ولاية رامبور وعمل مديراً للتعليم في ولاية لامبور وأصبح واحداً من المؤسسين المساعدين في جامعة الملة الإسلامية وانتخب رئيساً للمؤتمر الوطني الهندي = توفي في لندن ودفن في القدس وكان من أشد المقاتلين المتحمسين لاستقلال الهند وفلسطين من الاستعمار البريطاني، للمزيد ينظر موسوعة الوكيديا على الأنترنت / <https://menoflostglory.wordpress.com>

من الحقيقة، فإن كل عمل من أعمال رسول الله مناقض لمثل هذا الاتجاه . أضف إلى ذلك أن الواقدي معروف بسرد الإسرائيليات وبسرد الخرافات . وكذلك الطبري معروف بالجمع الكثير وباستقصاء الروايات مهما كان حظها من الصحة . على أننا لو رجعنا إلى رواية محمد بن إسحاق أو إلى صحيح البخاري وهو الذي لم يغادر من حياة الرسول شيئاً إلا ذكره لم نر لقصة الغرائق أثراً . وابن إسحاق جاء قبل الواقدي بأربعين سنة، وقبل الطبري بنحو مائة وخمسين سنة أو تزيد . ومع ذلك لم يذكر هذه القصة . ثم إن الواقدي معروف عند المحدثين بأنه يضع الأحاديث وأنه غير ثقة فيما يروي، وكذلك لم يذكرها أحد من رواة الحديث.<sup>(١)</sup>

أما المستشرق الإنكليزي وليم موير فيعارض كل من ذهب بصحة هذه القصة، وخلص إلى القول : «هذه هي الحجج التي يسوقها من يقولون بصحة حديث الغرائق وهي حجج واهية لا تقوم أمام التمهيص»<sup>(٢)</sup>.  
ومما يضعف هذه الرواية أيضاً اختلاف نص الآيات الشيطانية التي أوردوها في كتبهم، فقد جاءت بألفاظ شتى :

أ - تلك الغرائق العلى، وأن شفاعتهن لترجى .

ب - تلك الغرائق العلى، وأن شفاعتهن ترجى مثلهن لا ينسى<sup>(٣)</sup> .

ومن ثم يتبين لنا من خلال عرض هذه الأدلة مدى تهافت آراء المستشرقين وجلكريست واحد منهم في معالجته لأحداث السيرة النبوية ومدى ابتعادهم عن الموضوعية التي جانبها تماماً بعد أن غصّ النظر عن الأدلة التي تنفي هذه الحادثة، ونحن على يقين أنه قد اطلع عليها في كتب السيرة والتاريخ الإسلامي .

١- بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص ٣٥.

٢- نقلاً عن، هيكل، حياة محمد، ص ١٦٢-١٦٣.

٣- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٤٠.

### ٣- ذهاب النبي ﷺ للطائف

من الموضوعات التي تم تناولها من ضمن موضوعات السيرة النبوية هي دعوة النبي ﷺ لأهل الطائف<sup>(١)</sup> للدخول في الإسلام بعد أذى قريش له في مكة بعد وفاة السيدة خديجة عليها السلام وأبي طالب لذلك كان لابد من أن يبحث النبي ﷺ عن مكان لغرض نشر الدين الإسلامي بعد الأذى المستمر له من المشركين، وقد تناول عدد كبير من المستشرقين هذا الموضوع؛ فمنهم من كان منصفاً، ومنهم من تحامل وحاول بيان أن النبي ﷺ قد أصابه القنوط والضعف، وقد تناول جلكريست هذا بقوله: « انطلق محمد للذهاب إلى الطائف، على أمل أن يكون الرد على دعوته هنا في الطائف أكثر ملاءمة من ذلك الرد الذي كان في مدينة مكة. وكانت أول خطوة له دعوة رؤساء القبائل، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده، والرضوخ إلى إرادته كما أوحى إليه ذلك من خلال الرسالة الإلهية في القرآن»<sup>(٢)</sup>.

وتناول موضوع دعوة ثقيف من أهل الطائف للدخول في الإسلام وكيف رد رؤساء القبائل فيها: « ولكنهم على أي حال رفضوه بكل وقاحة، وطرده. واحد منهم أقسم أنه سيمزق غطاء الكعبة إذا كان الله قد أرسله، وقال الآخر: ألم يجد الله أحداً خيراً منك حتى يرسله إلينا وقال الثالث: أقسم بالله، أن لا أتحدث إليك أبداً، وإذا كنت رسولاً من الله كما تقول إنك كذلك، فمن الخطر جداً بالنسبة لي أن أرد عليك، وإذا كنت تكذب على الله، فليس من الصحيح أنه يجب علي التكلم معك»<sup>(٣)</sup>.

وإذا رجعنا إلى أصل هذه الرواية التي عرضها جلكريست نجدها متفقة تماماً مع أصل الرواية التي نقلتها المصادر الإسلامية؛ إذ ورد أنه منذ أن كان النبي ﷺ ضمن مقاطعة شعب أبي طالب كان يخرج في الأشهر الحرم ليعرض نفسه على القبائل<sup>(٤)</sup>.

١- الطائف : بلدة على طرف واد، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، طيبة الهواء شمالية، ربما يجمد الماء بها في الشتاء. للمزيد ينظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٩٧-١٠٠.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p26-٢

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p26-٣

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٨٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٤١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٨٢؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ٢٢٥؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة



وكانت هذه القبائل تنظر إلى أن دعوة النبي ﷺ إليهم هي لأجل فرض سيادته عليهم، لذلك فهي تنظر إلى أن النبي ﷺ كان يريد الزعامة، ولو كان كذلك لكان قد رضي بما قدمته له قريش من إغراءات لكي تكسبه إلى جانبها، أما عن السبب الذي دفع النبي ﷺ لاختيار الطائف لغرض نشر الدعوة الإسلامية فيها فالطائف تبعد عشرة فراسخ عن مكة<sup>(١)</sup>، فقد ذكر سيديو أن سبب خروج النبي ﷺ هو للإقامة فيها؛ إذ يقول «فيحاول أن ينجو بأن يقيم بالطائف، فلا يستمع أهل الطائف إلى كلامه فيطردونه»<sup>(٢)</sup>.

ولعل السبب الذي دفع النبي ﷺ لاختيار الطائف هو أن العلاقة بين مكة والطائف لم تكن حسنة؛ وذلك لأن أهل مكة كانوا يستغلون أهل الطائف، وأن لأهل مكة مصالح كبيرة فيها، إذ إن كثيراً من بساتينها كانت ملكاً لأهل مكة، ول بعضهم أموال وقروض تعطى بالربا لأهل الطائف من ثقيف من بني ضمرة وكانت أموال الربا عظيمة<sup>(٣)</sup>، وأورد لنا وات أنه «من الواضح أن محمداً لجأ أولاً ما لجأ إلى الطائف بحثاً عن مجال جديد للدعوة»<sup>(٤)</sup>، والمستشرق دينيه ذكر أن سبب خروج النبي محمد ﷺ من أجل الحصول على النصرة والمنعة له ولأصحابه؛ فيقول: «نأى كاهل الرسول بالكارثتين المتتابعين، وأضحت قريش بعد موت حاميه النبل تعلن ما كانت تُسر... ورأى أنه لو وقف في حمل بعض العرب من خارج مكة على اعتناق دعوته، فإن تعضيدهم لأنصاره المكين الذين بلغوا عدداً لا بأس به يجعل للإسلام حزباً يفرض نفسه على المناوئين، توجهت أولى محاولات من هذا النوع إلى الطائف»<sup>(٥)</sup>.

وبمقارنة ما أورده جلكريست مع نص الرواية الواردة في المصادر التاريخية نراه قد كان منصفاً فيها، ولم يكن هناك دس وتضليل فيها، ولكنه عندما أبدى رأيه نراه قد

في تميز الصحابة، ج ٢، ص ٣٢٥.

١- الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٨؛ عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ص ١٣٩.

٢- تاريخ العرب العام، ص ٦٢.

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ١٩٩.

٤- محمد في مكة، ص ٢٧٥.

٥- محمد رسول الله، ص ١٥٤-١٥٥.

تأثر بغيره من المستشرقين بقوله: «عاد فاشلاً إلى مكة. وفي هذه المرحلة وصلت دعوته بأكملها إلى أدنى مستوى لها. بعد حوالي عشر سنوات من الوعظ الصبور والصامد كانت النتائج ضعيفة جداً ويبدو أن هناك القليل من الأمل في حصول أي تغيير في قلوب العرب الوثنيين»<sup>(١)</sup>.

فنرى وات يقول: «وأخيراً اتخذ محمد طريق العودة إلى مكة وكان بلا شك محبطاً إحباطاً شديداً»<sup>(٢)</sup>، لغرض إدانة النبي محمد ﷺ، ولا يمكن الاتفاق مع ما طرحه جلكريايس في هذا الموضوع؛ لأن النبي ﷺ لم يكن قد أصابه القنوط والفطور والإحباط، ولو كان ذلك ما أصابه لما قام بهجرته إلى المدينة ولما استطاع الإسلام الوصول إلى ما وصل إليه، ولما استمر إلى الآن، وهذا ما يفند ادعاءات جلكريايس وغيره من المستشرقين في مسألة الإحباط.

#### ٤- الإسراء والمعراج

قبل الولوج في موضوع الإسراء والمعراج والتفصيل فيه ومناقشة ما جاء به جلكريايس وجدنا أن من المناسب أن نقف على المعاني اللغوية والاصطلاحية للإسراء والمعراج، وهي كما يأتي:-

الإسراء لغة: السير ليلاً، ويقال: أسريت، وسريت ليلاً، والسرّاء: الكثير السرى بالليل، وقوم سراة: جمع سري<sup>(٣)</sup>، والسرى: سير الليل عامته، وقيل: السرى سير الليل كله، تُذكره العرب وتؤنثه<sup>(٤)</sup>.

#### الإسراء اصطلاحاً:

يقصد بالإسراء الرحلة العجيبة التي بدأت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالقدس<sup>(٥)</sup>.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p27-١.

٢- محمد في مكة، ص ٢٧٦.

٣- ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٨١؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٤١؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٩، ص ٥١٥.

٤- ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٨١.

٥- الغزالي، فقه السيرة، ص ١٣٨.

## المعراج لغة :

العروج، يعني الصعود، عرج يعرج عروجاً، ومنه المعراج<sup>(١)</sup>. وأما قول القائل : حتى إذا ما الشمس هُتّت بعرج؛ فقالوا: أراد غيوبة الشمس، أي أنها لما غابت فكأنها عرجت إلى السماء، أي صعدت وما يؤيدها هذا قول الآخر: وعرج الليل بروج الشمس<sup>(٢)</sup>.

## المعراج اصطلاحاً :

فتعني ارتقاء النبي ﷺ من الأرض إلى السماء، لذلك يقال : « الصلاة معراج المؤمن، وقربان كل تقي... »<sup>(٣)</sup> أي تصعد بالمؤمن إلى الذات الإلهية .

من الموضوعات المهمة في سيرة المصطفى ﷺ موضوع الاسراء والمعراج، والذي يعد من معجزات النبي ﷺ؛ إذ تتعلق بالعقيدة الإسلامية، وقد جاء بها النبي ﷺ لإثبات صدق نبوته، وأما سبب حدوث هاتين المعجزتين فهو لغرض إبراز دور العظمة الإلهية، ولتكون للمسلمين والمشرّكين عبرةً ودليلاً للهداية، وكثيراً ما كانوا يطلبون من النبي ﷺ المعجزات . وقد وردت اختلافات عديدة في نص هذه الروايات (أي الاسراء والمعراج) سواء في إيراد أو زيادة تفاصيل جديدة أو في إدخال بعض الأمور التي تجعل العديد من أصحاب النفوس الضعيفة من المنافقين والزنادقة وعدد ليس بالقليل من المستشرقين ملاذاً لتحقيق غاياتهم، كما لا يخفى على أحد من أن ثقافة الأديان الأخرى هي واحدة؛ فالنصارى يزعمون أنهم ودينهم خير من الإسلام والمسلمين، وأما اليهود فيرون أنهم هم الأفضل بالرجوع إلى نظريتهم الخاصة التي يعتقدون فيها بأنهم شعب الله المختار . وإن أول هذه الاختلافات في حادثة الاسراء والمعراج هو في تاريخ حدوثها، فقد زعم جلكريست أنه « باتجاه نهاية أيام محمد في مكة فقط قبل انتقاله إلى المدينة، كانت له تجربة غريبة والتي ادعى أنها حصلت كلها في ليلة واحدة بعد أن أوى إلى فراشه للنوم

١- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٠٣.

٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢٤٦.

٣- الكوراني، فلسفة الصلاة، ص ٢٢.

ويقال: إن الملك جبريل دعا محمداً إلى ركوب الدابة السماوية التي سميت بالبراق<sup>(١)</sup>، وهذا المخلوق كان له جسد حصان، ورأس الملاك وبحسب بعض المحفوظات التقليدية لهذا الحدث، كان لها ذيل الطاووس. فقد اقتيد من الكعبة في مكة في رحلة ليلية إلى الصخرة العظيمة في بيت المقدس؛ إذ يقف هناك المعبد اليهودي الأصلي، من هنا يقال: إنه صعد خلال السماوات، يلتقي الملائكة والأنبياء السابقين على طول الطريق، حتى ذهب لوحده إلى عرش الله، من هناك ذهب نازلاً لرؤية رعب الجحيم<sup>(٢)</sup>.

ولو تأملنا النص المذكور لوجدنا أن جلكريست قد ذكر أن الحادثة قد كانت في مكة وهو ما يتفق به مع المصادر الإسلامية ولكنه يؤكد لنا أنها حدثت في نهاية أيام محمد في مكة؛ وذلك باعتداده على بعض الروايات الموضوعة، والتي من خلالها لا يمكن أن نحمل الأمر كله إلى المستشرق جلكريست وحده، بل إن الأمر الذي يتحمله هو اعتداده على كتابات جهة معينة دون أخرى وإهماله للمؤلفات الشيعية، وهي محاولة منه لإعطاء بعض الأدوار لبعض الشخصيات في مثل هذه الحوادث، ويمكن أن نستدل على تاريخ حدوثها بالاستناد إلى رواية الإمام الصادق عليه السلام والتي قال فيها: «ولدت فاطمة في جمادي الآخرة اليوم العشرين من سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله، فأقامت بمكة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين»<sup>(٣)</sup>، وكذلك ذكر الكليني قول الإمام الباقر عليه السلام: «ولدت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين...»<sup>(٤)</sup>. فبالاستناد إلى أن السنة الخامسة للمبعث النبوي الشريف هي سنة ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، لذلك فإن الإسراء والمعراج كانا قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر استناداً إلى مدة الحمل الطبيعية للمرأة إذا أخذنا بالحسبان رواية السيدة عائشة «فقال: يا رسول الله

١- البراق: وهو اسم الدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الإسراء، لونها أبيض، وفيها طول فوق الحمار ودون البغل

حافره عند منتهى طرفه؛ النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٥٨.  
Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p86-٢

٣- البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ص ٧٨.

٤- الكافي، ج ١، ص ٤٥٧.

إنك لتكثر تقبيل فاطمة، فقال لها: إنه لما عرج بي إلى السماء مر بي جبرئيل على شجرة طوبى فناولني من ثمرها فأكلته، فحول الله ذلك ماء إلى ظهري، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها»<sup>(١)</sup>، أو لعله بسنة أو أكثر. وهكذا يصبح الرأي الأقوى والأصوب أن الإسراء والمعراج واستناداً إلى روايات أهل البيت الأطهار عليهم السلام قد حصلت في السنة الرابعة من المبعث، وهو أقوى الاحتمالات. وقد حاول جلكريست أن يطعن في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله «ولكن لا يبدو أن الآية تشير إلى واحدة من رؤاه الأولى في وقت بدء نزول الوحي، ولكن يبدو أن الآية تشير إلى واحدة من تصوراته الأولى في بداية وقت نزول الوحي»<sup>(٢)</sup>.

وهو بداية الطعن في صحة أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحة وحيه معتمداً على الروايات الضعيفة والمكذوبة، والتي لا تحتوي على السند السليم، ومن ثم فإنه يقوم باختيار أضعفها فضلاً عما يمكن أن يكون له دور في تعزيز مثل هذه الروايات الضعيفة والمكذوبة. ثم يتحامل جلكريست مرة أخرى بالقول: «هذه الرحلة الأولى فوق الصحراء العربية تعرف باسم الإسراء، وقد أضافت الأدبيات الإسلامية أن جمعاً من الملائكة كان يرافقه والتي كانت في خدمته وعند وصوله إلى أورشليم»<sup>(٣)</sup>، وبالنظر إلى المصدر الذي استقى منه جلكريست معلوماته، وهو صحيح مسلم نرى أنه قد قام بإدخال أحداث لم تذكر في صحيح مسلم ومثال ذلك «أن جمعاً من الملائكة كان يرافقه والتي كانت في خدمته وعند وصوله إلى أورشليم ترجل عن ظهر البراق»<sup>(٤)</sup>.

١- العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢١٢؛ القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ٢٢.  
 Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p86- ٢  
 ٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p87- ٣  
 ٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p87- ٤

وبالرجوع إلى متن الرواية، والتي تذكر أن جبرائيل وحده من رافق النبي ﷺ في هذه الرحلة<sup>(١)</sup>، إذ يستمر في إضافة أكاذيبه بقوله «يقال إن ثلاثة من الملائكة زاروه، عارضين عليه أواني من الخمر والعسل واللبن بعض الترائيات، مثل التي سوف نذكرها، تقول بأنها كانت اثنان فقط ... قدم لرسول الله كأسان، أحدهما يحتوي الخمر والآخر يحتوي على اللبن في ليلة رحلته الليلية إلى أورشليم. نظر إليها وأخذ اللبن. قال له جبريل، اشكر الله الذي أرشدك وذلك بالفطرة (أي بالإسلام)؛ لو كنت أخذت الخمر، فإن أتباعك سوف يهلكون بالضلالة»<sup>(٢)</sup>.

ولو قمنا بمراجعة أصل هذه القصة التي اعتمد عليها جلكريست في هذا الأمر فإننا لم نجد إلا ذكر قول جبرائيل عليه السلام «اخترت الفطرة»، ثم يتهافت جلكريست في ادعاءاته على النبي الأكرم ﷺ ولكنه في هذه المرة لا يخبرنا عن المصدر الذي أورد هذا الخبر بالقول «حيث زار محمد أولاً نهر الكوثر، نهر الغزير»<sup>٣</sup>؛ متناسياً ذكر المصدر الذي استمد منه هذه المعلومات؛ إذ وردت هذه الحادثة «... عن عائشة قال فسألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قالت: نهرٌ أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاهُ عليه دُرٌّ مجوف آنيته كعدد النجوم»<sup>(٤)</sup>.

وبعد مراجعة مصادر كتابة السيرة النبوية نجد أن هذه القصة أو الحادثة في صحيح البخاري، وهي مروية عن السيدة عائشة؛ إذ تغافل جلكريست عن أمر مهم، وهو أن السيدة عائشة لم تكن قد تزوجت من النبي ﷺ فضلاً عن اعتماده على جانب واحد من المصادر، ومن ثم فقد الجانب الموضوعي والعلمي والمنهجي في طرحه، كما أنه لم يلتزم جانب الحياد الذي يجب على الباحث أن يمتاز به هذا إذا عددناه باحثاً لا حاقداً. وتتلاقف يدا جلكريست موضوع الصلاة التي فرضت على المسلمين؛ إذ بدأ يذكر كيفية فرضها على المسلمين ولكن هذه المرة اعتمد في روايته لها على صحيح البخاري؛

١- ابن إسحاق، السير والمغازي، ج ١، ص ٢٩٦.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p87-٢

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p87-٣

٤- البخاري، صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٧٨.

إذ يقول: « هنا في هذا المكان أمر محمد بأن يخبر المسلمين أن عليهم أن يصلوا خمسين مرة في اليوم بعدها فرض الله خمسين صلاة على أتباعي. عندما رجعت بهذا الأمر من الله، مررت بموسى وقد سألني، ما الذي فرضه الله على أتباعك؟ أجبت عليه، إنه فرض خمسين صلاة عليهم. قال موسى ارجع إلى ربك والتمس منه التقليل لأن أتباعك سوف لن يكونوا قادرين على تحملها، الله ﷻ، وبناء على التماسه، قلل عدد الصلوات إلى أربعين ولكن مرة ثانية أجاب موسى بأن ناسه سوف لن يكونوا قادرين على تحملها، لذلك فقد استمر ذلك حتى أصبحت الصلاة لا تزيد على خمس. ولكن مرة أخرى عارض موسى بأن هذا سيكون عليهم كثيراً حتى يتحملوه ولكن محمداً بعدها توقف عن المطالبة»<sup>(١)</sup>.

ولغرض الوقوف على ما في هذه الرواية من نقاط خلافية سوف نوردنا بمثل ما وردت في مصادرها الإسلامية « وقد روى مسلم في صحيحه قصة الإسراء كاملة وفيها الرحلة إلى بيت المقدس؛ فقال: عن أنس بن مالك ... ثم عرج بنا إلى السماء السابعة... ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب، خفف عن أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى، وبين موسى ﷺ حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرين، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»<sup>(٢)</sup>.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p88-

٢- النيسابوري، صحيح مسلم، ج١، ص ١٤٥، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات.

وبالتدقيق في الرواية يمكن أن نجد عدة افتراءات على النبي ﷺ، والتي فتحت الباب أمام جلكريايس وغيره من المستشرقين للخوض في مثل هذا الأمر لغرض التدليس؛ إذ يقول أحد الباحثين: « وهذا الخبر فيه تسفيه للمسلمين، في ما نسب إلى موسى عليه السلام أنه قال لمحمد ﷺ فأمّتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، وفيه تسفيه لمحمد ﷺ الذي ليست لديه القدرة الذهنية لتقرير ماذا يفعل فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشير في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم، ويؤكد هذا الباحث بأن هذه القصة مختلقة فيقول: إن مختلق القصة متأثر بالتراث اليهودي الذي يرى أن من المعتاد أن يتكلم الله جل وعلا مع موسى عليه السلام وجهاً لوجه، كما ورد في كتابهم المقدس في عدة مواضع<sup>(١)</sup>. ولا بد من مراجعة هذا الأمر؛ إذ كيف يعترض نبي الله موسى عليه السلام على أمر الله في مسألة الصلاة وعددها، وهي التي فرضها الله جل جلاله على عباده، وهي الخمسون صلاة؟ وهل يمكن القول: إن الله جل وعلا لا يعلم أن هذه الأمة لا تستطيع أن تقوم بمثل هذا الأمر وهو القائل في قرآنه الكريم ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت هناك مصلحة لهذه الأمة في هذا العدد من الصلوات، فلماذا هذا التخفيف إذن، وهل يعقل أن النبي محمداً ﷺ لم يلتفت إلى مثل هذا الأمر ولم ينتبه إليه، وقد انتبه إليه النبي موسى عليه السلام في ثقل مثل هذا التشريع من قبل الله جل جلاله؟ ولماذا أيضاً يستمر الصعود والنزول عشر مرات، لماذا لا يكون دفعة واحدة ليحسم بها الموضوع وينتهي الأمر؟.

إن كل الروايات التي دفعها إلينا جلكريايس تبين أنه لم يتدخل فيها فقد كان أداة نقل ولم يبد رأيه فيها، وأن ما احتوته من افتراءات ما هي إلا لأنها كانت أصلاً موجودة في كتب سيرة النبي ﷺ، ثم يبدي الرأي الخاص به؛ إذ ذكر «كل هذه الحادثة يتم التعبير هنا في قبة الصخرة والتي تقع فوق القبة في أورشليم والتي يعتقد أن محمداً صعد منها إلى السماء. فهي

١- ابن قرناس، سنة الأولين، ص ٩٢٤-٩٢٥.

٢- البقرة، ٢٨٦.



تقف في موقف المعبد اليهودي الأصلي<sup>(١)</sup>. ويبدو لنا أن ذكر جلكريست لمثل هذا الخبر ما هو إلا لغرض القول: إن الديانة الإسلامية هي ذات جذور يهودية، وأنها مستوحاة من مواطن تقديس اليهود، وأن الديانة الإسلامية هي ليست ديانة قائمة بذاتها، وأن كل ما استمدته النبي محمد ﷺ هو بالأصل من الديانة اليهودية، وأما الغرض من ذلك فهو لتثبيت أوهام اعتقد بها المستشرق، أو أنه مدفوع لتحقيق غايات وأهداف خاصة به .

ثم زعم جلكريست «أن صعود محمد إلى السماء كان بجسده المادي في الرحلة الفعلية، إلا أن هناك العديد من الكتاب المسلمين والباحثين يعتقدون أنها كانت فقط تجربة خفية غامضة ذات معنى روحي رمزي، حلم أو رؤيا جاءت له في تلك الليلة»<sup>(٢)</sup>. وقد اعتمد جلكريست في إيراد مثل هذا الأمر على ما ذكر عن عائشة: «وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه»<sup>(٣)</sup>.

ليقول بعدها: «إن جسد الرسول بقي حيث كان ولكن الله أخرج روحه في هذه الليلة، يبدو أن كل الرواية استندت إلى الأساس الأسطوري بدلاً من أن تكون حدثاً فعلياً وذلك لعدد من الأسباب، من المحتمل أن محمداً ببساطة حلم بحلم غريب في أحد الليالي وقد نمق وزين إلى رواية مثل ما هو موجود في أدبيات الحديث في الوقت الحاضر»<sup>(٤)</sup> وهو يتفق مع المستشرق الفرنسي آتين دينيه؛ إذ قال: «أثار الإسراء والمعراج كثيراً من المناقشات بين علماء الإسلام، فبعضهم يرى أن ذلك معجزة حصلت فعلاً بالروح والجسد في اللحظة، بينما يعتمد الآخرون على أصح الآثار، من بينها حديث عائشة زوج الرسول المفضلة وبنت أبي بكر، ويرون أن الروح وحدها هي التي أسري بها وعرج

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p88-١

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p88-89-٢

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٧٠.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p89-٤

إلى السماء، وليس ذلك إلا رؤيا صادقة، كما كان يحصل كثيراً للرسول أثناء نومه»<sup>(١)</sup>.  
في حين إن الباحث الروماني، كونستانس<sup>(٢)</sup> يدلي برأيه؛ إذ يعتقد أن الاسراء والمعراج قد تما بالروح فقط، وهذا ليس بغريب على أصحاب القيم الصادقة والعظيمة، ويؤكد احترامه للعقيدة الإسلامية، فيقول: «وعلم الفيزياء، وإن لم يقبل هذا الموضوع، فإنني أحترم العقيدة الإسلامية، وأقبل كل ما جاءت به من الناحية الدينية. ولدينا نحن المسيحيين اعتقادات دينية لا يقبل بها علم الفيزياء كذلك، مع ذلك فنحن نقبل بها، ونعتبرها من صلب معتقداتنا»<sup>(٣)</sup>.

ويرى الباحث أن نظرة الكثير من المستشرقين للدعوة الإسلامية عادةً ما تنفي عن النبي ﷺ صفة الارتباط بالغيب من حيث إنه نبي مرسل من الله تعالى، وهذا الأمر راجع إلى أن المستشرقين بعمامة يريدون أن يدرسوه على وفق حالتين تجعلان من المستحيل تحقيق فهم صحيح لنسيج السيرة ونتائجها وأهدافها التي تحركت صوبها، والغاية الأساسية التي تمحورت حولها، فالمستشرق بين أن يكون علمانياً مادياً لا يؤمن بالغيب، وبين أن يكون يهودياً أو نصرانياً لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية.

ثم إن النبي ﷺ لما قص خبر الإسراء على جمع من قريش أعظم ذلك عليهم وصار بعضهم يصفق، وبعضهم يضع يده على رأسه تعجباً، فلو كانت الإسراء رؤيا منامية لما كانت مستغربة ولما أحدثت تلك الضجة، إذ كذبه المسلمون إلا من كان فيهم قوي العقيدة ثابت الإيمان<sup>(٤)</sup>.

١- محمد رسول الله، ص ١٥٦-١٥٧.

٢- فيرجيل جيورجيو كونستانس ولد عام ١٩١٦ في المدينة روس تخرج من جامعة بخارست وقد كانت أغلب مطالعاته عن التاريخ الإسلامي وعين في السلك الدبلوماسي وعمل وزيراً لخارجية رومانيا ثم هاجر بعد ذلك إلى فرنسا وشرع بالتدريس، ينظر: كونستانس، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ص ٥.

٣- نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ص ١٣٤.

٤- رضا، محمد ﷺ، ص ١٣٦.

ولا معنى لقول من زعم أنه أسري بروحه دون جسده، لأنه ﷺ لو أسري بروحه لما كان ذلك دليلاً على نبوته ﷺ ولا حجة على دعوته لدين الإسلام، أما حديث عائشة فليس بثابت، لأنها لم تكن حينئذ زوجة له، ولم تكن في سن يضبط ذلك، ولعلها لم تكن قد ولدت<sup>(١)</sup> وتعرضت حادثتا الإسرائء والمعرّاج إلى التضليل، والتزوير والتدليس، وذلك من خلال وضع العديد من الروايات الضعيفة وغير الصحيحة التي تهدف إلى تشويه الدين الإسلامي وإظهاره على أنه دين الأساطير والخرافات، والغاية الأساسية من ذلك هو الحط من شأن دين الإسلام.

وزعم جلكريست أن « قصة صعود محمد الليلي لها خيوط موازية واضحة في أساطير دينية أخرى وكتابات يعود تاريخها إلى قرون قبل الإسلام. فهناك محفوظات عند يهود الحجاز تشبه المعراج وروايات في أحلام مدرّاش<sup>(٢)</sup> «تعليقات شعرية» هي أيضاً مشابهة أو موازية لها<sup>(٣)</sup>، وهو ما أكدّه كثير من المستشرقين الفرنسيين في أن الحضارة الإسلامية هي تقليد للحضارات القديمة وليست ابتكاراً أو إبداعاً، وأن العرب لم يكونوا من كبار المبتكرين إلا أنهم عرفوا كيف يستفيدون من تراث العصور القديمة، وكيف يستوعبون تقاليد البلدان المختلفة ثم ينقلونها إلينا<sup>(٤)</sup>.

وهي محاولة منه في أكثر من موقع إلى إيجاد ترابط بين الديانة اليهودية والديانة الإسلامية متغافلاً عن أمر أساسي، وهو أن هذه الديانات فضلاً عن الديانة النصرانية تنبع من مصدر واحد، وهو السماء لكنه يرجع هذا الربط إلى حالات هي أبعد عن الديانة اليهودية بل هي من تأليف أحبار اليهود والمتناقل من أحبار اليهود، أي من الأب إلى

١- القاضي عياض، الشفا بتعريف المصطفى، ج ١، ص ١٩٤.

٢- مدرّاش: وهي من الكلمة العبرية ((درش)) أي بحث أو درس وتستخدم الكلمة للإشارة إلى منهج تفسير العهد القديم كما تستخدم للإشارة إلى ثمرة هذا المنهج من الدراسات والشروح، أما المنهج فيحاول التعمق في بعض الآيات والكلمات، والتوسع في الإضافات والتعليقات وصولاً إلى المعاني الخفية. للمزيد ينظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج ٢، ص ٣٥.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p89.

٤- العبودي، السيرة النبوية في الاستشراق الفرنسي في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ص ٦٦.

الابن، وقد كان الكثير منها عبارة عن ترانيم يلقيها اليهود في احتفالاتهم الدينية ويتضح ذلك بقوله: « وقد ازدهر الأدب المدرashi في عصر معلمي المشنة<sup>(١)</sup> »<sup>(٢)</sup>، والذين دونوا التوراة بعد أكثر من سبعة قرون من وفاة نبي الله موسى ﷺ حيث تقسم أحلام المدرash إلى «المدرash التشريعي ويتضمن المبادئ الهادية إلى أحكام الشرع الديني، والمدرash الأجادي، وتتكون من مواعظ ألقاها الشراح في المعابد اتبعوا فيها الأسلوب القصصي، ويقال: إن يهود المدينة في عصر البعثة المحمدية كانوا لا يعرفون التلمود، وكانوا يتداولون فيما بينهم بعض كتب المدرash»<sup>(٣)</sup>، وهو الأمر الذي أكدته المستشرق كاهن بقوله: «إن الرسالة السماوية التي نطق بها النبي محمد، رسول الله هي تمام الرسالة ذاتها التي حملها الرسل قبله ... فالإسلام بهذا المعنى يندرج ضمن أسرة واحدة من الديانتين التوحيديتين اللتين سبقته، أما الاختلافات القائمة بين القرآن والتوراة فيمكن أن يعزى إلى تحريف النصوص المقدسة التي كتبها مسيحيون ويهود»<sup>(٤)</sup>.

والذي يتبين لنا من هذا الأمر أنها عبارة عن عبارات أدبية وأوامر تشريعية صاغها أبحار اليهود لغرض تفسير التوراة التي نزلت على سيدنا موسى ﷺ ودونت بعد وفاته بعدة قرون.

لذلك فالحكمة الأساسية من الإسراء والمعراج هي تكريم النبي محمد ﷺ وبيان المكانة الكبرى التي حباه الله بها، وقد جعلته يرتقي جميع مراتب العلم ويخصه بأعلى درجات المعرفة؛ فيجمع له علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فأسرى بجسده من مكة إلى بيت المقدس وهياً له

١- المشنة : وهو الكتاب الجامع لأحكام اليهود ومعظم فقههم والمفسر لكثير من قواعد التوراة وتعاليم المعلمين والذي بدأ به (هيليل - اليهودي البابلي فصول طويلة عن شرائط الطهارة في الصلاة أهملت فيما بعد، وكلمة المشنة تعني: الشريعة المتكررة، لأن شريعة موسى المرصودة في الخمسة كتب التي كتبها مكررة في هذا الكتاب، أما الغرض من المشنة فهو إيضاح وتفسير ما التبس في شريعة موسى، وتكملة الشريعة على حسب ما يدعون، وقد زيد في القرون التالية على كتاب المشنة الأصلي شروحات أخرى صار تأليفها في مدارس فلسطين وبابل ينظر: الطهارة والوضوء، مجلة الرسالة، القسم الجوامع والمجلات ونحوها، العدد ٦٤٠، ص ١٠؛ روهلنج، مقتطفات من كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد ٨، ص ٣٥٧.

٢- المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص ٣٥.

٣- م.ن، ص ٣٥.

٤- الإسلام (منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية)، ص ٣٦.

كل شيء ورفع له الحجب ورقى به إلى الملاء الأعلى فشهد ما وراء المادة، وسار به من سماء إلى سماء واخترق السماوات وما وراءها فهذا عين اليقين، ثم عاش وتحقق وعرف تلك العوالم النورانية وامتزج بها وامتزجت به؛ فهذا غاية حق اليقين؛ فلم يبق شيء لم يكن رآه إلا رآه<sup>(١)</sup>.

ويتبع جلكريست سبيل غيره من المستشرقين في ذكر حادثة الإسراء والمعراج بل إنه تطرق لها بالتحريف والتسويق تارة أخرى؛ إذ نراه يذهب إلى ما ذكره المستشرق جورج بوش بقوله « أثر الله محمداً في السنة الثانية عشر لبعثته المزيفة برحلة ليلية إلى السماء فيما يقول هو من مكة إلى القدس، ومن القدس إلى السماء السابعة بصحبة جبريل بالإضافة إلى هذه الحكاية التافهة المبالغ ... تلك هي التصورات أو الخيالات الصبغانية للنبي تلك هي القصة الملحمية الغبية التي خدع بها السذج من أتباعه<sup>(٢)</sup>، وهنا يقبل جورج بوش المعجزات التي جاءت عن طريق نبي الله موسى ﷺ ولكنه لا يقبل بالمثل، بالمعجزات والكرامات التي جاء بها نبينا محمد ﷺ فضلاً عن أن هذا هو واحد من المناهج التي اتبعها المستشرقون بالسخرية من رواية الإسراء والمعراج تارة، والتشكيك بها على أنها مادة أسطورية» كان رد فعل العرب الوثنيين بالسخرية والاستخفاف، حتى أتباعه وجدوا القصة صعبة القبول<sup>(٣)</sup>، أو أن يقولوا «يبدو أن كل الرواية استندت إلى الأساس الأسطوري بدلاً من أن تكون حدثاً فعلياً<sup>(٤)</sup>». ويرى بلاشير أن معجزة الإسراء والمعراج ضخمت من أصحاب السير<sup>(٥)</sup>.

ويذكر المستشرق ول ديورانت<sup>(٦)</sup> ذلك بقوله: «وخيل إليه في ذات ليلة أنه انتقل من نومه إلى بيت المقدس، حين رأى في أنظاره عند المبكى من أنقاض هيكل البراق، وهو

١- عبد المطلب، أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية، ص ٧٩ و ٨٠.

٢- محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين، ص ٢٤٢.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p86.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p89.

٥- نقلاً عن، المسلوق، دراسات المستشرقين للسيرة النبوية معضلة محمد لرئيس بلاشير أنموذجاً، ص ٣٣-٣٤.

٦- ول ديورانت: مؤلف أمريكي، يعد كتابه قصة الحضارة بمجلداته الثلاثين واحداً من أشهر الكتب التي تؤرخ الحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة. خليل، قالوا عن الإسلام، ص ٦٤.

جواد مجنح فطار به إلى السماء، ثم عاد به منها»<sup>(١)</sup>.

ويتكلم المستشرق سيديو على حادثة الإسراء والمعراج بقوله: «ما يروى أيضاً أن عروج محمد الخارق للعادة قد تم في تلك السنة على البراق الذي هو حيوان عجيب فأنهى إلى الله العلي، ولم تكن هذه الرحلة غير ضرب من الرؤى عند أكثر علماء المسلمين»<sup>(٢)</sup>. أما المستشرق اتين دينيه؛ فيقول حول الإسراء والمعراج: «أثار الإسراء والمعراج كثيراً من المناقشات بين علماء الإسلام فبعضهم يرى أن ذلك معجزة حصلت فعلاً بالروح والجسد، بينما الآخرون يعتمدون على أصح الآثار، ... ويرون أن الروح وحدها هي التي أسرى بها وعرج إلى السماء، وليس ذلك إلا رؤيا صادقة كان يحصل كثيراً للرسول أثناء نومه»<sup>(٣)</sup>.

وقسم من المستشرقين لم يذكر حادثة الإسراء والمعراج، ومنهم المستشرق رودنسون الذي لم يتطرق إليها ولكنه أشار إليها في معرض تحليله لطبيعة الوحي حين ذكر: وقد تعدى المراحل الأولى منها ولكنه لم يصل إلى الحلول في ذات الله وكان يمكنه فعل ذلك لو انتهز الفرصة المؤاتية إبان إسرائه<sup>(٤)</sup>.

في حين أن أنتوني نتنك<sup>(٥)</sup> ذهب إلى القول: «إن الإسراء والمعراج مجرد رؤيا تراءت» للنبي ﷺ ويستطرد قائلاً: «وهي وإن صحت لم تعد بالكثير من النفع على محمد إذ لم يصدقها أقرب صحابته»<sup>(٦)</sup>.

ثم يذهب جلكريايس إلى أبعد من ذلك؛ إذ نراه يورد التشابه الموجود بين الديانة الإسلامية والديانة الزرادشتية<sup>(٧)</sup> من وجهة نظره هو؛ إذ ابتداءً بالقول: «فقد جاءت من

١- قصة الحضارة، ج ٢، ص ٣٠.

٢- تاريخ العرب العام، ص ٦٢.

٣- محمد رسول الله، ص ١٥٦.

٤- نقلاً عن، الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج ٢، ص ١٦٤.  
٥- أنتوني نتنك: ولد عام ١٩١٥م وهو وزير انشق على آيدن لاعتدائه على مصر وعمل مستشاراً للهيئة التي انتجت فلم لورانس وقد طاف في الشرق الأوسط مراراً ومن أهم آثاره إلى أين يتجه الشرق الأوسط وتاريخ العرب من قبل النبي حتى اليوم. العقيلي، ج ٢، ص ٥٦٠.

٦- نقلاً عن، الجندي، الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، ص ١٠٠.  
٧- الزرادشتية: ظهرت هذه الديانة في إيران على يد زرادشت ولا يمكن تحديد وقت محدد لظهورها وهناك عدة روايات تذهب معظمها إلى أنه ولد عام ٦٦٠ ق.م وكان زرادشت في العشرين من العمر عندما ترك أباه وأمه والزوجة التي اختارها وهام للحصول على إجابات لتساؤلاته حول الأصل والمصير، وفي سن الثلاثين نزل عليه الوحي ثم صعد إلى السماء، ومن ثم نزل وهو يحمل تعاليم الزرادشتية، وقد اتخذت من تقديس النار منهجاً لها وتتصارع وفق هذه الديانة

أعمال زرادشت أقرب تشابه يمكن أن نراه. في كتاب بهلوي قديم يعرف باسم كتاب ارتا فيراف، هناك قصة حول كاهن قديس ورع حيث جاءت منه تسمية الكتاب، ارتا فيراف، الذي ذهب في غفوة في أحد الليالي. صعدت روحه فوراً إلى السماوات تحت توجيه رئيس الملائكة... حتى وصل في النهاية إلى حضرة أورمازد، الإله العظيم لكل الكون... أمره أورمازد بالعودة إلى الأرض كرَسُول له وأمره أن يخبر الزرادشتية كل ما رآه وما سمعه. التشابه بين هذه القصة والمعراج<sup>(١)</sup>.

ولغرض بيان زيف ادعاء جلكريست حول هذا الادعاء يمكن أن نتطرق إلى حادثة الاردا فيراف بالكامل ومن مصادرها الأصلية الفارسية؛ إذ وردت وهي تحكي فترة انهيار الديانة المازيدية فاجتمع الكهنة وأجروا قرعة لاختيار رجل يرسلونه للمملكة الروحية فيأتي لهم بالحل المنقذ. إذ انعقد المجمع الكهنوتي الزرادشتي الأعلى لكي يجددوا إيمانهم بديانة الأجداد فوق الاختيار على كاهن واحد من بينهم، وهو فيراز وهو الأكثر صدقاً وصلاحاً، ومن ثم اختار الكهنة لأجل فيراز مكاناً بالقرب من محراب النار بمسافة ثلاثين خطوة فغسل رأسه وجسده وارتدى لباساً جديداً وتعطر ثم سكب الكهنة له ثلاثة كوؤس من النبيذ وغط في نوم عميق وأخذ الكهنة بتمتمة تعاويذ دينية وقد افترقت روح فيراز عن جسده وعادت روحه بعد اليوم السابع وقام بقص ما مر به في أثناء رحلته ودعا عارفاً لكي يقوم بتدوين ما يذكره فذكر كيف أن الإله سراوش التقى به واصطحبه في رحلة وبعدها وجدت نفسه على الجسر العظيم، ثم يروي بعد ذلك تجوله ما بين النار وما رأى فيها من صنوف العذاب، ثم قاده سراوش لكي يلتقي بالآلهة هناك واحداً بعد الآخر وبعدها يذكر نقلني النبيل سراوش والإله أدور من هذا المكان المظلم الفظيع والمخيف إلى مقر النور اللانهائي حيث مأوى أورمازدا، وعندما هممت بالنزول وقف

قوتان: النور (اهورا مزدا) والظلمة: (اهرمين) ولديهم طقوس خاصة في معابدهم. للمزيد ينظر: يوسف، الزرادشتية الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة (بناء على نصوص الافستا)، ص ٧- ٨؛ فولتز، الروحانية في أرض النبلاء (كيف أثرت إيران في أديان العالم)، ص ٣٩- ٤٠؛ التونجي، المعجم الذهبي (عربي - فارسي)، ص ٣١٢.

أمامي أورمازدا بكل بهاء وقال : أهلاً وسهلاً بك أيها النبيل الصالح فيراز<sup>(١)</sup> .

وإن فيراز لم يذهب في نوم عميق إلا بعد أن أخذ المخدر والمسكر، وإن ما رآه عبارة عن رؤى، وهو ما لم يذكره جلكرايست، بالإضافة إلى أن نبينا محمداً ﷺ كان قد أسري به بجسده الشريف، ولم تكن مجرد أحلام وقد أثبتنا ذلك مسبقاً، في حين إن فيراز كان يفعل ما تناوله من مخدرات، وكيف يمكن أن يكون له وعي كامل، ويستطيع أن ينقل لهم ما دار في رؤياه، وهو قد تناول الخمر، والحقيقة الثابتة هي أن الإنسان بمجرد أن يتناولها يفقد كامل شعوره، ولا يستطيع أن يتذكر ما يقع له، ولا يتذكر الأحداث التي مرت عليه. وكما هو واضح لنا فإن القصة الفارسية هي فولكلور شعبي تعرض للتغير في محتواه بمرور الزمن كعادة هذا النوع من الفنون، والراجح أن القصة تأثرت بقصة الإسراء والمعراج لنبينا الكريم ﷺ في بعض تفاصيلها تماماً مثل الكوميديا الإلهية لدانتي<sup>(٢)</sup> التي تعد اقتباساً لقصة المعراج.

وهنا لابد من الإشارة إلى رأي السيدة ماري بويس<sup>(٣)</sup> التي تقول: « لقد ظل سائداً أن قصة أردا ويراذا ناماك أثرت في قصة المعراج الإسلامية حتى تبين أن الصورة الأخيرة للقصة الفارسية حديثة العهد بالنسبة للإسلام »<sup>(٤)</sup> .

ثم إن أول احتكاك بين المسلمين والفرس هو عام ٦٣٦ م؛ وذلك عند انتصار المسلمين في معركة القادسية ١٥ هـ في حين نجد أن النبي محمداً ﷺ قد توفي عام ١١ هـ الموافق ٦٣٢ م؛ فكيف يقتبس النبي ﷺ من الزرادشتية وقد توفي قبل هذا الاحتكاك

١- عبد الرحمن، أفسنا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، ص ٨٧٠-٩٠٣.

٢- دانتي الغييري (١٢٦٥ - ١٣٢١): كبير شعراء إيطاليا قضى شهراً من حياته في المنفى تزوج حوالي عام (١٢٨٥) ولكنه لم ينس محبوبته بياتريس التي كان قد رآها وهو طفل في التاسعة من عمره؛ فكانت مصدر إلهامه الشعري، أهم آثاره هي الكوميديا الإلهية، وهي ملحمة يدور موضوعها حول رحلة خيالية قام بها دانتي إلى الجحيم والمطرهر والجنة، ينظر : البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص ١٨٥.

٣- ماري بويس: عالمة بالديانة الزرادشتية واللغات ذات الصلة، وأستاذة الدراسات الإيرانية في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية (سواس) جامعة لندن) ولدت ماري بويس في الهند؛ إذ كان والدها، وليام بويس، قاضياً في المحكمة العليا في كلكتا. تمثل العمل الميداني لبويس في دراساتها للنصوص القديمة من منظور لغوي، ومنها الزرادشتية، للمزيد ينظر:

<http://www.iranicaonline.org/articles/boyce-mary>

Boyce, Mary. ed. Textual Sources for the Study of Zoroastrianism, p.78- ٤



بأربع سنوات. وهذا يدل على تهافت ادعاء جلكريست في كون حادثة الإسراء والمعراج، ما هي إلا فكرة مستوحاة من الديانة الزرادشية.

إذن فالتشابه بين العقائد الدينية، أي بين اليهودية والمسيحية والإسلام دليل يكفي للبرهنة على وحدة المصدر، وأن لكل أمة شريعته التي أنزلها الله إليهم ولكنها حرفت في نهاية المطاف. وهذا يدل على ضعف ما في يد جلكريست؛ إذ نراه يزعم أنه مشتق من الديانة اليهودية تارة ويناقض نفسه مرة أخرى بالقول: إنها مشتقة من الديانة الزرادشية تارة أخرى.

### بيعتا العقبة الأولى والثانية

إحدى أهم المحطات الرئيسة في ظهور دولة الإسلام وسيرة النبي ﷺ هي حادثة البيعتين العقبة<sup>(١)</sup> الأولى والعقبة الثانية، وهما مما لا تختلف المصادر التاريخية في ذكرهما إلا في بعض الأمور البسيطة من وجهة نظرنا، وهي إما في إعداد من كان في هاتين البيعتين أو أسماء من قد حضرها.

فقد ذكر جلكريست أنه «لم يمض وقت طويل على الزيارة الغير ناجحة إلى الطائف حتى جاء موسم الحج السنوي الرئيس إلى مكة، حين التقى محمد مع وفد من يثرب مكون من أفراد بارزين من قبيلة الخزرج»<sup>(٢)</sup> (٣).

وقد كان المشركون يتعرضون للنبي ﷺ بالسب والأذى والمحاربة بكل ما متاح لهم من أمور يمكنهم بها إيذاء النبي ﷺ فضلاً عن الاستهزاء بالله جل جلاله وبرسوله ﷺ إلا أن النبي ﷺ كان مطمئناً وواثقاً بأمر الله، وأن الله سوف يظهر دينه على بقية الأديان الأخرى<sup>(٤)</sup> مستنداً إلى قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَ

١- العقبة التي ببيع فيها النبي ﷺ، بمكة؛ فهي عقبة بين منى ومكة بينها وبين مكة نحو ميلين وعندها مسجد ومنها ترمى جمرة العقبة، وكان من حديثها أن النبي ﷺ كان في بدء أمره يوافي الموسم بسوق عكاظ وذو المجاز ومجته ويتبع القبائل في رحالها يدعوهم إلى أن يمنعوه ليلبلغ رسالات ربه فلا يجد أحداً ينصره حتى إذا كانت سنة إحدى عشرة من النبوة لقي ستة نفر من الأوس عند هذه العقبة فدعاهم ﷺ، إلى الإسلام. للمزيد ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣٤.

٢- الخزرج: هذه النسبة إلى الخزرج وهو بطن من الأنصار، ونسبة الخزرج إلى حارثة بن نعلبة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس، وفي اللغة: الخزرج: الريح الباردة. للمزيد ينظر: السمعاني، الأنساب، ج ٥، ص ١١٩-١٢٠.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p28-

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٨.

لَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»<sup>(١)</sup>، وقد وقفت المصادر الإسلامية على أهم أحداثها؛ إذ ورد فيها «فلما أراد الله إظهار دينه وإنجاز وعده خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعله، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الاسلام، وقد كانت يهود معهم ببلادهم وكان هؤلاء أهل أوثان، فكانوا إذا كان بينهم شر تقول اليهود: إن نبينا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود... فلما قدموا المدينة ذكروا لهم النبي ﷺ ودعوههم إلى الإسلام حتى فشا فيهم حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلحقوه بالعقبة»<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر جلكريست «كانت معروفة أيضاً باسم بيعة النساء لأنهم تعهدوا أيضاً بإقامة النساء المؤمنات الشعائر والطقوس الدينية المنصوص عليها في القرآن واللاتي سعين لمبايعة النبي والولاء له»<sup>(٣)</sup>.

وبيعة النساء هي البيعة الأولى التي بايعها الأنصار لرسول الله ﷺ، وسميت ببيعة النساء لأن النبي ﷺ قال لهم: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه»<sup>(٤)</sup>.

١- التوبة، ٣٣.

٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٨٩.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p28-٣.

٤- البخاري، صحيح البخاري، ج ٩، ص ٧٩؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٣٧، ص ٣٤١؛ الشاشي، المسند، ج ٣، ص ١٣٨؛ البيهقي: شعب الإيمان، ج ١، ص ٤٦٦.



وذكر جلكريست أن النبي ﷺ قد أرسل أحد الصحابة معهم؛ إذ ذكر: «أرسل رفيقه «مصعب بن عمير»<sup>(١)</sup> لتعليمهم تعاليم الوحي والتنزيل المتزايد للقرآن و مبادئ الإسلام. وعندما وصل إلى المدينة نشر تعاليمه، إذ تضاعف عدد الداخلين إلى الإسلام من قبيلتي الأوس<sup>(٢)</sup> والخزرج بشكل كبير»<sup>(٣)</sup>؛ إذ يذكر المستشرق الفونس دي لاماتين: « فذهب نصف سكان يثرب يستمعون إلى وعظ مبعوث محمد وإرشاده فانتشرت عقيدته في وحدة الله انتشار نور النهار في ظلمة الليل»<sup>(٤)</sup>. ثم يذكر جلكريست بيعة العقبة الثانية بقوله: «وعندما جاء موعد الحج السنوي الكبير مرة أخرى، التقى به سبعون مسلماً من يثرب مرة أخرى سراً في نفس المنطقة التي التقى بها الوفد الأول وأخذوا البيعة الثانية للعقبة. وفي هذه المناسبة تعهدوا بأن يكونوا أتباعه، وأن يؤدوا تعاليم ووصايا الله كما نزلت في القرآن، وأن يحموه ويحافظوا على حياته بحياتهم. في المقابل تعهد بمغادرة مكة، وأن يصبح زعيمهم في يثرب»<sup>(٥)</sup>، وقد ورد نص الرواية التي ذكرها جلكريست متفقاً مع الرواية الإسلامية لكن بتفصيل أكثر.

في حين إن المستشرق وات يذكر لنا «أن السبب الرئيس لقبول النبي ﷺ ودينه في المدينة هو أن الأنصار تصور أن النبي ﷺ هو المسيح المنتظر الذي كان يتوقع اليهود مجيئه فسارعوا إلى قبوله»<sup>(٦)</sup>، والذي يلفت النظر هنا هو أنه لماذا لم تبشر الديانة اليهودية بشيء يخص ديانتها في حين إننا نراها تبشر وتمجد في الديانة المسيحية؟ ولماذا لم يعتنق العرب الساكنون في المدينة الديانة المسيحية أو اليهودية على أقل تقدير، ولماذا كانوا ينتظرون

١- مصعب بن عمير، هو القرشي العبدري، كان فتى مكة شاباً وجمالاً، كتم إسلامه خوفاً من قومه فخرج إلى الحبيشة، وبعثه النبي إلى المدينة قبل الهجرة، كان يدعى القارئ والمقرئ، قتل يوم أحد (٣هـ). ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣٦٩؛ التستري، قاموس الرجال، ج ١٠، ص ٨٦.

٢- الأوس والخزرج: أسما طائرتين من سباع الطير، شبيها بهما لباسهما ونجدتهما. والأوس والخزرج، ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الركب، وهو غسان، أبو الملوك بن الأزد، وعنهما تفرقت بطون الأنصار والخزرج و بطون الأوس ورجالها الأوس. للمزيد ينظر: العوتبي، أنساب العرب تاريخ العوتبي، ص ١٧٩.

٣- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p29-3

٤- مختارات من كتاب حياة محمد، ص ٦٨.

٥- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p29- ٥

٦- محمد في مكة، ص ٢٨٢.

ظهور المسيح المنتظر ليتبعوه؟ غير أن المتتبع لرواية وات يتوصل فيها إلى محاولة المستشرق الإفادة من كل صغيرة وكبيرة لربط الدين الإسلامي بالديانات السابقة، والغرض من ذلك هو إثبات التأثير في الدين الإسلامي منهما، فضلاً عن أن المستشرق جلكريا يست كان منصفاً في عرض رواية البيعتين، ومتفقاً مع المصادر التاريخية العربية فيما أوردته من روايات؛ وذلك لغرض إثبات تأثر الدين الإسلامي بالديانات الأخرى.





حياة النبي ﷺ من الهجرة حتى السنة الخامسة  
للحجرة في ضوء كتاب جلکرایست

## المبحث الأول

### من الهجرة إلى دخول النبي ﷺ قباء

تعرضنا في الفصل الثاني إلى حياة النبي ﷺ في مكة وناقشنا ما ذكره جلكريايس والأدلة على بطلانه وبقي الاطلاع على آرائه وأفكاره المرتبطة بحياة النبي ﷺ في المدينة ولتسهيل الخوض في هذا الموضوع، ومعرفة ما به من مسائل سيكون الكلام حسب الآتي:-

#### ١ - الهجرة الى يثرب<sup>(١)</sup>

إن موضوع الهجرة من أهم الموضوعات التي تم تناولها من قبل العديد من المستشرقين وجلكريايس أحدهم، وقد نراه حيادياً في تعامله مع نصوص روايات الهجرة كعادته من حيث الأسباب والغايات، ثم محاولة البدء في توجيه الاتهامات لشخص النبي ﷺ وقد ابتدأ كلامه بما نصه «أرسل محمد فرقاً صغيرة من أتباعه قبله، وأمرهم بالخروج في سلسلة من المجموعات غير المهمة من اثنين أو ثلاثة فقط في وقت واحد بحيث إن قريش لن تزعجهم وتحذر منهم بشكل لا يتناسب مع ما يخططون له»<sup>(٢)</sup>.

وكان خروج النبي ﷺ من مكة يوم الاثنين الأول من ربيع الأول، بعد ثلاثة عشر عاماً من مبعثه<sup>(٣)</sup>، ويمكن أن نعد اجتماع قريش بعد ما علمت بأمر البيعة التي حصل عليها النبي ﷺ في العقبة هو بداية التأمر على النبي ﷺ ومحاولة القضاء على هذه الدعوة قبل أن تنتشر بين القبائل والمناطق المجاورة بالإضافة إلى أن النبي ﷺ حاول الحصول على مكان آخر لنشر رسالته التي أنزلها الله عليه لينذر الناس جميعاً؛ فهي لم تكن لقريش وحدهم دون غيرهم ولم تكن لمكة دون سواها .

١- يثرب: مدينة رسول الله ﷺ، سميت يثرب بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣٠.

٢- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p30-٢.

٣- الطبري، جامع البيان، ج ٦، ص ١١٢ ؛ الطوسي، التبيان، ج ٣، ص ٤٢٦ ؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥٠٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٦٢ ؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٧، ص ١٧٧ ؛ السيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٥٨ ؛ الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٨، ص ١٧٨.

إن قريشاً، لما رأت أن بعض المسلمين نزلوا الحبشة ومنعوا فيها وما فعله ملك البلاد من تقديم الحماية لهم خاب أملهم في إرجاع المهاجرين، وعندما بدأ الإسلام يدب في بعض قبائلها أجمع الملاء منذ تلك اللحظة على المجاهرة باغتيال النبي ﷺ، فبلغ الخبر مسامع أبي طالب فجمع بني هاشم وبني عبد المطلب فدخلوا شعبهم مسلمهم وكافرهم لمنع النبي ﷺ مما أرادت قريش، فردت قريش بالمقابل بفرض المقاطعة<sup>(١)</sup>.

وقد كانت الغاية الأساسية من الهجرة هو أن الثلاث عشرة سنة كافية للوقوف على حقيقة إيمان المكين؛ لذا لا يمكن للدعوة أن تنتشر وأصبح لابد من مكان آخر لها، وتجلى ذلك بشكل واضح بشدة مقاومة المكين للدعوة، وموقفهم المتصلب وتعذيبهم للمسلمين في حين إن النبي ﷺ كان في منعة منهم بسبب وقوف بني هاشم معه، وما لها من دور كبير وبارز في مكة، ولا سيما أبو طالب إلا أن الظروف الآن قد تغيرت بسبب وفاة كل من أبي طالب والسيدة خديجة عليها السلام لذلك كان لابد من وضع حد لما كان يرتكب في حق المسلمين الأوائل «فبعد أن بايعه الأنصار في العقبة الثانية على أن يمنعه في أرضهم في المدينة هو ومن اتبعه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم أمر أصحابه في مكة بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها والحق بإخوانهم من الأنصار»<sup>(٢)</sup>.

وتناول جلكريست ذلك بقوله « ولعل هذه هي اللحظة الأعظم في محنة اعتقاد محمد بأنه دعي لكي يكون نبياً لقيادة أهله إلى الإيمان بالله الواحد، وأن يكون لهم نمط حياة خاضع إلى إرادة الله، وإنه لشرف له أنه حافظ على إيمانه في ظل ظروف صعبة على الرغم من سنوات المعارضة التي لم تتزعزع تقريباً من قبل قومه»<sup>(٣)</sup>.

يضاف إلى ذلك أن قريشاً كانت تحاول التخلص من حماية بني هاشم للنبي ﷺ، وبخاصة في شعب أبي طالب، كل هذه الأوضاع لم تمنعهم من محاولة التخلص من

١- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٧، ص١٩٢؛ سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ، ص٨٧؛ الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ص١٨٢؛ الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ص٣٣.

٢- أبو خليل، الهجرة حدث غير مجرى التاريخ، ص٦٩.

٣- Gilchrist, 'Mnhammad the prophet of Islam', p30-٣



شخص النبي ﷺ. ومن البديهي أن تعرف ذلك من خلال الدلائل التي ذكرت على تخوف أبي طالب من غدر المشركين حيث كان إذا أخذ الناس مضاجعهم في أيام المقاطعة أمر النبي ﷺ أن يضطجع فراشه، حتى يراه الناس أو من يريد اغتياله؛ فإذا ناموا أمر أحد بنيه أو إخوانه أو من غيرهم من بني عمومته أن ينام مكانه ويتحول النبي ﷺ إلى أحد فرشهم<sup>(١)</sup>.

ولا يمكن إنكار ما لاقته الدعوة الإسلامية من أذى واضطهاد وانتشار بطيء للإسلام فقد استخدمت قريش كل ما يمكن استخدامه من وسائل متعددة من تعذيب ومقاطعة وتسفيه، وقد أدركت الخطر الفادح عندما بدأ بعض القرشيين يتعاطفون معهم عندما كانوا يسمعون أنين أطفالهم وهم يتضورون جوعاً لذلك بدأ خوف قريش يكبر يوماً بعد يوم إلى أن انتهت مقاطعة الشعب وبدأت مرحلة جديدة، وهي قيام النبي ﷺ بعرض الإسلام على القبائل ثم ما حصل في بيعتي العقبة الأولى والثانية من النصر والمنعة للنبي ﷺ؛ حتى بدأت طلائع المسلمين ووفودهم تتوافد على المدينة سرّاً للتخلص من اضطهاد قريش لهم وتعذيبهم متخلين عن أموالهم ومنازلهم وقوت عوائلهم وأرزاقهم للنجاة بدينهم وأنفسهم استناداً لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ \* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ<sup>(٢)</sup>.

أراد النبي ﷺ للمدينة المنورة أن تكون قاعدة صلبة لكي يقوم عليها المجتمع الإسلامي من خلال تربية المسلمين الأوائل في مكة على الصبر ومجابهة الصعاب، فضلاً عن شد عزائم أهل المدينة في مناصرة إخوانهم والاستعداد للتضحية والدفاع عنهم إذا ما تركوا ديارهم وهاجروا إليهم، وبيعة العقبة الثانية تهيأت القوة المناسبة

١- ابن كثير: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤؛ القزويني، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص ٣١؛ المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ١٠٤؛ النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ص ١٤٥-١٤٦.  
٢- النحل، ٤١: ٤٢.

لحماية المجتمع الإسلامي وتأسيس الدولة الجديدة<sup>(١)</sup>، كل هذه الظروف حفزت قريشاً لمحاولة إغلاق صفحة النبي الأكرم ﷺ؛ وذلك بمحاولة التدبير لقتله دون أي تردد لذلك اجتمعت، وقد سمي ذلك اليوم بيوم الرحمة<sup>(٢)</sup> في دار الندوة<sup>(٣)</sup> للتشاور في مسألة اغتيال النبي ﷺ وذلك لما فيها من تهديد لمصالحهم في حالة تمكن النبي من الهجرة إلى المدينة، وعدم تركه أو السماح له بالخروج إلى أصحابه الذين كانوا بغير بلدهم، وما من سبيل في السيطرة عليهم إذا ما استطاع النبي ﷺ الوصول إليهم<sup>(٤)</sup>.

ثم خرج سائر المسلمين وبقي النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبو بكر ومن لا قوة له في الحركة من ضعف وفاقة؛ فلما رأت قريش أن أتباع النبي ﷺ قد خرجوا فزعوا من ذلك فتشاوروا في دار الندوة ثم إن الشيطان صرخ على العقبة يا أهل مكة هل لكم في محمد وأصحابه فقد اجتمعوا لحربكم...<sup>(٥)</sup>.

وقد تطرق عدد كبير من المستشرقين لهجرة النبي ﷺ بالدراسة والتحليل، ومنهم المستشرق الفرنسي مارسيل بوازار<sup>(٦)</sup> الذي قال: «واتممر المكيون لقتل النبي، وعلم بالأمر، وتمكن من النجاة بشبه معجزة بمساعدة شجاعة من ابن عمه علي... وعلى المسلم أن يهاجر إذا اقتضى الأمر ليجاهد في سبيل الله حتى يزول كل ظلم»<sup>(٧)</sup>.

١- الصلابي، محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٢٥١-٢٦٣.  
٢- يوم الزحمة: هو اليوم الذي تواعدت فيه قريش على الاجتماع لمنع النبي ﷺ من الخروج مهاجراً إلى المدينة، وقررت في اجتماعها اغتياله غدراً، ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشئال والسير، ج ١، ص ٢٠٦؛ ابن جماعة، المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، ص ٤٧؛ المقرئ، إمتاع الأسعاب بالنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج ١، ص ٥٧؛ الحرضي، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشئال، ج ١، ص ١٤٧؛ الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٣، ص ٢٣١.

٣- دار الندوة: وقد تحدث أهل الأخبار عن دار قالوا: إنها كانت بمكة سموها «دار الندوة» ونسبوا إلى جد قريش ومجموعها «قصي»، قالوا: إن قريشاً كانت إذا همت بأمر أو أرادت رأياً، أو قررت اتخاذ قرار، اجتمعت فيها، للمزيد ينظر: علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٩، ص ٢٣٥.

٤- ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٨٠.  
٥- المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٤، ص ١٦٨.

٦- مارسيل بوازار استاذ جامعة سويسري.. عاش لمدة أكثر من اثني عشر عاماً في بلاد عربية وإسلامية خاصة كممثل للجنة الدولية للصليب الأحمر، وبصفته مشاركاً في برامج التثقيف الدبلوماسي بالمعهد الجامعي للدراسات العليا بجنيف، ينظر: <http://www.daraladab.com authordetails.php?aid=342>

٧- إنسانية الإسلام، ص ٤٤-٤٥.



ونقل ابن هشام نصاً بين فيه مؤامرة اتفق عليها المكيون لأجل القضاء على لبنة الإسلام، وهذا نصها: « فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، إنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً، فقال: فتشاوروا... قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً... فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل<sup>(١)</sup> ».

ويبدو للباحث أن النبي ﷺ كان يتهيأ للخروج إلى المدينة منذ مدة ليست بالقليلة لنشرة الدعوة فيها، وهذا واضح من خلال إرساله لمصعب بن عمير إلى المدينة ليكون ناطقاً باسمه وليدعو الناس للإسلام.

ثم إن هناك أمراً مهماً جداً يقودنا إلى التدقيق فيه، وهو أن هناك من زعماء قريش، والذين عارضوا دعوة النبي ﷺ لم يؤمنوا بها حتى لو بقي في مكة أكثر من الوقت الذي قضاه معهم؛ لذلك فقد تعاملوا مع من أسلم بعداوة وبغضاء، فكان التعذيب على أشكال مختلفة، ثم إنهم كانوا يصرون على أن يأتيهم النبي ﷺ بالمعجزات، وتأكيدهم المستمر على أن المعجزات التي يأتي بها النبي ﷺ لا تنهيهم عن موقفهم الذي اتخذوه من الدعوة، وهو عدم التصديق به إلى الأبد، فقد ذكر عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: « قال عبد الله بن أمية<sup>(٢)</sup> لرسول الله ﷺ: إنا لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله وملائكته قبلاً، أو يكون لك بيت من ذهب، أو ترقى في السماء، ولن نؤمن لرقيك، والله لو فعلت ذلك ما كنت أدري أصدقك أم لا، فانصرف النبي ﷺ ثم نظروا في أمورهم، فقال أبو جهل: لئن أصبحت وهو قد دخل المسجد لأطرحن على رأسه أعظم حجر أقدر عليه...<sup>(٣)</sup> ».

١- السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٨١.

٢- عبد الله بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ، كان شديد العداوة للنبي ﷺ، وهو الذي قال: « لن نؤمن حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ». أسلم قبل فتح مكة، للمزيد بنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ٨٦٨.

٣- الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٩٣.

كل هذه الروايات قد تغافل عن ذكرها المستشرق جلكريست في محاولة منه إلى إيهام القارئ بأن النبي ﷺ لم يكن هناك ما يهدد حياته، وأنه لم يتعرض إلى الاضطهاد مطلقاً، وهو يناقض غيره من المستشرقين، ويحلل المستشرق الإنكليزي جلوب باشا الوضع الناشئ عن الهجرة بالقول: «وجدير بنا أن نعترف هنا بأن محمداً أبدى جرأة منقطعة النظر ببقائه في مكة حيث لم يعد يحظى بحماية عمه أبي طالب كبير بني هاشم»<sup>(١)</sup>.

واجتمعوا على أن يقتلوه في فراشه ليلاً، فأنجاه الله، وأمره بأن لا يبيت في فراشه تلك الليلة، فأمر ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام لينام في فراشه؛ لذلك فقد أوحى الله عز وجل إلى نبيه بمكيدة أهل مكة، من خلال ما أوحاه إليه جبرائيل عليه السلام بأن لا تبت يا محمد هذه الليلة في فراشك، وفي عتمة الليل اجتمعت قريش يرصدونه؛ فنام الإمام علي عليه السلام في مكانه وتسج ببردة النبي ﷺ الخضرية الخضراء؛ فخرج النبي ﷺ عليهم وقد أخذ حفنة من التراب في يده وأخذ ينشر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو الآيات من سورة يس: ﴿يَسْ \* وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاعْشَيْنَاهُمْ لَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> حتى فرغ النبي ﷺ من الآيات، لم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه من ذلك التراب، ثم انصرف إلى حيث أراد<sup>(٣)</sup>.

أما المستشرق جورج بوش فيورد هذه الرواية بقوله: «عقدت قريش مؤتمراً اتخذوا فيه قراراً بقتل المدعي رسول الله ﷺ والذي أعلن أن الملك جبريل أوحى إليه بخبر تأمر قريش عليه لقتله وتمكن من الهرب بفضل ما كان يتحلل به علي عليه السلام من الحماس الإيماني والذي دفعه إلى النوم في فراشه بعد أن التف بعباءة النبي ﷺ الخضراء خادعاً بذلك القتلة الذين حاصروا منزل النبي ﷺ»<sup>(٤)</sup>، وهنا يزعم بوش، أن النبي ﷺ يدعي النبوة، وأنه ليس مرسلًا من قبل الله، وهو بذلك يتفق مع غيره من المستشرقين المتحاملين على

١ - الفتوحات العربية الكبرى، ص ٨٠-٨١.

٢ - يس، ١-٩.

٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٨٢-٤٨٣.

٤ - محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين، ص ٢٥٩.

الإسلام والذين لديهم هدف واحد، وهو التشكيك بالرسالة وما جاء به النبي ﷺ، وهو ما عرضه جلكريست عند تناوله لموضوع هجرة النبي بقوله: «وفي الليلة الفعلية رتب محمد مع ابن عمه علي للنوم في سريره بدلاً منه»<sup>(١)</sup>.

أما المستشرق دينيه فاتفق مع أغلب الروايات الإسلامية بقوله: «أقرت الجماعة الغادرة الرأي، واعتقد المشركون منذ إقراره، أنهم قد تخلصوا من عدوهم، غير أن المشيئة الإلهية أخلفت ظنهم، فقد أرسل الله جبريل إلى رسوله يعرفه بمؤامرة دار الندوة، ويأمره بالهجرة ويطلب إليه أن لا يبيت على فراشه الذي كان يبيت عليه»<sup>(٢)</sup>.

في حين يظهر لنا المستشرق مونتجمري وات أنه ليس هناك شك في أن هذا الاجتماع قد عقد، وأن الحاضرين أدركوا أن محمداً يهيم مشاريع معادية، وأن النية لم تكن معقودة على قتل محمد فإذا لم عقد مثل هذا الاجتماع أصلاً، وإلا فكيف يكون مشروع الاغتيال؟ في حين يعترف أن هناك خطراً كان يهدد محمداً وأتباعه، فما هذا الخطر<sup>(٣)</sup>.

ثم أورد المستشرق جلكريست نصاً أراد فيه إلصاق افتراءات جديدة، وهي هرب النبي ﷺ من مكة فقال: «في هذه الأثناء هرب محمد مع أبي بكر إلى جبل ثور الذي يقع جنوب المدينة، وهي خطوة ذكية لتضليل قريش التي بدأت على الفور في البحث عنه شمال المدينة بمجرد أن اكتشفوا أنه قد قام بمراوغتهم. اختبأ الرجلان في كهف وظلوا هناك يومين حتى تيقنوا بأن البحث عنهم قد انتهى»<sup>(٤)</sup>.

وهنا يتهم جلكريست النبي ﷺ بالهرب من المدينة وهو أمر قد اقتبسه من غيره من المستشرقين، والذين يطلقون على تسمية الهجرة إلى المدينة هروباً، ومنهم من وافق جلكريست الرأي بأن النبي ﷺ قد فر وهرب خوفاً من أن تقتله رجالات قريش؛ فهذا المستشرق سيديو يتكلم عن هجرة النبي ﷺ إلى المدينة فقال:

١-30 Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p30-١

٢- محمد رسول الله، ص ٢٤٣.

٣- نقلاً عن، النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية) لآراء بروكلمان، فلها وزن مقارنة بالرؤية الإسلامية، ص ١٠٦.

٤-30 Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p30-٤

« فبحث عن سلامته بالفرار »<sup>(١)</sup>، في حين إنه يناقض قوله في مكان آخر؛ وذلك باعتراؤه بمكيدة القرشيين بقوله: « دفع الله شرهم، وهو أولى أن يحفظ نبيه القائم بالدعوة له، وأحق أن يجعل كيدهم في نحورهم وما زال آخذاً بيمينه، حتى غنى له الزمن، وشفق له الدهر »<sup>(٢)</sup> ولا نعرف سر هذا التناقض الذي سار عليه ليس سيديو فحسب بل الكثير منهم .

فهذا المستشرق ويل ديورانت ذكر: « عهدت قريش بتحريض إلى بعض رجالها أن يقبضوا على محمد ففر هو وأبو بكر إلى غار الثور »<sup>(٣)</sup>، ونحن نقول: إن النبي ﷺ لم يفر بل إنه كان ينتظر أمراً إلهياً بالخروج والهجرة إلى المدينة عن طريق الوحي، وهنا رد عليه المستشرق بفانموللر؛ إذ تساءل وقال: « لو أن الأمر كان هروباً لما كان مبرراً لأن يظل النبي ﷺ في مكة حوالي ثلاث عشرة سنة منذ بدء الدعوة يتعرض خلالها إلى مختلف أنواع التعذيب والازدراء والاضطهاد والحصار والتجويع هو وأصحابه، ولو أراد الهروب لفعل ذلك قبل الهجرة بأعوام »<sup>(٤)</sup>.

ثم إن المتتبع لرواية الهجرة يجد أن النبي ﷺ لم يخرج من مكة إلا بعد أن خرج جميع الصحابة الأوائل من مكة في محاولة منه لإشغال قريش بنفسه عن ملاحقة أصحابه عند محاولتهم الخروج من مكة؛ إذ إنه بمجرد أن تم عقد بيعة العقبة حتى أصبح الأمر واضحاً للبعيد والقريب في أنه مهاجر عن مكة، ثم إن زعماء قريش أنفسهم يعلمون بأمر ذلك الخروج.

وفي الحقيقة أن أولئك الذين يتركون كل ما لديهم في سبيل الله ويهاجرون فسوف يحصلون الثواب الجزيل من الله تعالى، ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال الأسلوب القرآني الذي يتحدث عن الهجرة ويصفها « ضرب في الأرض و خروج أو إخراج من الديار »؛ فهذا دليل واضح على أن الإسلام والقرآن يحض على ترك مسقط الرأس

١- سيديو، تاريخ العرب العام، ص ٦٤ .

٢- سيديو، تاريخ العرب العام، ص ٥٤ .

٣- قصة الحضارة، ص ٣١ .

٤- سيرة الرسول ﷺ في تصورات الغربيين، ص ١٨٠ .

والأهل والوطن لأجل أمور عدة، هي: انقاذ حرية الفرد وشرفه، والحصول على إمكانيات جديدة، والسعي لترويج فكر وعقيدة جديدة تخدم الإنسانية<sup>(١)</sup>.

ثم إن جلكريا يست تناسى أن المشركين كانوا قد كمنوا له خلف الجدران وأمام منزله، ومع ذلك فإنه خرج بتوفيق العناية الإلهية التي ترعاه من بينهم دون أن يتمكنوا من التعرف عليه.

أما المستشرق جيوم فيتكلم عن هجرة النبي ﷺ وكأنه يصف خطة درست مسبقاً دون أن يشير إلى أن النبي ﷺ كان ينتظر أمراً إلهياً بالهجرة إلى المدينة، في حين يعد توماس آرنولد<sup>(٢)</sup> ذلك تنبهاً من النبي ﷺ لتعرضه للموت إن طال مكوثه واستقراره في مكة لمدة أطول<sup>(٣)</sup>، متغافلين أن النبي ﷺ بعد أن وصل إلى يقين تام بأنه لا يمكن أن يدفع زعماء قريش عن عبادة الأصنام والحجارة التي عكفوا عليها لذلك عمد إلى محاولة إيجاد مكان آخر بعيد عن سطوة قريش يمكن من خلاله نشر الإسلام لتقوى بيضته، وخير دليل على ذلك أن النبي ﷺ قد دخل في بيعة العقبة الأولى والثانية مع أهل يثرب.

والتي تعهد بها النبي ﷺ لأهل يثرب بالخروج لهم، ثم إن أغلب كتب السيرة تثبت أن هجرة النبي ﷺ كانت بأمر من الله سبحانه وتعالى بعد أن أمر المسلمين بالخروج إليها وقال: «ان الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها، وبقي ﷺ ينتظر إذن ربه له بالخروج للمدينة»<sup>(٤)</sup>.

وكان النبي محمد ﷺ من أشجع الناس وأخير الناس وأجلدهم، ما فرّقط من الشدائد، قال بعض أصحابه: كنا إذا اشتد الحرب وحمى الناس، نتقي برسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

١- شريعتي، خاتم النبیین من الهجرة حتى الوفاة، ص ٤١-٤٢.

٢- توماس آرنولد: تعلم في كمبريدج وقضى عدة سنوات في الهند أستاذاً في جامعة عليجرا، وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية وحاضر في الجامعة المصرية في التاريخ الإسلامي، ومن آثاره الدعوة إلى الإسلام، للمزيد ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٥٠٤-٥٠٥.

٣- نقلاً عن، عبد النبي، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين (دراسة نقدية) رسالة ماجستير، ص ١٥١.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٦٨.

٥- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٦١.

ثم ذكر جلكريست ما ذكرته كتب السيرة بحيادية؛ فقال: «في الكهف كان محمد يصلي باستمرار للخلاص بينما بقي أبو بكر يأخذ حذره من المطاردين لهم، في الوقت الذي وصل فيه بعض الشبان من قريش إلى الكهف، وبدؤوا في النظر حوله للبحث عن أي علامات على وجود الرجلين هناك، كان أبو بكر خائفاً إلى حد كبير من اكتشافهم من قبل قريش لكن محمداً شجعه على البقاء ثابتاً، عندما اشتكى أبو بكر من كونهم اثنين فقط في مواجهة كثير من الكفار، أجاب محمد: إنهم ليسوا اثنين ولكن ثلاثة، وأن الله سيكون حاميمهم»<sup>(١)</sup>. واستطرد جلكريست ذكر موقف أبي بكر في الغار قائلاً: «يا رسول الله لو أن واحداً منهم رفع قدمه، لكان قد رأنا»<sup>(٢)</sup>.

ثم إن فتیان قريش لما وصل أولهم إلى الغار، ورأى الحمامتين ونسج العنكبوت رجع، ولم يصل إلى فم الغار، فقال له: «أصحابه ما لك لم تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أنه ليس به أحد»<sup>(٣)</sup>.

ويتبع جلكريست قوله: «وقد استثمرت الأساطير الإسلامية هذه الحادثة مع قصة رائعة عن العنكبوت الذي نسج شبكة من نسيجه أمام الكهف في خداع قريش إلى التفكير في أن أحداً لم يدخل هذا الكهف لفترة طويلة من الوقت، في حين قالت هذه الأساطير إن حمامة أيضاً قد وضعت بيضها هناك لتأكيد هذا الخداع... وقامت قريش ببحث مسعور حتى جاءوا إلى مدخل الكهف، ولكن أحدهم قال: إن هذه العناكب من غير ريب تتردد على هذا المكان من قبل ولادة محمد. وبعدها رجعوا»<sup>(٤)</sup>.

ولكننا لا نعرف عن أية أساطير يتحدث جلكريست، هل معجزات الأنبياء عبارة عن أساطير أم إنه منكر للقدرة الإلهية؟ وهذا الأمر ليس ببعيد عن القدرة الإلهية

١- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p30-

٢- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p31-2

٣- ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ص ٦٠؛ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلاً بحاشية الشمني، مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا، ج ١، ص ٣٥٠؛ ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، ص ١٩٠.

٤- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p31-٤



العظيمة والكبيرة، والتي خصها الله لخاتم النبيين؛ وهذا ليس ببعيد عن معجزات الله عز وجل؛ فهو الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، وهو الذي فلق البحر لموسى، وكذلك جعل عصا موسى حية تسعى، وخلق عيسى من غير أب، وجعله يتكلم في المهد، ثم رفعه إليه بعد أن شبّه لهم أنه قد مات؛ فالله الذي أكرم أنبياءه جميعاً لا بد من أن يكرم خاتمهم بمعجزات تبهر العقول؛ فأرسل العنكبوت والحمامة ليوهما قريشاً من أنهم ليسوا في الغار، ولو شاء الله لنقلهم إلى يثرب بدون تردد، ولكن مشيئة الله أرادت ذلك؛ فهل يقبل جلكريست هذه المعجزات لباقي الأنبياء ولا يقبلها إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

فلم تكن هناك أساطير كما زعم جلكريست بل كانت هناك عناية إلهية أحاطت بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ فمن يؤمن بوحداية الله، فلا بد من أن يشاهد بسهولة يد الله المحركة للكائنات من غير أن تبصرها العين المجردة وبخاصة عندما أحيطت حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالعدوان، وبعد ثلاثة أيام من بقائهم في الغار ارتحل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة<sup>(١)</sup> مولى أبي بكر وصحبهما دليلهما أريقط<sup>(٢)</sup> أخذاً بهم طريق الساحل، فهو من أكثر الطرق أماناً، لأن قريشاً أخذت عليهم الطرق بالرصد ورصدت لمن يأتي بها أحياءً أو أمواتاً مئة ناقة<sup>(٣)</sup>، وواصلت قريش البحث عنهما على نطاق واسع، «وجاء واحد منهم في الواقع على محمد وأبي بكر في شمال المدينة، ولكن، على الرغم من أنه كان في وضع يمكنه من مهاجمتهم جسدياً بقوة، إلا أنه كان متأثراً من وجود محمد وعاد إلى مكة بنفسه»<sup>(٤)</sup>.

وهنا تجاهل جلكريست الرواية الحقيقية التي ذكرتها الكثير من المصادر الإسلامية،

١- عامر بن فهيرة هو: مولى أبي بكر الصديق، أبو عمرو، كان مولداً من مولدي الأزدي، أسود اللون، مملوكاً للطفيل بن عبد الله، فأسلم، وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر من الطفيل، فأعتقه، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم، للمزيد انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٧٩٦.  
٢- أريقط، هو عبد الله بن أريقط استأجره أبو بكر في هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة وهو من بني الدليل هادياً. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٧٧.  
٣- الطبراني، المعجم الكبير، ج ٧، ص ١٣٣؛ البجلي، محمد عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، ص ٧٢-٧٣؛ عبد الله، الاغتيالات في الإسلام اغتيال الصحابة والتابعين، ص ١٣؛ نصار، محاولات اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفشلها، ص ٤٨.

وما حدث فيها لسراقة<sup>(١)</sup> الذي خرج في طلب النبي ﷺ فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن النبي ﷺ لما خرج من الغار متوجهاً إلى المدينة وقد كانت قريش قد جعلت لمن يأتي بهم أحياء أو أمواتاً مئة من الإبل، فخرج سراقة فيمن يطلب، فلحق بالنبي ﷺ فقال: اللهم اكفني شر سراقة بما شئت، فساخت قوائم فرسه! فثنى رجله ثم اشتد فقال: يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك، فادع الله أن يطف لي فرسي، فلعمري إن لم يصبكم مني خير لم يصبكم مني شر، فدعا النبي ﷺ فأطلق الله عز وجل فرسه، فعاد في الطلب من النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرات كل ذلك»

يدعو النبي ﷺ فتأخذ الأرض قوائم فرسه؛ فلما أطلقه في الثالثة قال: يا محمد هذه إيلي بين يديك فيها غلامي، فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة، وأنا راجع فأرد عنك الطلب فقال ﷺ: لا حاجة لنا فيما عندك<sup>(٢)</sup>.

ثم حاول جلكريست من جديد إيجاد ربط بين الديانة اليهودية والديانة الإسلامية، وأنها قامت من خلال ما تم اكتسابه من قبل النبي ﷺ من أحبار اليهود؛ إذ ذكر أنه «من المحتمل أن تكون الأسطورة مشتقة من التراث الشعبي اليهودي على أي حال، إذ يقال: إنه عندما فر داود من شاول عند مدخل الكهف الذي اختفى فيه أيضاً من مطارديه، ويقال: إنه أيضاً صلى إلى الله أن يدعو العنكبوت إلى نسج شبكته في مدخل الكهف»<sup>(٣)</sup>، إذ ذكر أنه في إحدى المرات كان شاول ورجاله يطاردون داود الذي لجأ إلى أحد الكهوف واختبأ به؛ فدخل شاول وراءه يبحث عنه فأرسل الرب العنكبوت التي نسجت شبكة سدت مدخل الكهف؛ فلما رآها أمر رجاله بالكف عن البحث في هذا الكهف، وهذه قصة شبيهة بقصة الهجرة التي حدثت للنبي الأكرم ﷺ متناسياً أمراً مهماً، وهو أن التوراة قد كتبت بعد مدة بعيدة من وفاة نبي الله موسى مما يجعلها عرضة للشك والدحض، إضافة

١- سراقة هو: سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن تميم بن مدلج الكناني يكنى بأبي سفيان، كان ينزل قديداً بعد في أهل المدينة ويقال: إنه سكن مكة، للمزيد ينظر: الرازي، الجرح والتعديل، ج ٤، ص ٣٠٨؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٥٩.

٢- الكليني، الكافي، ج ٨، ص ٢٦٣.

٣- Gilchrist, 'Mnhammad the prophet of Islam', p31-٣



إلى أنه لم يذكر لنا على أي مصدر اعتمد في هذه الرواية، وإن ثبتت فما دليله على صحتها؟. فضلاً عن أننا لم نجد أن الأسفار التوراتية قد تطرقت إلى القصة التي ذكرها جلكريايس؛ فقد جاء في أحدها «فذهب داود من هناك ونجا إلى مغارة عدلام فلما سمع إخوته وجميع بيت أبيه نزلوا إليه، واجتمع كل رجل متضايق، وكل من كان عليه دين، وكل رجل مر النفس فكان عليهم رئيساً وكان معه نحو أربع مئة رجل، وذهب داود من هناك إلى مصفاة موآب، وقابل الملك موآب : ليخرج أبي وأمي إليكم حتى أعلم ماذا يصنع لي الله، فودعهما عند ملك موآب، فأقاما عنده كل أيام إقامة داود في الحصن»<sup>(١)</sup>.

ولم تذكر القصة تفاصيل أكثر بل اكتفت بذكر أن النبي داود ﷺ ذهب إلى مغارة عدلام ونجا من الملك المطارد له، غير أننا نجد في التلمود قصة مشابهة حول عنكبوت أنقذ النبي داود ﷺ من ملاحقة أعدائه، وهو ما اعتمد عليه جلكريايس في إirاده لهذه الرواية، ومن ثم فإن التلمود ليس بالكتاب المقدس، وليس هو كلام الله، ومن ثم فإنه من وضع الإنسان، ومن الممكن أن تكون قد اقتبست من سيرة نبينا محمد ﷺ إذ ذكرت «اختبأ داود في مغارة عدلام؛ فكان أن عنكبوتاً أتت إثر دخوله تنسج على باب المغارة خيوطها، فمر ملاحقوه المطالبون بدمه بذاك المكان، فتجاوزوا عنه على اعتبار أنه لا يمكن لأحد أن يلج مغارة قد نسجت عليها العنكبوت من غير أن يهتك خيوطها»<sup>(٢)</sup>.

وهو دليل على أن ما أشار إليه جلكريايس إنما يدل على مدى تهافت ما في يديه من احتمالات فقد أوضح لنا أنه على غير علم ودراية بتاريخ الأنبياء السابقين أو أنه قد أهمل هذه المعرفة؛ إذ لم يلتفت إلى أمر مهم، وهو أن الله سبحانه وتعالى قد خص جميع الأنبياء بعدد من المعجزات لكنه لا يعترف بها إلى نبينا محمد ﷺ؛ لأنه في الأصل قد أنكر نبوته .

١- سفر صامويل ١: ٢٢-٤.

٢- أبيش، التلمود، ص ٣٤٣.

## ٢- دخول النبي ﷺ إلى قباء<sup>(١)</sup> والمدينة

اتفق جلكريست مع المصادر الإسلامية في مسألة دخول النبي ﷺ إلى قباء، ومن ثم وصوله إلى المدينة؛ فلم يختلف في سرد تفاصيل هذه القصة؛ إذ قال: «قبل دخول المدينة قضى محمد بعض الوقت في منطقة (قباء) جنوبي المدينة مباشرة مع أبي بكر وبعض قادة الأوس والخزرج»<sup>(٢)</sup>.

فقد ذكر ابن عبد البر ذلك فقال: «فأقام رسول الله ﷺ أياماً اختلف الرواة في عدد الأيام التي أقامها الرسول في قباء حيث لحق به علي (عليه السلام)، فقيل: أربعة، وقيل: أربعة عشر»<sup>(٣)</sup>. وقد كان السبب في مكوث النبي ﷺ في قباء هو لغرض وصول الإمام علي (عليه السلام) مع الفواطم؛ إذ مكث الإمام علي (عليه السلام) بمكة بأمر النبي ﷺ حتى أدى ودائع كانت عنده أمره النبي ﷺ بأدائها إلى أهلها، ثم يلحق به؛ ففعل الإمام (عليه السلام) ذلك<sup>(٤)</sup>.

والمتتبع لما ذكره جلكريست يرى أنه لم يختلف عما ذكرته الروايات الإسلامية، بقوله: ولدى وصوله إلى المدينة، تجمعت الحشود حوله، وتوسل إليه العديد من رفاقه الجدد في البقاء معهم<sup>(٥)</sup>، وهو ما أكده ابن هشام حين قال: حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي ﷺ قالوا لما سمعنا بخروج النبي ﷺ من مكة كنا نتبع قدمه؛ فنخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبي ﷺ حتى تغلبنا الشمس في أيام حر، وفي يوم قدمه المدينة كان أول من رآه رجل من اليهود؛ فصرخ بأعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء في حين إن أكثرهم لم يكن قد رأى النبي ﷺ من قبل وكان معه أبو بكر<sup>(٦)</sup>.

١- قباء: مقصور قرية بعمالي المدينة، وقال ابن جبير: مدينة كبيرة كانت متصلة بالمدينة المقدسة، والطريق إليها من حدائق النخل، للمزيد ينظر: السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ٤، ص ١٢٩-١٣٠.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p31-٢.

٣- الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٨٢.

٤- ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٨٢.

٥- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p31-٥.

٦- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٩٢؛ أبو الربيع، الاكتفاء، ج ١، ص ٢٩١؛ الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ١، ص ٢٦٦.



في حين إن هناك عدداً من الروايات أوردت خلاف ما جاء في مضمون الرواية الإسلامية، والتي أكدت على أن أبا بكر لم يدخل مع النبي ﷺ إلى المدينة، وأنه فارقه بقاء، وذهب وحيداً إلى المدينة حينما قال له النبي ﷺ: «ما أنا بداخلها (المدينة) حتى يقدم ابن عمي وابنتي؟ يعني علياً وفاطمة (عليهما السلام)»<sup>(١)</sup>. وقد انطلق الإمام علي (عليه السلام) بعد أداء الودائع التي كانت عند النبي ﷺ لبعض المكيين قال: «فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله يثرب، فمن سره أن أفري لحمه، وأريق دمه، فليتبعني، أو فليدن مني...»<sup>(٢)</sup>.

ثم يذكر جلكريست ما نصه «وتوسل إليه العديد من رفاقه الجدد في البقاء معهم، وقد رفض محمد وقال إنه سوف يترك الأمر إلى الجمل الذي كان يركبه لاختيار مكان إقامته. توقف الجمل في منطقة بني النجار، وقد علم من معاذ بن عفراء<sup>(٣)</sup>، أن الأرض ملك لسهل وسهيل، أبناء عامر، وحث محمداً على بناء مسجده الخاص هناك وإقامة أماكن معيشتهم إلى جانبه»<sup>(٤)</sup>.

ولكن الأمر المثير للدهشة هو ما تحدث عنه بروكلمان عند وصوله ﷺ للمدينة؛ إذ يتناول الحديث عن بيت النبي ﷺ فيذكر أنه «أضيف إلى مساكن النبي فيما بعد خيمة ذات اثاث فخم قد زينت أرضها بالمفروشات الثمينة، لاستقبال وفود القبائل استقبالاً لافتقاً»<sup>(٥)</sup>، ولا ندري من أين استقى بروكلمان معلوماته؟ وما المصادر التي اعتمد عليها؟، ولم يخبرنا ما الأثاث الذي كان متوافراً في مجتمع مكة أو المدينة آنذاك.

وأراد النبي الأكرم ﷺ عدم خلق نوع من المشاحنات بين أفراد المجتمع الجديد من جهة، وعدم تفضيل بيت على آخر عندهم من جهة أخرى؛ إذ أوردت المصادر لنا أنه لما

١- الطوسي، الأمالي، ص ٤٦٩؛ البحراني، حلية، ج ١، ص ٩٤٨-٩٤٩؛ النقدي، الأنوار العلوية والاسرار المرتضوية، ص ٤٧.

٢- الطوسي، الأمالي، ص ٤٧١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٦٦.

٣- معاذ بن الحارث، وهو ابن عفراء وهي أمه، أنصاري، عقبي، بدري، شارك معاذ بن عمرو بن الجموح في قتل أبي جهل، قال له النبي ﷺ: له ولعاذ بن عمرو، كلاهما قتله، وقال كثير بن أفلاح: إنه أعتق ألف نسمة، وروى عن النبي ﷺ، ينظر: البغوي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ج ٥، ص ٢٨٥؛ الأصبهاني، سير السلف الصالحين، ص ٦٥٣.

٤- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p32.

٥- تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٥.



انتهت إلى مكان مسجده بالمدينة، وهو مريد لغلّامين يتيمين من بني النجار، ثم من بني غنم، وهما: سهيل وسهل ابنا رافع بن أبي عمرو بن عباد بن ثعلبة، وكانا في حجر معاذ بن عفراء، بركت فالتفتت يميناً وشمالاً ثم وثبت؛ فمضت غير كثير، والنبى ﷺ واضعٌ لها زمامها لا يحركها فوقت فنظرت ثم التفتت إلى مبركها الأول؛ فأقبلت حتى بركت فيه فحصت بثفتاتها واطمأنت حتى عرف النبي ﷺ أن قد أمرت، فنزل عنها واحتمل أبو أيوب <sup>(١)</sup> رحله <sup>(٢)</sup>. وبذلك تم بناء أول مسجد لإقامة الصلاة والعبادة، وكذلك اتخذه مكاناً لسن القوانين والاجتماعات وحل الخصومات التي تحدث بين أفراد المجتمع الجديد. وتعامل جلكريست مع هذه المجموعات الناشئة في المدينة بقوله: «وقد عوملت المجموعة الصغيرة من الأتباع المخلصين الذين هاجروا مع محمد إلى المدينة باحترام كبير في المدينة، وأصبحوا يُعرفون باسم المهاجرين، في حين إن مجموعة الأتباع الجديدة في المدينة كانت تعرف باسم الأنصار» <sup>(٣)</sup>.

ويرى أن مبدأ المؤاخاة <sup>(٤)</sup> يعود إلى رغبة النبي ﷺ في أن لا يعامل الأنصار من أهل المدينة المهاجرين من أهل مكة معاملة الحلفاء؛ لأن الحليف على وفق التقاليد العربية أقل منزلة في القبيلة من ابن القبيلة، وذلك لأنه يعيش تحت حماية القبيلة، وترثه القبيلة إن توفي كما أن ديتة هي النصف، ولا يؤخذ الحليف بالصريح؛ لذا فقد أراد النبي ﷺ من المؤاخاة أن يضمن إقامة علاقة فيما بينهم، أي بين المهاجرين والأنصار تقوم على المساواة التامة في الحقوق والواجبات <sup>(٥)</sup>، وهذا صهر للقيم القبلية البالية، وقال: «إن النبي ﷺ لما آخى بين المسلمين أخذ بيد علي فوضعها على صدره، ثم قال: يا علي أنت أخي وأنت

١- أبو أيوب هو: خالد بن يزيد، أبو أيوب الأنصاري بن كليب بن ثعلبة، شهد العقبة وهدراً، وقد نزل عليه النبي ﷺ إلى أن بنى مسجده وحجرته، للمزيد ينظر: الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٩٣٣.

٢- البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج ١، ص ٥٠٤.

٣- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p32.

٤- المؤاخاة والتآخي، والأخوة قرابة الأخ، والتآخي اتخاذ الإخوان، وهي لغة في الأخوة، وتآخى الرجل: اتخذ أخاً أو دعاه أخاً، للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٢.

٥- العسلي، نظام المؤاخاة في عهد الرسول، مجلة دراسات للأجيال، ص ٢٧.

مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>.

وبذلك أصبحت رابطة الأخوة في العقيدة هي أقوى من رابطة الأخوة في الدم، واستقبل الأنصار المهاجرين استقبلاً فريداً من نوعه، واستضافوهم في بيوتهم وفضلوهم على أنفسهم، ثم وهبوا لهم بيوتاً وأراضي وساعدوهم على بنائها<sup>(٢)</sup>.

وذكر المستشرقون خبر الهجرة على أنه بداية سلطة النبي ﷺ؛ فهذا المستشرق الألماني بيكر كارل هيرنش<sup>(٣)</sup> يشيد بهذه الهجرة، ويرأها سطرت اتجاهًا جديدًا للنبي ﷺ، فهو يريد أن يلمح إلى أن المسائل الدينية قد تم الاهتمام بها في مكة أكثر من المدينة، وأصبح الدين المبشر به في مكة مرتبطاً في المدينة بالدولة، ولكنه يعترف بإسلامية الدولة قائلاً: «ومن هنا كان الاتصال بين الدين والدولة الإسلامية»<sup>(٤)</sup>.

أما بروكلمان فهو يتحدث عن هذه الهجرة بقوله: «كمثل انقضاء عهد غير مستقر وبدء حياة جديدة ... حتى اتخذوا في عهد عمر بن الخطاب مطلع تلك السنة بداية للتاريخ الإسلامي»<sup>(٥)</sup>.

وهنا يمكن أن نعد جلكريست منصفاً في سياق أحداث موضوع الهجرة إلى المدينة، وهو لا يختلف عما أوردته لنا المصادر الإسلامية ولكنه نراه قد تأثر بغيره من المستشرقين الذين حاولوا إظهار النبي ﷺ بمنظر الراغب للسلطة متناسين الإغراءات التي قدمتها إليه قريش في مكة، وقد جعل النبي ﷺ للمدينة حرمة مثل حرمة مكة بوصفها أول مكان انطلق منه الإسلام للوجود؛ إذ قال النبي ﷺ: «اللهم إني أُحرم ما بين جبلتي من حرم مكة، اللهم بارك لهم في مدنها وصاعهم»<sup>(٦)</sup>، وهذا يدل على عظم

١- ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٥٣.

٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٣٨؛ ابن عساکر، تاریخ مدينة دمشق، ج ١٩، ص ٣٦١.

٣- بيكر كارل هيرنش: (١٨٧٦ - ١٩٣٣ م) مستشرق ألماني عين أستاذاً في جامعة هامبورج، واشتهر بتضلعه في التاريخ الإسلامي، وقد اعتنى بتاريخ مصر الإسلامي، وله العديد من الآثار، منها عمر الثاني ودراسات عن الفتح العربي، للتميز ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٧٤٥-٧٤٦.

٤- نقلاً عن، الحاج ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، ج ٢، ص ١٦-١٧.

٥- تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٥.

٦- النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٩٩٣.

شأن هذه البقعة المقدسة، ومحاولته منع حالة الاقتتال التي كانت سائدة بين الأوس والخزرج بسبب نفاق اليهود وخبثهم؛ لذلك اختط النبي ﷺ مسجده النبوي فيها، ولم يكن مثلما صورته جلكريست بأنه كان طامحاً للحصول على السلطة والزعامة؛ وذلك بقوله عن المدينة «سرعان ما نما عند محمد حب المدينة وتقديره العميق لها بسبب استعدادها لاستقباله كزعيم لها في مثل هذا الوقت الحرج في دعوته»<sup>(١)</sup>، فضلاً عن أن جلكريست تغافل عن ذكر القوانين التي سنّها النبي الأكرم ﷺ في المدينة، والتي منها حق الدفاع، وتنظيم علاقات المسلمين بغيرهم من الديانات الأخرى الموجودة في المدينة، والتي سوف نتناولها في الموضوعات القادمة.

### ٣- تغيير اتجاه القبلة

حاول المستشرق جلكريست ربط الموضوع بالديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية؛ لذلك نراه ركز وبشدة على إظهاره في أي فرصة تسنح له، فذكر: «ركز محمد اهتمامه على مكة، لفترة من الزمن كان المسلمون يستقبلون القدس، وهي موقع المعبد اليهودي الأصلي المعروف في الإسلام بـ«البيت المقدس»»، ولكن الآن جاء الأمر الإلهي ليتحولوا ويغيروا القبلة، وهي اتجاه الصلاة، إلى المسجد الحرام في مكة»<sup>(٢)</sup>؛ إذ ذكر الآية القرآنية التي نزلت على النبي ﷺ بقوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد اتفق جلكريست مع الرواية الإسلامية التي ذكرت «وكان رسول الله ﷺ يتوجه نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه نحو الكعبة، فأُنزل الله عز وجل: قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام، قال فوجه نحو

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p33-١

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p34-٢

٣- البقرة، ١٤٤.



الكعبة قال: وقال السفهاء من الناس وهم اليهود وما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها<sup>(١)</sup>. واقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الكعبة قبلة للمسلمين بعد أن حازوا شرف التوجه إلى بيت المقدس؛ ليكونوا من أهل القبليتين، وليتميزوا عن المشركين قبل الهجرة وعن اليهود بعدها، فتطلع النبي ﷺ وهو بالمدينة بعد الهجرة، واشتد شوقاً إلى نزول الوحي عليه بالتوجه إلى بيت الله الحرام، وقد كان يتوقع ذلك من ربه لأن الكعبة أقدم القبليتين، ولأنها قبلة إبراهيم عليه السلام، ومفخرة العرب حيث كانت مثابة للناس وأمنًا ومزارًا ومطافًا، وذلك أدعى إلى دخول العرب في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وهناك دليل على أن تغيير اتجاه القبلة هو أمر إلهي، إذ أكد ذلك ما جاء في الكتاب المقدس وهو: «إن امرأة سامرية قالت لعيسى عليه السلام: أبأؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون»<sup>(٣)</sup>. وكذلك قول نبي الله عيسى عليه السلام «أن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق [ويقصد به النبي ﷺ] فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية»<sup>(٤)</sup>.

ثم قال جلكريست «على الرغم من أن الكعبة كانت لا تزال ضريحاً وثنياً في ذلك الوقت»<sup>(٥)</sup>، مما يدل على محاولات المستشرق في الإشارة ولو من بعيد إلى أن الديانة الإسلامية كانت لها امتداد مع الديانات القديمة والوثنية، وهو بذلك يتفق مع غيره من المستشرقين، والذين حاولوا ربط الديانة الإسلامية بغيرها من الديانات الأخرى كلما سنحت الفرصة لهم؛ فالمستشرق جورج بوش قال: «عندما وصل محمد ﷺ إلى

١- البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج ٢، ص ٥٧٢.

٢- النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ص ٢٠٥.

٣- إنجيل يوحنا، الإصحاح ٤-٢٠-٢١.

٤- إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٦-١٢-١٣.

٥- Gilchrist، Mnhammad the propet of Islam، p34-٥.

المدينة المنورة للمرة الأولى لم يحدد أي جهة يتوجه إليها المسلمون في صلواتهم لكنه ربما رغبة منه في التقرب إلى اليهود وجه أتباعه لاستقبال القدس عند الصلاة ولكنه عندما وجد اليهود عنيدون وغير متجاوبين عمد بعد ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً إلى تغيير اتجاه القبلة إلى الكعبة<sup>(١)</sup>.

ويرى المستشرق جيوم أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة كان نتيجة معارضة اليهود للنبي ﷺ إذا لم يرضوا بجعله من أصحاب الرسالات كإسماعيل وعيسى وباقي الأنبياء والرسل، وقالوا: إنا لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن به<sup>(٢)</sup>.

وإن توجه النبي محمد ﷺ صوب القدس في الصلاة لم يكن بدافع استمالة اليهود، وإنما هو عمل قام به قبل الهجرة في مكة فجاء في حديث المسلمين الذين خرجوا من المدينة للحج قبل الهجرة وهو البراء بن معرور<sup>(٣)</sup>؛ إذ كان يصلي وهو في الطريق مستقبلاً الكعبة المشرفة على خلاف من كان معه من المسلمين؛ إذ كانوا يصلون إلى بيت المقدس فلما قدموا مكة قصدوا النبي ﷺ فسألوه عن فعل البراء بن معرور؛ فقال له النبي ﷺ قد كنت على قبلة لو صبرت عليها قال فرجع البراء إلى قبلة الشام فصلى معنا<sup>(٤)</sup>.

إن توجه المسلمين إلى مكة المكرمة كان بأمر من الله سبحانه وتعالى وكان النبي ﷺ يجب أن يتوجه إلى الكعبة كما صرح بذلك القرآن الكريم وليس كما ادعى بوش ذلك. في حين يرى المستشرق آرنولد أن مسألة تحويل القبلة كان له مغزى آخر، وهو بداية للحياة القومية في الإسلام في المدينة فجعل مكة مركزاً دينياً للمسلمين جميعاً<sup>(٥)</sup>.

والحقيقة غير ما يراه هؤلاء المستشرقون؛ فأراؤهم بعيدة عن الواقع؛ فالمسلمون قد نفذوا أمر الله جل جلاله، وأما المشركون فقالوا لما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى

١- محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين، ص ٢٩٠.

٢- الإسلام، ص ٤٣-٤٤.

٣- البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنام بن عبيد بن عدي وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٥٧١.

٤- ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ٢٥، ص ٩١.

٥- الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٧.



دين آبائه وما رجع إليه إلا لأنه الحق، وأما اليهود فقالوا خالف قبلة الأنبياء الذين سبقوه، ولو كان نبياً لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء وأما المنافقون فقالوا ما يدري محمد إلى أين يتوجه إن كانت قبلته الأولى حقاً؛ فقد تركها وإن كانت قبلته الثانية هي الحق فقد كان على باطل<sup>(١)</sup>، والأمر المراد من ذلك هو معرفة من يتبع النبي ﷺ ممن يعصيه، كذلك خلق حالة من التواصل مع مدينة مكة، والتي أخرجوا منها ولكي يبقى هناك تطلع من قبل المهاجرين بالعودة إليها.

وأما ما جاء عن أهل البيت ﷺ في ذلك ؛ فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : « ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة، وذلك أن اليهود كانوا يعيرون رسول الله ﷺ يقولون: أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا، فاغتم النبي ﷺ من ذلك غماً شديداً، وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله في ذلك أمراً، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين، فنزل عليه جبرئيل فأخذ بعضديه وحوله إلى الكعبة»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لما صرف الله نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي ﷺ: أرايت صلاتنا التي كنا نصلي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> فسمى الصلاة إيماناً»<sup>(٤)</sup>.

١- ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٣، ص ٦٠.

٢- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤١٤.

٣- البقرة: ١٤٣.

٤- النوري، مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ١٧٢.

## المبحث الثاني

### صراع النبي ﷺ مع قريش

#### ١- سرية نخلة ٢هـ

من أهم الموضوعات التي ركز عليها العديد من المستشرقين، وكذلك تناولتها أقلام المنافقين واليهود الذين حاولوا تشويه الإسلام ومحاولاتهم المستمرة في التعرض إلى سيرة النبي ﷺ سعيًا منهم لإثبات أن دين الإسلام قد انتشر بقوة السيف وسفك الدماء، ومن ذلك حادثة سرية عبد الله بن جحش أو كما تطلق عليها بعض المصادر غزوة نخلة أو سرية نخلة نسبة إلى المكان الذي حدثت به هذه الغزوة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن المستشرق قد ركز على مصادر معينة دون أخرى، وبلغت عدد غزوات النبي ﷺ سبعةً وعشرين غزوة قاتل في تسع منها فقط، وهو رقم يدل دلالة واضحة على أنه كان يتحاشى الحرب والصدام المسلح وينشد حقن الدماء ما أمكنه ذلك، في حين بلغ عدد السرايا سبعةً وأربعين سرية، وقيل: ثلاثاً وأربعين سرية<sup>(١)</sup>؛ إذ يقول جلكريست «قام محمد بإرسال مجموعات للإغارة عليهم ومداهمتهم واعتراض طريقهم [أي على قريش] وكانت المدهامات الأولى هذه غير مجدية، ولكن أثناء السنة الثانية من حكم محمد في المدينة، أرسل عبد الله بن جحش مع سبعة آخرين إلى النخلة، وهو مكان للاستراحة بين مكة والطائف وعاد اثنان منهم إلى الخلف، لكن الستة المتبقين تقابلوا مع مجموعة صغيرة من أربعة من قريش كانوا عائدين إلى مكة»<sup>(٢)</sup>.

وللوقوف على أمر هذه الغزوة فلا بد من الرجوع إلى المصادر الإسلامية التي ذكرتها؛ إذ ذكر ابن هشام أن سبب نزول آية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ هو سرية عبد الله بن جحش<sup>(٣)</sup>، وحدثت سرية نخلة في رجب سنة ٢ هـ / ٦٢٤ م<sup>(٤)</sup>.

١- الذرعاني، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الإنجليز، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ١٥٨.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p35-٢.

٣- السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٠١.

٤- المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ١٨٠.

وَذَكَرَ أَيْضاً: عن عروة بن الزبير<sup>(١)</sup> «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ الْأَسَدِيُّ فَاَنْطَلَقُوا حَتَّى هَبَطُوا نَخْلَةً فَوَجَدُوا بِهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ<sup>(٢)</sup> فِي قَافِلَةٍ لِقْرِيشَ فِي يَوْمٍ بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ؛ فَاخْتَصَمَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: «هَذِهِ غَرَّةٌ مِنْ عَدُوٍّ، وَغَنَمٌ رَزَقْتُمُوهُ، وَلَا نَدْرِي أَمِنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَلَا نَرَى أَنْ تَسْتَحْلُوهُ لَطَمَعِ أَشْفِيْتُمْ عَلَيْهِ، فَغَلَبَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا فَشَدُّوا عَلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ وَغَنَمُوا عِيْرَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قَرِيْشَ وَكَانَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ أَوَّلَ قَتِيلٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرِكِينَ، فَركب وفد كفار قريش حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال اتحل القتال في الشهر الحرام»<sup>(٣)</sup>.

وهنا حاول المستشرق إيهام القارئ بأن النبي ﷺ كان يرسل المجموعات للإغارة على قريش؛ ولذلك فإنه أطلق عليها اسم غزوة، في حين إنها من السرايا؛ فضلاً عن أن هذا يتنافى مع ما كان يعمل به النبي ﷺ قبل خروج هذه السرايا؛ فعن الإمام الصادق (عليه السلام): "كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله ﷺ، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين وأفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه"<sup>(٤)</sup>.

ولم يغفل المترجمون الغرب غزوات النبي ﷺ؛ إذ لم يكن الهدف من ذلك الاطلاع على تفاصيل التاريخ، وإنما إظهار مدى دموية الرسول، وأنه يرفع باليد الأخرى السيف

١- عروة بن الزبير: هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وكان ممن اهتم بالسيرة ومغازي الرسول ﷺ، توفي سنة ٩٩ هـ، للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٣.

٢- عمرو بن الحضرمي: هو أول قتيل من المشركين، وماله أول مال خمس، قتل يوم نخلة، ينظر، ابن العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٦٦.

٣- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٣؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ٣، ص ١٧.

٤- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٣٤.

للحصول على الغنائم متناسين الحديث عن الأسباب التي حركت هذه الغزوات من الدفاع عن النفس ونصرة المظلوم<sup>(١)</sup>.

وعند الاطلاع على حركة السرايا التي كان النبي ﷺ يرسلها يمكن أن نتعرف على أنه كان يرسلها لتحسس أوضاع قريش ومعرفة أخبارها ولم تكن له الرغبة في الإغارة عليها وسفك دمائهم، وإنما كان هناك تخوف من غدر قريش لورود أخبار إلى النبي أن قريشاً قد اتفقت على غزو المدينة وهو ما ذكر في سنن أبي داود «عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش قد كتبوا إلى عبد الله بن أبي<sup>(٢)</sup> ومن كان معه يعبد الأوثان في المدينة من الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ في المدينة قبل وقعة بدر: إنكم آوئتم صاحبنا وأنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ الخبر عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال النبي ﷺ فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك لقيهم فقال لقد بلغ وعيد قريش منكم المبلغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم فلما سمعوا ذلك من الرسول ﷺ تفرقوا»<sup>(٣)</sup>.

والذي يتأمل ما تناقلته المصادر الإسلامية يرى أن النبي ﷺ لم يأمرهم باستخدام السيف وأنه كان تصرفاً شخصياً من قبلهم دون إذنه ﷺ ثم إن هذا الاتهام كان ينافي قول النبي ﷺ عندما وجد امرأة مقتولة في ساحة المعركة في إحدى الغزوات؛ فوقف عليها ثم قال : ما كانت هذه لتقاتل، ثم قال لأحدهم : الحق بخالد بن الوليد<sup>(٤)</sup> فلا يقتل ذرية، ولا عسيفاً أي أجيراً ولا امرأة<sup>(٥)</sup>.

١- الهلالي، الاستشراق الأسباني والسيرة النبوية، ص ٢٥٤٢.

٢- عبد الله بن أبي، هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المدني المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خزاعة، رأس المنافقين في الإسلام، للمزيد ينظر: ابن شبة النميري تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ص ٣٦١؛ الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٦٥.

٣- أبو داود، سنن أبي داود، ج ٤، ص ٦١٨؛ الصلابي، غزوات الرسول ﷺ دروس وعبر وفوائد، ص ١٤.

٤- خالد بن الوليد بن المغيرة بن مخزوم القرشي، ويكنى بأبي سليمان. وأمه عصماء وهي لبابة الصغرى بنت الحارث، أسلم بعد الحديبية، شهد مؤتة، والفتح وحنينا، مات سنة ٢١ هـ بمدينة حمص في خلافة عمر. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٧٦؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج ٢، ص ٣٣٤؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٨، ص ١٨٧.

٥- الترمذي، الجامع الصحيح، ج ٥، ص ١١٦.

وخير دليل على عدم رغبة النبي ﷺ بقتال المشركين عندما قال : « وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال .. ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . فإن أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم .. »<sup>(١)</sup> .

إن المتأمل النصوص الآتية يرى دليلاً كافياً على عدم قبول النبي ﷺ أو إصداره لأمر الهجوم على القوافل التجارية وتعريض حياة الأفراد للخطر، وهو الذي بُعثَ رحمة للبشرية، ويمكن استدراك ذلك في قوله ﷺ لأصحابه عندما كانوا يطلبون منه ﷺ في مكة قتال المشركين من قريش فيجيبهم « اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال »<sup>(٢)</sup>، هذا من جانب، ومن جانب آخر فهو رفض النبي محمد ﷺ أخذ الغنائم التي حصلت عليها الغزوة ولم يأخذ الغنائم للاستغلال الشخصي، وإنما قام بتوزيعها على المحتاجين، وقسم الباقي على المشتركين بالحملة، إذ إن ما حدث كان سوء تقدير ناجم من اجتهاد شخصي، والنبي ﷺ لم يسمح لهم بذلك وأنكر عليهم ما فعلوا ومنع التصرف في الغنائم والأسيرين، حتى نزل وحي من الله سبحانه وتعالى يقول ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

١- مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٥.

٢- الصلاحي، غزوات الرسول ﷺ دروس وعبر وفوائد، ص ٧.

٣- البقرة، ٢١٧.

وهذا ما أكدته المستشرق كونستانس جيورجيو<sup>(١)</sup> عندما ذكر «وقدم وفد من مكة إلى المدينة لاسترداد الجمال والمال والأسيرين وتناقشوا مع النبي ﷺ لكنه لم يقبل بأن يرد إليهم ما طلبوا، إلا أنه قبل فدية الأسيرين فتسلم على كل واحد منهم ألفاً وستمائة درهم لنفع المسلمين ولكن أحد هذين الأسيرين أسلم... فكان سبباً في إسعاد المسلمين»<sup>(٢)</sup>. ويذكر جلكريست أيضاً: «لم يكن محمد على علم بخطورة الوضع، ورفض في البداية خمس الغنائم التي عرضها أتباعه عليه في الواقع، أصيبت المدينة بأكملها بالصدمة من جراء ما حدث، لكن آية من القرآن، جاءت في هذا الوقت بالذات، تبرر المداهمة»<sup>(٣)</sup>، والمقصود بذلك الآية (٢١٧) من سورة البقرة، والتي ذكرت سابقاً.

وذهب جلكريست إلى أبعد من ذلك؛ إذ ذكر «وقد يكون التحول الواضح مضللاً في سلوك النبي، من النبي المضطهد الذي يتحمل بصبر الإساءة من قريش إلى محارب عازم على النهب والعنف»<sup>(٤)</sup>.

وأورد لنا جلكريست أمراً آخر بقوله: «لقد كان شهر رجب، وهو أحد الأشهر الأربعة الحرم المقدسة في شبه الجزيرة العربية، حيث يتم وقف جميع الأعمال العدائية كما هو متعارف عليه، وهو عرف آخر على وشك أن يُنتهك من المسلمين. عندما رأى رجال قريش الرجال القادمين من المدينة في لباس الحج المتعارف عليه وكانت رؤوسهم حليقة»<sup>(٥)</sup>.

ولم يحاول جلكريست التلاعب في الألفاظ فحسب بل إنه حاول قلب الحقائق التاريخية لغرض الوصول إلى الغاية التي يرومها، وهي إظهار النبي ﷺ محباً لسفك

١- هو كونستان فيرجيل ولد عام ١٩١٦ في مدينة روس باني، تخرج من جامعة بوخارست وكانت له تطلعات نحو التاريخ الإسلامي فترسخ إعجابه بالرسالة السمحاء وبشخصية النبي ﷺ ثم عين في السلك الخارجي وقد وصل إلى منصب وزير خارجية رومانيا، ثم بعد ذلك هاجر إلى فرنسا وشرع بالتأليف والتدريس، ينظر، جيورجيو، نظرة جديدة في رسول الله، ص ٥ مقدمة المترجم.

٢- نظرة جديدة في رسول الله، ص ٢١٤.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p35-٣

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p35-٤

٥- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p35-٥

الدماء وكذلك محاولة إشاعة أن الإسلام انتشر بقوة السيف، وقد ذكرت أغلب المصادر التاريخية أن هذه القافلة كانت قادمة من الشام

بعد انتهائها من التجارة ولم تكن للحج، ولو كان هذا صحيحاً؛ فكيف يكون هؤلاء من قريش، وماذا يعملون في موقع نخلة، أو أنهم من الشام وهذا ينافي ما ذكر؛ إذ قامت قريش بفداء الأسيرين، وهذا يظهر مدى تأثير جلكرياست بغيره من المستشرقين؛ فقد عرض وات أحداث سرية نخلة؛ إذ يزعم أن النبي ﷺ كان يعلم أن هذه السرية قد يترتب عليها قتال في شهر حرام، وهو رجب<sup>(١)</sup>، وقول وات هذا لا يمكن القبول به وخير دليل على ذلك الكتاب الذي أعطاه النبي ﷺ لعبد الله بن جحش وأمره بأن لا ينظر فيه إلا بعد أن يسير ليلتين<sup>(٢)</sup>. فلما سار عبد الله بن جحش يومين فقراه، فإذا به » إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم«<sup>(٣)</sup>؛ فهو لم يطلب منه أن يقاتل وإنما رصد حركات قريش، ثم إن المستشرق جون هيجل<sup>(٤)</sup> يشاطرهم الرأي بقوله:

«كان الإسلام دائماً وسيبقى دين السيف لأنه لا يمكن العثور على أي فكرة للحب في القرآن»<sup>(٥)</sup>، ثم يتبعه بعد ذلك برنارد لويس<sup>(٦)</sup> الذي ذكر أنه حفز الإسلام في أحقاب معروفة في التاريخ أتباعه على الحقد والعنف والكراهية<sup>(٧)</sup>.

إن الروايات التي ذكرت من قبل المستشرقين، والتي نقلت قصص المعارك والغزوات صورت الإسلام وكأنه دين مبني على سفك الدماء يهاجم الناس ويرغمهم على القبول

١- نقلاً عن، العمري، السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، ص ٥٥.

٢- ابن عتبة، المغازي النبوية، ص ٢٢٢.

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٣٩.

٤- هيجل، جون : فيلسوف ألماني قام بدراسة التاريخ والفلسفة ولد عام ١٧٧٠م وتوفي عام ١٨٣١م ؛ الندوة العالمية للشباب الإسلامية، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج ٤، ص ١٣٢.

٥- نقلاً عن، الزيايدي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص ١٧٢.

٦- برنارد لويس: مستشرق فرنسي ولد عام ١٩١٦ وتخرج من جامعتي لندن وباريس وعين معيداً للتاريخ العربي في جامعة لندن، والتحق للعمل بوزارة الخارجية، ومن أهم آثاره أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ينظر :

العمري، المستشرقون، ج ٢، ص ٥٦١.

٧- نقلاً عن، علي، الأسباب الخفية للدراسات الاستشراقية (السيرة النبوية)، مجلة كلية التربية للبنات، ص ٧٨٥.

بالإسلام، وإلا ففساؤه حل للرجال من المسلمين، ورجاله عبيد لهم، وأرضه ملك لهم، وقد صبغ تاريخ الدولة الإسلامية بهذه الصبغة لدرجة يصعب تصديقها على الرغم من أنه دين الإخاء والتسامح.

ويرى الباحث أنه يمكن أن نرد على من يعتقد أن الإسلام انتشر عن طريق الحروب بأن تلك الحروب والغزوات التي قام بها النبي محمد ﷺ كلها دفاعية باستثناء غزوة بدر؛ فإن بعض الباحثين يرى أن بدايتها كانت من المسلمين في محاولة لإيجاد موضع قدم في ذلك العالم المعتمد على القوة والإيحاء لقريش ذات القوة الكبيرة بأن المسلمين أيضاً ذوو قوة كبيرة يستطيعون أن يفسحوا الطريق أمام دعوتها دون خوف من قريش وقوتها، وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن القوة هي مقدمة للسلام، فلا بد من وجود قوة إسلامية رادعة لكل من يريد التمادي، وبخاصة مع وجود خصوم أقوياء داخلياً وخارجياً يحيطون بهم . ثم إن انتشار الإسلام في مناطق جنوب شرق آسيا وجنوب أفريقيا كان بطرق سلمية كالتجارة؛ فتعامل التجار العرب من المسلمين مع أهل هذه المناطق جعل كثيراً منهم يدخلون الإسلام، ويمكن أن نتلمس ذلك بوضوح من خلال قول المستشرق الإيطالية بيانكا ماريا سكارسيا<sup>(١)</sup> عندما قالت في تفسير سر جاذبية الإسلام: «إن الشريعة القرآنية تمارس جاذبيتها على الملايين من البشر فالإسلام يشهد إقبالا أكثر على اعتناقه؛ فالإسلام ينحو اليوم ليكون خير بديل عن حضارة الغرب»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- معركة بدر ٢هـ

لم يلجأ النبي ﷺ طيلة الثلاث عشرة سنة من مكوثه في مكة إلى القوة أو إعلان الجهاد؛ فقد كان يحاول دائماً استمالة قريش بأسلوب الإقناع وعدم التعدي والتأثير فيهم بالمعاملة الحسنة غير أن عداؤهم زاد له بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة وحصولهم على المنعة هناك، واكتساب النبي ﷺ تأييد القبائل من أهل يثرب، وكل هذا أدى

١- لم نحصل لها على ترجمة في ضوء المصادر التي اطلعنا عليها .

٢- نقلاً عن، أحمد، سر انتشار الإسلام، ص ٢.

إلى زيادة اضطهاد قريش للنبي ﷺ وأذاهم له مما اضطره للهجرة إلى يثرب، ومن هنا بدأت معالم تكوين دولة الإسلام الفتية لذلك استوجب من شخص قائدها أن يؤسس لقيام هذه الدولة آنذاك، والتي كان لابد من أن تكبر لتوازي وتتفوق على أكبر إمبراطوريتين في العالم آنذاك، وهي البيزنطية والساسانية؛ لذا بدأ النبي ﷺ يؤسس لقيام مجتمع إسلامي له كيانه الخاص، وله القدرة على الدفاع عن نفسه بعد أن كان عاجزاً عن ذلك عندما كانوا في مكة فبدأ النبي بمحاولة أولى وهي من السياسات العسكرية الناجحة حتى في الوقت الحاضر، وهي الحرب الاقتصادية في محاولة منه للضغط على قريش، في حين إن النبي ﷺ لم يبدأ حركة الجهاد إلا بعد نزول الأمر الإلهي بقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ \* وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَآخَرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿<sup>(١)</sup>

فضلاً عن أن النبي ﷺ لم يتعرض إلى القوافل التجارية العائدة إلى القبائل الأخرى<sup>(٢)</sup>، وإنما كان تعرضه لقوافل قريش فحسب.

وقد انقسمت آراء المستشرقين في ذلك؛ فمنهم من ذكر أن الإسلام قائم على سفك الدماء والعنف والقسوة، ومنهم المستشرق أنوريه دي بلزاك<sup>(٣)</sup> « وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة<sup>(٤)</sup>»، ويشايه في رأيه هذا المستشرق سيديو بقوله: «إن إعلان الجهاد كان من أجل الدافع الاقتصادي أولاً ومن أجل استمالة الناس عن طريق السيف ثانياً»<sup>(٥)</sup>.

١-البقرة، ١٩٠-١٩١.

٢-ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٠٧-٣١٠.

٣-أنوريه دي بلزاك ولد عام ١٧٩٩م وهو فرنسي الجنسية، ومن رواياته المشهورة: الملهة الإنسانية، توفي عام ١٨٥٠م، ينظر، الندوة العالمية للشباب الإسلامية، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج ١، ص ١٦٥.

٤-نقلاً عن، الزيايدي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ١٧٢.

٥-تاريخ العرب العام، ص ٦٥.

في حين إن هناك العديد من المستشرقين كانوا يخالفون جلكرايست في نظرتهم للجهاد؛ فهذا المستشرق كارليل يقول: «كانت نية محمد حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة... فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية وعدم الإصغاء إلى صوت ضميره... عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاعاً عربياً»<sup>(١)</sup>، في حين إن المستشرق آرنولد توينبي<sup>(٢)</sup> ذكر «أن الغرب قبل المسيحية وبعدها اتجه لاستعباد الدول وسلب ثرواتها، ولكن الإسلام اتجه لتحرير الدول والإنسان، ولم يكن الزحف الإسلامي قط استعماراً ولا استعباداً ولا استيلاء على ثراء، بل كان عدالة مطلقة»<sup>(٣)</sup>.

وتحدث المستشرق زويمر عن صفات النبي ﷺ بالقول: «إن محمداً كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينين، ويصدق عليه القول أيضاً إنه كان مصلحاً قديراً وبلغاً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي عمر صدره وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء»<sup>(٤)</sup>.

أما المستشرق جيورجيو فإنه يقول «يعجب المرء إذ كيف يتمكن جيش محمد ﷺ من مجابهة جيش مكة الذي يفوق عدده ضعفي عدد جيش المسلمين»<sup>(٥)</sup>.

وذكر المستشرق جوستاف لوبون<sup>(٦)</sup> ما نصه: «لم ينتشر القرآن بالسيف... بل انتشر بالدعوة، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب»<sup>(٧)</sup>.

وهناك أدلة تؤيد عدم انتشار الدين الإسلامي بالسيف، ومنها أن بلاد الحبشة على الرغم من قربها من المسلمين، فلماذا لم يتجه السيف إليها، فلم تقم حروب بين المسلمين والأحباش النصراني على الرغم من اختلاف الاثنين في الدين؛ فمن قام بشهر سيفه في

١- الأبطال، ص ١٦.

٢- آرنولد توينبي ولد ١٨٨٩، وهو مورخ بريطاني وقد انصب جل اهتمامه على دراسة تاريخ الحضارات، ومن آثاره كتابه دراسة للتاريخ ويتكون من اثني عشر جزءاً، ينظر: توينبي، تاريخ الحضارة الهلينية، ص ٧ مقدمة المترجم.

٣- نقلاً عن، فرحات، موسوعة العلم والمعرفة الحديثة، ص ٢.

٤- الشرق وعاداته، ج ١، ص ٢٧.

٥- نظرة جديدة في رسول الله، ص ٢٢١.

٦- جوستاف لوبون: (١٨٤١ - ١٩٣٣ م) عالم نفس واجتماع فرنسي معروف بنزعة المضادة للديمقراطية ألف عدداً من الكتب في علم النفس الاجتماعي وهو من كتاب الغرب الذين انصفوا الحضارة العربية، للمزيد ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٨٨٦.

٧- حضارة العرب، ص ١٢٨.



وجه المسلمين وجب عليهم أن يردوه؛ فلو كانت مسألة الكفر علة لما ترك المسلمون الأبحاش وتجاوزوهم إلى الأمم الأخرى<sup>(١)</sup>.

وبعد أن تطرقنا إلى أقوال المستشرقين حول آلية الجهاد ونظرة المستشرقين لها، يمكننا الآن أن نطلع على ما ذكره جلكرايست في معركة بدر، وقد كان منصفاً بإعطائه وصفاً لطبيعة المعركة؛ فهو يتفق مع ما ذكرته المصادر الإسلامية؛ إذ قال: «فقد تجاوز عددهم عدد المسلمين على الأقل اثنين إلى واحد... وبعد أن انتصر بعضهم بمنافسات فردية مع أفراد من قريش وهيمن المسلمون على المعركة، ووضعوا قريش في حالة هروب وفي هذه الواقعة فقد أربعة عشر من المسلمين وسبعين من قريش كان من بينهم قادتهم»<sup>(٢)</sup>.

وقد أوردت المصادر الإسلامية خبر غزوة بدر في أن النبي ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في غير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة... ندب المسلمين إليهم وقال: هذه غير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليهم، لعل الله ينصركم، فانتدب الناس: فخف بعضهم وثقل بعضهم، وقد ذكر أن السماء مدت النبي ﷺ بالملائكة اشتركوا في هذه المعركة؛ إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم؛ إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع؛ فجاء الأنصاري فحدث بذلك النبي ﷺ، فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة<sup>(٣)</sup>.

١- الزبادي، ظاهرة انتشار الإسلام، ص ٢١٠-٢١٣.

٢- أبو نعيم الاصبهاني، دلائل النبوة، ج ١، ص ٤٧٤؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ٣، ص ٥٣؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر،

٣- ج ١، ص ٢٩٩؛ القريري، إمتاع الأسع، ج ٣، ص ٣١٩.

وعن ابن عباس<sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب، قال: كان يومئذ رأس الرجل لا يدري من ضربه، وتندر يد الرجل لا يدري من ضربه...»<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة؛ فقال عمير بن الحمام<sup>(٣)</sup>، وفي يده تمرات يأكلهن: أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل»<sup>(٤)</sup>.

وهنا يظهر اتفاق جلكريست مع ما ذكرته المصادر الإسلامية، ثم ينحرف محاولة منه لإيجاد منفذ لغرض عرض ما بداخله من أفكار للتشويه ليس إلا، وهي الغاية التي كان يهدفها حيث ذكر «على الرغم من أن محمداً حاول تجنب الصراع المباشر مع أفراد من بني هاشم بسبب تقدير حمايتهم ودعمهم له خلال سنوات المقاطعة في مكة»<sup>(٥)</sup>، وهنا حاول جلكريست أن يلمح إلى أن النبي ﷺ كان يحاول أن يركز على عمه العباس بن عبد المطلب<sup>(٦)</sup>، والذي كان ضمن صفوف قريش وإظهار النبي ﷺ في أنه حاول أن يقدم الحماية له، وقبل أن نرجع إلى أصل الرواية الإسلامية يمكن أن نطرح عدداً من الأسئلة: هل قام النبي ﷺ بإبعاد العباس عن المعركة، وأنه ﷺ هو الذي أشار على المشركين بعدم زج العباس في المنافسات الفردية، والتي أشار

١- عبد الله بن عباس، ويكنى بأبي العباس ويلقب بحبر الأمة ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: إنه ولد في الشعب وذلك قبل هجرة النبي ﷺ، ويعد من أشهر من كتب في سيرة النبي ﷺ، للمزيد ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج ٥، ص ٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٧-٢٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ٩٣٤.

٢- البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٨١؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ١، ص ٢٩٩.

٣- عمير بن الحمام، هو عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حزام الأنصاري السلمي، شهد بدرًا واستشهد فيها وهو أول من استشهد من الأنصار في الإسلام، للمزيد ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٢٧٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٣٥٨.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية ج ١، ص ١٨٢؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ١، ص ٢٩٨-٢٩٩.

٥- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p36.

٦- العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وأم العباس نتيبة بنت جناب بن كليب وهو عم النبي ﷺ، ويقال: إنه أسلم يوم فتح مكة. للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٣؛ ابن خياط، طبقات خليفة بن خياط، ج ١، ص ٢٩.

إليها جلكرياست؛ فكل هذه الافتراءات غير جائزة؛ فالنبي ﷺ لا يمكن أن يساوم. ثم إن ما ذكرته الرواية الإسلامية يتنافى مع ما ذكره جلكرياست؛ فقد ذكر ابن هشام<sup>(١)</sup> عن ابن عباس: أنه ﷺ قال: «إني عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله»<sup>(٢)</sup>، ثم إن النبي ﷺ قد أخذ الفدية من العباس حاله حال غيره من الأسرى يوم بدر ولم يقيم بتمييزه عن غيره فذكر «أن العباس قال للنبي ﷺ: لقد تركتني فقير قريش ما بقيت فقال له: كيف تكون فقير قريش، وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل، وقلت لها إن قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت»، وفي رواية «أين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقال: أشهد أن الذي تقوله قد كان...»<sup>(٣)</sup>.

والذي يدقق الرواية يمكن أن يجد فيها الكثير من الغموض؛ ذلك أن بداية تدوين السيرة النبوية قد بدأ في العصر العباسي؛ لذلك كان لابد من إظهار العباس بمظهر أكثر رفعة وسمو أمام حفدته، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن النبي ﷺ لم يخصص في مقولته: «إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البخري بن هشام بن الحارث بن أسد<sup>(٤)</sup> فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكراً»<sup>(٥)</sup>، أما كان الأولى أن يقول النبي ﷺ: اخرجوا مستكرهين؛ فلم هذا التخصيص على العباس بقوله: اخرج مستكراً؟ وإن كان هناك تخصيص فهذا لأن التاريخ كتب في قصور الخلفاء أو أنها أضيفت فيما بعد.

١- أم الفضل: لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم، أم الفضل الهاشمية، زوجة العباس بن عبد المطلب، وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، للمزيد ينظر، المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٣٥، ص ٢٩٧.

٢- السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٢٩.

٣- الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٢٧١؛ المالكي، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ١٠، ص ١٣٠.

٤- العاص بن هشام هو: العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وقد نادى النبي ﷺ يوم بدر: إلا إنه ليس لأحد من القوم عندي منة إلا لأبي البخري فمن أخذه فليخل سبيله وكان النبي ﷺ قد آمنه فقتله المجذر، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٠٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٣.

٥- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٢٩.



وعلى عادة غيره من المستشرقين؛ فلم يؤمن جلكريست بالمعجزات متناسياً أن القدرة والعناية الإلهية كان لها دور كبير في تحقيق النصر، فضلاً عن القيادة الحكيمة من قبل النبي ﷺ في هذه المعركة؛ لذلك نراه ينتهج طريق بودلي نفسه الذي قال في معرض الكلام عن غزوة بدر «وإن الذين يعتقدون في المعجزات يقولون: إن شيئاً غير عادي قد وقع في هذه اللحظة، فإن جيشاً من الملائكة على رأسه جبريل، قد استجاب لنداء محمد، وشاركوا المسلمين في قتالهم..»<sup>(١)</sup>. وهو يتوافق مع جلكريست الذي لم يؤمن بوجود المعجزات الخاصة بالأنبياء، والتي يؤمن بها إذا كانت لغير النبي محمد ﷺ.

ثم عرج بنا جلكريست على حادثة قتل الأسيرين التي تناولتها المصادر الإسلامية حيث ذكر ما نصه «تم إعدام اثنين منهم، على حد سواء بسبب تحديهم لبنوة محمد عقبة بن أبي معيط والذي قام بتأليف آيات ساخرة عنه بينما النضر بن الحارث ادعى أن أغانيه عن العادات والتقاليد الفارسية كانت جيدة مثل تلك الموجودة في القرآن الكريم»<sup>(٢)</sup>.

وهي متوافقة مع الرواية الإسلامية التي ذكرت أن «النضر بن الحارث بن كلدة، قتله علي بن أبي طالب صبراً بالسيف الأثيل»<sup>(٣)</sup> بأمر النبي ﷺ، وقد ورد في مصادر أخرى: حتى إذا كان النبي ﷺ في منطقة بالصفراء<sup>(٤)</sup>، إذ أمر بقتل النضر بن الحارث، فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية<sup>(٥)</sup>، قتل عقبة بن أبي معيط، فقال عقبة حين أمر بقتله: فمن للصبية يا محمد قال: النار<sup>(٦)</sup>.

١- نقلاً عن، ابن رزق الله، مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه «الرسول، حياة محمد» دراسة نقدية، ص ١٠٣.  
٢- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p36.

٣- الأثيل: تصغير الأثل: موضع قرب المدينة، وهناك عين لآل جعفر بن أبي طالب بين بدر والصفراء، ينظر: الحنبلي، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٨.

٤- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٤٩.  
٥- الصفراء على لفظ تانيث أصفر: قرية فوق ينبع، كثيرة المزارع والنخل، ماؤها عيون، للمزيد ينظر: البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، ج ٣، ص ٨٣٦.

٦- عرق الظبية: هو من الرّوحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة، وبعرق الظبية مسجد للنبي، صلى الله عليه وسلم، للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٨؛ الهمداني، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ص ٦٤٣.

٧- الحميري، الاكتفاء بها تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ج ١، ص ٣٤٤.

وكان الاثنان شراً كبيراً على المسلمين والنبي ﷺ في أثناء وجودهم في مكة فكانوا أكثر أهل مكة كفراً وعناداً وبغياً وحسداً، وكانا يبحثان عن مختلف الوسائل لغرض إيذاء النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، والنضر من شياطين قريش وكان دائماً ما يؤذي النبي ﷺ وقد قدم إلى الحيرة<sup>(٢)</sup>، وتعلم بها أحاديث ملوك فارس، وكان النبي ﷺ إذا جلس مجلساً ودعا الناس إلى عبادة الله تعالى وتلا القرآن وحدث قريشاً بها أصاب الأمم السابقة من عذاب خلفه في ذلك المجلس، وحدثهم عن ملوك فارس، وهو القائل سأنزل مثل ما أنزل الله<sup>(٣)</sup>.

ثم إن عقبة بن أبي معيط بن ذكوان المكنى بأبي عمرو بن أمية بن عبد شمس. من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ ومن المستهزئين به، ولما قدم للقتل نادى يا معشر قريش ما لي أقتل بينكم صبراً فقال له النبي ﷺ بكفرك واجترائك على الله ورسوله، وعقبة هذا هو الذي وضع سلى الجزور على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد<sup>(٤)</sup>.

ويمكننا بعد أن عرضنا هذه الروايات مناقشتها من خلال المقارنة والتحليل؛ فهل كان النبي ﷺ يحقد؟ ولو كان كذلك لحقد على غيره ممن أساءوا إليه في أهله وعياله وأقربائه؛ فهذه هند زوج أبي سفيان التي حاكت المؤامرات لقتل عمه حمزة، ولم يكفها ذلك بل إنها استخرجت كبده وأكلت قطعة منه؛ فعندما فتح النبي ﷺ مكة جاءت هند فعفا عنها، وكذلك يمكن أن نرى ذلك واضحاً من خلال قوله لأصحابه عندما كان يوصيهم بالأسرى «استوصوا بهم خيراً»<sup>(٥)</sup>. ثم إن النبي ﷺ استطاع تخليص المجتمع من رواسب الجهل والتخلف والعادات البالية، واستطاع تأسيس دولة كبيرة لا يمكن أن يكون هو أول من يخرق القواعد التي سنّها، ومن ثم نرى أن من جاء بعد النبي ﷺ

١-الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٣٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٥٨.

٢-الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٢٨.

٣-Margoliouth Mohommedand the Rise Of Islam، p.238-٣.

٤-رضا، محمد ﷺ، ص ٢٤٦.

٥-ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٣٠٧.

[أي في العصرين الأموي والعباسي] لم يستطع أن يستمر فترة طويلة في قيادة الأمة وذلك لرجوعها بالقيادة إلى العقلية الجاهلية المتخلفة، والتي كانت تحكم العرب قبل الإسلام . وهناك ما يدل على أن القصة غير صحيحة فهي مروية عن الواقدي وهو متروك باتفاق علماء الجرح والتعديل، ويرويها ابن إسحاق بغير سند، ويرويها ابن هشام الذي شذب سيرة ابن إسحاق أيضاً بدون سند، ودائماً ما يقول بلغني دون أن يقول من هو الذي أبلغه، ثم إن ما ذكر في كتاب فحول الشعراء يبين أن هذه الرواية هي من الروايات الموضوعة أو المكذوبة؛ إذ ذكر ابن جعدبة<sup>(١)</sup> «وكان ينكر قتل النضر بن الحارث في يوم بدر صبراً فقال: أصابته جراحة فارتث منها وكان شديد العداوة فقال لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرباً ما دمت في أيديهم فمات»<sup>(٢)</sup>.

ويغفل المستشرقون الكم الهائل من الأخبار التي تتحدث عن رحمة النبي ﷺ وحسن معاملته للأسرى ويتشبثون كعادتهم دائماً بمثل هذه الأحداث كحادثة قتل الأسيرين اللذين يتبين لنا بوضوح أنها استحقا أكثر من القتل<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من أن بودلي لم يكن مؤمناً بالمعجزات التي حصلت في معركة بدر إلا أننا نراه منصفاً عندما ساق لنا مسألة المعاملة الحسنة التي أبداهها الرسول محمد ﷺ للأسرى بعد غزوة بدر (٢هـ) وتسامحه مع أعدائه وصبره على أذاهم وعطفه على الأطفال والمرضى<sup>(٤)</sup>.

### ٣- معركة أحد ٣هـ

تناول جلكريست معركة أحد مثلما تناول غيرها من الموضوعات في محاولة منه لاستمالة رأي من يطلع على كتابه؛ فنراه على عادته يتوافق أول الأمر مع الرواية الإسلامية بقوله «استقبلت الهزيمة في بدر بفزع شديد في مكة، وأقسموا على عدم

١- ابن جعدبة : يزيد بن عياض الليثي، أبو الحكم المدني نزيل البصرة، كذبه مالك، ينظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٧، ص٤٩١.

٢- الجمعي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٢٥٥.

٣- الذرعاني، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الإنجليز، رسالة ماجستير، ص١٦٧.

٤ - نقلاً عن، العباسي، الغرب نحو الدرب بأقلام مفكره، ص٧٩.

الراحة حتى ينتقموا للذين قتلوا في المعركة. وبعد عام، خرج جيش أكبر بكثير تحت قيادة أبي سفيان من مكة لمواجهة المسلمين<sup>(١)</sup>.

ولم يذكر أن الغاية من هذه الغزوات هي لغرض الدفاع عن النفس وعن كيان الدولة الإسلامية وليس كما ذهب الكثير من المستشرقين في أن السبب الرئيس، هو أن المسلمين والنبي ﷺ كانوا متعطشين لسفك الدماء، في حين إن الإسلام عندما كان يدعو للجهاد لدفع الظلم ورد العدوان انطلاقةً من قوله عز وجل ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، ولحماية الدين والتمكين لتوحيد الله في الأرض.

وقد تغافل جلكرايست عن ذكر الأسباب الأخرى التي أدت إلى هذه الغزوة حيث لا يمكن أن نعزو سبباً واحداً أدى إلى هذه المعركة؛ فقد كانت حركة السرايا التي تقوم بها الدولة الإسلامية والتي كان يرسلها النبي ﷺ تهدد تجارة قريش واقتصادها<sup>(٣)</sup>، ويمكن أن نرى ذلك واضحاً بقول صفوان بن أمية<sup>(٤)</sup>: «إنَّ محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في دارنا هذه، ما لنا بها نفاق، إنما نزلناها على التجارة إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى أرض الحبشة، قال له الأسود بن عبد المطلب<sup>(٥)</sup>: فنكب عن الساحل، وخذ طريق العراق»<sup>(٦)</sup>.

١-37 Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam.

٢-الحج، ٣٩.

٣-الصلابي، السيرة النبوية وتحليل أحداثها، ص ٤٧١

٤-صفوان بن أمية، هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب، هرب حين دخل النبي ﷺ مكة، فأدركه عُمير بن وهب بن خلف برداء النبي ﷺ يؤمنه، فانصرف معه، للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٩٥. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٨٩.

٥-الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كان الأسود من المستهزئين. وكان يكنى بأبي زمعة. وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ١٤٨.

٦-الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٩٧

ثم إن هزيمة قريش الكبيرة في معركة بدر وقتل كبار قومهم كان المحفز الأكبر لقيامهم بهذه الغزوة<sup>(١)</sup>، وذكر الطبري «وكان الذي هاج غزوة أحد بين رسول الله ﷺ ومشركي قريش وقعة بدر وقتل من قتل ببدر من أشرف قريش ورؤسائهم»<sup>(٢)</sup>. ولا ننسى أن هناك عاملاً آخر كان له أثر كبير في هذه الغزوة هو أن قريشاً قد تزعزعت مكانتها السياسية بعد غزوة بدر ورغبت في استعادة أمجاد الماضي<sup>(٣)</sup>. فاجتمعت قريش وحلفاؤها وأعدوا الخيل والرجال والسلاح وقالوا: «نسير إلى محمد فنقتله ونقتل أصحابه ونأخذ بثأرنا يوم بدر، فساروا في ثلاثة آلاف»<sup>(٤)</sup>. وقد أفاض الواقدي في بيان حجم القوة المهاجمة في قوله: «كانت الألوية يوم خرجوا من مكة ثلاثة ألوية عقدوها في دار الندوة... وهم ثلاثة آلاف رجل بمن ضوى إليهم وكان فيهم من ثقيف مائة رجل»<sup>(٥)</sup>، وسارت جموع قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب وتعهده أربعة من قريش بقتل النبي ﷺ<sup>(٦)</sup> فساروا حتى وصلوا الوادي الذي يقع قبل جبل أحد<sup>(٧)</sup>. ولم يتطرق المستشرق جون جلكريست لدور العباس بن عبد المطلب في هذه الغزوة بعد أن لوح إلى أن محمداً ﷺ تجنب الصراع مع أفراد من بني هاشم في معركة بدر، ويقصد بهذا الأمر العباس بن عبد المطلب؛ فنراه يتغافل عن ذكر الرسالة التي أرسلها العباس بن عبد المطلب إلى النبي ﷺ وهو ما أجمعت عليه أغلب الروايات الإسلامية؛ إذ ذكرت «أن العباس بن عبد المطلب أرسل كتاباً وختمه، واستأجر رجلاً من بني غفار واشترط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله ﷺ يخبره أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك»<sup>(٨)</sup>، ويمكن أن تكون هذه الرواية أيضاً من وضع العباسيين للتمجيد بالعباس،

١- الصلابي، السيرة النبوية وتحليل أحداثها، ص ٤٧١.

٢- تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٩٩.

٣- الصلابي، السيرة النبوية وتحليل أحداثها، ص ٤٧٢.

٤- المعتزلي، تثبيت دلائل النبوة، ج ٢، ص ٤٢٠.

٥- مغازي رسول الله، ج ١، ص ٢٠٣.

٦- الواقدي، مغازي رسول الله، ج ١، ص ٢٠٤.

٧- ابن عتبة، المغازي النبوية، ص ١٨٣.

٨- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٠٧.

وتقوية ادعاءاتهم بخصوص أحقيتهم بالحكم بدلاً من العلويين .

ثم نرى المستشرق جلكريست يتغافل عن ذكر موضوع مهم، وهو أن أبا سفيان بعد رجوع قريش من يوم بدر نذر أن لا يمس رأسه الماء حتى يغزو النبي ﷺ فخرج مع مائتي راكب من قريش حتى دخل المدينة ودخل على سيد بني النضير، وهو سلام بن مشكم<sup>(١)</sup> وسقاه خمرًا ثم خرج، وكان ذلك ليلاً ثم غادر المدينة، فوجد رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث فقتلوهما وانصرفوا راجعين، وقد خرج النبي ﷺ في طلبهم ولكنهم تخلصوا من أزوادهم من الجرب لغرض التخفف منها<sup>(٢)</sup>.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هناك اتفاقاً قد حدث ما بين اليهود ومن تبعهم من المنافقين في المدينة وبخاصة من تضررت مصالحهم بدخول الإسلام إلى المدينة أمثال عبد الله بن أبي زعيم المنافقين فيها .

وقد ذكر جلكريست أن النبي ﷺ «وعندما سعى بعض الرجال الأصغر سناً للخروج من المدينة وخوض المعركة مرة أخرى ضد قريش، اضطر محمد للخروج معهم»<sup>(٣)</sup>، وبدا متفقاً جلكريست مع ما ذهب إليه الفريد جيوم عندما أشار إلى أن النبي محمدًا ﷺ كان يود البقاء في داخل المدينة وتحصينها إلا أن أتباعه ركبوا رؤوسهم فاضطر مرغماً إلى التسليم لهم بما طلبوه من الخروج إلى العدو وقتاله<sup>(٤)</sup>.

ولا يمكن أن نلقي اللوم على ما أورده المستشرقون؛ لأن أغلب المصادر التاريخية تؤكد أن النبي ﷺ قد تشاور مع زعماء الأنصار والمهاجرين في مسألة الخروج أو البقاء في المدينة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن النبي ﷺ كان كثيراً ما يتشاور مع الصحابة في اتخاذ القرارات انطلاقاً من قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ

١- سلام بن مشكم، وهو سيد بني النضير وصاحب كنزهم، وكان من أعداء النبي ﷺ وزوجته زينب بنت الحارث وهي من قدمت الشاة المسمومة للنبي ﷺ في خيبر لقتله وتقتل من يأكل معه، ينظر، ابن هشام، ج ٢، ص ٤٢-٣٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٣٨٤.

٢- البيهقي، دلائل النبوة، ج ٣، ص ١٦٦.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p37-٣

٤- الإسلام، ص ٤٤.

فَظَّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ<sup>(١)</sup>، وقد ذكرت المصادر الإسلامية هذا الموضوع؛ إذ ورد فيها «قال رسول الله ﷺ ندعهم حتى يردوا المدينة؛ فقال قوم من الأنصار قد أصابوا زروعنا فنخرج إليهم فنلقاهم وراء المدينة، فصار رسول الله ﷺ إلى رأيهم وسار، ثم فكروا وقالوا: نأخذ بما أشار به رسول الله ﷺ ونقاتلهم في المدينة، فقال رسول الله ﷺ: ما كان لي أن ألبس لأمتي فأرجع حتى ألقى العدو»<sup>(٢)</sup>.

ويرى الباحث أن ما ذهب إليه المصادر التاريخية غير دقيق؛ وذلك من خلال تدقيق النص وهو أن النبي ﷺ كان على علم ودراية بمجريات الأمور، وهو لا ينطق عن الهوى، وهو مسدد بالوحي الإلهي هذا من جهة، من جهة أخرى فإن النبي ﷺ لا يمكن أن يقاتل في المدينة، وهو في بداية الدعوة وبيضة الإسلام لما تقوّ بعد، ومن ثم فإنه في حال انتصار المشركين من قريش عليه فمعناه القضاء على الإسلام نهائياً على اعتبار أنهم دخلوا المدينة، ثم إن المسلمين سيخسرون زروعهم وتلف الخيل أرضهم، والأمر الآخر هو أن هناك رواية تقول: «... لما بلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً جمعوا جموعهم لحربه في المدينة حث أصحابه على الجهاد والخروج...»<sup>(٣)</sup>.

ويذكر أن عبد الله بن أبي وقوماً آخرين من المنافقين قالوا للنبي ﷺ لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا إلى أعدائنا قط إلا كان الظفر لهم علينا، فقام سعد بن معاذ<sup>(٤)</sup> وغيره من الأوس فقالوا: له ﷺ

١- آل عمران، ١٥٩.

٢- المعتزلي، تثبيت دلائل النبوة، ج ٢، ص ٤٢٠؛ الظاهري، جوامع السيرة النبوية، ص ١٢٣؛ ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ١٤٥.

٣- الطبرسي، مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٧٦؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج ١، ص ٣٧٤؛ المشهدي، تفسير كنز الدقائق، ج ٢، ص ٢١٢.

٤- سعد بن معاذ، هو سعد بن معاذ بن النعان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل، وهو الذي حكم على بني قريظة أن تقتل رجالهم وتسبي نساؤهم وذريتهم، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٦٠٢.

ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا فقبل النبي ﷺ قوله<sup>(١)</sup>.

وهذا يؤكد حقيقة ما ذكرناه في أن النبي ﷺ لم يطرح موضوع مقاتلة المشركين في المدينة وإنما كان رأي زعيم المنافقين في المدينة عبد الله بن أبي، ثم إن المسلمين الأوائل قد تركوا بيوتهم وأملاكهم سواء بهجرتهم إلى الحبشة أم إلى المدينة، ولم تذكر المصادر التاريخية أنهم عصوا أمراً للنبي ﷺ أو أنهم فرضوا أمرهم على النبي ﷺ؛ فمن غير المعقول أن يكونوا قد أجبروه على أمر الخروج، وإنما كانت غاية المنافقين إيجاد حالة من الارتباك والوهن بين المسلمين.

وتغافل المستشرق عن التطرق إلى مسألة انسحاب عبد الله بن أبي من المعركة بثلاث الجيش مما اضطر بعدد من المخلصين الذين لاموه على مثل هذا العمل، ومنهم عمرو بن حزام<sup>(٢)</sup> وهو يذكرهم بأن لا يخذلوا الله وقومهم ونيهم ولكنهم لم يستجيبوا له واستعصوا عليه فقال: «أبعدكم الله أعداء الله سيغني الله تعالى عنكم نبيه»<sup>(٣)</sup>.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هناك اتفاقاً مسبقاً بين المشركين والمنافقين واليهود في المدينة لغرض زعزعة جبهة المسلمين وخلق حالة من الرعب بينهم والانزهاج داخل معسكر المسلمين، إذ لم يقطع عبد الله بن أبي كل هذه المسافة الكبيرة ثم ينسحب من المعركة إلا لزعزعة إيمان المقاتلين؛ فهو قد انسحب بالقرب من ساحة المعركة في اللحظات التي هي أكثر حرجاً مما يدخل الوهن والضعف في صفوف المقاتلين.

فانسحب المنافق ابن سلول بثلاثمائة من المنافقين بحجة أنه لا يقع قتال وكان معترضاً على أمر القتال خارج المدينة قائلاً: أطاع الولدان ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علامَ نقتل أنفسنا، وكان هدفه من مثل هذا التمرد إحداث بلبلة واضطراب في معسكر الجيش الإسلامي<sup>(٤)</sup>.

١- القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ١١١-١١٢؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٧٧؛ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٨٥.

٢- عمر بن حزام هو: عمرو بن حزام الأنصاري السلمي، وله صحبة مع النبي ﷺ، ينظر: بن منده، فتح الباب، ص ٤٥٩.

٣- ابن اسحاق، السير والمغازي، ج ١، ص ٣٢٥.

٤- الصلابي، غزوات الرسول ﷺ دروس وعبر وفوائد، ص ٤٧٨.

وجعل النبي ﷺ على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير<sup>(١)</sup>، ووضعهم موضعاً وقال : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم<sup>(٢)</sup>.

ولما اصطف القوم نادى أبو سفيان : «يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبني عمنا ونصرف عنكم، فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن»<sup>(٣)</sup>.

ولما اشتدت المعركة ظهرت بوادر النصر للمسلمين على الرغم من خذلان المنافقين لهم إلا أنهم استطاعوا ضرب جيش قريش وتشتيت جموعهم وأن النساء يشتددن على الخيل وقد بدت أسواقهن وخلا خيلهن رافعات ثيابهن، فقال الرماة أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة، فقال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم النبي ﷺ، فقالوا : إنا والله لنأتين الناس فلنصيب من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين<sup>(٤)</sup>.

وبذلك فقد خالف المسلمون أوامر النبي ﷺ وتركوا مواقعهم على جبل أحد والتي ذكرها جلكريست بقوله : «إلا أن الرماة المسلمين الذين يدافعون عن المقاتلين على التل، كُسر صفوفهم ورأى خالد بن الوليد، الفرصة مواتية لمهاجمتهم من الخلف، وقاد جيشه حول التل من الخلف، وبعدها جاء عليهم على حين غرة. وقد أصبح المسلمون في حالة من الفوضى الكاملة»<sup>(٥)</sup>.

١- عبد الله بن جبير، هو عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، واستعمله النبي ﷺ يوم أحد على الرماة، وهم خمسون رجلاً وأمرهم فوقفوا على عيين وهو جبل بقناة، ينظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٦٢.

٢- الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٦٨.

٣- الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٤٩٧.

٤- الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٦٨.

٥- Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p37-٥.

فلما توجه الرماة إلى محل الغنيمة التفت خالد بن الوليد إلى عدم وجود الرماة على الجبل فالتف بالخليل من وراء الجبل وتبعه عكرمة بن أبي جهل<sup>(١)</sup> فحملوا على من بقي من الرماة؛ فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير، ومثلوا بهم، ووقعت الهزيمة في صفوف المسلمين بعد مدة قليلة؛ لأنهم خالفوا وصية النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وذكر لنا جلكريست ما نصه «وقُتل حمزة، عم محمد، وهند، زوجة أبي سفيان، قامت بنزع أحشائه وأكلت كبده من أجل الوفاء بنذر اتخذته على نفسها بعد معركة بدر مباشرة»<sup>(٣)</sup>. وهو ما أكدته المصادر الإسلامية بذكرها لهذه القصة حيث أوردت «ووقعت هند وصواحباتها على القتلى يمثلن بهم، واتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم قلائد، وأعطت قلائدها وحشياً، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها»<sup>(٤)</sup>.

وأورد جلكريست خبر جرح النبي ﷺ بقوله: «وكان محمد نفسه قد أصيب بجراح خطيرة في القتال»، وهو ما تناقلته المصادر الإسلامية<sup>(٥)</sup>؛ إذ ذكرت: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم»<sup>(٦)</sup>.

وقد تغافل جلكريست عن هذا الأمر في حين أورد لنا أخباراً أقل شأنًا وتناسى القسوة التي اتسمت بها هند زوجة أبي سفيان وقيامها باستخراج كبد حمزة عم النبي ﷺ بل تعدت عن ذلك إلى جدع الأنوف والآذان والتمثيل بالجثث؛ إذ صب جلكريست جام حقه وغضبه على الإسلام والنبي ﷺ، وقد أجمع المؤرخون على عدّ نتيجة أحد نصراً للمشرّكين على المسلمين، لكن الحقائق العسكرية لا تتفق مع ما أجمع عليه هؤلاء،

١- عكرمة بن أبي جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، ويكنى بأبي الحكم، وكان شديد العداوة للإسلام وخرج ليثأر لأبيه من المسلمين في أحد، أسلم يوم فتح مكة، للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٨٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٠٨٢؛ الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٢٤٤.  
٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٤٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٩٤.  
٣- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p37-3.  
٤- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٨؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ١١٣؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٧٢.  
٥- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٩٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٤٤.  
٦- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p37-6.

لقد كان بإمكان المشركين القضاء على قوة المسلمين في معركة أحد، بعد أن استطاعوا إحاطتهم من كافة الجوانب، بقوات متفوقة عليهم تفوقاً ساحقاً، ومع ذلك استطاع النبي ﷺ أن يشق طريقه بين القوات المحيطة به ويخلص تسعة أعشار قواته من فناء أكيد، وإن نجاح المسلمين في الخروج من تطويق المشركين والتخلص منه بخسائر عشرة بالمائة بقواتهم القليلة يعد نصراً لهم؛ فقد نجحوا في الحفاظ على دولتهم<sup>(١)</sup>.

وهذا يناقض قول المستشرق جلكريست «لكن الهزيمة في أحد كانت على أي حال لها آثار مشؤومة على المسلمين. إذا كان الله قد ضمن لهم النصر في بدر، لماذا فقدوه في هذه المعركة»<sup>(٢)</sup>. ولقد دلت بداية المعركة على عبقرية النبي الأكرم ﷺ العسكرية في تحقيق النصر في مرحلته الأولى وإدراكه موقع الخطر الذي وضع يده عليه وهو جبل أحد، وارتكاب الرماة الخطأ الفادح في عدم تنفيذ وصايا النبي ﷺ ومخالفته أوامره.

ويذكر المستشرق جيورجيو أن جيش المسلمين قد خسر في معركة أحد، وهذا الرأي يحتاج إلى تدقيق؛ لأننا لو سألنا أي متخصص في أمور الحرب في مسألة خسارة معركة هو احتلال البلاد، وإنهاء جيش العدو، وبذلك يعد ذلك الجيش الخاسر منتصراً<sup>(٣)</sup>.

وهنا لا يمكن إلقاء اللوم في سبب خسارة هذه المعركة على النبي حيث قالت المستشرقة ديزيريه بلانشه: «إن النبي محمداً ﷺ يعد أشهر وأبرز رجال التاريخ فقد قام بثلاثة أعمال عظيمة دفعة واحدة وهي أنه أحيا شعباً، وأنشأ إمبراطورية، وأسس ديناً»<sup>(٤)</sup> وليس كما ذكر جلكريست، والذي حاول أن يحمل النبي ﷺ سبب هذه الخسارة بالقول: «وسرعان ما ساعد الوحي من القرآن الكريم (محمداً) على إسكات الشكاوي بين أصحابه. وقد ألقى اللوم عليهم بالإخفاق في الالتزام بالنصيحة من نبيهم والسعي للمشاركة في الغنائم بدلاً من السعي للحصول على أجر الآخرة»<sup>(٥)</sup>.

١- خليل، دراسة في السيرة، ص ١٦٤.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p37-٢.

٣- نظرة جديدة في رسول الله، ص ٢٦٧.

٤- نقلاً عن، الدليمي، دحض بعض الشبهات الاستشراقية حول القرآن والرسول ﷺ، مجلة الجامعة العراقية، ص ١١٣.

٥- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p37-٥.



وقد ناقض المستشرق جلكريست نفسه عندما ذكر أن الهزيمة في أحد كان لها أثر مشؤوم على المسلمين، نراه في مكان آخر يبيد رأيه بالقول: «إن الغارات على القوافل ظلت في استمرار وأن نفوذ محمد في نمو متزايد»<sup>(١)</sup>، والتي هي جزء من الحرب الاقتصادية التي كان النبي ﷺ يخوضها ضد قريش والتي تدل على أن الانتصار المعنوي كان كبيراً للمسلمين .

ويتحامل جلكريست كثيراً بالقول: «بعد معركة بدر اطلق محمد سراح (أبي عزة)<sup>(٢)</sup>، وهو أحد الأسرى العديدين الذين كان محمد قد أسرهم، لأنه كان قد توسل إليه بسبب الأطفال الخمسة الذين تركهم في المنزل. تم إطلاق سراحه بشرط ألا يشارك ضد المسلمين مرة أخرى في أي معركة، عندما ألقى القبض عليه بعد معركة أحد مرة أخرى للرحمة ولكنه تم قطع رأسه»<sup>(٣)</sup>. ولتفنيد ما ذكره المستشرق جلكريست يمكن أن نرد بما ذكره ابن سعد من أنه: «كان فداء الأسارى كل رجل منهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف إلا قوماً لا مال لهم، من عليهم رسول الله ﷺ منهم أبو عزة الجمحي»<sup>(٤)</sup>

وذكرت المصادر الأخرى أنه «تركه رسول الله ﷺ لبناته، وأخذ عليه عهداً ألا يقاتله، فأخفاه وقاتله يوم أحد، فدعا رسول الله ﷺ ألا يفلت، فما أسر من المشركين رجل غيره، فقال: يا محمد امنن عليّ ودعني لبناتي، وأعطيك عهداً ألا أعود إلى قتالك، فقال له رسول الله ﷺ: لا تمسح على عارضيك بمكة، وتقول: قد خدعت محمداً مرتين، فأمر به فضربت عنقه»<sup>(٥)</sup>.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p38-١

٢- أبو عزة، هو الشاعر وهو عمرو بن عبد الله المكنى (أبو عزة الجمحي) وكانت قريش لا تواكله ولا تجالسها، ابن حبيب، المنق، ص ٤٠٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ١٧٤ .

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p38-٣

٤- الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٣ .

٥- البيهقي، دلائل النبوة، ج ٣، ص ٢٨٠؛ الحرصي، بهجة المحافل، ج ١، ص ٢١٣؛ الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤، ص ٢٤٢ .

ويبدو أن السبب الذي جعل النبي ﷺ يأمر بقتله أنه كان شاعراً يحرص بشعره على قتال المسلمين، وكان النبي ﷺ من على أبي عزة هذا يوم بدر، فذهب إلى مكة وقال: سخرت بمحمد، فلما كان يوم أحد حضر وحرّض بشعره على قتال المسلمين<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن جلكريست يذكره لهذا الموضوع كان لا يريد سوى أن يظهر النبي ﷺ وكأنه هو من يحنث بالعهد، وهو من يتجاوز على القوانين والأعراف متجاهلاً أن النبي وحسب ما ذكرته أكثر المصادر الإسلامية أنه أخذ على أبي عزة العهد بعدم المقاتلة، غير أنه يحنث بالعهد ويعود لقتال المسلمين، ويمكننا أن نرد بما قاله المستشرق جون لوركس<sup>(٢)</sup> «لم نعلم أن محمداً تسبب بأية رذيلة مدة حياته لذلك نراه عظيماً»<sup>(٣)</sup>.

#### ٤- غزوة الخندق هـ

أو كما يطلق عليها بغزوة الأحزاب؛ لأن المشركين تحزبوا وتجمعوا لقتال النبي ﷺ وهي إحدى المعارك التي تطرق لها العديد من المستشرقين، وانقسمت آراؤهم بين من كان مذهولاً بما حققه المسلمون فيها من نصر كبير على قريش، والقسم الآخر حاول بشتى الوسائل التقليل من شأن انتصار المسلمين في هذه المعركة، فالمستشرق جلكريست تناول موضوعها بقوله: «وكان المسلمون قلقين كثيراً عندما علموا بحجم الجيش الذي كان يسير باتجاه المدينة، لم ينسوا خسائرتهم في معركة أحد وأن هجوم قوة جديدة بثلاثة أضعاف حجم آخر جيش قابلهم ملأهم بالخوف والرعب»<sup>(٤)</sup>.

إذ يرى جلكريست أن المسلمين كانوا يخشون الحرب مع مشركي قريش، ويصور المسلمين على أنهم مهزومون منكسرون بعد معركة أحد، وهذا منافٍ للحقيقة، ويمكن أن نستشهد بقول المستشرق جلوب باشا: «إن النبي أفلح في النهاية في حشد نحو من ألف وخمسمائة رجل للمعركة وهو عدد يقارب ضعف العدد الذي خاض به معركة

١- النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج ٢، ص ٢٦٠.

٢- جون لوكس، وهو أديب إنكليزي معروف، ينظر، العباسي، الغرب نحو الدرب، ص ٥١.

٣- نقلاً عن، المحمدي، موقف سيدو من السيرة النبوية (دراسة نقدية)، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ١٣٧.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p38-٤.



أحد وكانت النتيجة أن قريشاً هي التي تخلفت عن الموعد وظل المسلمون يرابطون ثمانية أيام في بدر دون أية مقاومة وحققوا نصراً أبيضاً لم يسفكوا فيه قطرة»<sup>(١)</sup>.

والواقع أن هزيمتهم في جبل أحد لم تنل من سلطة الدولة الإسلامية؛ فقد ذاع صيته في صحراء الجزيرة العربية، واجتذب شيوخهم بفصاحته وبلاغته، وعقد معهم معاهدات سلم وصداقة، ولم يعد حينئذ يفرض دينه<sup>(٢)</sup>، وهو ما يؤكد أن المسلمين قد ازدادوا قوة وهمة في مجابهة المشركين بعد موقعة أحد حيث أخذت السرايا والغزوات تضيق الخناق على اقتصاد قريش وتجارتهم.

وهنا لا يمكن إهمال الموضوع دون التطرق إلى الأسباب الرئيسة التي دفعت قريشاً إلى القيام بغزوة الأحزاب، كذلك عدم التغافل عن ذكر دور يهود بني النضير، والسبب الذي جعل النبي ﷺ يقوم بإجلائهم من المدينة، والسبب في ذلك هو إخلالهم بعهدهم الذي ارتبطوا به مع النبي ﷺ وهو الدفاع عن المدينة ضد أي عدو.

وأورد المستشرق ولفنسون<sup>(٣)</sup> هذا الخبر من وجهة نظر استشراقية؛ إذ ذكر أن إخراج بني النضير من المدينة كان بمثابة الانتقام منهم؛ لأنهم لم يشتركوا معهم في معركة أحد لأن هذه الغزوة كانت موجهة على المدينة فكان على يهود بني النضير أن يخرجوا لقتال المشركين والدفاع عن المدينة وهو ما تضمنته الشروط المعقودة بين الطرفين، أي اليهود والمسلمين، معتمدين على أن المعاهدة التي كانت بينهم تسمح لهم بالتخلف عن المعركة بحجة أنها تقع بعيداً عن المدينة؛ ولذلك لم يشتركوا فيها، وقد اشترك منهم واحد فقط وهو مخيريق اليهودي<sup>(٤)</sup> الذي قتل في غزوة أحد<sup>(٥)</sup>.

١- الفتوحات العربية الكبرى، ص ١١٨.

٢- لاماتين، مختارات من حياة محمد، ص ٨٧.

٣- إسرائيل ولفنسون : الملقب بأبي ذؤيب، مدرّس اللغات السامية بدار العلوم بالجامعة المصرية ومن آثاره تاريخ اليهود في بلاد العرب وتاريخ اللغات السامية بالعربية للمزيد ينظر : العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٧٦٢-٧٦٣.

٤- مخيريق اليهودي : من بني النضير. ذكر الواقدي أنه أسلم، واستشهد بأحد، وقال الواقدي والبلاذري: إنه من بني قينقاع. وكان قد أوصى بأمواله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي سبعة حوائط للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٦، ص ٤٦.

٥- تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ١٣١-١٣٢.

فانتقال النبي ﷺ لمجابهة اليهود كان بسبب غدر اليهود ونقضهم للعهود والمواثيق التي أبرموها مع المسلمين، وكانت أيضاً بسبب ما كانوا يقومون به من مكائد وغدر للنبي ﷺ وأصحابه ومع ذلك كان النبي ﷺ يرفق بهم ولا يعاقبهم إلا بمقدار ما يكف به أيديهم<sup>(١)</sup>. هذه الاسباب دفعت يهود بني النضير إلى محاولة جمع الأحلاف للتعرض للمسلمين، وقد وجدت قريش ضالتها في هذا الأمر حيث «بدا نفر من اليهود ... ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله»<sup>(٢)</sup>.

وذكر الصلابي سبباً آخر لمعركة الخندق قائلاً: «إن قريشاً شعرت بمرارة الحصار الاقتصادي المضروب عليها من المسلمين ووافقت غطفان طمعاً في خيرات المدينة وفي السلب والنهب وتابعتهم قبائل أخرى»<sup>(٣)</sup>، هذه الأوضاع دفعت قريشاً لقبول التحالف مع اليهود بل إن اليهود أخبروا قريشاً أن «هؤلاء أحبار اليهود، وأهل العلم بالكتاب الأول، فسلوهم: دينكم خير أم دين محمد ؟ فقالوا : بل دينكم خير من دينه، وانتم أهدى منه ومن اتبعه»<sup>(٤)</sup>.

وهو ما انتقده المستشرق ولفنسون حيث ذكر «أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام»<sup>(٥)</sup>، وهذا يدل على تناقض اليهود في معتقداتهم وانتمائهم، وهو دليل على تهافت ما في أيديهم؛ فنراهم يطيعون أصحاب الشرك والوثنية على عبادة الأديان السماوية، وليس هذا فحسب بل إن يهود بني النضير قد عقدوا اتفاقاً آخر مع غطفان، وقد كانت هناك بنود لهذا الاتفاق، وهو أن تنضم غطفان للتحالف القريشي اليهودي على أن تشارك بستة آلاف مقاتل، وبالمقابل

١- الزبيدي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص ١٨٨.

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢١٤؛ حتي، تاريخ العرب المطول، ص ١٣١.

٣- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث، ص ٥٩٣.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٦٢.

٥- ولفنسون، تاريخ اليهود، ص ١٤٢.

يدفع اليهود كل تمر خيبر مدة عام كامل لأعراب غطفان؛ وذلك لاشتراكهم في الحرب ضد المسلمين في المدينة<sup>(١)</sup>.

وكان التحالف من القوة بمكان أن أوردته المصادر التي ذكرت «خرج من بطون قريش خمسون رجلاً وتحالفوا، وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين بأستارها، أن لا يخذل بعضهم بعضاً، ويكونون كلهم يداً واحدة على محمد ﷺ ما بقي منهم رجل»<sup>(٢)</sup>.

ثم لما بدأت الأحزاب المتحالفة مع قريش بتشكيل جيش لمحاربة النبي ﷺ وكان هذا الجيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل، وقد بلغت النبي ﷺ أنباء تحرك هذا الجيش يطلب المدينة لقتال المسلمين قام النبي ﷺ بدعوة أصحابه لمشاورتهم في كيفية مواجهة هذا العدو<sup>(٣)</sup>.

ثم ذكر جلكرايست أن اقتراح حفر الخندق، كان بإشارة من سلمان الفارسي<sup>(٤)</sup> الذي دخل إلى الإسلام، وهو صاحب الفكرة بحفره حول الأجزاء المكشوفة من المدينة، حيث إن معظم حدود المدينة كانت محمية بوساطة الموانع والحواجر الطبيعية، مثل التلال والجبال ولكن كان هناك عدد قليل من المناطق المعرضة للهجوم...<sup>(٥)</sup>.

وهو بهذا قد اتفق مع ما ذكرته الرواية الإسلامية، والتي ذكرت أن: «رسول الله ﷺ يكثر مشورتهم أي الصحابة في الحرب، فقال: أنبرز لهم من المدينة أم نكون فيها ونخندقها علينا، أم نكون قريباً ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل؟ فاختلفوا، فقالت طائفة: نكون مما

١- باشميل، موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة الأحزاب)، ص ١٢٤.

٢- الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٤١٦؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٢٢٢.

٣- الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ١، ص ١٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٠٨.

٤- سلمان الفارسي، أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير مولى رسول الله ﷺ وأصله من جبي وهي مدينة أصفهان وكان اسمه قبل الإسلام مابه بن بوذخشان، أسلم في السنة الأولى من الهجرة، وأول مشهد شهده مع رسول ﷺ يوم الخندق، وإنما منعه من حضور ما قبل ذلك أنه كان مسترقاً لقوم من اليهود. قال فيه النبي الأكرم ﷺ سلمان منا أهل البيت توفي عام (٣٦هـ)، للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٠؛ رضا، محمد ﷺ، ص ٥٩.

٥- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p38-٥.

يلي بعث<sup>(١)</sup> إلى ثنية الوداع<sup>(٢)</sup> إلى الجرف<sup>(٣)</sup>، فقال قائل: ندع المدينة خلوصاً! فقال سلمان: يا رسول الله: إنا إذ كنا بأرض فارس تخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟ فأعجب رأي سلمان... ثم إن رسول الله ﷺ ركب فرساً ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار... وندب الناس فخيرهم بدنو عدوهم وعسكرهم إلى سفح سلع<sup>(٤)</sup>، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم العدو عليهم، وأخذ رسول الله ﷺ يعمل معهم في الخندق لينشط المسلمين، وعملوا، واستعاروا من بني قريظة آلة كثيرة من مساحي وكرازين ومكاتل، يحفرون به الخندق<sup>(٥)</sup>، إن فكرة حفر الخندق غير معروفة تماماً للعرب ولكنه تكتيك كان متبعاً في بلاد فارس<sup>(٦)</sup>.

أما المستشرق براون<sup>(٧)</sup> فذكر: «وقد دخل سلمان الإسلام قبل أن تبدأ الغزوات الإسلامية، ولما كان متبحراً في شؤون الهندسة العسكرية فقد قدم للرسول ﷺ خدمات جلية أثناء الدفاع عن المدينة»<sup>(٨)</sup>.

أما المستشرق جيوم فقد تكلم على فكرة حفر الخندق بقوله: «بالرغم من أن محمداً ﷺ كان يحتفظ لنفسه دائماً بالكلمة الأخيرة فإنه قد أظهر حكمة في استشارة من حوله فعمل بنصيحة أحد الفرس الذين دخلوا في الإسلام»<sup>(٩)</sup>، «ولما فرغ

١- بُعِثَ: موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية، للمزيد ينظر: البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ١، ص ٢٥٩-٢٦٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ط ٢، ج ١، ص ٤٥١.

٢- ثنية الوداع: عن يمين المدينة أحسب أنه كان الخارج من المدينة يودعه المشيع من هناك، ولما ورد رسول الله ﷺ المدينة في الهجرة لقيته نساء الأنصار، فإذا وقف على الثنية قيل: قد ودع، فسميت ثنية الوداع. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٥١؛ السهمودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ١، ص ٥٣؛ شراب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ص ٨٣.

٣- الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة، نحو الشام، بها كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة، وفيها بئر جشم وبئر جمل. ابن شائل، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج ٤، ص ٤٨.

٤- سلع، هو جبل بالمدينة مشهور، الهمداني، الأماكن أو ما اتفق لفظه واقترب مسماه من الأمكنة، ص ٥٤٤؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٦.

٥- الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٤٤٥.

٦- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p38-٦.

٧- براون إدوارد جرانفيل: (١٨٦٢ - ١٩٢٦) من أسرة عريقة في ايتون وقد انضم إلى الجيش العثماني ثم درس الطب في كمبريدج ثم تعلم الفارسية واللغات الشرقية الأخرى وانتدب لتدريس الطب في إيران للمزيد ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ٥٠١-٥٠٢.

٨- تاريخ الأدب في إيران، ج ٢، ص ٣٠٥-٣٠٦.

٩- الإسلام، ص ٤٦.

رسول الله ﷺ من حفر الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجمع الأسيال<sup>(١)</sup>... في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة<sup>(٢)</sup> وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد<sup>(٣)</sup> حتى نزلوا إلى جانب أحد<sup>(٤)</sup>.

وأمر النبي ﷺ بالأطفال والنساء والعجزة فجعلوهم في الأطام أي الأبنية العالية والمرتفعة للمحافظة عليهم من الأعداء في حالة دخولهم المدينة<sup>(٥)</sup>، وسبب حفر الخندق في المنطقة الشمالية الغربية يعود إلى أن المناطق الجنوبية الغربية كانت تكثر فيها الوديان والمزارع والنخيل بالإضافة إلى وجود وادي العقيق<sup>(٦)</sup>، ولهذا يعد هذا خطأً دفاعياً أمام حركة الجند والخيالة، وأما الجهات الشمالية الشرقية فكان وجود جبل أحد إضافة إلى وعورة أرضها جعلتها صعبة الاجتياز<sup>(٧)</sup>، فأمر النبي محمد ﷺ أصحابه بالإسراع في حفر الخندق...<sup>(٨)</sup>

وعندما وصلت قريش وحلفاؤها إلى المدينة وقفوا عاجزين عما شاهدوه؛ إذ «لم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين»<sup>(٩)</sup>، ويتبين أن الأحزاب أخذت تحيط بالمدينة من كل جانب ولكنهم أصبحوا عاجزين أمام الخندق الذي لم يكن لهم عهد بمثل هذه الخطط من قبل.

وذكر جلكريست «وكانت قريش وحلفاؤها مرتبكين ومتحيرين جداً من هذه الطريقة الجديدة للحرب الدفاعية... وكلما تطور الإسلام، أصبح مقاوماً»<sup>(١٠)</sup>، وقد

- ١- مجمع الأسيال: قرب مسجد القبلتين، للمزيد ينظر الحربي معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٨٠..
- ٢- تهامة: مكة، والنازل متهم، والصحيح أن مكة من تهامة كما أن المدينة من نجد، وقيل: أرض تهامة قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة أولها في البحر القلزمي ومشرفة عليه وحدودها في غربها بحر القلزم وفي شرقها جبال متصلة من الجنوب إلى الشمال، وطول أرض تهامة من الشرجة إلى عدن على الساحل اثنا عشرة مرحلة، وفي شرقها مدينة صعدة وجرش ونجران، وفي شمالها مكة وجدة وفي جنوبها صنعاء نحو عشرين مرحلة، وسميت تهامة لتغير هوائها من قولهم: تهم الدهن وتمه إذا تغير ريحه، للمزيد ينظر، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج ١، ص ١٤١.
- ٣- نجد: بضمّتين، لغة هذيل في نجد. والنجد، بالفتح والتحريك: صقع واسع من وراء عمان. وقيل: نجد هو الأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام. للمزيد ينظر: ابن شائل، مرصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٣٥٨.
- ٤- الكلاعي، الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ج ٢، ص ١٦٢.
- ٥- الواقدي، المغازي، ص ٢٣٠.
- ٦- وادي العقيق بالمدينة: وهو أشهر أودية المدينة، بل أشهر الأعقة كلها. شراب، المعالم الأثرية، ص ١٩٤.
- ٧- الملاح، الوسيط، ص ٢٤٨.
- ٨- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٧.
- ٩- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٢، ص ١١٧.
- ١٠- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p38-١٠.



تغافل جلكريست في أن الإسلام كلما أراد أعداؤه القضاء عليه نراه يقوى ويقاوم الظروف التي يعيش فيها؛ فليس ببعيد عن هذا الوقت عندما كان المسلمون في مكة، وكان الإسلام آنذاك ضعيفاً، ولكنه استطاع أن يتغلب على كل التحديات التي واجهته وكل ذلك بسبب الإصرار والعزم الذي تحلى به النبي ﷺ والقيادة الحكيمة له.

فلم يعتمد العرب قديماً على الاستحكامات العسكرية كالأسوار العالية والحصون والخنادق بسبب البيئة الجغرافية، لذلك اعترتهم الدهشة، ووقفوا أمامه حائرين؛ لأنهم لم يستطيعوا تخطيه، وعسكر جيش مكة في الاتجاه الآخر من الخندق<sup>(١)</sup>.

وذكر جلكريست «وسرعان ما أصبح واضحاً لأبي سفيان أن المدينة لا يمكن أن تؤخذ من خلال القوة وهكذا استقروا من أجل حصار المدينة»<sup>(٢)</sup>.

لهذا نرى أن قريشاً وحلفاءها بدأت ترسل الدوريات من أجل الحصول لهم على ثغرة لفك الحصار، والنفوذ منها إلى داخل المدينة، فلم يستطيعوا، باستثناء تمكن عمرو بن عبد ود<sup>(٣)</sup>، من اجتياز الخندق<sup>(٤)</sup>.

وقد تغافل جلكريست على عاداته عن ذكر بعض الموضوعات التي كان لها الأثر في إنهاء غزوة الخندق وفي تقوية الروح المعنوية للمسلمين وإضعاف جبهة المشركين، أي : دور الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولم يتوصل الباحث إلى السبب الذي دفع المستشرق إلى عدم ذكر خبر اجتياز عمرو بن عبد ود للخندق، ومسألة مبارزة الإمام علي (عليه السلام). فهل هو الإيجاز في إيراد المعلومات وتحاشي التفاصيل التي قد تطيل سرد الرواية، في حين إننا نراه يدقق في تفاصيل أقل أهمية، ويفرد لها سطوراً وصفحات، والأمر الآخر هو الموقف من الإمام علي (عليه السلام) وأدواره في المعارك التي شهدتها المسلمون الأوائل، يضاف إلى أن

١- جيورجيو كونستانس، نظرة جديدة في رسول الله، ص ٢٩٢.

٢- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p38.

٣- عمرو بن عبد ود بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، فارس قريش، والذي قتله علي (عليه السلام) يوم الخندق، ولا عقب له. ينظر : الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص ٣٦٨.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٢٤.

المستشرق قد اعتمد على مصادر جهة معينة على حساب الجهة الأخرى، ثم لا ننسى صلة القريبى بين الإمام علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وموقف المستشرق من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتحامله عليه، فالتحامل ينتقل إلى المقربين إليه أيضاً.

فقد ذكر أن نفرًا من قريش «طلبوا مضيقاً من الخندق يقحمون منه خيلهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها. فقليل لهم: إن معه رجلاً فارسياً أشار عليه بذلك. قالوا: فمن هناك إذن! فصاروا إلى مكان ضيق أغفله المسلمون فعبر عكرمة بن أبي جهل ونوفل بن عبد الله<sup>(١)</sup> وعمر بن عبد ود؛ فجعل عمرو بن عبد ود يدعو إلى النزال ويقول: ولقد بححت من النداء... لجمعهم: هل من مبارز؟ وهو ابن تسعين سنة فقال علي بن أبي طالب: أنا أبارزه يا رسول الله فأعطاه، رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه وعممه وقال: اللهم أعنه عليه، ثم برز له ودنا أحدهما من صاحبه وثار بينهما غبرة وضربه علي فقتله وكبر. فعلمنا أنه قد قتله وولى أصحابه هاربين وظفرت بهم خيولهم»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن هنا أن نذكر الروايات التي وصلت عن طريق أهل البيت وتحدثت عن الموضوع بشيء من التفصيل حيث ذكرت أن النبي صلى الله عليه وآله بعد أن اجتاز عمرو بن عبد ود الخندق، قال صلى الله عليه وآله: من لهذا الكلب؛ فلم يجب النبي صلى الله عليه وآله أحد من الموجودين إلا علي عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وآله هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل، فقال له الإمام علي عليه السلام: وأنا علي بن أبي طالب، فقال له النبي محمد صلى الله عليه وآله: ادن مني. فدنا منه فعممه بيده، ودفع إليه سيفه ذا الفقار وقال له: اذهب وقاتل بهذا<sup>(٣)</sup>، ثم دعا النبي صلى الله عليه وآله له فقال: «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته وقال صلى الله عليه وآله: «برز الإيمان كله

١- نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي؛ أقبل على فرس له ليوثبه الخندق، فوقع في الخندق فقتله الله. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٤٦٩.

٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٥٢؛ البيهقي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ص ١٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٤٤٢؛ عبده، غزوات الرسول (معركة الخندق)، ص ٨.

٣- المفيد، الإرشاد إلى أئمة العباد، ج ١، ص ١٠٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٢٩١؛ ابن حاتم العاملي، الدر النظيم، ص ١٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٢١.

إلى الشرك كله»<sup>(١)</sup>. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن النبي ﷺ قال: «اللهم إنك أخذت مني عبدة»<sup>(٢)</sup> يوم بدر، وحزمة يوم أحد. وهذا أخي علي بن أبي طالب «رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ»<sup>(٣)</sup>، وضرب بيده إلى ذي الفقار، فقتله الله (عز وجل) على يد علي بن أبي طالب عليه السلام، فهزم الله قريشاً<sup>(٤)</sup>.

ودعم يهود بني قريظة قريشاً جهاراً، وحاول حبي بن أخطب زعيم بني النضير إقناع بني قريظة إما بالهجوم على المسلمين من الخلف أو السماح لهم بإدخال ألفين من بني النضير ليقوموا بقتل النساء والأطفال المختبئين في الحصون، وفي بادئ الأمر تردد بنو قريظة ولكن لما رأت أعداد الجيش المكي وافقت على مساعدتهم<sup>(٥)</sup>.

ويبدو «أن عدم نشوب قتال جدي واسع خلال هذه الغزوة يرجع إلى ضعف الدافع إلى القتال عند القوات الغازية، وإلى ضعف اعتقادهم بمبرراته»<sup>(٦)</sup>.

ويرى الباحث أن المستشرق قد وقع ضحية اعتماده على كتابات الماضي الاستشراقي عن النبي ﷺ ولم يورد لنا جميع الروايات التي تتعلق بغزوة الخندق حيث لم يذكر لنا الدور الذي لعبه نعيم بن مسعود<sup>(٨)</sup> في إفشال التحالف الذي حدث بين قريش وحلفائها من غطفان ويهود بني النضير مع يهود بني قريظة حيث لم يذكر سوى أن قريشاً قد تحالفت مع حي يهودي في داخل المدينة، وهو حي بني قريظة ضد المسلمين،

١- الجاحظ، كتاب العثمانية، ص ٣٣٣؛ الكراجكي، كنز الفوائد، ص ١٣٧؛ ابن طاووس، الطرائف في معرفة مذهب الطوائف، ص ٣٥؛ الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ١، ص ١٩٧.

٢- المقصود عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي، وأمه سخيلة بنت خزاعي بن الحويرث والذي استشهد يوم بدر متأثراً بجرحه وكان عبيدة أسن من النبي ﷺ بعشر سنين وكان يكنى بأبي الحارث، ينظر. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١٠٢٠.

٣- الأنبياء، ٨٩.

٤- ابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٧٩؛ المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ١١، ص ٦٢٣.

٥- الصدوق، الخصال، ص ٣٦٨.

٦- آرمسترونج، محمد ﷺ نبي لزماننا، ص ١٤٩.

٧- العلي، دولة الرسول في المدينة دراسة في تكوينها وتنظيمها، ص ٢٥٣.

٨- نعيم بن مسعود الأشجعي بن عامر بن أنيف، أسلم يوم الخندق، وقصته مشهورة في الإيقاع بين الأحزاب، قتل يوم الجمل مع الإمام علي عليه السلام، للمزيد ينظر: البغوي، معجم الصحابة، ج ٣، ص ١٤٧؛ صفي الدين، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ص ٤٠٣.

بعد أن أصبح المسلمون قلقين من أعدائهم، ولكن المسلمين استطاعوا زرع الشكوك بين القوى المتحالفة<sup>(١)</sup>.

وتناقلت المصادر الإسلامية هذه الرواية إذ ذكرت : « ... أرسلت بنو قريظة إلى أبي سفيان أن اتوا فإننا سنغير على بيضة المسلمين من ورائهم، فسمع ذلك نعيم بن مسعود وكان موادعاً للنبي ﷺ وكان عند عيينة حين أرسلت بذلك بنو قريظة إلى أبي سفيان وأصحابه، فأقبل نعيم إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبرها وما أرسلت به قريظة إلى الأحزاب، فقال رسول الله ﷺ: فلعلنا أمرناهم بذلك، فقام نعيم بكلمة رسول الله ﷺ تلك من عند رسول الله ﷺ... فلما ولى من عند رسول الله ﷺ ذاهباً إلى غطفان قال عمر بن الخطاب : : يارسول الله، ماهذا الذي قلت ؟ إن كان أمر من الله تعالى فأمضه، وإن كان هذا رأياً من قبل نفسك فإن شأن بني قريظة هو أهون من أن تقول شيئاً يؤثر عنك فقال رسول الله ﷺ بل هو رأي رأيته...»<sup>(٢)</sup>.

وأثبت النبي ﷺ والمسلمون الذين معه وحدتهم وتماسكهم على الرغم من شدة الخوف وعدم الاطمئنان نتيجة الحلف الذي عقده الأحزاب مع بني قريظة ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى أبا سفيان بن حرب وقريشاً، فقال : «اعلموا أنني اطلعت على غدر يهود أنني سمعت محمداً حدث أن بني قريظة صالحوه على أن يرد عليهم إخوانهم من بني النضير»<sup>(٣)</sup>، ثم إن نعيم بن مسعود كان له أثر كبير في تشتيت تحالف قريش وتحزبهم وزعزعة وحدتهم وخلق الشك بينهم حيث أتى بني قريظة فقال لهم: «إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرن على أن تحولوا منه إلى غيره، وأن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد

١- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p38-39

٢- الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٤٨٦.

٣- البيهقي، دلائل النبوة، ج ٣، ص ٤٠٥.

ظاهرتهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وأن الذي أخبركم به نعيم بن مسعود هو الحق فوَقعت البغضاء وقالوا : إنا والله لا نقاتل محمداً وبعث الله عليهم الريح فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنتهم»<sup>(١)</sup>. ولم تكن التحصينات العسكرية التي اتبعت في المدينة هي السبب الوحيد في هزيمة الأحزاب، فالسياسة التي اتبعها النبي ﷺ في قيادة المسلمين دلت على أنه قائد عسكري ومحارب من الطراز الأول، ويظهر ذلك واضحاً من أساليبه العسكرية التي استعملها في المعركة<sup>(٢)</sup>، وهو ما أيده المستشرق وات، والذي يعزو سبب فشل قريش وحلفائها من الناحية العسكرية للدور والخطط الاستراتيجية للنبي محمد ﷺ وإلى دور الجانب الاستخباري وخطته الخاصة في الخندق، إذ كانت ملائمة لتلك الأحوال، فضلاً عن حالة التفكك التي كانت تعيشها الأحزاب المتحالفة، والتي لم تكن تمتلك وحدة الصف فضلاً عن الدور الذي لعبه نعيم بن مسعود؛ فقد كان له دور في زيادة قوة المسلمين وإضعاف وتدهور حالة قريش والأحلاف<sup>(٣)</sup>.

ويعود وات من جديد ليذكر أن سبب فشل المكيين بما نصه «دلّ تفسخ المحالفة على فشل المكيين فشلاً ذريعاً في عملهم ضد محمد... لقد استخدموا أقصى جهودهم لإزاحته عن المدينة فبقي فيها أكثر نفوذاً مما مضى»<sup>(٤)</sup>.

وذكر جلكريست: «وفي أحد الليالي اقتلعت الرياح المستعرة والعواصف الممطرة العديد من خيامهم حيث أصبح استعدادهم لمواصلة الحصار متناقصاً، وعندما بدأت بعض القوى المتحالفة في الانسحاب قررت قريش أيضاً التخلي

١- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٢٩؛ الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد ج٤، ص٣٣٧؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢، ص٤٣٣؛ المدخلي، مرويَات غزوة الخندق، ٣٧٢.

٢- الكليني، الكافي، ج٧، ص٤٦٠؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٧٨؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٦، ص١٦٢؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج١٥، ص١٣٣.

٣- محمد في المدينة، ص٥٧.

٤- محمد في المدينة، ص٥٩.

عن القتال وسرعان ما غادروا المنطقة»<sup>(١)</sup>، وقد كان النبي ﷺ قد أرسل حذيفة بن اليمان<sup>(٢)</sup> لتقصي أوضاع قريش خلف الخندق وذكرت المصادر ذلك « وأرسل الله تعالى عليهم ريحاً عظيمة كفأت قدورهم وآيتهم، وبعث رسول الله ﷺ إليهم حذيفة بن اليمان عيناً، فأتاه بخبر رحيلهم، ورحلت قريش وغطفان، فلما أصبح رسول الله ﷺ وقد ذهب الأحزاب، رجع عن الخندق إلى المدينة»<sup>(٣)</sup>، وذكر جلكريست أن قريشاً قد حشدت أكبر قوة ممكنة لها لتدميره مرة واحدة وإلى الأبد، ولكنهم عادوا إلى ديارهم دون قتال، خائين ليتحول الأمر واتخاذ القرار بالهجوم من جانب قريش إلى جانب المسلمين<sup>(٤)</sup>.

والواضح مما تقدم أن هذه الأسباب كلها مجتمعة هي التي أفشلت مخططات الأحزاب في سعيهم لدخول المدينة بالإضافة إلى العناية الإلهية للنبي ﷺ وتأيدته، والتي ينكرها كثير من المستشرقين لأن الخلفية الدينية للمستشرق لها أثر كبير في التوجيه والكتابة والبحث عن النبي ﷺ؛ فالمسيحي المقتنع بدينه يصعب عليه أن يتحدث عن الجوانب التي لها صلة بالغيب والوحي والمعجزات وعن سيرة النبي ﷺ، ففي الوقت الذي ينظر المسلمون إلى السيد المسيح على أنه من أنبياء الله وينظرون إلى جميع الأنبياء بنظرة العفة والطهارة والعصمة نرى النصارى ينظرون إلى النبي ﷺ بنظرة التكذيب والتشويه ويرمون النبي ﷺ بثتى النعوت .

١-39 Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p39-١

٢- حذيفة بن اليمان، وهو ابن حسل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن اليمان، يكنى بأبي عبد الله، من المهاجرين، هاجر هو وأبوه إلى النبي ﷺ فخير به بين الهجرة والنصرة، فاختار النصر، وهو صاحب رسول الله ﷺ والمشهور بصاحب سره توفي في المدائن عام (٣٦هـ) للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٥؛ الأصفهاني، معرفة الصحابة، ج٢، ص٦٨٦.

٣- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٥٧٩؛ الظاهري، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، ص١٩١.

٤-39 Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p39-٤

## المبحث الثالث

### صراع النبي ﷺ مع اليهود

خضعت سيرة النبي ﷺ للدراسة في كثير من الأحيان وفق منهج الشك والتشويه والتدليس عند عدد كبير من المستشرقين في محاولة منهم للنيل منه، وقد اختلفت وسائل تناول السيرة عند هؤلاء المستشرقين فكانت أولى طرقهم محاولة إنكار نبوة النبي ﷺ، ثم ما برحوا يتحينون الفرص لمحاولة إيجاد طريقة جديدة لغرض النيل منه وبخاصة عندما كان الغرب يعيش حالة من التشتت والضياع في فترة العصور المظلمة والتي كانت فيها المؤسسة الدينية هي التي تسيطر على التعليم<sup>(١)</sup>.

وتبدأ أطر العلاقة بين النبي ﷺ واليهود منذ دخوله ﷺ إلى المدينة حيث دعاهم إلى الإسلام وكان يأمل منهم بأن يصدقوه وينصروه أكثر من غيرهم من عبّاد الأوثان والأصنام؛ لأنهم من أصحاب الديانات السماوية، وقد بشرّ بالنبي ﷺ عندهم في كتابهم التوراة<sup>(٢)</sup>.

ثم إن النبي ﷺ لما قدم المدينة رأى موقع الإسلام بين القبائل اليهودية الثلاث «بنو القينقاع، بنو النضير، بنو قريظة» وما تشكّله من خطر كبير لذلك قام بمهادنتهم على السلم وأمانة الجوار وأن لا يكيدوا بالمسلمين<sup>(٣)</sup>.

أما دور اليهود فكان على النقيض من ذلك عندما قاموا بتقديم العديد من الأسئلة إلى النبي ﷺ وكان الغرض من ذلك التشكيك بنبوته وقد تبادوا أكثر من ذلك؛ فقالوا: إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فليكلمنا<sup>(٤)</sup>، حتى نسمع كلامه أي يكلمنا بلا واسطة أمراً ونهياً كما يكلم الملائكة<sup>(٥)</sup>.

١- ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص ٨٧.

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢١١.

٣- شايب، دور اليهود التخريبي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد الثامن والخمسون، ص ٣٥٥.

٤- فلقد جاءه رافع بن حريملة ووهب بن زيد وهما من أحبار يهود وطلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بكتاب ينزل عليهم من السماء ليقرؤوه أو أن يفجر لهم أنهاراً حتى يتبعوه ويصدقوه، انظر: الميداني، مكاييد اليهودية عبر التاريخ، ص ٥٥.

٥- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج ٢، ص ٥٠١.

وتحامل اليهود في مرات كثيرة على النبي ﷺ في مواقع عديدة لغرض النيل منه وظهر هذا جلياً منذ الوهلة الأولى لدخول النبي ﷺ إلى المدينة، فعلى الرغم من أن النبي ﷺ كان قد حاول إيجاد طريقة واضحة لغرض فرض شروط التعايش السلمي معهم إلا أنهم كثيراً ما كانوا يتطرقون لمحاولات الفتك بالإسلام كلما وجدوا الطريقة السانحة لذلك، وتم التطرق إلى موضوع تعامل النبي ﷺ مع اليهود من عدد كبير من المستشرقين فكانت آراؤهم مختلفة بين مادحة وقادحة، وكانت أشد ما يتم التركيز عليه هو أن أصول الديانة الإسلامية كانت ذات جذور يهودية حيث ذكر جلكريست: « ويبدو أن محمداً قد تشرب بها واستبقاها في ذاكرته بقدر ما كان يستطيع، وتُظهر دراسة لتدريس القرآن أن نبي الإسلام كان أكثر دراية بالأعمال اليهودية الحاخامية والكتابات المسيحية الملفقة والمشكوك بأمرها من درايته بمحتويات العهدين القديم والجديد»<sup>(١)</sup>.

وذكر جلكريست كذلك: «وكان من بين الأشياء الرائعة حول دعوة محمد اقتناعه بأنه كان يدعي بأنه نبي في خط الأنبياء العظماء الذين أقاموا التراث اليهودي والمسيحي»<sup>(٢)</sup>. وحاول موير عند عرضه لهذه القضية أن يصور النبي ﷺ معجبا بالتراث اليهودي ودياناتهم ورجاله بسبب مشاهداته العينية وسماعه وتعلمه منهم، لكن الحوادث التاريخية، وما وصلنا من مرويّات أظهرت أن العلاقة بين العرب واليهود في يثرب كانت علاقة تنازع واحتقار<sup>(٣)</sup>.

ولا يمكن الركون إلى هذا الرأي لأن اتصال النبي ﷺ باليهود لم يحدث بنحو مباشرٍ إلا في يثرب، أما في مكة، فلم يكن لليهود فيها شأن يذكر<sup>(٤)</sup>.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p.9-

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p61-

٣- Muir، The life of Mahomet with introductory chapters on the original sources for-  
the biography of Mahomet، and on the pre-Islamite history of Arabia، vol.II،p. 217

٤- علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١٢، ص ١١٩.

«ولم نبيننا التاريخ عن أي اتصال بين النبي ﷺ وبين علماء اليهود قبل الهجرة، فلا شك في أنه يمكن افتراض وجود مثل هذه العلاقة؛ وذلك بإتاحة الفرصة لكل حدس وخيال»<sup>(١)</sup>. ولم يختلف موقف المستشرقين الإنكليز عن غيرهم حيث زعم وات أن النبي ﷺ كان حريصاً على أن يظفر بتأييد اليهود حتى لا ينهار البناء الفكري الذي قامت عليه رسالته؛ فقد اكد تطابق رسالته مع الرسائل السابقة فمن هنا كان مستعداً إلى أن يبقى اليهود في المدينة<sup>(٢)</sup>.

بل ذهب جلكريست إلى أبعد من ذلك في محاولة منه أن يظهر النبي ﷺ بأنه يولي اهتماماً أكثر بالديانة اليهودية حيث قال: «يولي القرآن اهتماماً أكبر للديانة اليهودية أكثر من الديانة المسيحية، وكان هناك عدد من القبائل اليهودية المنتشرة في مناطق شمال مكة»<sup>(٣)</sup>. فهو في ذلك يتسارع على خطى غيره فلم يتحدث مستشرق عن القرآن إلا وذكر أنه مستقى من اليهودية، حتى عُد الإسلام يهودية مهذبة<sup>(٤)</sup>.

ثم يستمر على عادته في محاولة مناقضة رأيه مرة أخرى إذ ذكر: «طوال سنوات محمد الأخيرة في المدينة ترايد العداء المتبادل بينه وبين اليهود بصورة مستمرة، وكثير من مؤرخات اليهود في السير الذاتية الأولى تكشف عن هذا العداء بشكل علني... بينما كان محمد لا يزال في طفولته، حاول اليهود قتله لأنهم كانوا يخشون أنه سيصبح نبياً»<sup>(٥)</sup>.

وهو بهذا الرأي لا يذهب بعيداً عما ذهب إليه غيره من المستشرقين؛ فهذا المستشرق كاهن يقول: «وإن محمداً عندما هاجر إلى المدينة كان لدعوة تلقاها من قبائل عربية ويهودية في ثرب وإن أوجه الاتفاق الموجودة في القرآن والتوراة مردها تلك المحادثات

١- دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، ١٤٢.

٢- محمد في المدينة، ص ٢٠٤.

٣- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p7-٣.

٤- بهاء الدين، المصادر الخيالية في دراسات المستشرقين للقرآن الكريم، العدد السادس، ص ١٠.

٥- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p63-٥.

التي كان محمد ﷺ وصاحبه يحاورون بها العامة من يهود يثرب»<sup>(١)</sup>، وذهب كاهن بالقول: «إلى أن محمداً قد رغب في مناصرة يهود المدينة ولما تبدد الأمل أخذهم بمزيج من المضايقة والعنف عن طريق القتل والتهجير»<sup>(٢)</sup>.

أما جلوب فقد شكك في صحة الحقائق والروايات المتواترة عند ذكر علاقة النبي ﷺ بيهود المدينة، فصور الصراع بينهم مبنياً على نية ميّنة لإخراجهم من جزيرة العرب، وأن الأسباب التي أدت لإخراجهم أسباب اقتصادية قد لا تتناسب مع ما ارتكبه من أخطاء<sup>(٣)</sup>، وهو متفق في هذا الرأي مع المستشرق جيوم الذي عد الأثر الاقتصادي هو من أهم الأسباب التي دعت النبي ﷺ لإخراجهم من المدينة<sup>(٤)</sup>. وذكر جلكريست كذلك «بعد وقت قصير من وصوله إلى المدينة، وبما أنه توقع في البداية من الطائفة اليهودية الكبيرة هناك أتباعه وتأبيده، اكتشف أن معارضة له كان مقدراً لها أن تكون أكثر ضرراً بكثير وأكثر تهديداً»<sup>(٥)</sup>.

وقد تطرق المستشرق رودنسون إلى علاقة النبي ﷺ باليهود؛ فقد وصف ما جرى معهم بالمجزرة<sup>(٦)</sup>.

في حين إن جلكريست ذهب إلى أن وقت اضطهادهم قد بدأ بمجرد تغيير النبي ﷺ للقبلة «عندما نما وازداد اضطهادهم بشكل خاص في وقت هجرته إلى المدينة غير محمد اتجاه الصلاة «القبلة» من أورشليم إلى مكة وجعل أتباعه يحافظون على نفس صيام اليهود، ولا سيما صيام عاشوراء. لم يشك في أنهم كانوا مفضلين من الله بشكل خاص في العصور السابقة»<sup>(٧)</sup>، وهي محاولة منه إلى التنويه بوجود علاقة الترابط بين الديانتين.

١- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص ١٦.

٢- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص ١٧.

٣- إمبراطورية العرب، ص ٣٨.

٤- الإسلام، ص ٤٣.

٥- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p61-٥.

٦- نقلاً عن، الذرعاني، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الانجليز، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ١٧٨.

٧- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p61-٧.

وكانت غاية المستشرقين من الرأية التي حملوها هي محاولة إظهار النبي ﷺ والمسلمين أبطال صفحة من صفحات الغدر والترهيب والتعذيب والقتل، والتي تعرض لها اليهود في العالم في حين تناسى هؤلاء المستشرقون ما حاول اليهود من تدبيره من المكائد للنبي ﷺ وقد تبعهم جلكريست في تغافله عنها؛ إذ ذكر «أن أم النبي ﷺ، لما دفعته إلى السعدية التي أرضعته، قالت لها: احفظي ابني، وأخبرتها بما رأت من المعجزات، فمر بها اليهود فقالت: ألا تحدثوني عن ابني هذا، فإني حملته كذا وأرضعته كذا كما وصفت أمه، فقال بعضهم لبعض، اقتلوه، فقالوا أيتيم هو؟ فقالت لا، هذا أبوه وأنا أمه: فقالوا لو كان يتيماً لقتلناه»<sup>(١)</sup>. في حين يورد جلكريست: «أن الراهب بحيرا حذره على وجه الخصوص كل الحذر من اليهود»<sup>(٢)</sup>.

وهو ما أكدته المصادر الإسلامية، والتي اعتمد عليها جلكريست في استسقاء معلوماته؛ إذ ذكرت: «دعاهم راهب يدعى بحيرا إلى طعام، وما كان يفعل ذلك من قبل حين يمرون به، ورأى معهم محمداً ﷺ، جعل ينظر إليه ليرى ما قد علمه من علامات النبوة فيه، وسأله بعض الأسئلة عن أحواله ورأى خاتم النبوة بين كتفيه التي عنده، وبعدها سأل أبا طالب عنه، ولما تأكد أن أباه مات وأمّه حبلت به، تيقن أنه النبي الموعود، وقال لأبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا ما عرفت لبيغنه شراً»<sup>(٣)</sup>.

وعمد النبي ﷺ بعد أن هاجر من مكة إلى المدينة إلى تنظيم حياة الفئات التي تعيش فيها؛ فقد نظم العلاقة بينهم فكتب كتاباً بين المهاجرين والانصار وقد دعا اليهود فيها وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط عليهم واشتروا عليه<sup>(٤)</sup>.

١- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٩١.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p15-٢.

٣- ابن إسحاق، السيرة، ج ١، ص ٧٥.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٠١.

وأصر اليهود على عاداتهم بأن الأنبياء منهم؛ لأنهم شعب الله المختار وقد رد القرآن عليهم عندما عبدوا العجل وتركوا عبادة الله، وقد استغلوا وجودهم في مدينة النبي ﷺ ليسلطوا شعراءهم للنيل من النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

ثم يعرج المستشرق موير بالقول: «لا يمكن أن نشكك في أن محمداً استعار من اليهود تاريخهم وأساطيرهم على نطاق واسع حتى غدت اليهودية تضفي بألوانها على نظام الإسلام برمته وأعارته الهيئة والمضمون، لقد كانت غاية محمد الرئيسة أن يستوحي من اليهود جميع قوانينهم وطقوسهم وأعيادهم، وصيامهم»<sup>(٢)</sup>.

وهو من الأمور المعول عليها؛ ذلك أن نفس النبي ﷺ كانت قد تأثرت بما تأثرت به نفوس الأنبياء الآخرين من بني إسرائيل، والذين كانوا يعبدون الله فلا عجب أن تشابهت ألفاظ التضرعات و أصوات الدعاء لديهم لله عز وجل<sup>(٣)</sup>، ويبدو أن موير لم ينفك عن تحريف الروايات وتزييفها لرسم انطباع علاقة النبي ﷺ باليهودية، وهو أمر متبع عند أكثر المستشرقين، ولا بد من أن المستشرق جلكريست قد تأثر بمن سبقه من هؤلاء المستشرقين . ثم إن مزاعم موير تصطدم مع حقيقة مفادها أن الديانة اليهودية تأثرت لاحقاً بالديانة الإسلامية<sup>(٤)</sup>، ولعل هذا برهان على أصالة واستقلالية الطقوس الإسلامية.

وهذا ما أكدته المستشرق دينيه بقوله: «لم يصل محمد قط إلى اكتساب ثقة اليهود وضمهم إلى صفوفه، رغم كل ما تقدم به إليهم في سبيل إرضائهم. فلم يكن هؤلاء ليعترفوا، كما قلنا، بأن النبي المرتقب سيأتيهم من غير أبناء جلدتهم، ثم لم يكونوا ليغفروا لمحمد ما جاء به من إخاءٍ ومساواة في الدين، وإنهاء المنازعات ... حتى صار عداؤهم للإسلام علنياً»<sup>(٥)</sup>، وقد ساندت الفقرات التي تضمنتها صحيفة المدينة بمعاقبة من يقوم بإيذاء النبي ﷺ والمسلمين؛ وذلك من خلال إثارة الفتن والإخلال بالأمن في مجتمع المدينة .

١- ابن دحلان، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٥.

٢- Muir, life of Mahomet, p. 289-٢.

٣- كاستري، الإسلام خواطر وسوانح، ص ٥٢.

٤- فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ص ٩-٥٨.

٥- محمد رسول الله، ص ٢٥٣.

ورغم هذا العداء الذي كان يكنه اليهود إلى الإسلام فإن الإسلام قد جعل أهل الكتاب سواء من اليهود أو النصارى أصحاب منزلة خاصة؛ إذ يبيح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسائهم، وهذا في الواقع تسامح كبير من الإسلام<sup>(١)</sup>.

وليس هذا فحسب بل كان النبي ﷺ يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشي مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات الحسنة، كما كان ﷺ يقترض منهم نقوداً ويرهنهم متاعاً ولم يكن عجزاً من أصحابه بل كان يفعل ذلك تعليماً للأمة وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من سلام ووئام وتدليل على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع غيرهم من الديانات الأخرى<sup>(٢)</sup>، فأين القسوة في معاملة النبي ﷺ للآخرين؟.

وقد اعترف أحد هؤلاء المستشرقين بسماحة الإسلام؛ فهذا المستشرق تولستوي<sup>(٣)</sup> يقول: «ومن فضائل الدين الإسلامي أنه أوصى بالمسيحيين واليهود، كما أباح لأتباعه التزويج من المسيحيات واليهوديات مع الترخيص لهن بالبقاء على دينهن»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك ما ذكره فنكل<sup>(٥)</sup> إذ قال: «كان النبي محمد ﷺ في معاملاته الخاصة على جانب كبير من إثارة العدل فقد كان يعامل الصديق وغيره والقريب والبعيد والغني والفقير والقوي والضعيف بالمساواة المطلقة...»<sup>(٦)</sup>.

ويمكن أن نرد على ما تطرقت له النظرة الاستشراقية للعلاقة بين النبي ﷺ واليهود؛ إذ يرى الباحث أن هذه النظرة التحاملية على النبي ﷺ والتي يشنها المستشرقون باطلة؛ لأن النبي ﷺ كان حريصاً على أن يدخل جميع الناس إلى الإسلام بما فيهم اليهود ولكن

١- القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص ٦.

٢- أمين، سماحة الإسلام بين الشاء والدماء، ص ١٥.

٣- تولستوي، ليو، وهو الكاتب والمفكر الروسي الشهير، انظر: الغزالي، دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين؛ العقيقي، المستشرقون، ج ١، ص ١٩٣.

٤- نقلاً عن، فرحات، موسوعة العلم والمعرفة الحديثة، ص ١٠-١١.

٥- فنكل، ج: مستشرق أمريكي له العديد من الآثار منها رسالة الأقبان للجاحظ وكذلك الإسرائيليات في القرآن وأثر اليهود والنصرانية والسامرة في البلاد العربية، العقيقي، المستشرقون، ج ٣، ص ١٥٦.

٦- نقلاً عن، العباسي، الغرب نحو الدرب، ص ٨٧.

دون إجبار، هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك احتكاك بين النبي ﷺ واليهود قبل هجرته وهذا باعتراف المستشرقين أنفسهم<sup>(١)</sup>، ثم إن اليهود قد أظهروا العداءة للنبي ﷺ منذ مقدمه إلى المدينة وذلك بعد أن عرفوا أن الله قد خص العرب بالنبي المنتظر فسعوا إلى الوقعة بين الأنصار<sup>(٢)</sup>، وهو ما أكدته العديد من المستشرقين، الذين اشتغلوا في دراستهم لتاريخ الإسلام في ضوء هذه الأسس المنهجية، فالمستشرق الأمريكي لوثرروب ستودارد<sup>(٣)</sup>، يقول: «كاد يكون نبأ نشوء الإسلام النبأ الأعجب الذي دون تاريخ الإنسان، ظهر الإسلام في أمة كانت قبل ذلك العهد متضعضة الكيان، وبلاداً منحطة الشأن، فلم يمض على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر بنصف الارض، ممزقاً ممالك عالية الذرى مترامية الأطراف، وهادماً أدياناً قديمة كرت عليها الحقب والأجيال، ومغيراً ما بنفوس الأمم والأقوام، وبانياً عالماً حديثاً مترامي الأركان هو عالم الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

هذا بالإضافة إلى أن المستشرقين قد فسروا أحداث السيرة النبوية تفسيراً مادياً وهم لا يؤمنون بنبوة محمد ﷺ ولم يقرؤا بأن الإسلام رسالة منزلة من قبل السماء ومن ثم فهم لم يعترفوا بالكثير من تصرفات النبي ﷺ والإجراءات التي اتخذها في حياته .

١- العمري، السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، ص ٤٢.

٢- يذكر ابن إسحاق أن شاس بن منيس، وكان شيخاً كبير السن عظيم الكفر شديد الضغن للمسلمين شديد الحسد لهم مر على نفر من المسلمين من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه؛ فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم من العداءة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم فقال له: اعمد اليهم فاجلس بينهم ثم اذكر يوم بعثت (اقتلت فيه الأوس والخزرج) وأنشدتهم فيها من أشعار فتكلم القوم وتنازعوا وتفاخروا ووثب بعضهم على بعض ولوحوا بالخراب فوصل ذلك إلى النبي ﷺ فلأمهم وعرفوا أنها من كيد عدوهم فبكوا وتعانقوا . ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٥٥.

٣- ثيودور لوثرروب ستودارد (١٨٨٣ - ١٩٥٠) كان مؤرخاً أمريكياً، صحفياً، المنظر السياسي والعنصري. ولد ستودارد في بروكلين وهو كاتب ومحاضر بارز، وزوجته ماري ستودارد. وحضر في كلية هارفارد، وتخرج في عام ١٩٠٥، ودرس القانون في جامعة بوسطن حتى عام ١٩٠٨. حصل ستودارد على الدكتوراه. في التاريخ من جامعة هارفارد في عام ١٩١٤. للمزيد ينظر العقيلي، المستشرقين، ج ٢، ص ١٠٠٥.

٤- ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، مج ١، ص ٢.

## ١- يهود بني القينقاع

إن ازدياد أذى اليهود وتشكيلهم خطراً على مستقبل الإسلام عامة؛ فقد كان الأمر يتطلب موقفاً جديداً للتعامل معهم يقوم على أساس من الشدة والعزم والغلظة في بعض الأحيان بدلاً من العفو والتسامح؛ فليس من صالح دولة الإسلام الفتية أن تستمر في سياستها الأولى. وبناء على هذا فقد بني موقف النبي ﷺ من اليهود في هذه المرحلة على أساسين: توجيه الإنذار والتحذير إلى اليهود، واللجوء إلى الحرب المصيرية التي تستهدف القضاء على مصدر أذى المسلمين<sup>(١)</sup>.

وذكر المستشرق جلكرايست أن: «انتصار محمد في معركة بدر أعطاه فرصة للتحرك ضد بني القينقاع، الذين استقروا بالقرب من المدينة»<sup>(٢)</sup>، ولو كان ما ذكره المستشرق صحيحاً لكان الأولى بالنبي أن يخرجهم من المدينة قبل الدخول في الحرب مع قريش؛ وذلك لتأمين الجبهة الداخلية له، وهو بذلك لا يختلف عن غيره من المستشرقين، فقد تطرق عدد من المستشرقين لهذه الحادثة فقد زعم جيوم: «ومما لاشك فيه أن وجود بعض جيوب المقاومة من اليهود الناقمين والساخطين ... كان مدعاة لقلقه وكان لابد للقضاء عليهم حتى يخوض الحرب وهو آمن وقد كانت أول جماعة قاست هذا الموضوع هم يهود بني القينقاع الذين كان معظمهم من أرباب الصياغة»<sup>(٣)</sup>، وهذا لا يمكن الركون إليه؛ لأن النبي ﷺ لم يقم بإجلاء يهود بني القينقاع إلا بعد الانتصار الذي حصل عليه في بدر ولو كان صحيحاً ما ادعاه جيوم لكان الأحرى بالنبي ﷺ أن يتجه إلى قتال اليهود قبل الخروج إلى قريش.

ثم يتجه بعد ذلك إلى القول: إن قبيلة الأوس هم حلفاء بني القينقاع لذلك عندما أمر النبي ﷺ بإعدامهم تشفع لهم زعيم الأوس، فرد عليهم حياتهم ولكنه أجبرهم على الرحيل<sup>(٤)</sup>.

١- العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج٦، ص٣٤.  
٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p63-٢.

٣- الإسلام، ص٤٤.

٤ جيوم، الإسلام، ص٤٤.

وهنا يجب التنويه إلى المغالطات التي وقع فيها جيوم من خلال ما ذكره من أن الأوس هم حلفاء بني القينقاع والأحرى أن الخزرج هم حلفاء بني القينقاع وليس الأوس، وإن من قام بالتوسط بينهم وبين النبي ﷺ هو زعيم المنافقين عبد الله بن أبي على اعتبار أنه من أهل المدينة وليس حليفاً لهم، لذا نجد النبي ﷺ باتخاذ مثل هذا الموقف حيال ما يناسبه ولم يعمم العقوبة على جميع اليهود على الرغم من تشابه مواقفهم في مناسبات عديدة.

ولم يختلف فلهاوزن عنهم في ذلك؛ فقد أكد ماسار عليه الباقون من المستشرقين «... وحاول محمد أن يظهرهم بمظهر المعتدين الناكثين للعهد وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة إذ كانوا يكونون جماعات متماسكة كالقبائل العربية، وقد التمس لذلك أسباباً واهية»<sup>(١)</sup>، في محاولة منه للقول: إن اخراج النبي ﷺ لبني القينقاع ماهو إلا بسبب أضرار واهية اختلقها النبي ﷺ حسب ما يزعم، ويلمح بأنهم أناس أبرياء وكانوا رمزاً للسلام والتعايش السلمي، ولكن النبي ﷺ هو الذي قام بالتنكيل بهم وتشريدهم.

ثم إن المستشرقين قد تناولوا تطور العلاقة بين النبي ﷺ واليهود بشيء من التركيز في محاولة منهم إلى القول: إن من الأسباب التي أدت إلى قيام النبي ﷺ بإجلائهم، وبحسب زعمهم؛ فبنو القينقاع كانت من أضعف القبائل الثلاث في المدينة، بالإضافة إلى أن القبيلتين الآخرين كانتا متحالفتين معاً<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن أن بني القينقاع كانوا مسيطرين على السوق وكانت رغبة النبي ﷺ بإفساح المجال أمام المهاجرين للسيطرة عليه<sup>(٣)</sup>.

وهنا قدح جلكريايس في قوله: «وقد تحداهم بجرأة في الأسواق للاعتراف بأنه نبي الله المختار لمنع كارثة مماثلة قادمة عليهم كما حلت على قريش»<sup>(٤)</sup>.

١- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص ١٦.

٢- Margoliouth، D، S: Mohammed and the Rise of Islam، third edition، p.46-٢.

٣- العمري، السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، ص ٤٦.

٤- Gilchrist، M: Muhammad the prophet of Islam، p63-٤.

أما المستشرق وات فذكر « كما هوجمت قبيلة بني قينقاع اليهودية بعد أن أدت خصومة تافهة لموت مسلم، وقد حوصرت القبيلة ثم استسلمت وأبعدت عن المدينة »<sup>(١)</sup>، يحاول وات أن يكون موضوعياً بذكره السبب بكونه تافهاً لموت شخص من المسلمين أي أن تعرض المرأة للإساءة يراه سبباً تافهاً، ويعود السبب الذي دفع وات إلى قبول مثل هذه الأمور هو طبيعة المجتمعات الأوروبية التي يعيش فيها المستشرق وتقبلهم مثل هذه الأمور، إضافة إلى محاولاته المستمرة في القدح بأخلاق المسلمين، وهنا سؤال مفاده: إذا كانت عملية القتل حجة تافهة من وجهة نظره فلماذا تكون عملية الجلاء بهذه العظمة . وللرد على مثل هذه الافتراءات يمكن أن ننوه إلى أن بني القينقاع هم من بدأ بإيذاء النبي ﷺ والدليل على ذلك : لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة وادعته اليهود كلها وكتب بينه وبينهم كتاباً، وألحق النبي ﷺ كل قوم بحلفائهم وجعل بينه وبينهم أماناً وشرطاً عليهم، واشتروطوا عليه فكان فيها شرط أن لا يظاهروا عليه عدواً فلما أصاب النبي ﷺ أصحاب بدر وقدم المدينة بغت اليهود وصعقوا فيها كان، وقطعت ما كان بينها وبين النبي ﷺ من موثيق وعهود؛ فأرسل ﷺ إليهم فجمعهم ثم قال: « يا معشر اليهود أسلموا فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من لقيت أنك قهرت قوماً أغماراً وإنا والله أصحاب الحرب ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقا تل مثلنا »<sup>(٢)</sup>، وهو السبب غير المباشر لإعلان النبي التحرك عليهم .

في حين إن المستشرق جلوب ذكر هذا الأمر بقوله: « كان اليهود يؤلفون نصف سكان المدينة تقريباً، وتمكن النبي بعد طرد اليهود من المدينة من تأمين الأموال والمساكن والأراضي للمهاجرين »<sup>(٣)</sup>.

١- محمد في المدينة، ص ٢٤.

٢- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٧٥ و ١٧٦.

٣- إمبراطورية العرب، ص ٣٨.

وفي الحقيقة أن المستشرق حاول أن يتعد عن الحقيقة كثيراً في إيراد مثل هذا الأمر وأراد أن يجعل من طرد الرسول الأكرم اليهود دافعاً اقتصادياً، والحقيقة أن النبي في معركة بدر أرسل زيد بن حارثة إلى المدينة ليزف بشرى الانتصار إلى المدينة؛ فصعق اليهود والمنافقون وقالوا: ما جاء زيد إلا فلا، وإن محمداً قد هزم<sup>(١)</sup>، أي أن السبب في ذلك يعود إلى أنهم لم يتقبلوا مسألة انتصار المسلمين في المعركة.

غير أن جلكريست ناقض نفسه في هذا الأمر؛ إذ ذكر أن بني القينقاع هم من تحدوه «فأجابوا أنه لا ينبغي أن يخدع نفسه لأنه حصل على خضوع أفضل الأقسام الجاهلة قريش فإنهم سيكونون رجالاً حقيقيين وسوف يكتشف ذلك إذا قام بمحاربتهم»<sup>(٢)</sup>، وهو بذلك يناقض ما ذكره في البداية من أن النبي ﷺ قد أعطاه النصر في معركة بدر الفرصة للتحرك ضد اليهود من بني القينقاع، وأخبروه أن انتصاره في معركة بدر على هؤلاء الأقسام الجاهلة على حد زعمهم لا يعني أنه قادر على النيل منهم لما كانوا يتمتعوا به من قدرة عسكرية وأنهم الرجال الحقيقيون القادرون على الوقوف بوجهه.

فكان النبي ﷺ بقوله يقول لهم يا معشر اليهود لا يغرنكم كثرة المال والولد والعدد؛ فكيف انتصر المسلمون في معركة بدر وهم قلة على جيش قريش الأكثر عدداً وعدة<sup>(٣)</sup>.

إضافة إلى أن السياق التاريخي للحادثة يوضح وقوعها في أوج قوة المسلمين، هذا بالإضافة إلى أن يهود بني القينقاع كانوا مسيطرين على السوق حيث كان السوق يسمى بسوق بني القينقاع، لكن هذا لم يسد منافذ الرزق على المهاجرين لأنهم شاركوا إخوانهم من الأنصار في شطر أموالهم بالغالي والنفيس<sup>(٤)</sup>.

١- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٩.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p63-٢.

٣- عائض، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ج ١، ص ١٦٧.

٤- العمري، السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، ص ٤٦.

ولا ننسى أن الضغط الاقتصادي من جملة الأساليب الخبيثة التي استخدمها اليهود ضد المسلمين لامتلاكهم الأموال الكثيرة وسيطرتهم على حركة التجارة، وكانوا يستخدمون الربا وكان المسلمون في بداية الهجرة إلى المدينة لا يمتلكون الكثير من المال؛ فالمهاجرون كان معظمهم فقراء بسبب الهجرة وترك أموالهم في مكة، وأما الأنصار فقد كان ما يمتلكونه من ثروات قليلة قياساً باليهود أصحاب الثروات<sup>(١)</sup>، حيث حاول اليهود إيذاء المسلمين بشتى أنواع الأذى ولاسيما الأذى الاقتصادي؛ وذلك بامتناعهم عن دفع ما يجب عليهم دفعه من ديون وأمانات لمن اعتنق الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ثم إن تعدي بني قينقاع على حرمت المسلمين ولاسيما في حادثة المرأة الأنصارية والتي ذكرتها المصادر الإسلامية؛ فيرويها ابن هشام قائلاً: «إن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ لها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها، فلما قامت انكشف سواتها، فضحكوا عليها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع... فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج...»<sup>(٣)</sup>، وكانوا سبع مئة مقاتل صاغة وتجاراً<sup>(٤)</sup>، وهو السبب المباشر الذي دفع بالنبي ﷺ لإعلان الحرب عليهم وإجلالهم.

وليس كما ذكر جلكريست، والذي قال: «غير أن محمداً اتهمهم بشجاعة بخرق اتفاقاتهم معه وحصار أحيائهم حتى يستسلموا دون قيد أو شرط»<sup>(٥)</sup>، في محاولة منه

١- الغزالي، تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية الشريفة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ١٢٠-١٢١.

٢- الصلابي، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ص ٢٨٧.

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٨. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٧٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٤.

٤- محي الدين، جيش الاتحاد ومحاصرة المدينة المنورة، مجلة كركوك للدراسات الإنسانية، مج ١٢، عدد ١، ص ٣٦٣.

٥- Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p63-٥.



إلى عدم ذكر السبب الذي أدى بالنبي ﷺ لإخراجهم من المدينة، هذا أصل القصة التي حدثت في إثرها المواجهة مع بني قينقاع، ومن الرواية يتضح مدى تشبث المنافقين باليهود، ومدى الاستماتة التي أبداهما رأس المنافقين عبد الله بن أبي في الدفاع والمناصرة عن اليهود، حتى كان له ما أراد.

بل إن المستشرق جلكرايست يظهر لنا من خلال سياق ما يعرضه علينا في روايته أن «عبد الله بن أبي، ناشده بعدم وضعهم تحت وطأة القتل حتى الموت، وأخيراً رد عليه محمد، الذي اضطرهم بدلاً من ذلك إلى مغادرة المدينة»<sup>(١)</sup>، في محاولة منه من ضمن العديد من محاولاته إلى إعطاء دور لشخصيات ثانوية وإبداء المديح والثناء لها ومحاولة الإعلاء من شأنها مقابل تشويه صورة وسيرة النبي ﷺ، باستناده إلى تحصيله العلمي وهو بكلوريوس في القانون والذي مكنته من إلقاء حججه ومحاولة تدعيمها بالدليل الذي تصور به أنه قادر على تثبيته للقارئ.

والذي أدى بالتالي إلى أن أغلب المستشرقين قد تغافلوا وحاولوا أن يتناسوا ذكر مثل هكذا أحداث في محاولة منهم إلى تصوير النبي ﷺ هو من كان يعتدي على الآخرين، المتعاشين معهم سلمياً في المدينة، وأنه هو من كان ينقض العهد معهم، فعلى الرغم من طلب النبي ﷺ من اليهود أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهدهم معه أو أنه سينزل بهم ما نزل بقريش، فأجابوه: «يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن إنا نحن الناس»<sup>(٢)</sup>، واكتفى رسول الله بإجلائهم عن المدينة، فهدأت أحوال المدينة في ظاهر الأمر، إلا أنهم ظلوا يتربصون بالنبي ﷺ والمسلمين، وهو صابر، على سوء معاملتهم للمسلمين، فكانوا أول من غدر من اليهود<sup>(٣)</sup>، وأول من أجلي من يهود المدينة وكانوا أول اليهود الذين تمت محاربتهم<sup>(٤)</sup>.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p63-١

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٥٢.

٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٩.

٤- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٧٦.

في حين إن المستشرق جيورجو يتعامل بحيادية مع موضوع إخراج بني القينقاع من المدينة في قوله: «... ومع ذلك فإن محمداً ﷺ اتبع معهم طريق المدينة فلم يأخذ منهم غير السلاح وخيرهم بين الإسلام والرحيل عن المدينة»<sup>(١)</sup>.

هذا إذا ما اخذنا بالحسبان أن يهود بني القينقاع كانوا من أكثر اليهود غيظاً لذلك النصر، وأشدّهم خطراً على الإسلام والمسلمين بالإضافة إلى العداوة المتجذرة لديهم ضد النبي، كما أنهم كانوا يعتمدون على السوق أكثر من الأراضي الزراعية لأن أغلبهم كانوا من الصاغة، ولم تكن لهم أرض ومزارع كغيرهم من اليهود، وأنهم كانوا أقرب من غيرهم للمسلمين لأنهم كانوا يسكنون في وسط المدينة وهذا ما يزيد من كثرة عداوتهم للمسلمين.<sup>(٢)</sup>

لذلك فلم يكن المستشرق جلكرايست منصفاً في موضوع إجلاء يهود بني القينقاع من المدينة، من حيث إيراد الأحداث وكذلك إبداء الرأي، في حين ظهر هناك العديد من المستشرقين الذين وصفوا تعامل الإسلام مع بقية الأديان الأخرى بالتسامح والتعايش السلمي؛ فهذا المستشرق آرنولد يقول: «لم نسمع عن أي محاولة مدبرة لإرغام الطوائف الأخرى من غير المسلمين على قبول الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ما ذكره المستشرق بيجي رودريك<sup>(٤)</sup> «... انظر إلى أي مدى يحترم الإسلام الأديان الأخرى ويوقرها ويسمح في ظل الدولة المسلمة بممارسة كافة الشعائر الدينية.. فالنصارى واليهود هم أهل ذمة عند المسلمين ما لم يحاربوهم، وقد تمتعوا عبر التاريخ الإسلامي الطويل بكافة امتيازات المواطنين ولم يحدث أن سمعوا كلمة تسيء إليهم»<sup>(٥)</sup>.

١- نظرة جديدة في سيرة رسول ﷺ، ص ٢٤٨.

٢- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٤٠؛ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج ١، ص ٢١٥.

٣- آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٩٨.

٤- بيجي رودريك: هندي الأصل تلقى تعليمه على أيدي المبشرين وتحول إلى الإسلام أيام الاستعمار البريطاني للهند، ينظر، الموسوعة العربية الميسرة، ص ٦٨٤.

٥- نقلاً عن، العثي، رجال ونساء أسلموا، ج ٦، ص ١١٣.

## ٢- يهود بني النضير

وقف جلكريست على حادثة اخراج بني النضير عن المدينة قائلاً: « بعد معركة أحد تحرك محمد بطريقة مماثلة ضد بني النضير، وهي قبيلة يهودية أخرى تعيش في الحي الخاص بها بالقرب من المدينة»<sup>(١)</sup>.

في محاولة منه للقول: إن سبب إخراجهم كان لعدم اشتراكهم بالقتال في معركة أحد، ولا يمكن الركون إلى هذا الرأي؛ لأنه لو كان كذلك لكان الأمر قد انطبق على يهود بني قريظة، وأن الأمر الذي تغافل عن إيراده جلكريست كعادته هو أن هناك عدة أسباب لقيام النبي ﷺ بإخراجهم من المدينة وليس سبباً واحداً، وهو ما جاءت به الرواية الإسلامية حيث ذكرت « لما أصيب أصحاب بدر، أرسل النبي ﷺ «زيد بن الحارثة إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه، وقتل من قتل من المشركين، فقال كعب بن الأشرف وهو رجل من طي وأمه من بني النضير حين بلغه الخبر: ويلكم أحق هذا! أترون أن محمداً قتل هؤلاء؟ هؤلاء أشرف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها، فلما تيقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فنزل على المطلب بن أبي وداعة<sup>(٢)</sup>، وجعل يحرض على النبي ﷺ وينشد الأشعار ويبكي على من أصيب ببدر من قريش ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة»<sup>(٣)</sup>، ولتماذي كعب بن الأشرف في هجاء النبي ﷺ والتشبيب بنساء المسلمين في المدينة، أمر النبي ﷺ بقتله فعلم بنو النضير بخطورة الموقف فقرروا أن يجددوا عهدهم مع النبي ﷺ بعد أن نقضوه سابقاً نتيجة اتصاَلهم بقريش<sup>(٤)</sup>.

ذكر ابن سعد «أن اليهود أصبحوا مذعورين بعد قتل كعب بن الأشرف فجاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا قتل سيدنا غيلة؛ فذكرهم ﷺ بما كان يصنع ثم دعاهم إلى أن يكتبوا بينه

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p63-١.

٢- المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي أسلم يوم فتح مكة، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٤١٤.

٣- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٨٧-٤٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٧.

٤- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٥٠.

وبينهم صلحاً»<sup>(١)</sup>. إن ما حدث في غزوة السويق من أحداث والتي ذكرها بعض من المؤرخين بقولهم: «لما رجع المشركون إلى مكة من بدر حرم أبو سفيان الدهن حتى يثار من محمد وأصحابه بمن أصيب من قومه فخرج في مائتي راكب ... وطرقوا سلام بن مشكم ففتح لهم فقرأهم، وسقى أبا سفيان خمراً، وأخبره من أخبار النبي ﷺ وأصحابه، فلما كان بالسحر خرج فمر بالعريض، فوجد رجلاً من الأنصار مع أجير له في حرثه فقتله وقتل أجيره، وحرقت بيتين بالعريض وحرقت حرثاً لهم، ورأى أن المدينة قد حلت ثم ذهب هارباً وخاف الطلب، فبلغ رسول الله ﷺ فندب أصحابه فخرجوا في أثره وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفون فيلقون جرب السويق وهي عامة زادهم»<sup>(٢)</sup>.

ثم إن بعد الخسارة التي تعرض لها المسلمون في معركة أحد أعطى هذا الدافع اليهود للتجرؤ على المسلمين فبدؤوا بالعداوة والإضرار لهم، ليس ذلك فحسب؛ بل امتد إلى الاتصال بالمشركين والعمل لصالحهم على الرغم من العهد الذي كان يربطهم مع النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، وكل هذا الذي تقدمنا به يعد من الأسباب غير المباشرة لإخراج النبي ﷺ بني النضير من المدينة.

ولكن يبدو أن السبب في قيام يهود بني النضير في ما قاموا به لم يكن إلا من خلال تحينهم الفرص؛ إذ استغلوا ما مر به النبي ﷺ وما تعرض له المسلمون على يد بني لحيان من قتل وغدر<sup>(٤)</sup> عند ماء الرجيع<sup>(٥)</sup>، وكذلك ما حصل لهم في بئر معونة<sup>(٦)</sup>، كل ذلك شجع بني النضير على محاولة التآمر والغدر بالنبي ﷺ عندما جاء يطلب المعونة في دية الرجليين.

- ١- الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٤.
- ٢- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٨١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٢.
- ٣- ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ١٥٨.
- ٤- إن النبي ﷺ بعث بعضاً من النفر إلى الرجيع ليخبروا خبر قريش فسلخوا النجدية فاعتزتهم بنو لحيان فقتلوه فجهز النبي ﷺ لذلك سرية لقتال بني لحيان، للمزيد ينظر: المقرئ، إمتاع الأسعاج، ج ١٣، ص ٢٧١.
- ٥- الرجيع: ماء يعرف اليوم باسم الوطنية يقع شمال مكة على قرابة سبعين ميلاً، ينظر: الحربي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٣٨.
- ٦- البعثة التي أرسلها النبي ﷺ وكان عددها أربعين وقيل: هي سبعون إلى أهالي نجد لدعوتهم للإسلام ولما نزلوا بئر معونة، وهي أرض بين مكة وعسفان بعثوا أحدهم لدعوة عامر بن الطفيل إلى الإسلام فلم ينظر الكتاب وقام بقتل الرسول، للمزيد ينظر: الطاهري، جوامع السيرة النبوية، ص ١٤٣؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج ١، ص ٤٠٩؛ الحرزي، بهجة المحافل، ج ١، ص ٢٢٢.

فقد ذكر أن «خروج الرسول ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري»<sup>(١)</sup>، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهم، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف لما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله ﷺ إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد، فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرةً فيرخا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب<sup>(٢)</sup> أحدهم، فقال: أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة»<sup>(٣)</sup>.

إن قيام اليهود بالتآمر على النبي ﷺ هو من أكثر الأسباب التي رجحها كثير من المستشرقين ومنهم جلكريست؛ إذ قال: وادعى أنهم كانوا يتآمرون لقتله، وإدراكاً لمصير بني قينقاع، فقد كانوا على استعداد للمغادرة»<sup>(٤)</sup>، وهي محاولة منه للقول: إن إخراج بني النضير كان بناء على ادعاء من النبي محمد ﷺ وليس لسبب حقيقي يستحقون على أثره إخراجهم من المدينة.

ولكن يبدو أن السبب الرئيس لتدهور العلاقة بين الطرفين تعود لنقض اليهود لعهودهم ومواثيقهم وتآمرهم على حياة النبي ﷺ وتهديدهم أمن وسلامة المجتمع في المدينة؛ وذلك بتحالفهم مع العدو، وبذلك يتضح لنا أن قرار إجلاء بني النضير لا يمكن أن يكون وليد لحظة، أي أنه لا يمكن أن يكون قراراً متعجباً من قبل النبي ﷺ بل إنه كان نتيجة تجاوزات متراكمة قام بها يهود بني النضير بدءاً من انتصار النبي ﷺ يوم بدر إلى أن جاء يوم الدية عندما ذهب إليهم النبي ﷺ لطلب العون منهم؛ فهذه الأسباب هي التي كانت وراء قرار الجلاء»<sup>(٥)</sup>.

١- عمرو بن أمية الضمري، صاحب رسول الله، ينظر: السمعاني، الانساب، ج ٨، ص ٣٩٦.

٢- عمرو بن جحاش بن كعب بن بسيل النضري والذي انتدب ل طرح صخرة على النبي ﷺ من على ظهر البيت، ينظر، ابن سعد الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٥٧.

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٩٠.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p63-٤.

٥- الجميل، النبي ويهود المدينة، ص ١٧٤-١٧٦.

وإن كشف النبي ﷺ لنوايا بني النضير وما كانوا يرمون إليه أصبح من غير المعقول أن يأمن شرهم بعد أن انكشفت مخططاتهم بالإضافة إلى أن التعايش السلمي معهم أصبح ضرباً من الخيال لذلك أرسل إليهم ﷺ أحد أصحابه، وهو محمد بن مسلمة<sup>(١)</sup> الأوسي، وكانوا من حلفاء بني النضير ليلغهم القرار الذي توصل إليه نتيجة نقضهم العهد فقال: «اخرجوا من بلدي فقد أجلتكم عشراً فمن رأي بعد ذلك ضربت عنقه»<sup>(٢)</sup>، ثم إن النبي ﷺ أمر بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم<sup>(٣)</sup> «فأرسل إليهم عبد الله بن أبي... اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم...»<sup>(٤)</sup>. وقد تناول العديد من المستشرقين هذا الموضوع، ومنهم إدوارد جيبون<sup>(٥)</sup> إذ إن جرم بني النضير الأكبر أنهم تأمروا على النبي ﷺ لذلك حاصر حصونهم<sup>(٦)</sup>، وهو محاولة من قبل المستشرق في أن يذكر أن ذنب بني النضير غير ذي أهمية ولا يستحقون عليه الطرد من وجهة نظره.

في حين يرى فلهاوزن: «أن النبي ﷺ اضطر لاستعمال وسائل غير مقدسة في إخراج اليهود»<sup>(٧)</sup>، ولا يمكن معرفة الأساس الذي اعتمد عليه فلهاوزن في دعم مثل هكذا أمر، وماهي الوسائل غير المقدسة التي اعتمدها، أما مرجليوت فعندما يتناول مسألة بني النضير فإنه يميل إلى التشكيك في الرواية الإسلامية دون أن يكون لديه الدليل على بطلانها؛ فهو يشكك في هذا الأمر، أي بمسألة حادثة اغتيال النبي ﷺ وأن فكرة الاغتيال هي ثابتة في رأسه ﷺ بأن اليهود يرغبون في قتله استناداً إلى مقولة إن اليهود قتلة الأنبياء؛ فمن الممكن أن النبي ﷺ اقتنع أن اليهود حاولوا التآمر عليه<sup>(٨)</sup>.

١- محمد بن مسلمة: بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن مالك من الأوس وأمه أم سهم واسمها خليدة وقد أرسله النبي ﷺ إلى بني النضير، ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٥٧.

٢- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٦٧.

٣- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٦٦.

٤- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٥٥٤.

٥- إدوارد جيبون: (١٧٣٧-١٧٩٤) يعد من أعظم المؤرخين الإنكليز ومن أشهر كتبه تاريخ اضمحلال الدولة الرومانية، للمزيد ينظر مؤنس، التاريخ والمؤرخون، ص ٧٠.

٦- Gibbon Eand simonAckley the Saracens : their History and fall oftheir Empire, p.p35-٦.

٧- تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص ٢٢.

٨- Margoliouth Muhammad and the Rise of Islam seconded, p314-٨.

أما وات فإنه حاول التشكيك في مسألة غزوة السويق التي قادها أبو سفيان؛ وذلك لغرض نفي تورط بني النضير في التجسس لصالح المكين<sup>(١)</sup>، فهو بادعائه هذا يحاول أن يظهر النبي ﷺ مثله مثل أي إنسان عادي يتخذ من القرارات ما يمكن أن يكون فيه خاطئاً تماماً فحملته على بني النضير لم يكن لها أي مسوغ أو حجة قانونية.

أما المستشرق بول<sup>(٢)</sup> فقد حاول أن يتجنب الصواب أو ذكر الحقيقة بقوله «إن القرآن قد ألصق بهم كل أنواع الجرائم وأنهم بعد محاصرتهم عدة أسابيع اضطروا إلى الهجرة إلى سوريا وخيبر<sup>(٣)</sup> وقد خلفوا وراءهم ثرواتهم من الذهب والفضة التي احتفظ بها الرسول ﷺ لنفسه»<sup>(٤)</sup>.

وهو أمر لا يمكن الوقوف إلى جانبه؛ لأن النبي ﷺ بعد جلائهم أخذ ماتم السيطرة عليه وقسمه بين الفقراء من المهاجرين، حيث ذكر «واحتمل اليهود فنزلوا خير منهم من نزل وسار آخرون إلى أذرعات بالشام، وتركوا ما وراءهم للمسلمين مغنم كثيرة من غلال وسلاح بلغ خمسين درعاً وثلاث مئة وأربعين سيفاً، ثم كان ما خلّت اليهود من الأرض التي كانوا يملكون خير ما غنم المسلمون على أنّ هذه الأرض لم تعتبر أسلاب حرب، ولذلك لم تقسم بين المسلمين، بل كانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء وقد قسمها على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار بعد أن استبقى قسماً خصصت غلّته للفقراء والمساكين»<sup>(٥)</sup>، وبذلك يكون ادعاء بول قد فند استناداً إلى قسمة النبي ﷺ للمغنم.

١- نقلاً عن، النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ص ١٩٨.

٢- بول : مستشرق دنماركي، ولد في كوبنهاجن وكان أستاذ اللغات السامية وله كتاب في جغرافية فلسطين القديمة، وكتاب حياة محمد، ينظر : عبد الحميد، طبقات المستشرقين، ص ١٠٧.

٣- أرض خيبر على ثمانية برد من المدينة، وبها حصون كبيرة، وأول حد خيبر الدومة وهو واد، وسوق خيبر اليوم المرطة وكانت خيبر في صدر الإسلام دار بني قريظة، للمزيد ينظر : الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج ٢، ص ٢٢٨.

٤- Buhl . F. art . Muhammad SEL, pp .390 - 405.

٥- هيكلم، حياة محمد ﷺ، ص ٢٠٠.

أما المستشرق جرونيام<sup>(١)</sup> فقال : «إن النبي ﷺ اعتمد على ذريعة تافهة لإجلالهم من المدينة وأن الغرض من نفيعهم هو تقوية مركزه في المدينة»<sup>(٢)</sup>، ولا يمكن أن يكون كلام المستشرق هذا صحيحاً؛ لأن النبي لم يكن من الطامعين في السلطة فالسلطة كانت بيده منذ دخوله إلى المدينة وإنما كان السبب هو لضمان أمن المدينة وسلامتها بسبب غدرهم وأنهم كانوا عيوناً لأعدائه .

ثم ذكر جلكريست ما تناولته المصادر الإسلامية في معرض حديثه عن حصار النبي ﷺ لبني النضير أنه أمر بقطع وحرق بساتينهم حيث ذكر : «أمر النبي أصحابه بقطع أشجار النخيل العائدة لهم صرخ اليهود في الحي في وجه محمد: كنت قد حظرت التدمير الجائر وألقوا باللوم على المذنبين الذين قاموا بهذه الأعمال، لماذا إذن تقطع وتحرق أشجار نخيلنا»<sup>(٣)</sup>، وأراد المستشرق من ذلك أن يوضح مدى تجرد النبي ﷺ من كل معاني الانسانية من خلال قيامه بهذا العمل، ولو تأملنا الموضوع جيداً لوجدنا أنه كان يتعارض مع ما ذكر عن النبي ﷺ في أنه كان يوصي أصحابه بأن لا يقتلوا شيخاً أو طفلاً أو امرأة، وأن لا يقطعوا شجرة، هذه هي أخلاق النبي ﷺ التي يتحدث عنها جلكريست ويصورها على أنها خالية من كل المعاني السامية، فقد «كان رسول الله ﷺ يقول : لا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها»<sup>(٤)</sup>، ثم إن الذي يطلع على سورة الحشر والتي يقال: إنها نزلت بخصوص بني النضير؛ ففي قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾<sup>(٥)</sup> وهو تنبيه على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو<sup>(٦)</sup>، ومن ثم يمكن أن نذهب

١- جرونيوم : مستشرق نمساوي ولد عام ١٩٠٩ ودرس في جامعة برلين ثم هاجر إلى الولايات المتحدة وكان من أسرة يهودية ثم اعتنق الكاثوليكية وأصبح أستاذاً في جامعة نيويورك ثم شيكاغو ثم كاليفورنيا وله نتاج علمي غزير للمزيد ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ١٨٢.

٢- نقلاً عن، الجميل، النبي ويهود المدينة، ص ١٨٥.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p63-٣.

٤- البرقي، المحاسن، ج٢، ص ٣٥٥، الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص ٥٦٦، الجندي، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ص ٣٣٠.

٥- الحشر، ٥.

٦- الروض الألف، ج٦، ص ١٦١.



إلى ماذهب إليه السهيلي من أن النبي ﷺ لم يحرق أو يقطع من نخلهم إلا ما ليس به قوت الناس وقد تأكد ذلك في قول الله تعالى ﴿وما قطعتم من لينة﴾ ولم يقل «نخلة»، ثم إن الله كذب الرعب في قلوبهم وسألوا النبي ﷺ أن يُجليهم من المدينة على أن لهم ما تحمل الإبل فأخرجوا إلى خيبر<sup>(١)</sup>.

وذكر جلكريست أن «فعل محمد كان متناقضاً بشكل مباشر مع أوامر الله في الكتاب المقدس حيث يقول لشعبه بأن لا يرفع الفأس أبداً لقلع أشجار أي مدينة قد يكونوا في حرب معها أو يحاصروها سمح لهم أن يأكلوا ثمار هذه الأشجار ولكن ليس قطعها»<sup>(٢)</sup>. إن تحامل جلكريست على النبي ﷺ وعلى القرآن دفعه هذه المرة إلى الاستدلال في كتاب العهد الجديد بدلاً من القرآن حيث كان في كثير من الأحيان يحاول أن يقوي ويدعم رأيه بدليل قرآني انطلاقاً من مقولة من فمك أدينك لأنه لم يكن يعترف بالقرآن، لكننا نراه هذه المرة يدعم قوله بالإنجيل؛ لأنه لو ذكر ما نزل في سورة الحشر لفسر الموضوع نفسه بنفسه ومن ثم يكون رأيه غير جدير بالاهتمام، ثم إن المعروف عن اليهود عندما ينزحون «يحتملون من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف»<sup>(٣)</sup>.

وهو ما يعزز أمر عدم صحة رواية حرق وقطع النخيل؛ إذ ذكر أن اليهود من «بني النضير امتنعوا منه بحصونهم، فقطعوا نخلهم وشجرهم، وأضرمو النار عليهم، فلما رأى ذلك صالحهم...»<sup>(٤)</sup>، من هنا يتضح أن هذه القصة ربما تكون رغبة من اليهود في عدم منح المسلمين خيار الاستفادة من أرضهم ونخلهم لأنهم كانوا عازمين على إخراجهم لذلك عمدوا إلى حرق بساتينهم بأنفسهم.

١- السهيلي، الروض الألف، ج ٢، ص ٢٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٧٣.  
Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p63-٢.

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٩١.

٤- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٢٢٧.

### ٣- يهود بني قريظة

من أكثر الموضوعات التي أثارت لغطاً كبيراً بين الكثير من المستشرقين، ولاسيما مَنْ تحامل منهم موضوع جلاء النبي ﷺ لبني قريظة، وبنو قريظة فخذ من جذام إخوة النضير نزلوا بجبل يقال له قريظة نسبوا إليه، وقيل: إن قريظة اسم جدّهم<sup>(١)</sup>.

وقد أثار جلكريست موضوعهم لغرض إظهار مظلوميّتهم من خلال قيام النبي ﷺ بإخراجهم من المدينة حيث ذكر: «كان بنو قريظة هم آخر من يرحل، مرة أخرى يتم التعامل معهم بعد وقت قصير في واحدة من المواجهات الكبرى لمحمد مع قبيلة قريش من مكة، وهذه المرة المعركة السيئة الطالع معركة الخندق»<sup>(٢)</sup>.

في محاولة منه لإعطاء تسويغ لليهود في نقضهم للعهود والمواثيق التي ارتبطوا بها مع النبي ﷺ وهو ما أكدّه المستشرق سرجنت<sup>(٣)</sup> بالقول: «وقد كان محمد مدرّكاً تمام الإدراك لهذه المعارضة والتوازنات يثرب ولذلك سعى منذ البداية إلى تنظيم ما للعلاقة بينه وبين كل سكان هذه البلاد فيما عرف باسم صحيفة المدينة»<sup>(٤)</sup>، ولكنه لا يعطي النبي ﷺ الحجة والذريعة في محاربتهم لأنهم نكثوا بوعودهم، والذي دفع النبي ﷺ بعد ذلك لمهاجمتهم وإخراجهم من المدينة فيما بعد .

ثم تطرق إلى أنه عندما كانت المدينة والمسلمون يتعرضون لغزو الأحزاب حصل هناك اتفاق بين قريش ويهود بني قريظة لغرض تأمين وصولهم ودخولهم إلى المدينة للقضاء على المسلمين<sup>(٥)</sup>.

١- شايب، دور اليهود التخريبي، ص ٣٥٥.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p63-64.

٣- روبرت برترام سرجنت (١٩١٥ / ١٩٩٣ م) : مستشرق بريطاني درس في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية في لندن وحصل على الدكتوراه في اللغات السامية من جامعة أدنبرة وعمل بهيئة الإذاعة البريطانية وأصبح رئيساً لقسم اللغة العربية الحديثة في جامعة كمبرج ويعد من أفضل المستشرقين الذين عملوا في تاريخ اليمن، للمزيد ينظر : سرجنت، العهود مع يهود يثرب وتحريم جوفها، ص ١ مقدمة المترجم.

٤- سرجنت، العهود مع يهود يثرب وتحريم جوفها، ص ٤.

٥- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p64-٥.

إن إجلاء النبي ﷺ لبني القينقاع وبني النضير لم يبق في المدينة سوى بني قريظة الذين كان عليهم أن يتعظوا من العقوبة التي أصابت الطرفين، وأن لا يجازفوا بنقض العهد مع النبي ﷺ فلم يعتبروا لما سبق وتآمروا مع جبهة الأحزاب وقد شكلوا بموقفهم هذا خطراً كبيراً هدد دين الإسلام بالزوال<sup>(١)</sup>.

في حين أكد وات ما فعله يهود بني النضير بقوله : «عمل يهود بني النضير الذين طردوا إلى خيبر ولج بهم الحنين إلى العودة لأراضيهم في المدينة على جمع هذه المحالفة فواعدوا بني غطفان إذا اشتركوا في القتال بنصف محصول التمر في خيبر»<sup>(٢)</sup>.

واستطاع النبي ﷺ اتباع سياسة تفرقة الأحزاب من خلال خلق حالة من عدم الاطمئنان بينهم فقد روي أن : « رسول الله ﷺ بلغه أن بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان : إنكم إذا التقيتم أنتم ومحمد أمددناكم وأعناكم. فقام النبي ﷺ خطيباً فقال : إن بني قريظة بعثوا إلينا إنا إذا التقينا نحن وأبا سفيان أمدونا وأعانونا ! فبلغ ذلك أبا سفيان فقال : غدرت يهود فارتحل عنهم»<sup>(٣)</sup>.

وقد كان هناك عهد بين النبي ﷺ وبين بني قريظة ويمكن إدراك ذلك من خلال المحاوراة بين زعيم قريظة وهو يحاور حيي بن أخطب<sup>(٤)</sup> من زعماء بني النضير الذي كان من جبهة الأحزاب التي انضمت لقتال المسلمين حيث سعى لاستمالته لنصرة الأحزاب في حربهم مع المسلمين فكان جواب كعب بن أسد القرظي<sup>(٥)</sup> زعيم بني قريظة ؛ ويحك إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه من عهد فلم أجد منه إلا وفاء وصدقا<sup>(٦)</sup>.

١- الغزالي، نظرة تحليلية في كتاب حياة محمد ﷺ للمستشرق الإنكليزي وليم موير، ص ٩٥.

٢- نقلاً عن : النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ص ٢٠٢.

٣- الحميري، قرب الإسناد، ص ١٣٣.

٤- حُيَيَّ بن أخطب اليهودي زعيم بني النضير، قتله النبي ﷺ وابنته صفية إحدى أمهات المؤمنين اصطفاها النبي ﷺ، للمزيد ينظر : الدار قطني، المؤلف والمختلف، ج ٢، ص ٧٨٦.

٥- كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم مع النبي ﷺ، ينظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٤٥٨.

٦- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٢٠.

فمثلما تمكن بنو النضير من جمع أحزاب المشركين لحرب المسلمين فإنهم قاموا بإقناع يهود بني قريظة بنقض العهد مع النبي ﷺ ومن ثم السماح للمشركين بدخول المدينة من الجنوب. وتناول ابن هشام مسألة نقض بني قريظة لعهدهم إذ قال: «وعظم عند ذلك البلاء واشتد عليهم الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين ... كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، واحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط»<sup>(١)</sup>.

وقد تناولنا حادثة حصار الأحزاب للمدينة بشكل مفصل في معركة الخندق وكيف استطاع النبي ﷺ من زرع بذور الشك والفرقة بينهم عن طريق نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني وكانت غزوة بني قريظة نتيجة من نتائج معركة الخندق حيث تم فيها محاسبة يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد مع النبي ﷺ في أحلك الظروف وأقساها<sup>(٢)</sup>.

إذ ذكر المستشرق جلكريست «نجح المسلمون في زرع انعدام الثقة بينهم، و مع استمرار الحصار، وعندما انسحبت قبيلة قريش، بقي اليهود بلا حول ولا قوة»<sup>(٣)</sup>، و«حاصرهم شهراً، أو خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتد عليهم الحصار قيل لهم، انزلوا على حكم رسول الله ﷺ ... فقالوا: نزل على حكم سعد بن معاذ... فإني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء»<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر المستشرق جيورجيو ذلك بالقول: «خالفت قريظة العهد، وأهملت العقد، وسعت إلى الاتفاق مع الخصوم لضرب المسلمين من الخلف، لذا توجب عليهم الإعدام لم يصدر المسلمون هذه الفتوى، بل أعلنها رجل اعتبره اليهود صديقاً لهم، وهم الذين اختاروه لهذه المهمة»<sup>(٥)</sup>.

١- السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٢٢.

٢- محي الدين، جيش الاتحاد ومحاصرة المدينة المنورة، ص ٣٦٣.  
٣- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p64.

٤- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥٨٧-٥٨٨.

٥- نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ص ٣٠٣.

وهو ما دفع جيورجيو للقول إن: «بني قريظة نقضوا عهد المدينة، فاتحدوا مع أعدائها، في حين إن الواجب كان يحذوهم إلى الدفاع عن بلدتهم ضد المهاجمين والرسول ﷺ في معركة أحد قال لهم إن هذه الحرب دينية، ولستم مضطرين إلى الخروج مع المسلمين، والحرب في صفهم، ولا سيما أن المعركة جرت خارج المدينة، أما الآن فهم داخل الخندق حين رأى بنو قريظة أن المشركين رحلوا، وتفرغ لهم المسلمون، أحسوا بالخطر يداهمهم لخياتتهم، فتحصنوا في قلاعهم ومنازلهم»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن هشام: «ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث<sup>(٢)</sup>، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ... وفيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ إرسالاً: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

وتناول جلكريست هذا الحادث من زاوية أخرى حيث قال: «لا يوجد ذكر آخر لمثل هذه المذابح بالجملة للأسرى»<sup>(٤)</sup>، في محاولة للتغافل منه عن إيجاد تشابه مع حادثة الأخدود<sup>(٥)</sup> والتي حدثت في اليمن مع المسيحيين وقد ذكرها القرآن باسم حديث

١- نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ص ٣٠٠.

٢- رملة بنت الحارث من الأنصار من بني النجار وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة وهي التي حبس يهود بني قريظة في دارها، ينظر، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٣٠٥.

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٤٠.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p64.

٥- وهي رواية تذهب إلى أن ذا نواس كان يهودي متعصباً فقدم عليه يهودياً يقال له دوس من أهل نجران - فأخبره أن القوم قد قتلوا له بنين ظلماً، فاستنصره عليهم - وأهل نجران نصارى، فغضب ذو نواس لليهودي وشن حملة على أهل نجران ثم خيرهم بين اليهودية أو القتل فاخترأوا القتل، وهنا حفر لهم أخدوداً ثم أضرم فيه النار وألقاهم فيه وقد اختلف في عددهم، للمزيد ينظر: مهرا، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (بلد العرب)، ص ٣٥٧.

الاحدود ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ \* النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ \* إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ \* وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعُلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾<sup>(١)</sup> ومن ثم يتضح من خلالها مدى حقه على الإسلام وتشويهه لإنسانيته وإظهاره على أنه أكثر تعطشاً لسفك الدماء منه للإسلام، حيث لم يورد أي تفاصيل عن حادثة الأخدود .

ولقد تطابق المستشرق جلكريست في ذكر روايته مع ما تناولته الرواية الإسلامية، ولكن ما يعاب عليه هو أنه قد اعتمد على المنهج الثقلي في إيرادها دون إخضاعها للتدقيق والتمحيص والنقد وذلك للوصول للحوادث التي تدعم رأيه الذي من أجله قام بتأليف هذا الكتاب لغرض النيل من شخص النبي ﷺ، فتراه يعتمد على الروايات الضعيفة والشاذة وخير دليل على ذلك هو ماورد في هذه الرواية والتي لو دقق المستشرق النظر فيها لبعض الوقت لوجد نفسه قد ابتعد عن ما ذكره في بعض مواقع الكتاب من خلال ذكره للصفات الإنسانية للنبي ﷺ، ثم محاولاته المستمرة لاجتزاء النص دون أخذ الرواية كاملة بل إنه كان يقتطع بعض الأحداث المعينة لغرض تزيينها من وحي الخيال الواسع الذي أعده مسبقاً، والذي يؤدي به من ثم إلى الابتعاد عن الموضوعية في اختيار وعرض الرواية. ولو دققنا البحث والتقصي العلمي في محور الرواية الإسلامية لوجدنا بعض الأمور التي من خلالها لا يمكن الركون إليها وهي : أن الرواية تشير إلى أن عدد الأسرى قد بلغ ٧٠٠ إلى ٩٠٠ رجل فهل يعقل أن تتسع الدار التي وضعوا فيها هذا العدد وهي دار بنت الحارث. وعلى الأغلب لم تكن الدور كبيرة جداً في ذلك العهد، وهل يبقى هؤلاء الأسرى خاضعين قانعين وهم يساقون إلى الموت وهم عارفون بمصيرهم، وكيف يقبل النبي ﷺ الشفاعة في بعض منهم دون الآخرين وبخاصة

مسألة رفاعة<sup>(١)</sup> بن سموأل القرظي<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن ابن إسحاق فقد كان مصدره في إيراد هذه الرواية هو محمد بن كعب القرظي<sup>(٣)</sup> وعطية القرظي<sup>(٤)</sup> وهؤلاء هم من اليهود وبذكرهم لهذا العدد هو لغرض تضخيم وتفخيم العقاب الذي استحقه اليهود لما فعلوه من نقض لعهدهم مع النبي ﷺ.

ثم إن عطية القرظي، قال: «كان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل بني قريظة كل من أنبت منهم، وكنت غلاماً فوجدني لم أنبت، فخلوا سبيلي»<sup>(٥)</sup>. وهنا يتبادر إلى الذهن هو لماذا اعتمد ابن إسحاق على رواية هؤلاء اليهود أما كان الأجدر به أن يعتمد على الروايات التي جاءت من قبل الصحابة والذين كانوا قد حضروا هذه الحادثة بدلاً من هذا الشخص اليهودي وإن كان قد أسلم؟

هذا بالإضافة إلى أن العرب كانت تؤرخ سابقاً عن طريق الشعر ولكننا لانرى أي اشارة لمثل هذه الأبيات، ولم نجد لهذه الموقعة أو المكان الذي حدثت به هذه الحادثة إشارة في كتب التاريخ والجغرافية، أو حتى ذكر أسس للأخدود الذي ذكره جلكريست في روايته التي انساق وراءها، وهذا ما يؤكد أمراً ضرورياً ومهماً هو أن النبي ﷺ قد قام بقتل الزعماء الذين نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ دون غيرهم من الذراري وهم قلة .

وقد تناقلت الروايات الإسلامية الاختلاف في مسألة أعداد الذين قتلوا في هذه الغزوة وما فيها من تفاوت كبير حيث ذكر ابن هشام أن عددهم « ستة مائة أو سبعة مائة

١- كانت سلمى بنت قيس وكنيتها أم المنذر أخت سليط بن قيس وهي إحدى حالات النبي ﷺ حضرت بيعة النساء، وصلت معه القبليتين وقد سألت النبي الأكرم في أمر رفاعة وكان يعرفها قبل هذا الوقت فلاذ بها فقالت: يا بني الله بأبي أنت وأمي هب لي رفاعة فإنه زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل فوهبه لها، ينظر: ابوفارس، الصراع مع اليهود، ج٢، ص١١٦.

٢- رفاعة بن سموأل القرظي صحابي وهو خال صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين، ينظر: السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، ص٣٤٨.

٣- محمد بن كعب القرظي، اليهودي المدني وهو من التابعين، وقد كان ممن ينقل عنه، ينظر: حمادة، أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة، ص٣٧.

٤- عطية القرظي: لا يعرف اسم أبيه، كان من سبي قريظة ووجد يومئذ ممن لم ينبت فخلى سبيله. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٤٤؛ خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ص٢٠٦؛ ابن حبان، الثقات، ج٣، ص٣٠٧.

٥- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٤٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٦.



والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة»<sup>(١)</sup> وقيل: «وكانوا أربعة مئة»<sup>(٢)</sup>. في حين ذكر أن من «أمر رسول الله ﷺ بقتلهم من بني قريظة كانوا أربعين رجلاً»<sup>(٣)</sup>، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى التزوير والتلفيق في مثل هكذا روايات ومن ثم فإنها من الروايات المكذوبة والموضوعة التي يراد منها تشويه الإسلام ونبيه بالقدر الكبير الذي سعى المستشرقون لغرض الاستفادة منها لتشويه شخصية النبي ﷺ بالاعتماد عليها دون إخضاعها للمراجعة والتحليل، ومن ثم لا يمكن الركون إلى قول جلكريست في أن النبي ﷺ بقيامه بهذا العمل فإنه لا يحمل من المعاني الانسانية الشيء الكثير والذي أكدته المستشرق فريتجون شيون<sup>(٤)</sup> بقوله: «وحين نطلع على حياة محمد من خلال المصادر التقليدية تبرز لنا ثلاثة عناصر يمكن أن نحددها بالكلمات التالية: التقوى وروح النضال وسمو النفس، وأنه من الأهمية بمكان إثبات أن الرسالة المحمدية لم تكن وليدة عبقرية محمد الإنسان ... وإنما هي أساس وليدة الخيار الإلهي»<sup>(٥)</sup>.

وزعم جلكريست أن «الرعب الهائل من النظر في قطع الرأس والدفن الجماعي للكثيرين حتى يقال إن عمليات الإعدام استمرت حتى المساء»<sup>(٦)</sup>، إن جلكريست عند عرضه لهذه الرواية لم يذكر لنا ما المصدر الذي اعتمد عليه في استسقاء معلوماته التي أوردها لنا، وهو أمر اعتدنا الاطلاع عليه في كثير من رواياته، في محاولة منه إلى تشويه الإسلام في حبه لسفك الدماء. وتوصل الباحث مما سبق ذكره إلى أن الاستشراق اليوم يحاول إنكار كل معالم ومقومات الثقافة الإسلامية والحضارية التي اتصف بها الإسلام ونبيه ﷺ من خلال التعامل الإنساني مع اليهود بطوائفه الثلاث بوصفهم حاملي أحد الأديان السماوية، وعليه فإن كل ما ادعاه

١- السيرة النبوية، ج٢، ص٢٤١.

٢- النسائي، السنن الكبرى، ج٨، ص٥٤.

٣- أبو عبيدة، الأموال، ص١١٠؛ العلي، الدولة في عهد الرسول، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج١، ص١٩٨؛ الملاح، الوسيط، ص٢٥٤.

٤- لم أعثر له على ترجمة في المصادر التي تم الاطلاع عليها.

٥- شيون، كيف نفهم الإسلام، ص١٠٢.

٦- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p64-

جلكريا يست عن معاملة النبي ﷺ لليهود بأنها كانت معاملة قاسية إلا أنها لم تكن ظالمة وذلك بالنظر إلى الجرم الذي ارتكبه فكانوا يستحقون ما حصلوا عليه من عقاب.

وقد تناول عدد كبير من الباحثين هذا الحادث واستطاع الباحث محمد علي<sup>(١)</sup> الرد على هذه الفرية التي ذكرها الكم الهائل من المستشرقين الذين تعاطفوا مع اليهود حيث قال: «وهكذا حكم سعد، وفقاً للشريعة الموسوية، بقتل ذكور بني قريظة، وعددهم ثلاثمائة، وبسبي نسائهم وأطفالهم، وبمصادرة ممتلكاتهم ومهما بدت هذه العقوبة قاسية فقد كانت على وجه الضبط العقوبة التي كان اليهود ينزلونها، تبعاً لتشريع كتابهم المقدس، بالمغلوبين من أعدائهم... وكان الحكم منطقياً أشد انطباق مع شريعتهم المقدسة نفسها»<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما دفع وات إلى القول: «لقد قامت في صفوف المستشرقين في السنوات الأخيرة محاولة إيجابية تحاول النفاذ بصدق إلى أعماق الفكر الإسلامي بل وعدم الاعتماد على السطحية التي صبغت معظم دراساتهم السابقة»<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من وجود بعض الحالات لبعض المستشرقين لمحاولة التخلص من التعصب والتحامل على الإسلام تعثرت كل محاولاتهم بموروثهم الديني القديم وما قدمه المستشرقون الذين سبقوهم في هذا المجال<sup>(٤)</sup>.

وقد قال المستشرق الفريد لويس<sup>(٥)</sup>: «إنها أول حرب فتح حقيقية للمسلمين تمت ضد اليهود فقد قتلوا أو نفوا ووزعت أرزاقهم وأراضيهم على الفاتحين وأسرهـ

١- محمد علي: هو محمد علي جوهر قائد سياسي وشاعر هندي ولد في ولاية رامبور وعمل مديراً للتعليم في ولاية لامبور، وأصبح واحداً من المؤسسين المساعدين في جامعة الملة الإسلامية وانتخب رئيساً للمؤتمر الوطني الهندي، للمزيد ينظر موسوعة الوكيبيديا على الأنترنت <https://ar.wikipedia.org/wiki>

٢- اللاهوري، حياة محمد ورسالته، ص ١٧٥.

٣- نقلاً عن، الشرقاوي، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، ص ١٦-١٧.

٤- الشرقاوي، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، ص ١٧.

٥- الفريد لويس دي بريار: هو الفرد لويس دي بريار الذي كان قبل وفاته عام ٢٠٠٦ أستاذاً في جامعة بروفانس ومدرساً وباحثاً في معهد الأبحاث والدراسات، حول العالمين العربي والإسلامي، يبحث في كتابه الموسوم «تأسيس الإسلام»، مسألة تأسيس الإسلام من منظور تاريخي محاولاً طرح فرضيات جديدة حول مرحلة ظهور الديانة الإسلامية وانتشارها انطلاقاً من كتابات تاريخية إسلامية وأجنبية قديمة، واعتاداً على النقوش والوثائق والنصوص المبكرة التي وجدت في الرقعة الجغرافية التي انتشر عليها الإسلام في عقوده الأولى، ينظر، دي بريار، تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ، ص ٣ مقدمة المترجم.



وسبيت نساؤهم وأطفالهم بل واحتفظ محمد لنفسه بإحدى نسائهم طبقاً للعادات المتبعة من جانب الزعماء المنتصرين»<sup>(١)</sup>.

وقال المستشرق اتين دينيه «إن القاعدة التي يجري عليها المسلم في علاقاته بأصحاب الديانات الأخرى هي تلك التي حددها القرآن ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾<sup>(٢)</sup> وكيف لا يكون المسلم متسامحاً وهو يجل الأنبياء الذين يبجلهم اليهود والنصارى فموسى كليم الله وعيسى روح الله»<sup>(٣)</sup>.

أما المستشرق آرنولد توينبي فإنه يقول «لم يقبل يهود يثرب كما قبل وثنيوها دعوة محمد إلى الإسلام لكن اليهود تصرفوا متهوراً أخرق دون أن يكون لذلك داع فإنهم فضلاً عن نيلهم من القرآن بالذات، نظموا عصياناً واشتركوا في مؤامرة ضد المسلمين فحل بهم العقاب»<sup>(٤)</sup>.

لذلك فإن الحكم الذي صدر على بني قريظة كان حكماً عادلاً استهدف المحافظة على دين الإسلام والمسلمين من محاولات اليهود للقضاء عليهم»<sup>(٥)</sup>.

#### المبحث الرابع:

##### مآخذ جلكريست حول تعدد زوجات النبي ﷺ

لا تقل أهمية تعدد الزوجات للنبي ﷺ عن أهمية ما أثير من افتراءات حول زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة عليها السلام فقد عمد كثير من المستشرقين إلى محاولة إظهار حقدهم الدفين وجلكريست واحد منهم، ولكنه استعمل أسلوباً آخر وهو أنه حاول إثارة الشكوك ولكن بأسلوب أخف باعتماد أساليب لغوية محددة والتلاعب بالألفاظ كي يبرز مدى حياديته؛ إذ ذكر «قبل فترة وجيزة من هجرته إلى المدينة فقد محمد زوجته

١- تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ، ص ١٠٩.

٢- الكافرون، ٦.

٣- نقلاً عن، خليل، ماذا قالوا في الإسلام، ص ٢٨٥.

٤- تاريخ البشرية، ج ٢، ص ٨٧.

٥- الغزالي، تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية، ص ١٢٧.

خديجة وهي الوحيدة من زوجاته في مكة وقد أثار الزواج ضجة وفرحاً واستمر لمدة خمسة وعشرين عاماً غير أن وفاتها أضافت أعداداً متزايدة من الزوجات إلى أن كان هناك تسعة على الأقل في وقت وفاته في مدينته التي اتخذها خلال حوالي الاثني عشر عاماً اللاحقة<sup>(١)</sup>. لم ينوه جلكريست إلى مبدأ تعدد الزوجات، والذي كان سائداً سواء عند عرب قبل الإسلام أو عند الكثير من الأنبياء، فهي مسألة متاحة في كثير من الأديان حيث بدأ بكيال التهم والذرائع لغرض تشويه صورة النبي ﷺ حيث أخذ أول الأمر بإجراء تعداد للأزواج التي قام النبي ﷺ بالزواج منها في المدينة وفي مقدمتها سودة بنت زمعة حيث ذكر «وهي امرأة كان لها ابن وهرب إلى الحبشة أثناء اضطهاد المسلمين الأوائل في مكة»<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن الأمر قد اختلط عليه لأن الذي هاجر هو زوجها وهو ابن عمها كما تشير إلى ذلك الروايات التاريخية «ثم تزوج النبي ﷺ بعد وفاة خديجة سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران بن عمرو»<sup>(٣)</sup> وكان ابن عمها تزوجها فهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مكة فمات عنها مسلماً»<sup>(٤)</sup>.

ثم استمر جلكريست بإيجاد الذرائع والحجج وما استطاعت يديه من الوصول إليه لغرض التعرض لزوجات النبي ﷺ؛ إذ تطرق لزواج النبي من عائشة «... في هذا الوقت أيضاً يربط نفسه أيضاً مع (عائشة) الصغيرة جداً والتي قيل إنها كانت بعمر تسعة أعوام فقط في ذلك الوقت. كانت ابنة رفيقه المقرب أبي بكر...»<sup>(٥)</sup>.

ثم تزوج السيدة عائشة بنت أبي بكر بعد سودة بنت زمعة وهي بكر لم يتزوج بكراً غيرها<sup>(٦)</sup>. وهو متفق مع ما موجود في المصادر الإسلامية ولكنه يقوم بعد ذلك بإثارة

١- Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p67-١

٢- Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p67-٢

٣- السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، ابن الاثير، اسد الغابة، ج ٢، ص ٥٠٤.

٤- ابن إسحاق، السير والمغازي، ج ٣، ص ٢٧٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٦١.

٥- Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p67-٥

٦- ابن إسحاق، السير والمغازي ج ٢، ص ٢٧٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٦٢-١٦٣.

الفوضى بكلامه حول السيدة عائشة والتي هي زوجة النبي ﷺ إذ خرج لنا بقول: «على الرغم من صغرها، امرأة متقدمة أصبحت مصدراً لفضيحة صغيرة في المدينة، فقد تركت في الوراء في رحلة العودة إلى المدينة، وفي نهاية المطاف جُلبت وحدها من قبل أحد صحابة النبي، صفوان<sup>(١)</sup> من مكة»<sup>(٢)</sup>.

ويمكننا الآن أن نرى مدى تحامل جلكريست على النبي المصطفى ﷺ حيث ابتدأ بإثارة الشكوك حول إحدى زوجات النبي ﷺ من خلال ذكره لقصة كان الغرض منها اتهام زوجة النبي ﷺ بأنها كانت مصدر فضيحة ولاسيما ما يطلق عليه في المصادر الإسلامية حادثة الإفك، والتي سنأتي على عرضها وكان الهدف منها هو ضرب الكيان الأسري والاجتماعي للنبي ﷺ لإشاعتهم مثل هذه الحادثة.

وقد أوردها عدد كبير من الرواة ولكننا سوف ننتقي منها رواية ابن إسحاق والزهري<sup>(٣)</sup> ونقارنها مع بقية الروايات الأخرى على اعتبار أن جلكريست قد اعتمد بشكل كبير على ابن هشام في معلوماته التي ذكرها حيث يذكر «.... كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>، وبمراجعة هذه القصة نرى أن النبي ﷺ كان الغرض من خروجه هو للحرب وبخاصة بعد أن سمع أن بني المصطلق يعدون العدة لمهاجمة المدينة؛ فكيف بالنبي ﷺ وهو الرجل القيادي والذي يتمتع بمؤهلات تؤهله لقيادة المسلمين أن يأخذ نساءه معه، وما دور المرأة في هذه الحرب إذا ما تمحصنا نرى أن جميع من اشترك بالمعركة لم يصبحوا نساءهم معهم فلم يكن همه سوى إعداد

١- صفوان بن المعطل بن سليم السلمى الذكواني يكنى بأبي عمرو وقيل: أسلم قبل المريسيع وشهد ما بعدها وقيل: أسلم قبل ذلك وقتل في غزوة أرمينيا (١٩هـ) في خلافة عمر بن الخطاب. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٢٥.  
٢- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p67-68.

٣- الزهري: أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، لقب بعالم الحجاز، كان من رواد البلاط الأموي، روى عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر، من رواد السيرة الأوائل استعان به عمر بن عبد العزيز لكتابة السيرة طلبت أخته من الناس أن يكذبوه لأنه ارتمى في أحضان الأمويين بكتب لهم توفي عام (١٢٤هـ)، للمزيد ينظر: البرقي، الرجال، ص ٨؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج ٤، ١٧٧-١٧٩.

٤- السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٩٧.

العدة لمواجهة الخطر المحدق في المدينة، ويمكن للقارئ أن يتوصل إلى أمر مهم، وهو أن من أراد وضع هذه القصة حاول سإبراز دور النبي ﷺ هو أنه وفي أشد الحالات وهي المعركة لا ينفك من التفكير بالنساء، حيث كان يصحبهن معه إلى المعركة، ويبدو أن واضع هذه القصة قد أراد أن يجد سبباً لخروج النساء في المعارك وبخاصة في العصر الاموي «وهي أن بني أمية كانوا يخرجون بنسائهم في الحروب فأرادوا إيجاد مسوغ شرعي بخروجهم للحرب بنسائهم»<sup>(١)</sup>. وهو بذلك يخالف ما قاله النبي ﷺ ((عليك بالبيت فإنه جهادكن))<sup>(٢)</sup>.

ثم إذا أخذنا محور الرواية وهي «... ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد فيه جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري فلما رجعت ذهبت التمسّه في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس بالرحيل فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد فرغوا من رحله فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع فاحتملوه...»<sup>(٣)</sup>. ويمكن أن نجزي النص لكي نصل به إلى الحقيقة التي يمكن من خلالها معرفة مدى صواب الرواية وهي أننا لانعلم ما سبب خروجها وحيدة في تلك الغزوة<sup>(٤)</sup>، وقيل في بعض الروايات: إن أم سلمة فيها<sup>(٥)</sup>، وإذا دققنا النظر في هذه الرواية فهناك سؤال مفاده: كيف لم تبلغ السيدة عائشة أحداً في أثناء ذهابها لقضاء حاجة لها وهي ليست في المدينة وإنما في الصحراء، ثم كيف لهذا الجيش الكبير والجرار أن يتتعد بهذه السرعة دون أن يحدث ضجة؟ .

ثم إن السيدة عائشة كانت على علم بتحرك الجيش بالمسير فكيف لها أن تتأخر وإذا فرضنا جدلاً أنها قد أسقطت العقد فلم لم تبلغ الذين يقومون بتجهيز راحلتها بأنها

١-الحسني، سيرة المصطفى، ص ٤٧٨.

٢-ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٦٨.

٣-ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٩٨.

٤-محمد، زواج النبي ﷺ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ١٥٣.

٥-الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٤٢٦.

فقدت شيئاً لكي يقوموا بمرافقتها وهي في وسط الصحراء أو على الأقل انتظارها، وهل من يقوم بالهودج لم يستشعر بوجودها في الهودج الخاص بها، وهذا الجيش الكبير والكثيف ألم تكن له مؤخرة وكم استغرقت السيدة عائشة في مسألة البحث عن عقدها حتى تجد الجيش وقد غادر المكان بهذه السرعة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار حركة الجيش أبطأ في أثناء الليل بالإضافة إلى ما يحمله من عدة حربية ثم تذكر السيدة عائشة «... فتلففت بجلبابي»<sup>(١)</sup>، ثم اضطجعت في مكاني وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي قالت: فوالله إني مضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد تخلف عن العسكر لبعض حاجته... ثم قدمنا إلى المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ولا يبلغني من ذلك شيء... إلا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه»<sup>(٢)</sup>.

هذا فضلاً عن وجود جانب آخر لهذه القصة، والتي أشارت إلى أن حادثة الإفك كانت بخصوص السيدة مارية القبطية زوجة النبي ﷺ والتي تناولتها المصادر الإسلامية<sup>(٣)</sup>. وعلى الرغم مما يبدو عليه جلكريست من إنصاف إلا أنه تميز باختياره الموضوعات التي يمكن من خلالها الوصول إلى غاياته حيث إن «مجرد مرافقة إحدى زوجاته مع رجل آخر خلق شكوكاً وشائعات، وحتى النبي نفسه بقي منعزلاً عنها لفترة من الوقت، استغرق الأمر تنزيلاً من القرآن»<sup>(٤)</sup>، ويبدو أن جلكريست قد أخذ بالطعن في حرم النبي ﷺ من خلال هذه الروايات؛ إذ أردف بالقول: «فقد تركت في الورا في رحلة العودة إلى المدينة، وفي نهاية المطاف جلبت وحدها»<sup>(٥)</sup>.

وهنا لابد من مقارنة ما تناقلته المصادر الإسلامية مع ما ذكره جلكريست في كتابه إذ نراه يورد القصة نفسها مع بعض الإضافات التي لها دور في تزيين الحادث بما يرغب

١- الجلباب: ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها. ينظر؛ الفراهيدي، العين، ج٦، ص١٣٢.

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٩٨.

٣- النيسابوري، صحيح مسلم، ج٤، ص٢١٣٩؛ الخرائطي، اعتلال القلوب للخرائطي، ج١، ص٣٥٦؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج٤، ص٤٢؛ الطبرانی، المعجم الكبير، ج١٣، ص٥٨.

٤- Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p67-68.

٥- Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p67- ٥.



به من أهداف وغايات حيث عد مرافقتها لأحد الصحابة أمراً مشبوهاً، وهو من الأمور المحرمة، وقد أوردت المصادر العربية أن النبي ﷺ قد تغير بعد سماعه الخبر والإشاعة، أي أنه ظن بها ظن سوء، وهذا الأمر ينافي مقام النبي ﷺ وأخلاقه الكريمة التي أدبه بها الله عز وجل وينافي العصمة التي يحملها.

ثم تذكر «فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء وقد خرجت في بعض الليالي ومعني أم مسطح<sup>(١)</sup> ... أو ما بلغك الخبر يابنت أبي بكر قلت : وما الخبر فأخبرتني ... قالت : وقلت لأمي يغفر الله لك أتحديث الناس بها تحدثوا ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً<sup>(٢)</sup> .

وهنا يمكن أن نرد على أمر يمكن أن يكون له أثر، وهو هل كان أهل المدينة يتبعون الأمور نفسها في قضاء حاجاتهم، أي هل يقومون بالخروج إلى أماكن بعيدة أو للصحراء لقضاء حوائجهم، وكيف إذا كان ذلك في أثناء الليل، وأما في النهار فكيف بهم ذلك أو ليس الأجدر أن يكون هناك مكان محدد ومستور يكون قريباً من الدار لقضاء الحاجة . وتذكر السيدة عائشة أن النبي ﷺ قام في الناس فيخطب بهم « ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق والله ما علمت منهم إلا خيراً... »<sup>(٣)</sup>.

ثم تذكر الروايات، وبخاصة التي ساقها إلينا ابن هشام بقوله : «... فدعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد<sup>(٤)</sup> واستشارهما فأثنى علي خيراً ثم قال : يا رسول الله أهلك ولا تعلم إلا خيراً... وسل الجارية فإنها ستصدقك فدعا رسول الله ﷺ

١- أم مسطح: وقيل اسمها بنت أبي درهم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي وأُمها ربيعة بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة تزوجها أئانة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف فولدت له مسطحاً من أهل بدر . ينظر ؛ ابن الاثير، اسد الغابة، ج ٥، ص ٦١٨ .

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٩٩ .

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٠٠ .

٤- أسامة بن زيد بن حارثة بن شريحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبي واختلف في عمره يوم وفاة النبي ﷺ، من أوائل المسلمين تولى أسامة جيشاً أمره عليه النبي ﷺ وفيه كبار الصحابة، ومنهم أبو بكر وعمر روى عن النبي ﷺ وأُم سلمة توفي عام (٥٥٤هـ) وقيل (٥٥٨هـ) . ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٦٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٧٥ .

بريرة<sup>(١)</sup> ليسألها قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب عليه السلام فضربها ضرباً شديداً، ويقول اصدقني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: والله ما أعلم إلا خيراً...»<sup>(٢)</sup>، وإذا أقرنا بما ذهب إليه ابن هشام فلم استشار النبي صلى الله عليه وسلم أسامة ولم يستشر أباه بالإضافة إلى أنه كان عمره لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن علياً عليه السلام قام بضرب بريرة ضرباً شديداً وهي ليست من أخلاقه عليه السلام بالإضافة إلى أن بريرة قد اشترتها السيدة عائشة سنة ٨ هـ بعد فتح مكة مما يدل على تهافت الرواية هذا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار إلى أن الزهري هو أحد الكتاب المأجورين للسلطة الأموية<sup>(٣)</sup>.

ثم يعود ابن هشام بالقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يسأل عائشة «يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فانقي الله وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده»<sup>(٤)</sup>. إلى أن جاءت التبرئة من الله عز وجل من خلال سورة النور ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن الخائضين في حادثة الإفك هم عصابة من المنافقين والحاسدين والمتآمرين والمشركين والتي كان هدفها واحداً وهو كذف زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قلنا: إن الزهري هو أحد الأقلام المأجورة للسلطة الأموية فقد قام بدمج الروايات التي تناقلت القصة فعمل على دمجها في رواية واحدة لتتلافى التناقضات وسد الهفوات التي توهن الرواية<sup>(٦)</sup>. وهنا يمكن أن نتوصل إلى أن ما تناوله جلكريست لا يمكن عده مجرد كلام قاله مغرض فقط بل هو حركة مقصودة ومتعمدة ومخطط لها ضد النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم والمقصود

١- بريرة: مولاة عائشة بنت أبي بكر وكانت مولاة لبعض بني هلال فكاثبوا ثم باعوها وقيل: إن السيدة عائشة اشترتها

بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة. ينظر؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٥٦.

٢- السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٠١.

٣- ابن الجوزي، المنتظم، ج ٧، ص ٢٣١.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٠١.

٥- النور، ٤.

٦- الفارس، عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية في السيرة النبوية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٢٨٩.

الأول هو شخص النبي ﷺ والدين الإسلامي، بالإضافة إلى أن هذه القصة التي أوردتها الروايات التاريخية كانت لغرض تشويه سيرة بعض الشخصيات التي كان لها دور كبير في الإسلام وأحدهم هو مسطح بن أثاثة<sup>(١)</sup> والذي كان له دور كبير في الحروب التي خاضها النبي ﷺ بالإضافة إلى الدور الكبير الذي لعبه في معركة صفين مع الإمام علي عليه السلام وليس هذا الأمر فحسب بل ذهبت الأقلام المأجورة التي استأجرتها السلطة الحاكمة آنذاك إلى إلصاق فرية الإفك إلى الإمام علي عليه السلام بالقول: إنه هو الذي تولى كبره منهم وحاولوا إشاعة ذلك الأمر<sup>(٢)</sup>.

وعلى ما يبدو من خلال سرد هذه الحادثة أنه أراد بها ملاءمة الخلاف القائم بين الإمام عليه السلام وعائشة ومحاولة الإيحاء إلى أنها إحدى أسباب الخلاف، وهذا دليل على أن مثل هذه الروايات قد صنعت متأخرة.

ثم ذهب جلكرايست إلى ذكر باقي أزواج النبي ﷺ «وكانت زوجته التالية حفصة، مرة أخرى هي ابنة واحد من أقرب الصحابة له، في هذه المرة عمر وكان زوجها واحداً من المسلمين القلائل الذين قتلوا في معركة بدر، ويبدو أن الزواج كان مرة أخرى ليس بدافع الرغبة ولكن نظراً إلى ظروفها الشخصية»<sup>(٣)</sup>، وقد أوردت المصادر الإسلامية قصة زواجه من السيدة حفصة حيث ذكرت وتزوج بعد عائشة حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله عند خنيس بن خذافة<sup>(٤)</sup> الذي أصيب في معركة بدر ومات على أثرها<sup>(٥)</sup>، ويبدو أن زواجه منها كان لمراعاة ظروفها الشخصية بالإضافة إلى جوانب سياسية، ثم يستطرد في إتمام باقي

١- مسطح بن أثاثة هو : مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب شهد بدرًا مع النبي ﷺ يقال: إن مسطحاً لقب، واسمه عوف، ينظر؛ الجياني، ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين، ص ٨٧.

٢- عبد الحسن، الإشاعة في عصر الرسالة الفترة المدنية بحث في ضوء القرآن، ص ٢٠٣.  
Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p68-٣.

٤- خنيس بن خذافة: بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم وأمه ضعيفة بنت خديم بن سعيد بن رثاب بن سهم ويكنى خنيس بأبي خذافة، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٦٣٤.

٥- ابن إسحاق، السير والمغازي، ج ٢، ص ٢٨٠.

زوجات النبي ﷺ «وكانت زوجاته التاليتان هما أم سلمة وزينب بنت خزيمة، وقد توفيت الأخيرة في غضون الثلاثة أشهر من زواجهما»<sup>(١)</sup>، وهي أم المساكين تزوجها في المدينة وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن المطلب مات في الجراح التي أصابته يوم بدر مكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في المدينة<sup>(٢)</sup>.

وتزوج بعد زينب أم حبيبة بنت أبي سفيان كانت قبله عند عبيد الله بن جحش<sup>(٣)</sup> هاجرت معه إلى أرض الحبشة ثم مات هناك<sup>(٤)</sup>، وتزوج ﷺ أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت قبله عند أبي سلمة<sup>(٥)</sup> استشهد متأثراً بجراح أصابته يوم أحد<sup>(٦)</sup>.

ولابد من أن مثل هذه الزيجات كانت لا تتم إلا لأجل غاية كان النبي الأكرم يطمح لها، وهي لأمر شخصية أو محاولة الدفع بالصحابة بالزواج من الأرامل؛ وذلك لمساعدتها في توفير متطلبات الحياة إكراً لأزواجهن الذين استشهدوا في المعارك، ثم إن جلكريست أورد لنا زواج النبي ﷺ من جويرية «وقد تم القبض على قبيلتها بأكملها في غارة واحدة وكان زواجه فقط هو الذي أدى إلى إطلاق سراح القبيلة دون أي عواقب تذكر»<sup>(٧)</sup>، وقد ذكرت رواية زواج النبي ﷺ من جويرية في المصادر الإسلامية، وهي المصادر التي اعتمد عليها المستشرق جلكريست في جمع معلوماته عن سيرة النبي ﷺ مع أزواجه، بالقول: تزوج ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي حبيب بن ضرار بن حبيب بن مالك بن جذيمة وكانت قبله عند أبي ذي الشفر<sup>(٨)</sup> فكانت من سبايا بني المصطلق

١- Gilchrist, Mhhammad the prophet of Islam, p68-١.

٢- ابن إسحاق، السير والمغازي، ج٢، ص ٢٨١؛ ابن بكار، المنتخب من كتاب ازواج النبي، ص ٤٨، ٤٩.

٣- عبيد الله بن جحش: بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١٠، ص ٩٤.

٤- ابن إسحاق، السير والمغازي، ج٢، ص ٢٨١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ١٦٥.

٥- أبو سلمة بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسم أبي سلمة عبد الله وأمه ضرة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٢٠.

٦- ابن إسحاق، السير والمغازي، ج٢، ص ٢٨١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ١٦٤.

٧- Gilchrist, Mhhammad the prophet of Islam, p68-٧.

٨- أبو ذي الشفر: مسافع بن صفوان ذي الشفر بن سرح بن مالك بن جذيمة قتل يوم المريسيع، ابن سعد، الطبقات

فأعتقها رسول الله وتزوجها<sup>(١)</sup>، وإذا دققنا في هذه الرواية نجد أن لهذه الزيجة جانباً تشريعياً حيث إن جويرية هي من السبايا لذلك فدخلها الإسلام كان شرطاً أساسياً للارتباط، وأن لا يدخل بها إلا بعد إجراء العقد الشرعي؛ لأن التقاليد القبلية في السابق كانت تخلو من مثل هذه الأمور لذلك كان لابد من محاولة إجرائها أمامهم، أي أمام المسلمين لكي تتم عملية الاقتداء بسيرة النبي ﷺ.

ثم يتسارع جلكرايست إلى ذكر زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش بقوله «بعد هذا تزوج محمد زينب بنت جحش ومارية، وهي امرأة من الرقيق المصري من أصول قبطية، بعدها جاءت ابنة أبي سفيان أم حبيبة واليهودية صفية التي كان والدها حُبي، وقتل أخوها الاثنان على يد المسلمين في خيبر، وكان زواجه الأخير من امرأة اسمها ميمونة»<sup>(٢)</sup> وهو أمر متفق مع ما ذكرته الروايات العربية، والتي ذكرت الباقي من زوجات النبي ﷺ فتزوج زينب بنت جحش وكانت قبله تحت زيد بن حارثة<sup>(٣)</sup>، وتزوج من مارية وهي جارية قبطية من الرقيق المصري وهي التي أهداها إليه المقوقس<sup>(٤)</sup>، وقد ارتفعت مكانتها بعد أن انجبت ابنه إبراهيم عليه السلام وأصبحت أم ولد فارتفعت مكانتها.

وتزوج ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير وهي يهودية وكانت قبله تحت سلام بن مشكم، وهي من سبي خيبر عرض عليها الرسول محمد ﷺ الإسلام فأسلمت فأعتقها وتزوجها<sup>(٥)</sup>، وذكر أن اسمها حبيبة ولكنها سميت صفية؛ لأنها كانت صفية للنبي ﷺ يوم خيبر<sup>(٦)</sup>.

الكبرى، ج ١٠، ص ١١٣.

١- ابن إسحاق، السير والمغازي، ج ٢، ص ٢٨٣؛ ابن عبد البر، الدرر، ص ٢٠٠.  
Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam: p68-٢.

٣- ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٩٦.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩١.

٥- ابن إسحاق، السير والمغازي، ج ٢، ص ٢٨٤.

٦- ابن بكار، المنتخب من كتاب أزواج النبي، ص ٥٨؛ أبو النعيم الأصفهاني، حليمة الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٢، ص ٦٦.

وأخيراً تزوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن عبد الله بن هلال وكانت قبله عند عمير<sup>(١)</sup> بن عمرو<sup>(٢)</sup>.

وقد ألح جلكريست إلى أمر مهم بقوله «وكثيراً ما يدعي الكتاب المسلمون أن جميع زيجات محمد كانت نتيجة خالصة لرغبة الرسول ﷺ المتعاطفة في حماية النساء من أزواجهن، وتطلب ذلك تضحية شخصية من جانبه، وينبغي أن نتذكر أن زوجتيه اليهوديتين لم تصبحا أرامل إلا بسبب أن أزواجهن قد ذبحوا من قبل المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

وهنا حاول جلكريست التلميح إلى أن النبي ﷺ قد قام بقتل أزواج اليهوديتين لغرض الزواج منهما وقد تغافل جلكريست عن أمر مهم، وهو أن النبي ﷺ لم يتزوجهما إلا بعد أن أسلمتا بالإضافة إلى أن مثل هذا الأمر (أي أمر زواجهما) لم يكن ليتم حتى وإن لم يتزوجهما النبي ﷺ فكان بالإمكان أن يتزوجا من أي شخص آخر بالإضافة إلى محاولة تشجيع المسلمين من الزواج من اليهوديات اللاتي دخلن للإسلام، وذلك محاولة لزيادة تآلف القبائل والأقوام على الإسلام.

ويمكن أن نرد على ما أورده جلكريست بقول أحد المستشرقين «وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً... ونخطيء إذا حسبناه رجلاً شهوانياً لاهم له إلا قضاء مآربه من الملاذ... لقد كان زاهداً متقشفاً»<sup>(٤)</sup>.

وقد تهافت المستشرقون على التعرض لموضوع تعدد زوجات النبي ﷺ حيث لم يكن لهم المنهج الدقيق للخوض في هذا الموضوع حيث يتعرض موير للموضوع «بأن حب الجنس والشهوة كان وراء هذا التعدد في الزوجات... ووقع محمد فريسة لغريزة الجنس القوية»<sup>(٥)</sup>.

١- عمير بن عمرو: من بني عقدة بن غيرة بن عوف بن قمي من ثقيف، ينظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٦٦.

٢- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٦٦، ابن عبد البر، الدرر، ص ٢٢١.

٣- Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p68-69.

٤- كارليل، الأبطال، ص ٨٩.

٥- نقلاً عن، الغزالي، نظرة تحليلية في كتاب حياة محمد ﷺ للمستشرق الإنكليزي وليم موير، ص ٩٢.

ثم يتبع موير المستشرق ارفنج وبالطريقة نفسها من الحقد والأناية والكره لشخص النبي ﷺ حيث يذكر « ان عاطفة الجنس لها سطوة فوق كل المسائل على محمد وكان محمد عند حضور أنثى جميلة دائماً يتلمس جبينه ويرتب شعره وكأنه قلق لإظهار محاسنه وفي بعض أحاديثه يبدو شهوانياً ويؤكد ذلك قوله أي النبي ﷺ هناك شيان تسرنني في هذا العالم وأرغبها، النساء والعمور، هذان الشيان هما قرة عيني وتجعلني أكثر تحمساً في صلاتي»<sup>(١)</sup>، فارفنج في هذا الموضوع اعتمد التحليل فقط دون الاستناد إلى مصدر توثيقي، وإلا فكيف نفسر أن حسن المظهر، تكون كما يرى دليلاً على رغبة جنسية، كما لا يخفى أن الإسلام اهتم ببناء جوهر الإنسان ومظهره الداخلي والخارجي ولم يكن اهتمامه على جانب دون آخر، وهناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد هذا الجانب، قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ويبدو أن ارفنج قد وقع تحت تأثير كتابات المستشرقين الذين سبقوه في هذا المضمار، ولا سيما سيل الذي اعتاد على اقتناص الروايات وتزيينها بغرض توجيه الطعون إلى النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، دون تمحيصها أو تدقيقها أو الإشارة إلى المصادر التي ذكرت مثل هذه الروايات، وهو ما سار عليه جلكريست أيضاً من خلال اطلاعه على كتابات غيره من المستشرقين ونظرتهم التحاملية على النبي ﷺ، حيث أورد المستشرق إميل در منغم قوله: «شعر محمد بالعقد الأخير من عمره بميل كبير إلى النساء»<sup>(٤)</sup>، وتبعه بودلي بالقول: «إن غرائز الرسول ﷺ الجنسية كانت خامدة ثم تحركت في أواخر أيامه»<sup>(٥)</sup>.

١-Irving, L.M. Op. Cit. P.231-١.

٢-سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

٣-أ.ج. اربري. المستشرقون البريطانيون، ص ١٦.

٤-حياة محمد، ص ٢٩٩.

٥-الرسول حياة محمد، ص ٣٨.

ثم لا يتوانى مونتجمري وات من أن يطلق السنة سموه على النبي ﷺ بقوله: «ونعلم من بعض الوثائق أن محمداً بالإضافة إلى زيجاته الشرعية واتصالاته بالجواري كانت له علاقة مع نساء أخريات»<sup>(١)</sup>.

إننا لو تفحصنا خلفيات هذه الزيجات، «لوجدنا أننا أمام أغراض ودوافع تكريمة وتشريعية وسياسية واجتماعية جعلت من النبي ﷺ يسعى لمثل هذا التعدد»<sup>(٢)</sup>، وأن النبي ﷺ لم يكن يجري خلف شهواته الجسمية؛ لأنه قضى مع خديجة حوالي ربع قرن، وهي فترة شبابه ولم يتزوج غيرها وظل مخلصاً لها حتى وصل الخمسين، وهي الفترة التي يكون الرجل فيها قادراً على تعدد الزوجات في وقت كانت العادات والتقاليد تتيح تعدد الزوجات لخلق العزة والمنعة والقوة.

ثم يمكننا أن نطرح سؤالاً مفاده، هل مسألة تعدد الزوجات هي التي تخلق الرذائل، وهل الرذائل الموجودة في الدولة الإسلامية هي أكثر من تلك التي توجد في الغرب، وعلى ما يبدو أن ما ألصق بالإسلام كان بوساطة السواح الذي يرون أمراً فيجعلونه عاماً من غير تثبيت؛ إذ لولا هذا التعميم السطحي لما وجدوا شيئاً يملؤون به مؤلفاتهم، والواقع أن الرذائل الفاضحة موجودة في كل أمة ولقد يقع منها في باريس ولندن وبرلين أكثر مما يحدث في الشرق بأجمعه؛ لأن النبي ﷺ بالغ في تحريمها، ولم يعدها من الذنوب الخفيفة<sup>(٣)</sup>.

ثم يدفع جلكرايست برواية جديدة، ألا وهي زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش<sup>(٤)</sup> حيث أراد منها تشويه شخصية النبي ﷺ ومحاولة إدخال النبي ﷺ إلى الخطأ الذي عصمه الله منه باستشهاد بالكتاب المقدس حيث ذكر «لقد علم يسوع الناس بشكل واضح أن مثل هذا الزواج هو عبارة عن زنا في عيون الله، وقد ذكر أيضاً قوله إنه

١- محمد في المدينة، ص ٤٣٤.

٢- الغزالي، نظرة تحليلية في كتاب حياة محمد ﷺ للمستشرق وليم موير، ص ٩٢.

٣- كاستري، الإسلام خواطر وسوانح، ص ٥٦.

٤- هي زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن ضيرة بن أسد بن خزيمه أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ، ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ص ٩٠٦.

لا يوجد رجل يجب عليه أن يفصل بين زوجين ربطهما الله معاً<sup>(١)</sup>، فقد ذكر جلكريا يست مقتطفات من القصة، أي زواج النبي ببنت عمه زينب بنت جحش، ولم يقم بعرض القصة بالكامل، أي بمعنى أنه أخذ منها ما يساعده على دعم غاياته وأهدافه وتوجهاته بقوله: «وبعد فترة وجيزة من انفصالهم تزوجها محمد، وأقام لها إلى حد بعيد أكبر عرس أقامه لأي من زوجاته، وسرعان ما أثرت فضيحة حول زواجه هذا لأن العرب يعتبرون زواج بين الأب وزوجة ابنه بالتبني بمثابة زنا محارم»<sup>(٢)</sup>.

وقد أراد جلكريا يست إظهار نظريته التحاملية على الإسلام من خلال قوله وسرعان ما أثرت فضيحة، ولو استعرضنا ما روته المصادر الإسلامية فإننا نجد أن ما ذكره المستشرق جلكريا يست وغيره من المستشرقين لم يكن من وحي خيالهم على الرغم من اندفاعهم وتسارعهم للتعامل مع هذه الحادثة ليس بحسن النية ولكنه قد اعتمد على ما أورده الطبري تحديداً، والتي تشير إلى أن النبي ﷺ قد ذهب إلى بيت زيد فلم يجده وفي الباب خرجت زينب، فأعرض عنها رسول الله ﷺ فقالت: ليس هو ها هنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت وأمي فأبى رسول الله ﷺ أن يدخل وإنما عجلت زينب أن تلبس؛ إذ قيل لها رسول الله ﷺ على الباب، فوثبت عجلة فأعجبت رسول الله ﷺ فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم، إلا أنه أعلن سبحانه الله العظيم! سبحانه الله مصرف القلوب! فجاء زيد إلى منزله فأخبرته امرأته بذلك فقرر أن يطلقها ويعطي النبي الفرصة للزواج منها لأنها دخلت قلبه...<sup>(٣)</sup>.

في حين إن هناك حكمة من زواج النبي محمد ﷺ من زينب بنت جحش تتمثل بتدعيم الجانب التشريعي وإبطال عادة التبني ومن ثم إبطال ما يتعلق به من حرمة زوجة الابن المتبنى على أبيه المتبني وقد أبطل النبي محمد ﷺ ما كان قائماً من أحكام التبني بالنص القرآني أو هدمه بالسنة التطبيقية أي بصورة عملية لغرض دفع أصحابه

١-Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam:p69-١

٢-Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam:p69-٢

٣-تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥٦٢.

للحذو حذوه منطلقاً من قوله عز وجل ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

لكون النبي محمد ﷺ هو القدوة المثل للامة والصحابه وفعله لهذا الأمر بنفسه ادعى للقضاء على تلك الظاهرة المتعمقة والمتجذرة في النفوس والمشاعر عند عرب الجاهلية؛ فإن وقوع هذا أمام المسلمين أدى بهم لقبوله، وأسرع لحسم تلك الظاهرة الاجتماعية التي غيرت الكثير من الحقائق وكان النبي محمد ﷺ إذا أمر بشيء ودعا إليه حاول تطبيقه على نفسه الشريفة وعلى أقاربه وخاصته<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم فإن النبي ﷺ أقام حفل زفاف كبير في هذا الزواج لكي ينبه الجميع أن مثل هذا الأمر هو بمثابة تشريع، وهناك عدد من الآيات القرآنية التي جاءت للإعلان عن هذا الحكم كقوله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقبل أن نستعرض قصة زواج النبي من زينب بنت جحش يجب أن نبين صلة القرابة بينها وبين النبي محمد ﷺ.

فزينب ليست غريبة عن النبي محمد ولم تكن مجهولة له ولا بعيدة عنه وقد تربت أمام عين النبي ﷺ وقد رآها بطبيعة الحال وعرفها طفلة وصبية وشابة وعرفها بعد ذلك فليس هناك مجال للقول: إن النبي محمد ﷺ قد فوجئ وانبهر بحسنها وجمالها وزينتها بعد زواجها من زيد بن حارثة<sup>(٤)</sup>.

أما زيد فهو زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبى، أبو أسامة وأخو جبلة وأمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن بن طيء<sup>(٥)</sup>. لم يكن زيد عبداً

١-الأحزاب: ٣٧.

٢-الألمعي، مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش دراسة تحليلية، ص ٦٧.

٣-الأحزاب: ٤٠.

٤-محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق، ص ١٦٧ - ١٦٨.

٥-المزي، تهذيب الكمال، ج ٦، ص ٤٣٨.

وإنما خرجت به أمه لتزور أهلها فأصابته خيل من بني القين بن جسر فباعوه بسوق من أسواق العرب وحكيم بن مزاحم هو الذي اشتراه وجاءت خديجة تزور ابن أخيها حكيم بن مزاحم فعزم عليها أن تختار ما شاءت من الغلمان فأخذت زيداً وعادت به إلى بيتها، ورآه النبي فاستوهبه منها فوهبته له راضية فتبناه النبي ﷺ ولما بلغ زيد سن الزواج اختار له زينة الهاشميات زينب بنت عمته أميمة<sup>(١)</sup>، ولكن زينب رفضته منذ أن لامس فيها اسمه مسامعها وكان سبب رفضها؛ لأنه من الموالي وكانت زينب تعيش في بيئة تقيم للفوارق الاجتماعية وزناً كبيراً<sup>(٢)</sup>، فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن الله عز وجل أنزل هذه الآية؛ لأن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب فتاة لزيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها فقالت: «لست بناكحته قال رسول الله ﷺ «بلى فانكحيه» فقالت: يا رسول الله أوامر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله تعالى هذه الآية، قالت: رضيت لي يا رسول الله منكحاً قال رسول الله ﷺ نعم قالت: إذن لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي»<sup>(٤)</sup>.

وكان زواج زيد بن حارثة بزينب بنت جحش له أغراضه وأهدافه منها:

١- إلغاء الفوارق الطبقية الموروثة من عادات العرب قبل الإسلام فيرجع الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى فأراد النبي ﷺ أن يحطم الفوارق الطبقية بنفسه وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من النبي ﷺ تتخذ منه الجماعة المسلمة أسوة<sup>(٥)</sup>.

٢- إنه مكافأة لزيد بن حارثة على ما قدمه من تضحيات وما تعرض في سبيل الإسلام

١- بنت الشاطي، تراجم سيدات بيت النبوة، ص ٣٢٤-٣٢٥.

٢- كناس، حياة نساء أهل البيت، ص ٤٤٤.

٣- الأحزاب،: ٣٦.

٤- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ١٢٦٦.

٥- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ٢٦٣-٢٦٥.

فأراد النبي ﷺ أن يكافئه بتزويجه بزينة الهاشميات زينب بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب وفي هذا رفع لمعنويات زيد مما قد كان يعانيه من مسألة التبني التي كان بها<sup>(١)</sup>. فتزوجت زينب زيدا ولكن المشكلات كانت تغطي سماء الحياة الزوجية والملبدة بغيوم الهموم، ولهذا فإن زينب لم تكن هائلة في بيت الزوجية ولم تذق طعم الاستقرار النفسي، كذلك عاش زيد حياة قاسية مريرة مع زينب فهو لا يرضى أن يكون زوجاً مفروضاً عليها<sup>(٢)</sup>، فلم تستطع صبراً على العيش معه وكانت تفخر عليه وتحفوه وتمنع عليه فاضطر إلى مفارقتها<sup>(٣)</sup>، وهذا يؤكد أن ادعاء بوش وغيره من المستشرقين عار عن الصحة من أن الزوجين كانا يعيشان حياة مستقرة وأن حب زينب لزيد توتر بعد زيارة النبي محمد ﷺ ثم إن النبي ﷺ قد أوصى زيدا بالصبر والحفاظ على زوجته، عن أنس بن مالك قال: جاء زيد بن حارثة يشكو زينب فجعل رسول الله محمد ﷺ يقول له اتق الله وأمسك عليك زوجك<sup>(٤)</sup>.

ولو كان للنبي ﷺ الرغبة في الزواج من زينب لكان تزوجها قبل أن يزوجها لزيد لكن الله أراد لهذا الأمر أن يتم على هذا النحو لغاية تشريعية هو زواج الأب من مطلقة ابنه بالتبني من دون حرج فكان إذن زواجاً لا دخل فيه لشهوة أو لرغبة شخصية وإنما كان زواجاً إلهياً لغاية تشريعية<sup>(٥)</sup>.

ويزعم بودلي أن زيد بن حارثة ضحى بنفسه لدرجة أنه أعطى زوجته زينب بنت جحش صديقه وسيده محمداً، ولذا ذرفت عينا محمد الدمع عليه عندما مات؛ تقديرًا لهذا الجميل<sup>(٦)</sup>.

١-الامعي، مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش دراسة تحليلية، ص ٦١.

٢-الجميلي، نساء النبي ﷺ، ص ٩٧.

٣-الصف، زوجات النبي الطاهرات في السيرة النبوية لابن هشام، مجلة كلية الآداب، ص ٥٦٩.

٤-البيهقي، دلائل النبوة، ج ٣، ص ٤٦٨؛ السعيد، الدراسة التاريخية حول نساء النبي وأولاده، ص ٢٤٠.

٥-الصواف، زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن، ص ٦٤؛ أبو ليلة، محمد بين الحقيقة والافتراء، ص ٧٩-٨٠.

٦-بودلي، حياة محمد الرسول، ص ٢٥٦.

وذكر بوش أن الله جل وعلا قد وبخ نبيه وذلك بقوله تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾<sup>(١)</sup>. وهنا ليس معنى الخشية الخوف وإنما معناه الاستحياء، أي يستحي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه بالتبني، وأن خشيته ﷺ كانت من تسارع المنافقين واليهود والمتآمرين للاستفادة من الأمر، بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نفيه عن نكاح حلائل الأبناء فعاتبه الله سبحانه وتعالى من الالتفات لمثل هذه الأمور إذا كان هو حلالاً من الله<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الباعث على إخفاء النبي ﷺ لذلك الحياء الشديد من زيد؛ إذ كانت زينب في عصمته، ومن الصعب حقاً أن يصرح له بمفارقتها ليتزوجها النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾<sup>(٤)</sup> أي ما كان على النبي حرج فيما فرض الله له أي فيما أحل له وأمره به وأنه كان أمراً مقدرًا من الله وأن كل مقدر من الله كائن لا محالة فما أراد الله كان وما لم يرد لم يكن<sup>(٥)</sup>.

وكانت هناك أهداف لزواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، وهي:

## ١- الهدف الديني

إن الله تعالى حين أرسل محمداً ﷺ أرسله للناس كافة دون تحديد للذكر أو للانثى، ومن أحكام الشريعة ما يكون مشتركاً بين الرجال والنساء، ومنها ما يكون مختصاً بصنف دون صنف<sup>(٦)</sup>، ولما كان الأصل في التعاليم الإسلامية أن يقوم الرجال بتعليم

١- الأحزاب: ٣٧.

٢- القاسمي، محاسن التأويل، ج ٨، ص ٨٢.

٣- الألمعي، مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش دراسة تحليلية، ص ٧٧.

٤- الأحزاب: ٣٨.

٥- ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٢٦٨.

٦- عوض، زوجات الرسول محمد ﷺ، ص ١٢؛ النعمة، الإسلام وتعدد الزوجات، ص ٦٧؛ أبو سعد، تعدد الزوجات إعجاز تشريعي يوقف المد الاستشراقي، ص ١٢٥-١٢٦.

الرجال وأن تقوم النساء بتعليم النساء مراعاة لمنع الاختلاط إلا لضرورة ولخصوصية بعض الأحكام المتعلقة بأحوال المرأة<sup>(١)</sup>، فكانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات النبي محمد ﷺ هي لتخريج بعض النسوة من المتفقهات في الدين والأحكام الشرعية؛ لأن الأحكام التي تخص النساء فيها الكثير من الحرج إذا ما تمت من قبل الرجال بالنسبة للاثنتين معاً سواء الرجل أو المرأة<sup>(٢)</sup>، بل إن نبينا محمداً ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها<sup>(٣)</sup>، وإن النبي ﷺ يجد الكثير من الحرج في تبين قسم من الأحكام الخاصة بالنساء ولا سيما الأحكام المتعلقة بالغسل والطهارة والحيض؛ فلا يستطيع ﷺ تبيانها إلا عن طريق نسائه ولا سيما أن الأحكام المتعلقة بالنساء كثيرة ومتعددة، وأن امرأة واحدة لا تستطيع أن تقوم بهذه المهمة، ويحتاج هذا الأمر إلى عدد من النساء لنشر أحكام الشريعة؛ إذ لا بد أن يتلقى النساء هذه الأحكام عن طريق نساء النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

ومن الصعب أن تقوم زوجة واحدة أو زوجتان بالأعباء الجسام التي اضطلع بها تسع نسوة مؤمنات، وما حفظته من أحكام الشريعة لا يمكن أن تستوعبه امرأة واحدة حفظاً ودراية ورواية مهما أوتيت من قوة الحفظ وفرط الذكاء<sup>(٥)</sup>.

## ٢- الهدف السياسي

اجتهد النبي ﷺ في إيصال الدعوة الإسلامية إلى أقصى مدى يمكن الوصول إليه؛ لذا قصد إلى إنشاء علاقات مصاهرة مع زعماء القبائل ومراكز القوى المشتركة ابتغاء شق طريق جديد لانتشار دولة الإسلام الفتية وكان من تقاليد العرب الاحترام للمصاهرة؛ فقد كان الصهر عندهم باباً من أبواب التقرب وكانوا يرون مناوأة ومحاربة الأصهار

١- الكبيسي، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة دراسة نقدية، ص ١٣٥.

٢- النعمة، الإسلام وتعدد الزوجات، ص ٦٧.

٣- الصابوني، شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ، ص ١٢-١٥.

٤- عوض، زوجات الرسول محمد ﷺ، ص ١٢؛ النعمة، الإسلام وتعدد الزوجات، ص ٦٧؛ أبو سعد، تعدد الزوجات إعجاز تشريعي يوقف المد الاستشراقي، ص ١٢٥-١٢٦.

٥- الصواف، زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن، ص ١٧.

سبة وعاراً على أنفسهم<sup>(١)</sup>، واستطاع النبي ﷺ أن يصل إلى قلوب زعماء الشرك، وأن يصاهرهم؛ فيذيب ما في قلوبهم من حقد على الإسلام وتهتدي قلوبهم وقد نجح هذا الزواج نجاحاً بعيداً ولاسيما مع الذين حاربوا الإسلام خوفاً من فقدان مناصبهم ولاسيما الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق<sup>(٢)</sup>، عندما تزوج ابنته جويرية بنت الحارث ربط بينهما برباط المصاهرة وذلك طمعاً في إسلام قومها<sup>(٣)</sup> وبعد زواجه ﷺ منها أعتق المسلمون ما بأيديهم من سبايا قومها إكراماً لمصاهرة النبي ﷺ ولما رأى بنو المصطلق هذا السمو وهذا العفو والكرم أسلموا جميعاً وآمنوا بالله ورسوله<sup>(٤)</sup> وبذلك كسب قلوبهم للإسلام، وكذلك زواجه ﷺ من السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب زعيم المشركين في مكة؛ فقد كان هذا الزواج سبباً لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه<sup>(٥)</sup>، وكذلك زواجه ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب تأليفاً لقلوب قومها من اليهود وقد فعل قسم من هذا الزواج ما لم تفعله المعارك العظيمة من تحطيم الحواجز وإزالة الفوارق وانتصار الإسلام<sup>(٦)</sup>، و كان هذا الأسلوب سبباً أكيداً في دخول زعماء القبائل وأقوامهم للإسلام، وهذا يدل على الحنكة والحكمة التي كان يتمتع بها النبي ﷺ فضلاً عن خلق الرحمة التي طبع عليها<sup>(٧)</sup>.

### ٣- الهدف الاجتماعي

إنّ الذي يتأمل تعدد الزوجات في حياة النبي ﷺ يجد أن ذلك حصل في الفترة ما بعد السنة الثانية للهجرة، وهي الفترة التي تواصل فيها الجهاد ضد معسكرات الكفر، وأفرزت هذه المرحلة الكثير من الشهداء، ومن ثم أصبح هناك عدد من النساء اللواتي أصبحن من غير أزواج ذوي ماضٍ مشرف في الدعوة والجهاد للإسلام وليس من

١- الكبيسي، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة دراسة نقدية، ص ١٣٤.

٢- غريب، زواج النبي محمد ﷺ، ص ٦.

٣- أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، ص ٢٦٦.

٤- الصواف، زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن، ص ٧٤.

٥- عوض، زوجات الرسول محمد ﷺ، ص ١٧.

٦- غريب، زواج النبي محمد ﷺ، ص ٧.

٧- الكبيسي، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة دراسة نقدية، ص ١٣٥.



المروءة والوفاء أن يترك هكذا بل كان الواجب الاجتماعي والموقف الإنساني الذي تعيشه الأمة الإسلامية يدفع لتكريمهن من قبل النبي ﷺ فكان زواج النبي ﷺ من بعضهن لتشجيع باقي المسلمين للحدو حذوه<sup>(١)</sup>.

فكان ﷺ حريصاً على مواساة هؤلاء النسوة اللاتي فقدن أزواجهن فسودة بنت زمعة مات ابن عمها المتزوج بها بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة ولا مأوى لها بعد موته إلا أن تعود إلى أهلها فيكرهوها على الردة إلى الكفر أو تتزوج بغير كفء لها<sup>(٢)</sup>، وأما أم سلمة (رض) فكانت كبيرة السن يوم خطبتها كما قالت له معتذرة لإعفائه من تكليف نفسه أن يتزوجها جبراً لخاطرها بعد موت زوجها<sup>(٣)</sup>.

لذلك فإن تعدد زوجاته ﷺ حاجة اقتضتها ظروف مرحلة بدء الدعوة الإسلامية لتعليم نساء الجماعة المؤمنة الأصول التشريعية للإسلام، وكان في بعضه هدف إنساني كزواجه بنساء فقدن أزواجهن وبعضهن لتوثيق الروابط مع عدد من الصحابة، وهما أبو بكر وعمر وفي بعضه الآخر النزول لحكم القرآن كزواجه بزينب بنت جحش<sup>(٤)</sup>، فلو كان النبي ﷺ رجلاً شهوانياً منغمساً بالملذات لتمتع بكل مباحج الحياة التي كان يتمتع بها الملوك وغيرهم لكنه كان يعيش في ضنك العيش، فعن أبي هريرة قال: كان يمر بآل النبي ﷺ هلال ثم هلال لا يوقد شيء من بيوتهم النار ولا الخبز ولا الطبخ فقالوا: بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ قال بالأسودين التمر والماء وكان لهم جيران من الأنصار وجزاهم الله خيراً لهم منائح يرسلون إليهم شيئاً من لبن، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بلغنا أن رسول الله ﷺ لم يشبع من خبز ثلاثة أيام قط... فكان طعامه ﷺ الشعير إذا وجدته وحلواه التمر ووقوده السعف»<sup>(٥)</sup>.

فهذه عيشة النبي ﷺ فطالبتة نساؤه بزيادة النفقة لما في ضنك العيش. فأنزل الله قوله

١- الكبيسي، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة دراسة نقدية، ص ١٣٣.

٢- زكريا، المستشرقون والإسلام، ص ٣٣٢.

٣- العقاد، عبقرية محمد، ص ١٤٦.

٤- الترماني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة، ص ٥٧- ٢٥٨.

٥- البحراني، حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار، ج ١، ص ٢١٧.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

وذكرت فاغليري<sup>(٢)</sup> «لقد أصر أعداء الإسلام على تصوير محمد ﷺ شخصاً شهوانياً ورجلاً مشتهراً يحاولين أن يجدوا في زواجه المتعدد شخصية ضعيفة غير متناغمة مع رسالته إنهم يرفضون أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه الحقيقة وهي أنه طوال سني الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب حيث كان الزواج كمؤسسة اجتماعية مختلفة وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، وهي خديجة بنت خويلد ﷺ التي كانت سنّها أعلى من سنّه بكثير وأنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجها المخلص المحب ولم يتزوج مرة ثانية وأكثر من مرة إلا بعد أن توفيت خديجة وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره»<sup>(٣)</sup>.

ويمكننا أيضاً أن نرد فيها سقط من المستشرقين سهواً فلم يكن في نيتهم الثناء على النبي ﷺ ولكن لما امتاز به النبي الأكرم من صفات وأخلاق شهد له بها العدو قبل الصديق جعل ألسنتهم تنطق بالحقيقة دون إرادة فهذا موير يقول: «إن محمداً نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه، وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخير به من أنعم النظر في تاريخه المجيد، وذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم»<sup>(٤)</sup>.

وهو دليل على براءة النبي ﷺ من التهم التي ألصقت به، فقد حاول هؤلاء المستشرقون إثارة الشبهات والتهم لا شيء إلا بسبب انتشار الإسلام في بلدانهم

١-الأحزاب: ٢٨.

٢-الدكتورة لورا فاغليري، أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي بإيطاليا من تأليفها كتاب دفاع عن الإسلام، ينظر: العباسي، الغرب نحو الدرب بأقلام مفكره، ص ٨٢.

٣-نقلاً عن، العباسي، الغرب نحو الدرب بأقلام مفكره، ص ٨٢.

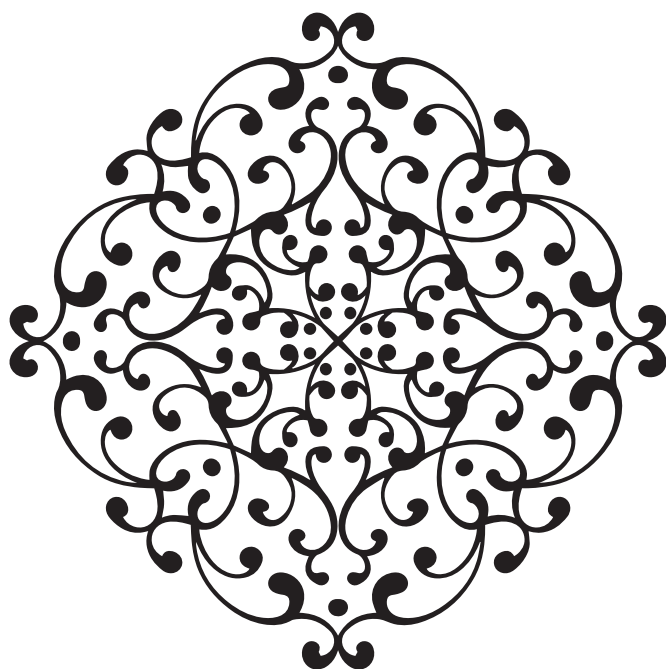
٤-Muir, life of Mahomet, p. 20-٤.



بالإضافة إلى أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي اكتملت رسالته بالتنفيذ على وجه المعمورة، والذي سد جميع المنافذ على المتأمرين والمنافقين لذلك أعدوا عدتهم للنيل منه فما كان منهم إلا توجيه سهامهم إلى شخص النبي الأكرم ﷺ، ولا بد من الالتفات إلى حقيقة جازمة، وهي تحول كتابات المستشرقين إلى مرحلة جديدة وهي أننا نراها قد رصفت هوامشها بمختلف المصادر العربية، والتي تذكر الحوادث التي يوردونها لنا حتى اضطر بعضهم، ومنهم لآمانس إلى القول بعدم الاعتماد على كتب التاريخ العربي والروايات العربية بل والتشكيك بها وتحذيره من قبولها ولكنه مع ذلك يستسيغ لنفسه قبول بعض الروايات التي تتفق مع وجهة نظره<sup>(١)</sup>



١ - نقلاً عن : فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص ٥٥.





حياة النبي ﷺ من السنة الخامسة حتى وفاته،  
في ضوء كتاب جلكرايست

## المبحث الأول

### علاقة النبي ﷺ بقريش في المدينة بعد السنة الخامسة

#### ١ - صلح الحديبية<sup>(١)</sup>

يميل المستشرق جلكريست إلى التطرق لكل صغيرة وكبيرة في سيرة النبي ﷺ و صلح الحديبية من الموضوعات التي تناولها جلكريست تارة بنوع من الإنصاف، وتارة أخرى بنوع من التحامل والتحايل؛ فنراه يتفق مع مضمون الرواية الإسلامية بقوله: "بعد عام من الحصار قاد ألفاً ونصف ألف مسلم في موسم الحج لأداء الحج السنوي ولم يحملوا أي أسلحة باستثناء سكاكين اليد التقليدية وعندما سمعت قريش عن تقدمهم كانوا قلقين للغاية لأن هذا حصل في واحد من الأشهر الحرم المقدسة عندهم وعاداتهم النهي عن مهاجمة المسلمين، لذلك التقوا المسلمين خارج مكة في واد يسمى الحديبية"<sup>(٢)</sup>.

ولقد أراد المستشرق جلكريست بيان أن النبي ﷺ هو من أراد القتال في الأشهر الحرم، وهو من حاول الاعتداء عليهم؛ لذلك حاول المشركون الخروج من مكة بقوله وعاداتهم النهي عن مهاجمة المسلمين فالتقوا خارج مكة فذكر «خرج وفد صغير منهم لمعرفة واكتشاف نوايا محمد الحقيقية بينما كان الباقي على استعداد للدفاع عن المدينة»<sup>(٣)</sup>، في حين إن جلكريست يناقض نفسه عندما ذكر أن المسلمين «لم يحملوا أي أسلحة باستثناء السكاكين التقليدية»<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن أن جلكريست لم يتطرق إلى أن النبي ﷺ قد بعث بسر بن سفيان<sup>(٥)</sup> عينا له إلى مكة، فسار بسر إلى قريش يتحسس أخبارهم ونواياهم

١- الحديبية: قرية قريبة من مكة سميت باسم بئر فيها، ويقال: إنها سميت كذلك لشجرة حديباء كانت في ذلك الموقع، وبين مكة والحديبية مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وبنى فيها المسجد الذي بوع فيه النبي ﷺ في بيعة الشجرة، للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٩.

٢-Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p39-٢.

٣-Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p39-٣.

٤-Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p39-٤.

٥ -سر بن سفيان، هو بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي الكعبي، كان شريفاً، كتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، له ذكر في قصة الحديبية، وهو الذي لقي رسول الله ﷺ لما اعتمر عمرة الحديبية، وساق معه الهدى، فأخبره أن قريشاً خرجت بالعود المطافيل، قد لبسوا جلود النمر، وأسلم سنة (٦ هـ)، وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ، للمزيد ينظر، ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٧٧.



إزاء المسلمين، وبعد أن وقف على أخبارهم وافى بها النبي ﷺ بعسفان<sup>(١)</sup>، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطا<sup>(٢)</sup>، أتاه عينه قال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش<sup>(٣)</sup> وهم مقاتلون وصادوك عن البيت ومانعوك<sup>(٤)</sup>.

وعند وصول خبر خروج قريش إلى النبي ﷺ قال: «ياويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس، وقام النبي ﷺ باستشارة الصحابة فاخبرهم فقالوا له بترك قتالهم والاستمرار على ما جاء بهم وهو أداء العمرة»<sup>(٥)</sup>

ثم إن النبي ﷺ طلب من رجل أن يخرج بهم على غير طريقهم «فقال رجل من أسلم أنا فسلك بهم طريقاً وعراً أجزل بين شعاب فقال لهم رسول الله ﷺ قولوا نستغفر الله ونتوب إليه فقالوا ذلك فقال: «والله إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها فقال رسول الله ﷺ: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق مخرجة على ثنية المزار مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قفرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش»<sup>(٦)</sup>.

مما يدل على أن النبي ﷺ كان قد استبعد فكرة المهاجمة والقتال مع قريش ولم تتوافر لديه النية لقتالهم، ومدى حرصه على كسبهم إلى جانبه ليس لأنهم قومه أو قوم الكثير من أصحابه المهاجرين وإنما ليعلموا قدراته السياسية والاقتصادية والحربية إضافة إلى احترام مكانة العرب<sup>(٧)</sup>.

١- عسفان: قرية جامعة لبني المصطلق وهي منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وهي تقع بين مكة والمدينة قريبة من البحر. للمزيد ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٩٤٢؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢١؛ موقع الإسلام، تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج ٢، ص ١٤٦.

٢- غدير الأشطا: على ثلاثة أميال من عسفان مما يلي مكة وهو على مرحلتين. ينظر: ابن شائل، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج ٤، ص ١٢٣.

٣- الأحابيش كانوا أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام فيها يقول إبليس لقريش: إني جئت لكم من بني كُتبت فواقعوا محمداً، أتاهم في صورة سراقه بن مالك بن جعثم ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج ٣، ص ٩٨؛ الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٤، ص ١١٤.

٤- الحكمي، مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة، ص ٧١.

٥- الصنعاني، المصنف، ج ٥، ص ٣٣٠؛ العسبي، المصنف في الأحاديث والآثار، ج ٧، ص ٣٨١.

٦- الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١٧.

٧- الملاح، التاريخ الوسيط، ص ٢٥٧-٢٥٨.

وإذا دققنا ما ورد بالرواية الإسلامية من أحداث قبل عقد صلح الحديبية نرى أن جلكريا يست لم يذكر بعض الأحداث المهمة في موضوع الصلح؛ فهو يتفق مع مضمون الرواية بشكلها العام ويتغافل عن ذكر بعض الأحداث الجزئية منها؛ فمثلاً لم يذكر السرية التي قادها خالد بن الوليد لغرض التعرض للمسلمين في أثناء الصلاة حيث ذكر فتقدم مائتا فارس، عليهم خالد بن الوليد، ودنا خالد في خيله حتى نظر إلى أصحاب النبي ﷺ، فأمر النبي ﷺ عباد بن بشر فتقدم في خيله، فأقام بإزائه، وصف أصحابه، وحانت صلاة الظهر، فصلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الخوف<sup>(١)</sup>.

ولم يستشهد جلكريا على عادته ببعض الآيات القرآنية؛ لأنه لو ذكر الآية القرآنية التي تخص هذا الأمر فسيبتين أن قريشاً هي من أرادت الفتك بالنبي ﷺ وهو في صلاته وبذلك يسقط ما في يد جلكريا، في حين إن ما ذكر: «عن خالد بن الوليد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بإزائه وتعرضت له، فصلى بأصحابه الظهر أماناً، فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا، فأطلعنا الله على ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف»<sup>(٢)</sup>، حيث أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَىٰ مِّنْ مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾<sup>(٣)</sup>، إذ دل على أن قريشاً كانت تبيت للهجوم على المسلمين في أثناء الصلاة لكن الله كشف مخططهم، وهذا الموضوع يدل على خوف قريش من مجابهة المسلمين ومواجهتهم، وذلك واضح من خلال محاولة قائدهم التعرض للمسلمين في أثناء الصلاة.

١- ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ٢، ص ١٥٥

٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٥٩.

٣- النساء، ١٠٢.

وحاول المستشرق ذكر البيعة التي حدثت في الحديبية، وهي التي يطلق عليها بيعة الشجرة<sup>(١)</sup> في حين إن أغلب مصادرنا تذكر أنها بيعة الرضوان بلحاظ الآية القرآنية ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(٢)</sup> بعد تأخر عثمان بن عفان من العودة من مكة بعد أن أرسله النبي ﷺ لمعرفة نوايا قريش حيث لم يختلف المستشرق مع ما ذكرته المصادر الإسلامية في ذكر هذا الموضوع إذ قال: «وعندما فشلوا في العودة في الوقت المناسب، والمسلمون على استعداد للدفاع عن أنفسهم، تحت شجرة أخذوا عهداً غليظاً على أنفسهم لحماية محمد بحياتهم»<sup>(٣)</sup>.

وقد تطرق المستشرق جيورجيو لذلك بقوله: «ولقد تخوف المشركون، ولاسيما قريش، من بيعة الرضوان، التي بموجبها يتعهدون بتنفيذ ما يأمرهم رسول الله ﷺ، وإن كان مخالفاً لمعتقداتهم فلقد تصوروا أن الرسول ﷺ أخذ هذه البيعة، لأنه سيهاجمهم، وسيقتل من يقاوم، ويأسر من يستسلم، لقد كانت قريش على يقين من براعة محمد ﷺ العسكرية، بعد أن لمسوا منه ذلك في المعارك السابقة، وأيقنوا بأن المسلمين يتحلون بيقظة تامة، ووثقوا بأن محمدًا ﷺ إن صمم على احتلال مكة فعل ولهذا أطلقوا سراح عثمان فوراً، وأعادوه إلى الحديبية، وحملوه رسالة إلى النبي ﷺ، مفادها أنهم مستعدون للمباحثة معه، وسيرسلون وفداً لذلك»<sup>(٤)</sup>.

وإن أهم ما يفند ما ذهب إليه المستشرق جلكريست في أن النبي ﷺ كان عازماً على مهاجمة مكة، هو قبول النبي ﷺ الصلح على الرغم من المعارضة التي تلقاها النبي ﷺ من أصحابه ولاسيما عمر بن الخطاب إذ ذكر جلكريست ذلك بالقول: «جاء عمر بن

١- وكان رسول الله ﷺ يبائع أصحابه وهو واقف تحت شجرة، ولذلك سميت البيعة «بيعة الشجرة»، ينظر علوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ص ٤٩٠.

٢- الفتح، ١٨.

٣- Gilchrist, Mhammad the prophet of Islam, p39-٣

٤- جديد سيرة الرسول ﷺ، ص ٣١٢-٣١٣.

الخطاب إلى رسول الله ﷺ واقترب منه وقال : يا رسول الله هل علينا أن لا نقاتل من أجل الحق وهم يقتلوننا من أجل الباطل .... أليس الذين يقاتلون منا في الجنة والذين يقتلون منهم في النار، فأجاب : نعم . فقال فلماذا نضع وصمة عار على ديننا ونعود في حين إن الله لم يحسم القضية بينهم وبيننا»<sup>(١)</sup>.

وقد حملت الرواية الإسلامية كل ما ذكره المستشرق جلكريست؛ فقد ذكر ذلك بقول عمر بن الخطاب «مازلت أصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً»<sup>(٢)</sup>، ومن خلال مناقشتها فإننا نتعجب من كلام المستشرق جلكريست؛ فعمر بن الخطاب هو خليفة النبي ﷺ وكان قريباً منه وعلى معرفة واطلاع بإيمان النبي ﷺ وصدق نبوته، هذا إذا ما أضفنا أن النبي هو صاحب السلطة على جميع المسلمين؛ فكيف بعمر بن الخطاب بالاعتراض على أمر النبي ﷺ؟

وأضاف المستشرق جيوم من خلال التطرق لهذه الهدنة بالقول : «وبهذه الهدنة مع المكين أذل الرسول العقبة التي كانت تمنع البدو من الانضمام إلى المسلمين، ومنذ ذلك الوقت أخذت جموع العرب تفد على الرسول أفواجا»<sup>(٣)</sup>.

ويزعم جلكريست أن هذه المعاهدة هي مذلة للمسلمين بقوله : «يبدو أن محمداً قد تنازل ووافق على شروط مهينة للمسلمين، وكان أحد شروط المعاهدة أنه إذا وجد أي شخص من قريش يريد أن يصبح مسلماً، فإنه يجب أن يعاد إلى مكة، ولكن إذا وجد أي مسلم يرغب في الرجوع عن الإسلام، ليس على قريش أن تلزم نفسها بالمثل»<sup>(٤)</sup>، لكننا نراه يتراجع عن هذا الأمر بالقول: «وللمرة الأولى كانت قريش قد تفاوضت مع محمد على قدم المساواة وكذلك في المستقبل المنظور يستطيع أن يستمر في التوسع دون خوف من أي هجوم منهم، كما نجح في الحصول على سماح قريش له بزيارة مكة لمدة ثلاثة أيام

١- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p39-40.

٢- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٦٣٤.

٣- الإسلام، ص٤٧.

٤- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p40-٤.



في العام المقبل، وهو امتياز من شأنه أن يؤدي إلى زوال المعارضة المكية له في نهاية المطاف، حيث أصبح محمد الآن حراً في التماس حلفاء جدد والحصول على ولاء قبيلة خزاعة القريبة وخلال هذا العام، عززت الفتوحات مكانته، وبعد ذلك بعام واحد قام في الوقت المحدد بالذهاب للحج الى مكة<sup>(١)</sup>، مما يدل على عمق التناقض الذي يعيشه المستشرق حيث يذكر شيئاً ثم يقوم بنقضه مرة أخرى .

في حين إن وات يعد تخلي النبي ﷺ عن القتال لمدة عشر سنين من النوايا الحسنة والسلمية إزاء مكة<sup>(٢)</sup>.

ويتفق جلكريست مع الرواية الإسلامية في ذكر شروط الصلح حيث استخدم المنهج النقلي في ذكر شروط الصلح والتي تناقلتها المصادر الإسلامية، ولكنه يضيف أن أحد المعارضين على عقد الصلح مع قريش هو الإمام علي عليه السلام أيضاً فقال: «كان علي أيضاً منزعاً للغاية من هذه التطورات ولو كان محمد لم يتمتع بالتفاني اللامحدود من أتباعه، فقد كان يمكن أن يجد نفسه يواجه أزمة لها علاقة بالمصادقية»<sup>(٣)</sup>، حيث نرى المستشرق جلكريست يتبع المنهج الإسقاطي عند ذكر هذا الموضوع حيث لم تذكر المصادر الإسلامية مازعمه المستشرق بل إنها ذكرت ذلك بالقول: «يا محمد قد أجابت قريش إلى ما اشترطت عليهم من إظهار الإسلام وأن لا يكره أحد على دينه فدعا رسول الله ﷺ بالكتب ودعا أمير المؤمنين عليه السلام وقال له اكتب، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو<sup>(٤)</sup>: لا نعرف الرحمن اكتب كما كان آباؤك باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم فإنه اسم من أسماء الله، ثم كتب: هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله ﷺ والملا من

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p41-١

٢- محمد في المدينة، ص ٧٢.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p40-٣

٤- سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر، وأمه حبي بنت قيس بن ضبيس من خزاعة، وخرج سهيل بن عمرو من مكة إلى حنين مع النبي ﷺ وهو على شركه فأسلم بالجرعانة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٩؛ أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٣٢٤؛ ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥٨٥.

قريش، فقال سهيل بن عمرو : لو علمنا أنك رسول الله ما حاربناك، اكتب هذا ما تقاضى عليه محمد بن عبد الله أتأنف من نسبك يا محمد! فقال رسول الله أنا رسول الله وإن لم تقرؤا، ثم قال امح يا علي ! واكتب محمد بن عبد الله، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما أحو اسمك من النبوة أبداً، فمحاه رسول الله ﷺ بيده ثم كتب : هذا ما اصططح عليه محمد بن عبد الله والملا من قريش»<sup>(١)</sup>.

ثمّ يدل على أن علياً عليه السلام لم يكن معترضاً على شروط صلح الحديبية أو على إجراء الصلح مع قريش وإنما كان معترضاً على إزالة كلمة النبوة، والتي كانت مقترنة بالنبى الأكرم ﷺ، وليس إلى ما ذهب إليه المستشرق، والتي تظهر محاولته اقتناص بعض الروايات أو حتى بعض الكلمات أو اقتطاع أجزاء من النصوص التاريخية لغرض دفع ما كان يطمح في تحقيقه من غايات.

مما يدل على عظم المكاسب التي حصل عليها المسلمون من جراء عقد هذا الصلح، وما حصل عليه النبي ﷺ من حرية في الحركة وكسب الأتباع ويمكن أن نتبين ذلك من خلال قول المستشرق جلوب : «حتى إذا جاءت نهاية اليوم الأول من العودة هبط الوحي على النبي بسورة الفتح التي صورت الصلح على أنه نصر عظيم ومن الصعب علينا نحن ألا نتصور أن المسير إلى الحديبية بهذه القوة الصغيرة التي لا سلاح لها إلا السيوف لم يكن خطأ عسكرياً خطيراً، ولو كانت قريش أكثر جرأة أو كان لها قائد واحد حازم لكان في إمكانها أن تلحق بالمسلمين هزيمة خطيرة أو أن تزيل المسلمين من عالم الوجود»<sup>(٢)</sup>، إذ أوضح لنا جلوب مقدرة قريش في الإطاحة بالنبي ﷺ لذلك كان صلح الحديبية من أعظم الإنجازات التي حققها المسلمون، وهو ثمرة المعارك التي خاضها النبي ﷺ وكانت النتيجة أن حسم الموقف نهائياً لصالح الإسلام دون إراقة الدماء<sup>(٣)</sup>، إن

١- القمي، تفسير القمي، ج٢، ص٣١٣.

٢- الفتوحات العربية الكبرى، ص١٢٦.

٣- يعقوب، أين سنة الرسول وماذا فعلوا بها ؟، ص٢٧٣.

الصلح وما احتواه من بنود قد أوضح طبيعة السياسة السلمية التي كان يتبعها النبي ﷺ مع أهل مكة من قريش، مع فشل قريش ومحاولاتها النيل من المسلمين، ثم يرى وات أن تأجيل الحج في هذه السنة ينقذ كرامة أهل مكة غير أن محمداً يحقق بذلك هدفه، وهو السماح لهم بالحج في السنة القادمة وإظهار نواياه وموقفه من مشركي قريش<sup>(١)</sup>، كما أن عظمة النبي ﷺ لم تكن مستمدة من جاه أو مال أو سلطة وإنما كانت مستمدة من سمو خلقه الرفيع الذي حباه فيه الله عز وجل فقد كان لا يجب سفك الدماء والقتال إلا في حالة الدفاع عن النفس وأنه المثل الأعلى للإنسان الكامل في الحياة<sup>(٢)</sup>.

وحاول جلكريست إعطاء دور كبير لبعض الشخصيات والتقليل من شخصيات أخرى وخير دليل على ذلك هو قول جلكريست «وبحلول هذا الوقت، اعتنق خالد بن الوليد، المحارب المكي، الإسلام، ولفترة من الوقت ركز محمد على محاربة الأعداء في شمال المدينة وأرسل بعثة استكشافية إلى مؤتة<sup>(٣)</sup>، وهي بلدة على الحدود السورية، إذ أصبح جيشه على اتصال بالقوات البيزنطية للمرة الأولى. وقد هزم المسلمون وقتل ابن محمد الذي تبناه زيد بن حارثة في المعركة مع عدد من المسلمين البارزين الآخرين بقيادة خالد حيث كان على القوة العودة إلى المدينة»<sup>(٤)</sup>، ولكن بالرجوع إلى أصل الرواية الإسلامية نراه يقول إن النبي ﷺ أمر في غزوة مؤتة زيد بن الحارثة فقال ﷺ: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة»<sup>(٥)</sup> مما يدل على أن القائد ليس خالد بن الوليد وإنما كان من ضمن القادة في هذه المعركة ثم هو من قام بالانسحاب من المعركة، ولانعرف السبب الذي دفع المستشرق إلى عدم ذكر تفاصيل الرواية.

١- محمد في المدينة، ص ٧٢.

٢- خفاجة، الرد على أعداء الإسلام، ص ٣٥.

٣- مؤتة : بلدة أردنية تقع جنوب الكرك غير بعيدة منها إذا سرت من معان إلى عمان وإذا كنت في منتصف المسافة حيث مكان يدعى المزار، وهو قبر جعفر الطيار بن أبي طالب (gggg)، ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٦٥، الحربي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٣٠٤.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p41-٤.

٥- البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٤٣.

وقال جلكريست: «وَأَدَّتِ المناوشات البسيطة في هذا الوقت إلى إعطاء محمد الذريعة التي كان يحتاجها لإطلاق هجوم كامل على مدينة مكة»<sup>(١)</sup>، في حين لم تكن للنبي ﷺ النية مسبقاً على النقض لشروط الصلح ويمكن أن يتضح ذلك من خلال عدة نقاط قد احتواها صلح الحديبية؛ فقد احتوى على كلمتين هما: لا إغلال ولا إسلال؛ فالإغلال: الخيانة، والإسلال: السرقة، يقال: فلان مغل مسل أي: خائن سارق، والسلة: السرقة<sup>(٢)</sup>، هذا بالإضافة إلى أن سبب قيام النبي ﷺ بالمهجوم على مكة لأن قريشاً هي من نقضت بنود الصلح إذ كانت الحرب بين بني بكر وهم حلفاء قريش، وخزاعة وهم حلفاء النبي ﷺ فأعانت قريش حلفاءها على خزاعة فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: والذي نفسي بيده لأمنعهم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي<sup>(٣)</sup>، إن ما قامت به قريش من تقديم المساعدة لحليفها بكر ضد خزاعة حليفة المسلمين في حين أن الطرفين قد اتفقا على عدم تقديم المساعدة لحليفتهما في حالة نشوب صراع أو اقتتال بينهم لذلك اضطر النبي ﷺ لتجهيز حملة لفتح مكة.

ويعد صلح الحديبية دبلوماسية وسياسة ناجحة قد قام بها النبي ﷺ لغرض تثبيت دعائم الدولة الجديدة التي فرضت سيادتها بأسلوب الحوار والسياسة بعيداً عن منهج القوة وسفك الدماء وهي مرحلة من مراحل بناء الدولة، وقد كان من نتائج صلح الحديبية اعتراف قريش بكيان الدولة المسلمة ودخلت مهابتها في قلوب المشركين وأعطتهم الهدنة الفرصة لنشر الإسلام وأمن المسلمون جانب قريش فحولوا ثقلهم لجانب اليهود، ثم كان صلح الحديبية سبباً ومقدمة لفتح مكة<sup>(٤)</sup>.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p41-

٢- البغوي، شرح السنة، ج ١، ص ٢٣٧.

٣- الصنعاني، المصنف، ج ٥، ص ٣٧٤.

٤- الصلاحي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ٦٨٤.

## ٢- فتح مكة

إن السبب الرئيس لفتح مكة وفق رأي جلكريست أن النبي ﷺ هو من سعى لنقض الصلح الذي كان بين الطرفين حيث قال: «فقد قرر محمد منذ فترة طويلة أن يغزو مكة ويدخلها للإسلام ولم يمض وقت طويل حتى وجد لذلك حيث اعطته قريش الفرصة التي سعى من خلالها في تسيير حملة ضدها»<sup>(١)</sup>.

وهنا لابد من الاطلاع على الرواية التي أدت بالنبي ﷺ إلى نقض الصلح، والتي وردتنا عن الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال «لما انتهى الخبر إلى أبي سفيان وهو بالشام بما صنعت قريش بخزاعة أقبل حتى دخل على رسول الله ﷺ فقال يا محمد احقن دم قومك واجري بين قريش وزدنا في المدة، قال أغدرتم يا أبا سفيان»<sup>(٢)</sup>.

وعرض بروكلمان حقائق هذا الموضوع في عرض منه؛ إذ لجأ به إلى التدليس والكذب لكي يظهر النبي محمداً ﷺ بمظهر الناكث للعهود والمواثيق؛ إذ يقول: «أما محمد فكان يترقب الفرص ليصفي حسابه معهم جملة واحدة... واتفق أن نشأت مشادة بين إحدى القبائل البدوية الداخلة في الإسلام وبين بعض مشايخ قريش، اشترك فيها على ما يقال نفر من أهل مكة، وهكذا رأى محمد نفسه من صلح الحديبية بعد أن نقضته قريش»<sup>(٣)</sup>.

ولذلك كان فتح مكة نتيجة غدر المشركين ونقض العهود حيث اعتدوا على قبيلة من القبائل المتحالفة مع النبي ﷺ ومما لاشك فيه أن كل القوانين والأعراف الدولية تعطي الحق للحليف في نصره حليفه، ثم إن ما فعله النبي ﷺ بأهل مكة يعد من الشواهد الكثيرة على ابتعاد المسلمين عن سفك وإراقة الدماء، ولقد خلد النبي ﷺ ذلك في مقولته العظيمة «اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(٤)</sup> وفتح مكة أصبحت تابعة لدولة الإسلام

١- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p42-١

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص ٨٥٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٣٢٦؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص ١٨٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٣٢٠.

٣- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦٠.

٤- ابن حبان، الثقات، ج٢، ص ٥٦.

فهم دخلوا الإسلام لكنهم لم يؤمنوا فكانوا من المؤلفة قلوبهم .

وعرج جلكرايست بالقول : « كانت جحافل المسلمين، المتحمسين للقتال والغنائم في حالة الانتصار»<sup>(١)</sup>، في محاولة منه للقول إن المسلمين كانوا يرغبون في القتال لغرض الحصول على الغنائم لكن يعود النبي ﷺ ليفشل ادعاءهم من خلال السياسة التي اتبعها النبي ﷺ حيث دخل مكة مسلماً دون قتال بل إنه «استقرض رسول الله ﷺ من ثلاثة نفرٍ من قريش: من صفوان بن أمية<sup>(٢)</sup> خمسين ألف درهم فأقرضه، واستقرض من عبد الله بن أبي ربيعة<sup>(٣)</sup> أربعين ألف درهم واستقرض من حويطب بن عبد العزى<sup>(٤)</sup> أربعين ألف درهم فكانت ثلاثين ومئة ألف فقسمها رسول الله ﷺ بين أصحابه من أهل الضعف»<sup>(٥)</sup>، هذا كله يدل على أن النبي ﷺ لم تكن لديه النية لسفك الدماء والحصول على الغنائم مثل ماصور ذلك .

فهذا المستشرق جلوب يوضح ذلك بالقول: «ولا ريب أن هذا التسامح أو العظمة السياسية التي اتصف بها النبي كرجل دولة كانت غريبة بين العرب التي كانت صفة الانتقام من خصالهم ومزايهم، وقد حقق النصر الكبير بسياسته ودبلوماسيته، أكثر منه بعمله العسكري، ولا ريب أن عظمته تقوم في أنه أدرك في عصر يسوده العنف وسفك الدماء أن الأفكار أقوى من القوة والعنف»<sup>(٦)</sup>، وهو أيضاً ما أكدته المستشرق كلود كاهن بقوله : «وفي عام ٦٣٠م تمكن محمد من العودة إلى مكة فألقى الديانة القديمة وخضعت

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p42-

٢- صفوان بن أمية، هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذاف بن جهم، أسلم بحنين وأعطاه النبي ﷺ غنائم حنين خمسين بعيراً، وهو من المؤلفة قلوبهم، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٤٤٩؛ البغوي، معجم الصحابة، ج ٢، ص ١٢؛ ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ج ٤، ص ٤٢١؛ الذهبي، الكاشف، ص ٥٠٢.

٣- عبد الله بن أبي ربيعة : عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر، وأمه أسماء بنت مخزبة وولاه عمر بن الخطاب اليمن، ينظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٤٤٤؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص ٣٠٢.

٤- حويطب بن عبد العزى، هو حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ويكنى بأبي محمد، وأمه زينب بنت علقمة بن غزوان بن يربوع بن الحارث، أسلم حويطب يوم فتح مكة، ينظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٤٥٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ١٢٤.

٥- الواقي، المغازي، ج ٢، ص ٨٦٣.

٦- جلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ص ١٤٢-١٤٣.

له قريش من دون أن يمارس أي عمل انتقامي ضد القريشيين»<sup>(١)</sup>.  
 وذهب جلكريست إلى ما ذهب إليه المستشرق جب<sup>(٢)</sup> بالقول: «لقد كان ضرورياً  
 لأهداف محمد أن تصبح مكة تحت سيطرته وفي قبضته، وقد برزت عبقرية محمد الفذة في  
 إخضاع مكة بعد سبع سنين من الكفاح حيث تم التعامل مع أهلها حين الفتح لا باعتبارهم  
 أعداء هزموا قهراً بل باعتبارهم شركاء ورفقاء التمس الشمل معهم طوعاً»<sup>(٣)</sup>، في حين إن  
 هناك فريقاً آخر يحاول التقليل من حجم الانتصار الكبير الذي حققه النبي ﷺ في مكة فعلى  
 سبيل المثال، ما ذكره دونر<sup>(٤)</sup> والذي لم يولِ الموضوع بكثير من الاهتمام من حيث الإسهاب  
 بالمعلومات؛ لأن الموضوع وفق وجهة النظر الخاصة به ليس فتحاً والفتح هو ما حشد إليه  
 المسلمون من الجيوش ضد أهل الكتاب فمكة بالنسبة لدونر ماهي إلا بيئة محمد والإسلام<sup>(٥)</sup>  
 ثم يتحامل جلكريست بالقول: «لم يستفد الجميع من العفو وأمر بعدد من رجال  
 قريش أن يتم قتلهم حتى لو وجدوهم متمسكين بالقماش الذي يغطي الكعبة وتم تنفيذ  
 أربعة فقط منها بالفعل وكان اثنان منهم من المسلمين السابقين ومذنبين بالقتل في المدينة،  
 وقد هربا إلى مكة كمرتدين عن الإسلام، وكان أحدهم امرأة من الرقيق حيث كانت  
 تعتدي على محمد في أغانيها في حين كان الآخر هو الحويرث<sup>(٦)</sup> الذي اعتدى على ابنته  
 زينب عندما هاجرت من مكة إلى المدينة»<sup>(٧)</sup>.

١- كاهن، الإسلام (منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية)، ص ٣٥.  
 ٢- جب، هو هاملتون جب ولد في مدينة الإسكندرية في مصر عام ١٨٩٥ وتوفي ١٩٧١ في أكسفورد وتخصص في اللغات  
 السامية وعين مدرساً للغة العربية في جامعة لندن وقد زار الشرق وأول إنتاج له هو فتوح العرب في آسيا وله العديد من  
 الآثار ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ١٧٤ - ١٧٥.  
 3-Gibb, Mohammedanism, P. 28.  
 ٤- دونر: ولد عام ١٩٤٥ في واشنطن وحصل على شهادة البكالوريوس في الفن من جامعة برنستون وأكمل دراسته  
 للعربية وخدم في جيش الولايات المتحدة ثم حصل على دكتوراه في الفلسفة للمزيد ينظر: عذير، كتاب الفتوحات  
 الإسلامية المبكرة للمستشرق الأمريكي دونر الفرد ماكجود (دراسة منهجية نقدية) رسالة ماجستير غير منشورة،  
 ص ٥٩.  
 ٥- عذير، كتاب الفتوحات الإسلامية المبكرة للمستشرق الأمريكي دونر الفرد ماكجود (دراسة منهجية نقدية) رسالة  
 ماجستير غير منشورة، ص ١٢٣.  
 ٦- الحويرث هو: الحويرث بن نقيد بن بجير بن عبد، أمر النبي ﷺ أن يقتله من وجده يوم فتح مكة، فقتل كافراً، وكان  
 الذي قتله الإمام علي عليه السلام، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٩، ص ٤١٦.  
 ٧- Gilchrist, Muhammad the prophet of Islam, p43-

في فتح مكة أهدر النبي ﷺ دماء أكثر من عشرين شخصاً، وقد أشارت إلى ذلك كتب التاريخ والسيرة والسنن بشيء من الإيضاح والتفصيل، وبينت الأسباب التي أهدر النبي ﷺ بموجبها دماء هؤلاء الأشخاص؛ فقد أشارت الروايات والتي جاءت عن الإمام الصادق (عليه السلام) في ذكر هؤلاء المهذورة دماؤهم بقوله: «...أمر رسول الله ﷺ بقتل عبد الله بن أبي سرح<sup>(١)</sup> وإن وجد في جوف البيت، وبقتل عبد الله بن خطل<sup>(٢)</sup>، وقتل مقيس بن صبابه<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

وأما «قيتان، إحداهما فرتنا، والأخرى أرنب، وكانتا فاسقتين، وكان يقول الشعر يهجو رسول الله ﷺ ويأمرهما تغنيان به، ويدخل عليه وعلى قيتيه المشركون فيشربون الخمر، تغني القيتان بذلك الهجاء»<sup>(٥)</sup>

ثم إن «سارة مولاة عمرو بن هاشم مغنية نواحة بمكة، فيلقى عليها هجاء رسول الله ﷺ فتغني به، وكانت قد قدمت على رسول الله ﷺ تطلب أن يصلها وشكت الحاجة فقال رسول الله ﷺ: ما كان لك في غنائك ونياحك ما يغنيك! فقالت: يا محمد، إن قريشاً منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا سماع الغناء فوصلها رسول الله ﷺ وأوقر لها بعيراً طعاماً، فرجعت إلى قريش وهي على دينها فأمر بها رسول الله ﷺ يوم الفتح أن

١- عبد الله بن سعد، هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة، أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، أسلم قديماً وكتب لرسول الله ﷺ ثم افتتن وخرج من المدينة إلى مكة مرتداً فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح، فأمنه عثمان، مات سنة تسع وخمسين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٩٧؛ ابن خياط، طبقات خليفة، ص ٥٢٩؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج ٣، ص ٢١٣.

٢- عبد الله بن خطل، هو عبد الله بن خطل التميمي، كان يهجو رسول الله ﷺ، وكان مسلماً وبعثه النبي ﷺ مصداً ومعه آخر من الأنصار فعمد ابن خطل على الأنصاري فقتله وهو نائم ثم ارتد مشركاً فأهدر النبي ﷺ دمه فقتله يوم الفتح أبو برزة الأسلمي الذي قال: أنا أخرجت عبد الله بن خطل من تحت أستار الكعبة فضربت عنقه. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٢٩٨؛ الخطيب التبريزي، الإكمال في أسياء الرجال، ص ١٨٩؛ الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار، ج ٣، ص ٤٥٢.

٣- مقيس بن صبابه، هو مقيس بن صبابه بن حزن بن يسار الكناني القرشي، شاعر اشتهر في الجاهلية، شهد بدرًا مع المشركين، ترقب قاتل أخيه حتى ظفر به وقتله بعد أن أخذ دينه فأهدر النبي ﷺ دمه فقتل يوم الفتح. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢٦٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٥٥٣؛ المقرئ، إمتاع الأسع، ج ١، ص ٤٠٠؛ الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٢٨٣.

٤- البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٤٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٩؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٤١.

٥- الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٨٦٠.



تقتل فقتلت»<sup>(١)</sup>، «وأما الحويرث بن نقيد من ولد قصي، فإنه كان يؤذي النبي ﷺ فأهدر دمه، فبينما هو في منزله يوم الفتح قد أغلق بابيه عليه، أقبل علي ﷺ يسأل عنه، فقيل: هو في البادية، فأخبر الحويرث أنه يطلب، وتنحى علي ﷺ عن بابيه فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى بيت آخر، فتلقيه علي ﷺ فضرب عنقه، وأما هبار بن الأسود<sup>(٢)</sup> ... وكان جرمه أنه عس بابنة النبي ﷺ زينب وضرب ظهرها بالرمح وكانت حبلى، حتى أسقطت، فأهدر النبي ﷺ دمه، فبينما رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه إذ طلع هبار بن الأسود، وكان لسنا فقال: يا محمد سب من سبك، إني قد جئت مقراً بالإسلام، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فقبل منه رسول الله ﷺ فخرجت سلمى مولاة النبي ﷺ فقالت: لا أنعم الله بك عينا! أنت الذي فعلت وفعلت، فقال: إن الإسلام محاذلك»<sup>(٣)</sup>.

وتطرق المستشرق جلوب إلى ذلك من خلال قوله: «لم يخطر ببال محمد المنتصر الفاتح أن يثار أو ينتقم فقد أعلن لأهل مكة ... اذهبوا فأنتم الطلقاء ولم يستثن من هذا العفو العام إلا عدداً قليلاً دون العشرة أمر النبي بقتل أربعة منهم فقط لكثرة ما كان منهم من أذى للمسلمين»<sup>(٤)</sup>.

وما يدل على أن النبي ﷺ قد كانت له معاملة حسنة مع أهل مكة من خلال ما زخرت فيه الروايات حيث ذكر: «ثم قال رسول الله ﷺ: لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم ونزل النبي ﷺ الأبطح»<sup>(٥)</sup> وضرب لنفسه فيه قبة؛ وجاءته أم هانئ بنت أبي طالب فوجدت رسول الله ﷺ يغتسل ... فقال: مرحباً مرحباً وأهلاً بأم هانئ ما

١-الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٨٦٠.

٢-هبار بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكان ممن عادى النبي ﷺ ونصب له الأذى في الإسلام وقد تعرض إلى حرم النبي ﷺ في أثناء الهجرة فأهدر النبي ﷺ دمه إلى أن أسلم، ينظر، ابن قانع، معجم الصحابة، ج ٣، ص ٢٠٧؛ القرطبي، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٥٤.

٣-الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٨٥٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤١٠. الزرقاني، شرح الزرقاني، ج ٣، ص ٤٢٥.

٤-الفتوحات العربية الكبرى ص ١٤١.

٥-الأبطح: وهو واد بمكة بين المنحني إلى الحجون ثم تليه البطحاء إلى المسجد الحرام وكلاهما من المغلاة، للمزيد ينظر: ابن الشيخ الشافعي، مرشد الزوار، ج ١، ص ٧٣٥؛ الحري، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٣ - ١٤.

الذي جاء بك قالت: رجلان من أصهاري من بني مخزوم وقد أجرتها ... فقال رسول الله ﷺ: أجرتنا من أجرت يا أم هانئ ثم إن عمير بن وهب<sup>(١)</sup> قال: يا رسول الله! إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقتل نفسه في البحر فأمنه<sup>(٢)</sup>، وأما «عكرمة بن أبي جهل ففر إلى اليمن، فاتبعته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام<sup>(٣)</sup>، فردته، فأسلم، وحسن إسلامه»<sup>(٤)</sup>.

وما يؤيد دخول النبي ﷺ مكة دون إراقة الدماء أيضاً قول المستشرق جلوب: «وهكذا تم فتح مكة دون إراقة دماء إلى حد كبير وعلى الرغم من أن النبي كان قد عانى الاضطهاد في المدينة، وعلى الرغم من أن عدداً من ألد أعدائه كانوا لا يزالون يعيشون فيها، إلا أنه اكتسب قلوب الجميع بما أظهره من رحمة وعفو في يوم انتصاره ولا ريب في أن هذا التسامح أو هذه الفطنة السياسية التي اتصف بها النبي كرجل دولة، كانت غريبة على العرب الذين كانت صفة الانتقام من خصالهم ومزايهم»<sup>(٥)</sup>.

ثم يذكر المستشرق جون جلكريست أن النبي ﷺ قام بإرسال الوفود لغرض دعوة القبائل المجاورة لمدينة مكة للإسلام؛ إذ ذكر قائلاً: «بقي محمد هناك خمسة عشر يوماً، حيث قام محمد في أثنائها بتنظيم طرق لتوجيه الناس إلى الإسلام وفي الوقت نفسه، أرسل وفوداً لدعوة أولئك الذين يقعون حول المدينة المقدسة للخضوع للإسلام بصورة سلمية وتدمير أصنامهم»<sup>(٦)</sup>.

وفي حادثة متصلة بما كان من فتح مكة فقد بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة لدعوتهم إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً؛ فخرج في ثلاث مئة وخمسين رجلاً من

١- عمير بن وهب، هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة ويكنى بأبي أمية وأمه أم سخيبة بنت هاشم بن سعيد بن سهم، للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٩٩.

٢- ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج ١، ص ٣٣٥. البيهقي، دلائل النبوة، ج ٥، ص ٨٠.

٣- أم حكيم بنت الحارث، هي بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة بن مخزوم، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٠٥؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٣٧٩.

٤- الظاهري، جوامع السيرة النبوية، ص ١٨٥.

٥- الفتوحات العربية الكبرى، ص ١٥٦-١٥٧.

٦- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p44-٦



المهاجرين والأنصار حتى وصل إليهم فقال : ما أنتم ؟ قالوا: مسلمون فقال: فما بال السلاح عليكم ؟ قالوا إن بيننا وبين بعض العرب عداوة فخشنا أن تكونوا هم. قال : فضعوا السلاح، فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرقهم في أصحابه فلما كان في السحر نادى خالد بن الوليد من كان معه أسير فليقتله بالسيف، فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم، وذلك لعداوة كانت بينهم من أيام الجاهلية، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم فبلغ رسول الله ﷺ ما صنع خالد فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، وبعث علي بن أبي طالب (عليه السلام) فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فأخبره<sup>(١)</sup>. ولم يكن السبب هو السبب نفسه الذي ذكره المستشرق جلكرايست «أخذ خالد بعضهم وقتلهم حتى يصبحوا عبرة للآخرين»<sup>(٢)</sup>، وإنما لعداوة كانت منذ أيام الجاهلية؛ إذ ذكر «وكانت جذيمة أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن والفاكه بن المغيرة عم خالد، كانا قد أقبلتا تاجرين من اليمن فأخذتا ما معها وقتلتها»<sup>(٣)</sup>.

ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال ما «وقع بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شر وجدال بعد قدوم خالد وصنيعه ببني جذيمة، فقال له عبد الرحمن : أخذت بأمر الجاهلية قتلتهم بعمل الفاكه، قاتلك الله، فقال خالد : أخذتهم بقتل أبيك، فقال عبد الرحمن : كذبت، ولو لم أقتله، لكنت تقتل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية»<sup>(٤)</sup>.

ولابد من التطرق إلى ما قاله المستشرق جلوب: «وتم فتح مكة دون إراقة الدماء إلى حد كبير، وقد قتل خالد بن الوليد الحاد المزاج بعض الناس عند باب المدينة الجنوبي وأنبه محمد تأنيباً حاداً»<sup>(٥)</sup>.

١- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٤٧-١٤٨ ؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ٢، ص ٢٣٤ ؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢١٠.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p44-٢.

٣- ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٩٤ ؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥٥.

٤- البعقوبي، تاريخ البعقوبي، ج ٢، ص ٦١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٤١ ؛ ابن الأثير أسد الغابة، ج ٢، ص ٩٤ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٣٧٠ ؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢١٠.

٥- الفتوحات العربية الكبرى، ص ١٤١.

ومما يؤكد أن النبي ﷺ كان من أكثر المعارضين لاستعمال القوة ضد أهل مكة ومن ثم حقق النبي الأكرم ﷺ النصر الكبير بسياسته وتسامحه أكثر منه بعمله العسكري وليس من منطوق الأديان أن يسامح الله الناس على الرغم من ارتكاب الجرائم والمخالفات ضد المسلمين.

## المبحث الثاني

### صراع النبي ﷺ مع القوى شمال المدينة

دخل النبي ﷺ في صراع مع العديد من القوى الواقعة شمال المدينة والتي ذكرها المستشرق جلكريست في كتابه، وهي كما يأتي:

#### ١ - غزوة خيبر ٧هـ

وهذا الموضوع من الموضوعات التي مرَّ عليها المستشرق مرور الكرام ولا نعرف سبب هذا الإيجاز الذي اتبعه جلكريست في عرض هذا الموضوع، ولكنه يبدو ومنذ البداية أنه كان ينتقي الموضوعات التي يتكلم بها؛ لأنه من خلال هذه الموضوعات يبدأ يعدّ القلعة لضرب شخص النبي ﷺ، فهو عندما يذكر الحادث يقول: «قام محمد بمهاجمة القلعة اليهودية في خيبر وعلى الرغم من أنه لم يغزوها، إلا أنه جلبها للخضوع تحت حكمه»<sup>(١)</sup>.

وهنا زعم جلكريست أن النبي ﷺ كان من الطامعين في الملك والحكم لذلك أراد إخضاع هذه القلعة الخيرية حسب قوله هذا من جانب، ومن جانب آخر أراد المستشرق جلكريست الإيحاء به وهو ذكره للقلعة اليهودية والتي تدل على القوة والترف والرخاء قياساً بما كان يعيشه العرب آنذاك، أي أنه أراد إرجاع الجانب المادي السبب المباشر للحرب، وهو الذي دفع النبي ﷺ لفتح حصن خيبر متجاهلاً كل الأسباب التي أدت بالنبي ﷺ إلى القيام بفتح حصن خيبر، فبعد أن طرد النبي ﷺ يهود المدينة حتى بدؤوا بمحاربة الدعوة الإسلامية، وكانت لهم أدوار كبيرة في محاربة الإسلام<sup>(٢)</sup>.

لقد تحولت خيبر إلى مكان لإعداد الخطط لمهاجمة المدينة، ويمكن أن نرى ذلك

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p65-

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص ١٠٦

واضحاً في ما أشار إليه زعيمهم سلام بن مشكم بأن يسيروا معه، ويهود تيباء<sup>(١)</sup>، وفدك<sup>(٢)</sup>، ووادي القرى<sup>(٣)</sup>، ولا يجلبوا معهم أحداً من العرب حتى يغزوا محمداً في عقر داره فوافقوا على ذلك<sup>(٤)</sup>.

فضلاً عن أن هؤلاء المعارضين في خير لديهم القوة العسكرية، والعتاد الكافي، والخبرة لمواجهة النبي<sup>(٥)</sup>، فكانت من أكبر التحديات التي تواجه النبي ﷺ بعد مشركي مكة فما كان منه إلا أن اتجه بعد صلح الحديبية إلى القضاء عليهم<sup>(٦)</sup>.

وقد شارك جلكريست بروكلمان في هذا الرأي؛ إذ قال بروكلمان: «سنة ٦٢٨م حاول النبي أن يعوض من فشله الظاهري في الحديبية، فقاد المسلمين في حملة على المستعمرة اليهودية الغنية في خير»<sup>(٧)</sup>.

ثم إن المستشرق جلوب لم يختلف عن بروكلمان في تعرضه لهذا الموضوع عندما قال: «أما المنقولات والأموال والمجوهرات والإبل والماشية ومخزونات التمر، فقد حملها المسلمون غنيمة لهم وسلبوها»<sup>(٨)</sup>.

وهذا أمر لا يمكن الركون إليه؛ لأن المسلمين لم تحرّكهم الدوافع المادية منذ البداية حيث تحملوا الاغتراب والهجرة وترك الثروات مما يدل على ضعف الوازع المادي لدى

١- تيباء : بلدة في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، حاضرة طي، وبها الحصن المعروف بالأبلق، ينظر : العزيري، الكتاب العزيري أو المسالك والممالك، ص ٢٣؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧ .

٢- فدك : قرية من قرى خير تقع في حرة خير تقع على مسافة يومين من المدينة المنورة كانت ذات شجر ونخل وخصب بفضل مياهها الوافرة، سكانها من اليهود، وحصنها يقال له الشمروخ، ينظر، البكري، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ١٠١٥؛ الحموي، معجم البلدان، م ٤، ص ٢٣٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٣٧؛ الجاسر، في شبال غرب الجزيرة، ص ٢٩٥-٣٠٩ .

٣- وادي القرى : واد بين الشام والمدينة وبين تيباء وخير فيه قرى كثيرة وبها سمي كانت قديماً منازل ثمود وعاد، ونزلها بعدهم بهذه القرى اليهود، ينظر : الهمداني، الأماكن أو ما اتفق لفظه واختلف مسماه من الأمكنة، ص ٧٧٤؛ الحموي، معجم البلدان، م ٥، ص ٣٤٥ .

٤- الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٥٣٠ .

٥- الصالح، سبل الهدى، ج ٥، ص ١٨١ .

٦- الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٣١٢ .

٧- تاريخ الشعوب، ص ٥٦ .

٨- الفتوحات العربية، ص ١٢٧ .



الكثير منهم، وخير دليل على ذلك هو ما فعله الإمام علي عليه السلام بنصيبه من الغنيمة<sup>(١)</sup>. ولم يتطرق جلكريست إلى موضوع اللقاءات العسكرية والمناوشات، والتي تظهر مدى قوة المسلمين ولا سيما الدور الذي لعبه الإمام علي عليه السلام في هذه الغزوة، والذي استطاع من قتل قادة اليهود في الحصن<sup>(٢)</sup> وقلع باب الحصن بيده<sup>(٣)</sup>.

ولم يكتف جلكريست بذكر ما تقدم بل إنه ذهب إلى القول «في نهاية حياته أعطى تعليمات لعمر، وهو خليفته الثاني، لضمان أن جميع اليهود قد تم طردهم من شبه الجزيرة العربية، وفي الوقت المناسب، أخرجهم الخليفة على النحو الواجب عليه»<sup>(٤)</sup>، ولا نعرف علامَ اعتمد جلكريست في ذكر مثل هذا الموقف، في حين إن النبي صلى الله عليه وآله لم يوص بالخلافة سوى للإمام علي عليه السلام استناداً إلى أغلب الكتب التي تذكر حادثة غدير خم<sup>(٥)</sup>، وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد أوصى فلم يوص الخليفة الثاني أو لم يكن من الأجدر به أن يوصي الخليفة الأول؟

١- وقد أعطى النبي صلى الله عليه وآله الإمام علياً عليه السلام وقال له: (يا علي خذ هذه القطيفة إليك) فأخذها حتى عاد إلى المدينة فانطلق إلى البقيع وهو سوق المدينة فأمر صائغاً ففصل القطيفة سلماً سلماً فباع الذهب وكان ألف مثقال، ففرقه علي عليه السلام في فقراء المهاجرين والأنصار، ثم رجع إلى منزله ولم يترك من الذهب قليلاً ولا كثيراً لعلها، ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٩.

٢- وعندما وصل النبي صلى الله عليه وآله حصن خيبر أعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وآله يجنبه أصحابه ويجنبهم فقال النبي صلى الله عليه وآله لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما كان من الغد تناول لها أبو بكر وعمر فدعا الإمام علياً عليه السلام وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض قال فلقي أهل خيبر فإذا مرحب برز له فاختلف هو وعلي ضربتين فضر به علي على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته فما تنام آخر الناس مع علي حتى فتح الله له ولهم، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٢.

٣- عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب عليه السلام، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله برأيته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فضر به رجل من اليهود فطاح ترسه من يده فتناول علي عليه السلام باباً كان عند الحصن ففترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجتهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقله، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٣٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٣؛ الباعوني، جواهر المطالب، ص ٢١٧.

٤- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p65.

٥- غدير خم: موضع بالقرب من الجحفة بين مكة والمدينة منها يتفرق الحجاج كل يذهب إلى بلده حدثت في العام العاشر للهجرة بعد عودة النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع وفيها أعلن صراحة مبايعة الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين، ونزل نص قرآني يؤكد هذا الترشيع ويشدد عليه وفق الآية (٦٦ من سورة المائدة) للمزيد ينظر: الإسكافي، المعيار والموازنة، ص ٢١٠؛ ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، ص ٩٢-١١١.



## ٢- غزوتا حنين<sup>(١)</sup> والطائف ٨هـ

تطرق المستشرق جلكريست إلى موضوع الهجوم الكبير الذي قاده قبيلة هوازن؛ إذ ذكر « قبيلة هوازن الواقعة جنوب شرق مكة والتي كان سكانها يسكنون التلال والوديان القريبة قلقين من استسلام مكة، وتحت قيادة مالك بن عوف النضري<sup>(٢)</sup>، جمعوا قبيلة ثقيف مع رجال قبائل محليين آخرين، وأخذوا كل ما يمتلكونه معهم في أما أن تفعل أو تموت من أجل الانقضاء على المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

وقد اتفق جلكريست مع مذكره الواقدي «لما فتح رسول الله ﷺ مكة مشى أشراف هوازن بعضها إلى بعض، وثقيف بعضها إلى بعض، وحشدوا وبغوا وأظهروا أن قالوا: والله ما لاقى محمد قوماً يحسنون القتال، فأجمعوا أمرهم فسيروا إليه قبل أن يسير إليكم»<sup>(٤)</sup>، حول موضوع هذه الغزوة والتي ذكرتها كتب التاريخ بغزوة حنين، والتي كانت الغاية منها الدفاع عن دولة الإسلام وليس مثلما كان يشير المستشرق فيما سبقها من غزوات، من أن المسلمين كانوا متعطشين لسفك الدماء، حيث كان الطرف البادي في هذه المعركة هم قبيلة هوازن وثقيف والمسلمون هم المدافعون عن دينهم.

وقد ذكر المستشرق جلكريست كيفية قيام النبي ﷺ بتقسيم الغنائم بقوله: «عندما أعطى الله رسوله غنائم الحرب في يوم حنين، وزع الغنائم بين أولئك الذين كانت قلوبهم للتو قد تصالحت مع الإسلام لكنه لم يعط أي شيء للأَنْصار... فأجاب محمد أنه في حين أعطى الممتلكات المادية للمكيين، فإنه نفسه ينتمي إلى المدينة، وأنه سيعود معهم إلى المدينة ولن

١- حنين: هو واد قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٤٧١.  
٢- مالك بن عوف النضري: وكان من قاد قبيلة هوازن لحرب النبي ﷺ في غزوة حنين، ثم أسلم بعد ذلك وقد أعطاه النبي ﷺ وأنعم عليه وجعله أميراً على من أسلم من قومه، للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٣٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ١٣٥؛ الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٠٩.  
٣- 44-3. Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p44-3.  
٤- المغازي، ج ٣، ص ٨٨٥.

يتركها أبداً، لقد أعطى الغنائم لهم ببساطة لتأكيد ثقتهم به وبذلك قبل المسلمون تفسيره<sup>(١)</sup>. وهو ما اختلف فيه المستشرق جلكريست مع المستشرق جلوب، والذي قال: «انتصار المسلمين في حنين ساعدهم أن يكسبوا غنائم كثيرة بينها أعداد من الإبل والغنم»<sup>(٢)</sup>، وهي الشبهة التي كثيراً ما عكف عليها المستشرق جلوب لإلصاقها بالمسلمين، إذ ذكر أنهم كانوا يطلبون الغنائم في حروبهم، ولو كان الأمر كذلك فلم يقوم النبي ﷺ بتقسيم الغنائم بين من دخل الإسلام حديثاً ولم يعط للأنصار منها شيئاً؟.

إن تقسيم الغنائم من قبل النبي ﷺ على أهل مكة ممن أسلم حديثاً إنما يدل على حنكة سياسة، ونظرة ثاقبة من قبل النبي ﷺ في تسيير الأمور، فهؤلاء قد مكثوا يحاربون النبي ﷺ هذه الفترة الطويلة، وأنهم أظهروا الشئامة في وقوع الهزيمة أول الأمر في غزوة حنين، فكان لابد من تأليف قلوبهم على الإسلام<sup>(٣)</sup>.

ثم تطرق جلكريست إلى محاولة ذكر أن النبي ﷺ قام بفرض الإسلام على أهل الطائف بزعمه؛ إذ قال: «معقل واحد ما يزال ضد توسع الإسلام الطائف، المدينة التي رفضت محمداً منذ سنوات عديدة، واصلت معارضته، وعندما اقترب المقاتلون من تحصيناتهم، أقام المدافعون برميهم بالسهام، وبما أنهم لم يجدوا أي وسيلة لاقتحام أسوار المدينة، فقد قام المسلمون حصاراً على القلعة وضربوها بالمنجنيق، فرد المدافعون عن طريق إلقاء الرماح المحروقة من الحديد الساخن في نهاية المطاف هاجم محمد بحرق بساتينهم وكروم العنب، وخرج عدد قليل من الرجال واستجابوا لندائه بالخضوع له بصورة سلمية ولكن البقية منهم قاوموا»<sup>(٤)</sup>.

وقد حاول المستشرق بإشارته إلى هذا الموضوع بالقول: إن النبي ﷺ بتقديمه إلى الطائف كان يهدف إلى تعزيز ملكه وإظهاره بمظهر الطالب للسلطة والملك وهو ما

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p45-

٢- الفتوحات العربية، ص ١٤٤.

٣- السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، ص ١٤٨.

٤- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p45-

أكده المستشرق لويس الذي قال: «الهدف الحقيقي والنهايي وهو إدخال البدو في الإسلام فلم يتحقق تماماً»<sup>(١)</sup>، والتي أراد منها المستشرقان أمراً، وهو قيام النبي ﷺ بفرض الإسلام بقوة السيف على تلك القبائل متناسين أمرين، أحدهما: أن النبي ﷺ كان يدعو القبائل أو الأقوام التي كان يستعد للدخول معها في قتال إلى الإسلام بالحسنى قبل اندلاع القتال ولسنوات، وهو ما كان يوصي به جميع من يكلفهم بقيادة الغزوات التي يرسلها، وهو أمر أكدته جميع الأديان السماوية حيث جاء في الكتاب المقدس «وحيث تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً فإن أجابتكم للصلح واستسلمت لكم فكل الشعوب الساكنين فيها يصبحون عبيداً لكم وإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها فإذا أسقطها الرب إلهكم في أيديكم فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف»<sup>(٢)</sup>. والآخر: أن جلكريست بقي على حاله في عملية اجتزاء نص دون نص آخر؛ فهو لا يورد الرواية كاملة بل يقوم باجتزائها حيث نراه قد تغافل عن استطاعة النبي ﷺ من إدخال هذه القبائل إلى الإسلام بما امتلكه من قدرة على احتوائهم، وذلك من خلال إظهار تسامح الإسلام مع الأقوام والأديان الأخرى، وهو ما دفعهم لإعلان إسلامهم، والذي يمكن الاستناد إليه من كلام المستشرق جلوب باشا وليس بما ذكرته مصادرنا العربية، والذي قال: «وعندما عاد النبي عن الطائف دون أن تمكن من فتحها شرع يقسم الغنائم والأسلاب بين رجاله ووصل إليه وفد من هوازن المهزومة المغلوبة على أمرها يرجوه إطلاق سراح النسوة والأطفال من الأسرى، وسرعان ما لبى النبي الطلب بما عرف عنه من دماثة و تسامح، فلقد كان ينشد من جديد في ذروة انتصاره أن يكسب الناس أكثر من عقابهم وقصاصهم»<sup>(٣)</sup>، ودفع هذا الموقف الذي اتبعه النبي ﷺ وهو موقف التسامح مع الأعداء إلى أن يعلنوا إسلامهم، فأسلمت ثقيف، وبايعت وخرجت إليه وفود العرب من كل وجه وهذا ما جعل القبائل العربية تتسارع إلى إعلان إسلامها، في عام عرف فيما بعد بعام الوفود، والذي

١- العرب في التاريخ، ص ٦٠.

٢- العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح ٢٠، (١٠ - ١٤).

٣- الفتوحات العربية الكبرى، ص ١٥٧ - ١٥٨.

توافدت به الوفود من مختلف قبائل الجزيرة العربية على النبي ﷺ معلنة إسلامها<sup>(١)</sup>، والتي عرج عليها جلكريست بالقول: «وجاءت الوفود من جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية إلى المدينة للقسم على ولائهم لمحمد واعتناق الإسلام بحلول عامه الثالث والستين تقريباً كل شبه الجزيرة قد أصبحت تحت حكمه»<sup>(٢)</sup>.

### المبحث الثالث

علاقة النبي ﷺ مع بعض الشخصيات والمنافقين:

#### ١. عقوبة كعب بن الأشرف

تناول جلكريست قصة قتل اليهودي كعب بن الأشرف من باب أنه قتل دون أن يكون هناك مسوغ قانوني لقتله؛ إذ أسهب في تناول القصة فأطال في أحداث القتل دون أن يذكر الأسباب التي أدت لمثل هذا العمل فذكر «ومن الواضح من هذه الرواية أن محمداً لم يقتصر على قبوله بقتل خصمه، بل أتاح لأتباعه استخدام أي خداع يعتبرونه ضرورياً لتحقيق غرضهم... لخداع كعب»<sup>(٣)</sup>.

في محاولة منه إلى الابتعاد عن الأسباب التي أدت إلى قيام المسلمين بقتل كعب بن الأشرف غيلة معترضاً على الطريقة التي قتل فيها؛ إذ أراد من خلاها الوصول إلى أن الغدر هي إحدى صفات المسلمين مستخدماً النفاق السياسي الذي يبرع فيه المستشرقون المعاصرون للدفاع عن القضية التي يستأثرون بها للوصول لغاياتهم؛ إذ قال جلكريست: «إن هذه القضية برمتها لها جو من المؤامرة والتآمر والخداع والغدر من أجل القتل والاعتقال»<sup>(٤)</sup>، متجهاً بالاتجاه الذي ذهب إليه موير بقوله: «على المرء أن لا يتغاضى عن تلك الأعمال الوحشية الجبانة التي سودت صفحات حياة النبي»<sup>(٥)</sup>.

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٥٩.

٢ - Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p46-٢

٣ - Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p55-٣

٤ - Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p56-٤

٥ - Muir the life of Muhammad p 246-٥

واتفق جلكريست مع ما قاله جلوب: «وتعزز سلطان محمد بوقوع عدد من الاغتيالات فيها وكان شديد الحساسية من قصائد الهجو التي يقولها بعضهم فيه والتي ينشرونها بين العرب بصورة مستمرة»<sup>(١)</sup>، حيث يرى أن عملية قتله كانت بسبب هجاء للنبي ﷺ وليس لأنه أخذ يتباكى على من قتل من المشركين، ثم إنه أخذ يحفزهم للقيام بأخذ ثارهم من المسلمين .

وكما زعم جلكريست أن «من الصعب النظر إلى الحادث على أنه مجرد جريمة قتل بدم بارد لتحقيق أهداف رجل لم يكن في هذه المرحلة سوى الحاكم بلا منازع في المدينة»<sup>(٢)</sup>، في محاولة منه بالقول: إن النبي ﷺ كان ينظر إلى نفسه بمنظر القائد والحاكم السياسي الذي يزيل أي شخص يقف أمامه متناسياً أن كعب بن الأشرف قد آذى النبي في كثير من الأحيان؛ فقد كان يشبب بنساء المسلمين وبخاصة قوله في أم الفضل زوج العباس بن المطلب بقوله الشعر فيها :

أراحل أنت، لم ترحل لمنقبة ... وتارك أنت أم الفضل في الحرم

وهي التي ضربت أبا لهب بعمود، فشجته بمكة<sup>(٣)</sup>، وكذلك هجاؤه وسبه للنبي ﷺ وعلى الرغم من ذلك لم يأمر ﷺ بقتله .

ولكن بعد أن قُتل المشركون في بدر وصرعوا أظهر حزناً شديداً وغضباً؛ إذ ذكر السهيلي<sup>(٤)</sup>: «وإن كعب بن الأشرف حين بلغه خبر نصر المسلمين في بدر قال: أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان هؤلاء أشرف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها وجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويكي أصحاب القلب من قريش الذين أصيبوا ببدر فقال: طحنت رحي بدر لمهلك أهله

ولمثل بدر تستهل وتدمع"

١- الفتوحات العربية، ص ٩٦.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p56-٢.

٣- الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٢٣٩.

٤- الروض الأنف، ج ٥، ص ٢٨٣-٢٨٤؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٨٨.

ثم عاد إلى المدينة مجاهراً بعدوانه، ويمس نساء المسلمين بأشعار التشيب والغزل فأمر النبي ﷺ بقتله<sup>(١)</sup>.

وهذا ما أكدته المستشرق توراندرية عندما قال: «يجب أن لا ننسى أن شعر الهجاء السياسي يعد في بلاد العرب في ذلك الوقت سلاحاً مميتاً»<sup>(٢)</sup>.

واستمر جلكرياست في نهجه لغرض الوصول إلى غايته بقوله: «وهو أن الخائن ليس أكثر من واحد من الخارجين عن القانون والذي يمكن أن يُقتل من قبل أي شخص دون أي حكم معين فعندما يعتبر المرء أن كعباً لم يُقسم بالولاء لقضية محمد في أي وقت فإنه من الصعب أن نرى أو نفهم كيف يمكن اتهامه بأنه خائن»<sup>(٣)</sup>، في محاولة منه إلى إظهار أن كعباً كان على دين آخر غير دين محمد ومن ثم لا يمكن للنبي ﷺ اتهامه بالخيانة متناسياً أن كعباً كان معاهداً وموادعاً للنبي ﷺ فهو من ضمن الجماعات الموجودة في المدينة، وقد كان اليهود قد دخلوا في أحلاف ومواثيق مع النبي ﷺ، ثم إن قيامه بإيغال صدور قريش في مكة على المسلمين كان السبب الرئيس لقتله فهو بقيامه بهذا العمل يكون قد ارتكب جرم الخيانة العظمى في وقتنا الحالي بخيانتة لبلده الذي يعيش فيه.

ولما علم بنو النضير بالخطر نتيجة قيام النبي ﷺ بإعطاء أمر بقتل كعب بن الأشرف؛ وذلك لتماديه في هجاء النبي ﷺ والتشيب بنساء المسلمين في المدينة لذلك أمر النبي ﷺ بقتله<sup>(٤)</sup>، عملوا بما احتواهم من خطر فقرروا أن يجددوا عهدهم مع النبي ﷺ بعد أن نقضوا المعاهدة السابقة نتيجة اتصالهم بقريش<sup>(٥)</sup>، فذكرهم ﷺ بما كان يصنع ثم دعاهم إلى أن يكتبوا بينه وبينهم صلحاً<sup>(٦)</sup>.

١- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٤٣.

٢- نقلاً عن، الجميل، النبي ويهود المدينة، ص ١٢٥.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p56-٣.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٤.

٥- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٥٠.

٦- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٤.

## ٢- عقوبة سلام بن أبي الحقيق<sup>(١)</sup>

استمر جلكرايست في التماس الموضوعات التي يمكنه من خلالها المساس بشخصية النبي ﷺ حيث تطرق إلى حادثة قتل سلام بن أبي الحقيق في محاولة منه لبيان عظم ما يأتي به الإسلام من حوادث للقتل وسفك الدماء من خلال قوله: «مرة أخرى القتل بدم بارد لعدو محمد تم إنجازه بالنظام والحداد»<sup>(٢)</sup>.

يعد سلام بن أبي الحقيق، أحد زعماء اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة<sup>(٣)</sup>، «وكان سلام بن أبي الحقيق قد أجلب<sup>(٤)</sup> في غطفان، ومن حوله من مشركي العرب، يدعوهم إلى قتال رسول الله ﷺ ويجعل لهم الجعل العظيم فاجتمعت معهم غطفان»<sup>(٥)</sup>.

أضف إلى ذلك محاولة سلام بن أبي الحقيق قتل النبي ﷺ بشكل مباشر أو أوجد من يحاول أن يغتاله، وأنه اشترى قسماً من النساء لغرض التغني بدم النبي ﷺ ولذلك أذن في قتله، وذكر: «إن رسول الله ﷺ نهى الذين قتلوا ابن أبي الحقيق حين خرجوا إليه عن قتل النساء والصبيان»<sup>(٦)</sup>.

وقد ذكر ابن هشام<sup>(٧)</sup> أنه لما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحقيق أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف، فاستأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل ابن أبي الحقيق وهو بخير، فأذن لهم... وقدمنا عبد الله بن عتيك<sup>(٨)</sup>، «أتوا دار ابن أبي الحقيق

١- سلام بن أبي الحقيق، كنيته أبو رافع النضري، من شعراء اليهود، أدرك الإسلام، ومات ولم يسلم وقتل سنة (٦هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٩١؛ ابن سيد الناس، عيون الآثار، ج ٢، ص ٨٣. Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p56-٢.

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٧٣.

٣- أجلب الرجل إذا توعد بالشر، للمزيد ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١١، ص ٦٣.

٤- البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج ٤، ص ٣٨.

٥- الحجري، شرح معاني الآثار، ج ٣، ص ٢٢١.

٦- السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٧٣.

٧- عبد الله بن عتيك، هو عبد الله بن عتيك (ابن عتيق) أو (ابن عبيد) بن النعمان بن عمرو الأنصاري الأوسي، وكان يدعى ابن هرمز وقد قام بقتل سلام بن أبي الحقيق المعروف بأبي رافع، ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج ١٥، ص ٢٧٣؛

ليلاً، فلم يدخلوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله قال: وكان في عليّة لها إليها عجلة، قال: فأسندوا فيها، حتى قاموا على بابهِ، فاستأذنوا، فخرجت إليهم امرأة فقالت: من أنتم؟ فقالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة، قالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه، فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفاً أن يكون دونه محولة تحول بيننا وبينه قال: وصاحت المرأة فنوهت بنا، قال: وابتدرناه وهو على فراشه بأسيفنا، والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه، كأنه قبطية ملقاة، قال: ولما صاحت بنا امرأته، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نبي رسول الله ﷺ فيكف يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل، قال: فلما ضربناه بأسيفنا... وهو يقول: قطني قطني، أي: حسبي حسبي<sup>(١)</sup>، حيث نرى مدى تطابق ما ذكره جلكرايست مع مضمون الرواية المذكورة في المصادر الإسلامية ولكنه يختلف عنها في طريقة العرض من خلال اختيار الكلمات المؤثرة.

أما بودلي فيذهب في مسار بعيد عما ذهب إليه جلكرايست؛ إذ ذكر: «بهذه السياسة دل محمد على أنه لا زال يعد نفسه رسول الله مهما كان شعور أي فرد آخر كما حدث في أحد فقد كان ينفذ أوامر السماء، ولم تبدل هزيمته قليلاً أو كثيراً في برنامجهِ»<sup>(٢)</sup>.

لم يكن النبي ﷺ من الباحثين عن السلطة والمكانة وإنما كانت كل محاولاته هي لغرض كسب ود القبائل المحيطة بالمدينة باللين والرفق والمعاملة الحسنة، وتارة أخرى بالقوة والشدة والحزم بسبب قيام هذه القبائل بنقض عهودها مع النبي ﷺ وقد كان ﷺ يهدف من ورائها محاولة إيجاد البيئة الملائمة للاستمرار بنشر الدعوة، على عكس ما يعرضه المستشرقون بإظهاره بمظهر الطامح للسلطة والجاه.

أما مسألة قتله فإنما تدل على أنه قد ارتكب جرماً مشابهاً لجرم كعب بن الأشرف في أنه قد جمع الأحزاب لقتال النبي ﷺ لذلك استحق القتل على جرمه، وأنه قد هم بقتل

السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٨٩.

١- ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ٢، ص ١١٤.

٢- حياة محمد الرسول، ص ٢٢٨.

النبي واغتياله وليس كما ذهب إليه جلكريست بالقول «إن معظم الأفراد الذين قتلوا عند محمد على سبيل المثال هم الذين قاموا بتأليف أساطير ساخرة ضده أو اخترعوا مقاطع شعرية تتبارى أو تجاري الآيات القرآنية»<sup>(١)</sup>، وهو أمر لا يمكن قبوله لأن النبي ﷺ قد قبل الأديان الأخرى على الرغم مما بها من أخطاء انطلاقاً من قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ \* قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ \* فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا \* وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، ومن ثم لا يمكن أن يأمر بقتل أحد لهذا السبب وإنما قيامهم بتعريض بناء الدولة الإسلامية للهدم بعد أن تحمل النبي ﷺ والمسلمون الأوائل الكثير من الاضطهاد، وهذا يظهر مدى تأثير المستشرق جلكريست بدراسات المستشرقين الذين سبقوه .

### ٣- عقوبة الحارث بن سويد

تطرق جلكريست إلى موضوع الحارث بن سويد بن الصامت حيث ذكر «الحارث بن سويد بن الصامت كان منافساً آخر قتل بإشارة من محمد»<sup>(٣)</sup>، ولاندري ما الذي اعتمد عليه جلكريست في ذكر هذه الرواية من المصادر، فنراه قد اجتزأ الرواية ولم ينقلها كاملة، فعندما نطلع على الرواية الإسلامية يظهر أن سويداً «قد قتل زياداً أبا مجذر»<sup>(٤)</sup> في وقعة التقوا فيها، فلما كان بعد ذلك لقي مجذر سويداً خالياً في مكان وهو سكران ولا سلاح معه، فقال له: قد أمكن الله منك، قال: وما تريد؟ قال: قتلك، قال: فارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ وإذا رجعت إلى أمك فقل: قد قتلت سويد بن الصامت، فقتله، فهيج قتله وقعة بعث<sup>(٥)</sup> وذلك قبل الإسلام»<sup>(٦)</sup>.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p 57-١.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p58-٣.

٤- أبو المجذر بن زياد بن عمرو بن زمزومة، وقد قتله الحارث بن سويد غيلة في معركة أحد، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٥٣.

٥- وكان يوم بعث يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج كما أن قريظة والنضير جددوا العهد مع الأوس على المؤازرة واستحكموا أمرهم في الحرب على الخزرج، وقد حدثت هذه الواقعة قبل الهجرة بخمس سنوات، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٥٥٥-٥٥٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص٦٠١-٦٠٢.

٦- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٧٩؛ السيوطي، الخصائص الكبرى، ج٢، ص٣٦٢.

ثم بوصول النبي ﷺ المدينة، أسلم الحارث بن سويد بن الصامت ومجذر بن زياد، فشهدا بدرًا، فجعل يطلب مجذرًا ليقتله بأبيه، فلم يقدر عليه فلما كان يوم معركة أحد أتى الحارث بن سويد من خلفه فضرب عنقه، وبعد عودة النبي ﷺ إلى المدينة أتاه جبرائيل عليه السلام يخبره أن الحارث بن سويد بن الصامت قتل مجذر بن زياد غيلة، فركب النبي ﷺ إلى قباء فلما رآه دعا عويم بن ساعدة<sup>(١)</sup> فقال: إذا قدم الحارث إلى باب المسجد فأضرب عنقه بالمجذر بن زياد فإنه قتله غيلة... فقال الحارث دعني أكلم رسول الله ﷺ وقال: والله ما كان قتلي إياه رجوعاً عن الإسلام ولا ارتياباً ولكنها حمية الشيطان، فإني أتوب إلى الله عز وجل وإلى نبيه ﷺ، وأخرج دينه وأعتق رقبة وأصوم شهرين متتابعين، وأطعم ستين مسكيناً، وأخذ يمسك بركاب النبي ﷺ حتى إذا استوعب كلامه قال: قدمه يا عويم فاضرب عنقه فضربه<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال ما تقدم لم نجد أي إشارة إلى أن النبي ﷺ قد أعطى التفويض لقتل الحارث فقط لأنه أراد قتله بدم بارد كما عبر عن ذلك جلكريست دون أي سبب يذكر، وأن كان النبي ﷺ أعطى التفويض فهو مسألة تطبيق للقوانين السماوية أو الوضعية والتي تحكم كل المجتمعات والأديان حتى المخالفة منها، فضلاً عن أن النبي ﷺ أراد أن ينبه المجتمع في ذلك الوقت إلى الابتعاد عن عصبية الجاهلية، والتي لم يتخلص منها بعد، وأن الحارث على الرغم من اعتناقه الإسلام إلا أنه استمر يتحين الفرص للانقضاض على مجذر في أشد ظروف المسلمين قسوة وهي معركة أحد، ثم إن جلكريست لم يطلعنا على المنافسة التي كانت بين النبي ﷺ والحارث لكي يقوم النبي ﷺ بالأمر بقتله، في حين إنه لم يذكر أنه قتل للجرم الذي

١- عويم بن ساعدة، هو عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان، ويكنى بأبي عبد الرحمن، وأمه عميرة بنت سالم بنت سلمة بن أمية، وعويم هو من ثمانية نفر ممن يروى أنهم أول من لقي النبي ﷺ من الأنصار في مكة فأسلموا وشهد العقبتين وبدرًا وأحدًا والخندق وقد أخى النبي ﷺ بينه وبين عمر بن الخطاب، وقيل مات في حياة النبي ﷺ وقيل مات في خلافة عمر، للمزيد ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٤٥٩؛ الاصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢١١٦.  
٢- البيهقي، السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٠١.

قام به، وهو قيامه بارتكاب جريمة القتل في معركة أحد .

#### ٤ - عقوبة أبي عفك<sup>(١)</sup>

وقد كان يحرض على عداوة النبي ﷺ ولم يدخل في الإسلام<sup>(٢)</sup>، وتطرق جلكريست إلى ذكر أبي عفك بشيء من الإيجاز، ويمكن أن نعزو ذلك لأنه لم يجد في ذكره لهذه الرواية ما يستطيع من خلاله أن يثير موجة من اللغط فقد قال : «أبو عفك من هذه الحادثة (أي حادثة قتل الحارث بن السويد ) فقام بتأليف هجاء دفاعاً عن أسلاف أولئك الذين كانوا ساخطين على النبي ودفع هذا محمداً بالرد من سيتعامل مع هذا الخبيث»<sup>(٣)</sup>.

وذكرت كثير من المصادر أنه لما «قدم النبي ﷺ المدينة كان يحرض على عداوة النبي ﷺ ولم يدخل في الإسلام ... فقال سالم بن عمير<sup>(٤)</sup>، وهو أحد البكائين من بني النجار: علي نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه، فأمهل فطلب له غرة، حتى كانت ليلة صائفة، فنام أبو عفك بالفناء في الصيف في بني عمرو بن عوف، فأقبل سالم بن عمير، فوضع السيف على كبده حتى خش في الفراش، وصاح عدو الله فثاب إليه الناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه»<sup>(٥)</sup>.

وإذا تتبعنا الرواية سواء التي وردت عن المستشرق جلكريست أم التي جاءت في المصادر الإسلامية، والتي هي متطابقة النص لا نجد فيها إشارة من قبل النبي ﷺ بقتل أبي عفك، لأنه ﷺ لم يأمر أحداً بالقتل إلا عندما يكون هناك جرم في المقابل وهو ما أكدته المعاني الإنسانية التي كان يتحلى بها ﷺ.

١- أبو عفك، هو اليهودي من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً قد بلغ من السن عشرين ومائة سنة، وكان يحرض ويحث ويحمل الناس على قتال «النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر» يهجو به، فقال صلى الله عليه وسلم كما عند ابن سعد وغيره: «من لي بهذا الخبيث؟» فقال سالم: علي نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فقتله ينظر : الزرقاني شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ٢، ص ٣٤٧.

٢- المقرئزي، إمتاع الأسماع، ج ١، ص ١٢١.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p.58-٣.

٤- سالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس شهد العقبة، وبدراً، وأحدًا، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ وتوفي في حكم معاوية، وهو أحد البكائين، وقد قتل أبا عفك، ينظر : ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٨٧.

٥- الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٧٥.

## ٥ - عقوبة عصماء بنت مروان<sup>(١)</sup>

ذكر جلكريا يست مقتل عصماء بنت مروان بقوله « قامت، عصماء بنت مروان، وهي مواطنة أخرى من أهل المدينة كانت تحرض على الإسلام، بتأليف هجاء يهجو رجال المدينة من الأوس والخزرج لقد قمتم بطاعة غريب ليس منكم ... ألا يوجد رجل ذو شرف يهاجمه على حين غرة ويقطع آمال أولئك الذين ينتظرون منه الكثير »<sup>(٢)</sup>.

وذكرت حادثة قتلها في المصادر الإسلامية بالقول : « وكانت عصماء بنت مروان تؤذي النبي ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ وقالت شعراً، فنذر عمير بن عدي<sup>(٣)</sup> لئن ردّ النبي ﷺ من بدر إلى المدينة ليقتلنها، فلما رجع ﷺ من بدر جاءها عمير ليلاً حتى دخل عليها في بيتها وحولها نفر من ولدها نيام فوضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، وأتى فصلى الصبح مع النبي ﷺ فلما انصرف نظر إليه وقال: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم يا نبي الله قال: نصرت الله ورسوله يا عمير، فقال: هل عليّ شيء من شأنها يا نبي الله؟ فقال لا يتطح فيها عزان، فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من النبي ﷺ، وقال لأصحابه: إذا أحببتهم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي فلما رجع عمير وجد بنيتها في جماعة يدفونها فقالوا: يا عمير، أنت قتلتها؟ قال: نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، فوالذي نفسي بيده لو قلتهم جميعاً ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم »<sup>(٤)</sup>.

ويمكن أن نستدل على أنها كانت تقوم بإثارة الفتن بين الأوس والخزرج بالإضافة

١- عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، كانت تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، عندما قتل أبو عكك قالت شعراً: فباست بني مالك والنبيت وعوف وباست بني الخزرج  
أطعمتم أتاوى من غيركم سفلاً من مراد ولا مذحج  
ترجونه بعد قتل الرؤوس كما يرتجى مرق المنضج  
ينظر: ابن إسحاق، المغازي، ج ١، ص ١٧٢.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p58-٢.

٣- عمير بن عدي هو: عمير بن خرشة القاري ناصر رسول الله ﷺ بالغيب. وهو أول من أسلم من خطمة، قتل اليهودية التي هجته عصماء بنت مروان، ينظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ٥٩٥؛ ابن العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٦٦.

٤- المقرئزي، إمتاع الأسباع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ج ١، ص ١٢١.

إلى أنها من الشاعرات اليهوديات، وقد كانت امرأة سليطة اللسان، دأبت في شعرها على شتم النبي ﷺ، والتحريض على قتال المسلمين<sup>(١)</sup>.

فلما قتل أبو عفك نافقت<sup>(٢)</sup>، لذلك استحقت القتل على نفاقها، لكنه لم يكن هناك أمر من النبي ﷺ بالقتل.

إن محاولات المستشرق المستمرة في المساس بالأخلاق والصفات الانسانية السامية لشخص النبي ﷺ من خلال الإيحاء بأنه حاول في كثير من الأحيان التخلص من خصومه بالقول: «نبي الإسلام لم يفكر إلا بالقليل في قتل خصومه في ظروف سرية واستخدام وسائل مخادعة لتحقيق أهدافه»<sup>(٣)</sup>، وهذا يتناقض مع ما ذكره عدد كبير من المستشرقين والذين تناولوا سيرة النبي ﷺ بشيء من الإنصاف فهذا كولد تسيهر يقول: «في هذا العصر نرى النبي ﷺ يستخدم حنكته المفكرة ورويته الدقيقة وتبصره العالمي، في مقاومة خصومه الذين شرعوا في معارضة مقاصده وغاياته في داخل موطنه وخارجه»<sup>(٤)</sup>، وقد شاركه المستشرق ارفنج بالقول: «كانت تصرفات الرسول ﷺ في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو»<sup>(٥)</sup>.

## ٦- المنافقون

النفاق لغة: من النفق، وهو السرب في الأرض؛ لأن المنافق يستر كفره ويغيبه فتشبهه بالذي يدخل النفق ويستتر فيه، وسمي به من نفاقاء اليربوع؛ فإن اليربوع له حجر، يقال له النفاقاء وآخر يقال له القاصعاء فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النفاقاء، كذلك المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه<sup>(٦)</sup>.

١- هيكيل، حياة محمد، ص ٢٣٣.

٢- السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ج ٧، ص ٤٩٩.

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p58.

٤- العقيدة والشرعية في الإسلام، ص ٢١-٢٢.

٥- نقلاً عن: الزهو، الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية ارفنج أنموذجاً، ص ٢٣٣.

٦- البغدادي، غريب الحديث، ج ٣، ص ١٣.

والنفاق اصطلاحاً: هو الذي يضمّر الكفر اعتقاداً ويظهر الإيمان قولاً<sup>(١)</sup>، أو الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، وهو الذي يستر كفره ويظهر إسلامه<sup>(٢)</sup>. من خلال ما تم ذكره يمكن أن نتوصل إلى تعريف هذه الظاهرة التي نفشت في المجتمع الإسلامي بأنها القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد، والمنافق لابد أن تختلف سريرته وعلايته وظاهره وباطنه، إلى درجة أن الله يصفهم بالكذب في قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن المنافق يسعى إلى تفريق جماعة المسلمين، وإفساد دينهم عليهم. إن المرتد، إن كانت ردة بينه وبين نفسه، دون أن ينشر ذلك بين الناس، ويثير الشكوك في قلوبهم، فلا يستطيع أحد أن يتعرض له بسوء، فالله وحده هو المطلع على ما تخفى الصدور، أما إذا أظهر المرتد عن دين الإسلام ردة، وأثار الشكوك في نفوس المسلمين بالنطق بكلمة الكفر، وإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، فحاله حينئذ، حال المنافق الذي يظهر ما في قلبه من الكفر والنفاق، وجهاده واجب<sup>(٤)</sup>، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنِيسَ الْمَصِيرِ \* يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

١- المرجاني، كتاب التعريفات، ص ٢٣٥.

٢- الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٦، ص ٤٣١.

٣- المنافقون، ١:

٤- الشريبي، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة، ص ٥٢٥.

٥- التوبة، ٧٣- ٧٤.

لقد وردت الكثير من أسماء المنافقين، فذكر الملاح أن أغلب المنافقين ينتمون إلى قبيلة الأوس... أما الخزرج فلم يذكر لنا إلا أسماء عدد قليل منهم، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي سلول والذي اشتهر بأنه زعيم المنافقين في المدينة<sup>(١)</sup>. وتطرق جلكريست إلى ذكر عبد الله بن أبي سلول دون أن يذكر سوى أدوار بسيطة له فيقول: «عدد من الناس الساخطين في المدينة من كل من قبيلتي الأوس و الخزرج، على الرغم من أنهم أقسموا الولاء للإسلام ظاهرياً، إلا أن قلوبهم ليست مع النبي ﷺ كان يقودهم واحد يدعى عبد الله بن أبي وسبب لمحمد الكثير من المتاعب في السنوات المقبلة، والقرآن يدعوهم المنافقون»<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ أن جلكريست لم يوضح لنا ما الأعمال التي قام بها لكي يحكم عليه بأنه سبب كثيراً من المتاعب للنبي ﷺ، والذي يريد أن يقتفي أثر فساد المنافقين يمكن أن نرجع به إلى الروايات الإسلامية لنرى مدى تحمل عبد الله بن أبي سلول على الإسلام والنبي ﷺ وهو الذي دفعه إلى محاولة إثارة المشاكل لهم في المدينة وخلق حالة من النزاع المستمر ما بين الأوس و الخزرج فقد ذكر «ركب النبي ﷺ يوماً محاراً بإكاف<sup>(٣)</sup> عليه قطيفة<sup>(٤)</sup> فديكة<sup>(٥)</sup> وردفه<sup>(٦)</sup> أسامة بن زيد يعود سعد بن عبادة<sup>(٧)</sup> في بني الحارث بن الخزرج<sup>(٨)</sup>... قبل وقعة بدر، فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي سلول، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشرّكين وعبدة الأوثان واليهود، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة، فلما غشت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن أبي سلول أنفه

١- الوسيط، ص ٢٢٠.

٢- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p32-٢.

٣- إكاف: والإكاف من المراكب، شبه الرحال والاقتاب. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٨.

٤- القطيفة: هي دثار مخمل، وقيل كساء له حل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٢٨٦.

٥- فديكة: منسوبة إلى فذك، وفذك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٨.

٦- الردف: المرتدف وهو الذي يركب خلف الراكب. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج ١، ص ١٠١.

٧- سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري، أحد النقباء وسيد الخزرج، شهد العقبة الثانية، مات بأرض الشام سنة (١٥ هـ).

ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٣٨٩-٣٩٠.

٨- في بني الحارث بن الخزرج: أي منازل بني الحارث وهم قوم سعد بن عبادة. ينظر: ابن حجر، فتح الباري في شرح

صحيح البخاري، ج ٨، ص ٢٣١.

بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم النبي ﷺ عليهم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي سلول: أيها المرء إنه لا أحسن من حديثك هذا وإن كان حقاً فلا تؤذنا في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا في مجلسنا فإننا نحب ذلك، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون<sup>(١)</sup>، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد فقال: يا سعد ألا تسمع إلى ما قال أبو الحباب يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا فقال سعد: يا رسول الله، اعف عنه واصفح، فو الذي نزل الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك<sup>(٢)</sup>.

إن المتأمل للنص يجد أن النبي ﷺ عند تدخله ودعوته لهم لقراءة القرآن كان يهدف أولاً نشر الإسلام وثانياً تجنبهم المشاكل التي دأب على إثارتها ابن سلول، وكان سبب عداء المنافق ابن أبي سلول للإسلام أن أهل المدينة كادوا أن يتوجوه حاكماً عليهم فلما جاء النبي ﷺ إلى المدينة حاملاً الدين الإسلامي إليهم<sup>(٣)</sup> فترك الناس هذا المنافق وتمسكوا بشخص النبي ﷺ مما يولد لنا قناعة من أن جميع المنافقين كانوا من الكبار سناً والذين كانوا متشبثين بعدم فقدان امتيازاتهم من جراء دخول النبي ﷺ إلى المدينة .

ثم ذكر جلكرياست ما قام به عبد الله بن أبي سلول في معركة أحد بقوله: « اقنع عبد الله بن أبي عدداً منهم بالانسحاب، وعلى أي حال، عندما جاءوا أخيراً إلى أحد وجدوا أنفسهم أمام جيش يتفوق عليهم كثيراً<sup>(٤)</sup> .

وقد ذكرت الرواية الإسلامية أنه لما صار النبي ﷺ بالشوط بين المدينة وأحد، انصرف عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس مغاضباً إذ خولف رأيه، فاتبعهم عبد

١ - يتثاورون: أي يتهاجون، يقال ثاور فلان فلاناً، إذا واثبه وثور فلان علينا شراً، إذا أظهره وهيجه. ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ١، ص ٢٠٣.

٢ - النسائي، السنن الكبرى، ج ٧، ص ٥٦.

٣ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ٩٤٣.

٤ - Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p37-٤

الله بن عمرو بن حرام، والد جابر، يذكرهم الله عز وجل والرجوع إلى النبي ﷺ، فأبوا عليه، ورجع عنهم إلى رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، في محاولة من قبل المستشرق لغرض تقليل حجم الضرر الذي ألحقه المنافق عبد الله بن أبي بالمسلمين لما له دور في إضعاف الروح المعنوية للمسلمين بقيامه من بالانسحاب من ساحة المعركة .

ثم إنه بعد معركة أحد «وما حصل لرسول الله ﷺ وأصحابه ما حصل جعل عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقون يشمتون ويسرون بما أصاب المسلمين، ويظهرون أقبح القول، فيقول ابن أبي لابنة عبد الله وهو جريح قد بات يكوئ الجراحة بالنار: ما كان خروجك معه إلى هذا الوجه برأي، عصاني محمد وأطاع الولدان، والله لكأنني كنت أنظر إلى هذا فقال ابنه: الذي صنع الله تعالى لرسوله وللمسلمين خير، وأظهر اليهود القول السيء، فقالوا: ما محمد إلا طالب ملك، ما أصيب هكذا نبي قط، أصيب في بدنه، وأصيب في أصحابه. وجعل المنافقون يخذلون عن رسول الله ﷺ أصحابه، ويأمرونهم بالتفرق عنه ويقولون: لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل»<sup>(٢)</sup>

عمل النبي ﷺ في هذه الفترة التي تلت معركة أحد على معالجة ما ترتب عليها من الآثار السلبية للمحافظة على بناء الدولة التي عكف على إقامتها فقد كان من آثار معركة أحد أنها فتحت المجال أمام الكثير من المنافقين، واستغلت بعض القبائل انكسار المسلمين فيها وحاولت القيام بأعمال معادية<sup>(٣)</sup>، وهذا ما جعل الرسول ﷺ يرسل سراياه ضد كل من أظهر تمرده ضد سياسته .

ولم يكتف عبد الله بن أبي سلول ومن تبعه من المنافقين بهذا إذ روي «غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا وقال الأنصاري: يا لأنصار،

١- الظاهري، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، ص ١٥٧ .

٢- الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤، ص ٢٣٠ .

٣- العلي، الدولة في عهد الرسول، ج ١، ص ٢٣٠ .

وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي ﷺ فقال: ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال: ما شأنهم فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري فقال النبي ﷺ: دعوها فإنها خبيثة وقال عبد الله بن أبي بن سلول: أقدم تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقتل يارسول الله هذا الخبيث؟ لعبد الله فقال النبي ﷺ: لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه<sup>(١)</sup>، في دليل واضح من استخدامه لشتى الوسائل للإيقاع بالمسلمين فيما بينهم، وقد نال الأذى من هذا المنافق للنبي ﷺ الشيء الكثير حيث كان له دور في حادثة الإفك والتي تناولناها سابقاً، فذهب هو وجيشه من المنافقين يطعنون في نساء النبي ﷺ.

ثم إنه دس عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين إلى بني النضير: «إنا معكم، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم»<sup>(٢)</sup>، وبذلك يحاولون زيادة الأذى على المسلمين ومن ثم نراهم قد انسحبوا عندما رأوا قوة المسلمين واستماتتهم، فنقضوا عهدهم لبني النضير ولم يلتزموا به ومن ثم كان إجلاء بني النضير من المدينة .

وقد اتبع النبي ﷺ سياسة اللين في تعامله معه؛ فقد كان ابن سلول من ذوي المكانة المرموقة في المدينة عند قدوم النبي ﷺ وإن قومه لينظمون له الخرز<sup>(٣)</sup>، وكان له أتباع كثيرون ممن يأترون بأمره، لذلك اتبع النبي ﷺ سياسة خاصة معه لغرض عدم إثارة أتباعه.

وعلى الرغم مما قام به ابن سلول بإيذاء شخص النبي ﷺ وللمسلمين عامة وكذلك محاولاته المستمرة لليل منهم وإضعاف عزيمتهم ومحاولة تأليب الأحزاب عليهم لم يأمر ﷺ بقتله وتحمل منه الإساءة وهذا ما لم يلتفت له المستشرق جلكرايست، عندما أورد لنا موضوعات لا تستحق أن يكون عليها أي تعليق فقط في محاولة منه لزيادة الهجمة على النبي ﷺ، بل إنه قام يذكر «عندما مات عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله

١- البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٨٣ .

٢- الظاهري، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، ص ١٨١ .

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٩٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٦٠٦؛ الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ٢٤٧ .

بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ والذي أعطاه قميصه وأمره أن يكفن والده به. وبعدها وقف رسول الله ﷺ لكي يقدم صلاة الجنازة على الميت، لكن عمر بن الخطاب أخذ الكساء وقال، هل تقدم صلاة الجنازة على قبر عبد الله بن أبي على الرغم من أنه كان منافقاً وأن الله حرم عليك أن تطلب المغفرة للمنافقين»<sup>(١)</sup>.

وحاول المستشرق تكرار حادثة الاعتراضات التي يقوم بها عمر بن الخطاب في محاولة منه لإبراز دور بعض الشخصيات بأن القرار الذي توصلت له أنه قرار صائب لغرض الإشارة إلى صواب رأي عمر ولكنه لم يذكر الرواية كاملة وهي غاية حاول المستشرق إثباتها، وهي أن القرآن إنما قد أُملي عليه حتى وإن كان من قبل إشارات من بعض الصحابة.

في حين إن ما تناولته كتب التفسير والحديث والتي اعتمد عليها جلكريست بالقول: «لما مات عبد الله بن أبي دعي له النبي ﷺ ليصلي عليه، فلما قام النبي ﷺ فوثب إليه عمر، فقال: يا أيها النبي أتصلي عليه وقد قال: كذا وكذا؟ أعدت عليه القول فتبسم النبي ﷺ وقال: أخر عني يا عمر فلما أكثر عليه، قال: إني خيرت فاخترت، ولو أعلم أني زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال: فصلى عليه النبي ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾<sup>(٢)</sup>، استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين»<sup>(٣)</sup>، «قال: فعجبت بعد من جرأني على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم»<sup>(٤)</sup>.

إذ إن التفسير الطبيعي لهذه الآية هو أن الله معذبه لأنه مات على كفره، وليس كما فسره المستشرق في أن الله جل وعلا كان متوافقاً مع رأي عمر لأن النبي ﷺ على علم ودراية بأن الله سوف لن يغفر له حتى وإن زاده في الصلاة.

١- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p85-١.

٢- التوبة، ٨٤.

٣- الشاربي، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٦٥٨.

٤- البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٩٧؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ٥، ص ٢٨٧.

وقد لجأ المستشرقون وهم يكتبون عن ظاهرة النفاق والمنافقين إلى تزوير الحقائق والتبرير الواهي والتشكيك في مصداقية المصادر الإسلامية، هذا في الوقت الذي لا يردون فيه مقولات بعضهم من المستشرقين<sup>(١)</sup>.

وقد اتفق جلكررايست مع ما كان قد طرحه وات قبله والذي قال «وكان من بين المؤمنين أنفسهم من لا يقر بسياسة محمد»<sup>(٢)</sup>، ثم يعكف على ذكر صفة المنافقين من وجهة نظرهم «مسلمون يعارضون بعض الجوانب السياسية للنبي»<sup>(٣)</sup>

وهو أمر غير مقبول لأنه عند البحث والدراسة في طبيعة المنافق ودراسة نفسيته نرى مدى تناقض مقولة وات بالاستناد إلى الآية القرآنية ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّاهُمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وهو دليل على أنهم قد خرجوا من الإسلام إلى الكفر لذلك لا يمكن أن نطلق عليهم أنهم مسلمون، ثم إن صلاة النبي ﷺ على عبد الله بن أبي سلول كان إجراءً على الحكم الظاهر وهو الإسلام، وإكراماً لولده عبد الله وهو من خيار الصحابة<sup>(٥)</sup>.

في حين إن فلهاوزن والذي لا يقل عن وات في طرحه لهذا الموضوع حيث ذكر «لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب داخل المدينة، وكانت إثارة مشكلة المنافقين علامة على ذلك التحول»<sup>(٦)</sup>، وعند الخوض فيما ذكره فلهاوزن فإننا لانعرف عن أي سياسة إرهابية قد تكلم، فاليهود بقوا في المدينة إلى ما بعد

١- النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ص ١٤٠.

٢- محمد في المدينة، ص ١٨٠.

٣- وات، محمد في المدينة، ص ١٨٠.

٤- التوبة، ٦٦-٦٨.

٥- الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث، ص ٨٥٤.

٦- تاريخ الدولة العربية، ترجمة: عبد الهادي ابو ريده، ص ١٥.

انتهاء النبي ﷺ من غزوة الأحزاب فهو لم يخرجهم إلا بعد أن نافقوا وتآمروا ونقضوا عهده، كذلك موقفه ﷺ من زعيم المنافقين عبد الله بن أبي سلول فلم يخرجهم من المدينة إلى أن مات فيها بل إنه قد أدى الصلاة عليه .

ويمكن أن نرى الإنصاف في قول المستشرق جون لوركس<sup>(١)</sup> «لم نعلم أن محمداً تسبب بأية رذيلة مدة حياته لذلك نراه عظيماً»<sup>(٢)</sup>.

من خلال ماتقدم يمكن أن نستنتج أن المستشرقين حاولوا تشويه الروايات الإسلامية وتزويرها لكي تخدم الأغراض المختلفة التي كثيراً ما عملوا على تحقيقها.

### المبحث الرابع

#### وفاة النبي ﷺ

لم ينفك المستشرق جلكرايست من محاولة إظهار النبي ﷺ في أنه هو من يحاول اختلاق الأعذار والفتن ومحاولة إقامة الحروب مع غيره من الأمم الأخرى وذلك من خلال قوله «مع عدم وجود أي تهديد من أي مكان في الجزيرة العربية، خطط محمد للانتقام لمعركة مؤتة عندما نظم جيشاً للخروج»<sup>(٣)</sup>.

ومع ما ذكره إلا أنه لم يعرج بالذكر على موضوع هذا الجيش أو بالأحرى ما سبب خروجه وما الغاية التي كان النبي ﷺ يطمح لتحقيقها من خلال هذه المعركة، فقد ذكر «لا نأمن على أهل المدينة أن يغار عليها وفيها الذراري والنساء، فلو استأنيت لغزو الروم حتى يضرب الإسلام بجراته، وتعود الردة إلى ماخرجوا منه أو ينفيهم السيف، ثم تبعث أسامة حينئذ فتحن نأمن الروم أن تزحف إلينا فلما استوعب أبو بكر منهم كلامهم قال: هل منكم أحد يريد أن يقول شيئاً ؟ قالوا : لا قد سمعت مقاتلتنا، فقال : والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث، ولا بدأت بأول منه،

١- لوركس، جون : وهو أديب انكليزي معروف، العباسي، الغرب نحو الدرب، ص ٥١ .

٢- نقلاً عن، المحمدي، موقف سيدو من السيرة النبوية (دراسة نقدية)، ص ١٣٧ .

٣- Gilchrist، Mnhammad the prophet of Islam، p46-٣

ورسول الله ينزل عليه الوحي من السماء يقول: أنفذوا جيش أسامة<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن التوصل من خلال ذلك، إلى أن السبب في إرسال سرية أسامة بن زيد بن حارثة هو للتهديد الذي كانت تتعرض له حدود الدولة العربية الإسلامية في بلاد الشام والمجاورة للإمبراطورية البيزنطية، وكذلك في محاولة من النبي ﷺ نشر الدين الإسلامي وأن يبقى هو الدين الوحيد في شبه الجزيرة العربية ويظهر ذلك واضحاً من خلال قوله ﷺ: «أنفذوا جيش أسامة وقوله: لا تتركوا بعدي في جزيرة العرب دينين، ولا تجمعوا فيها دينين»<sup>(٣)</sup>، والأمر الأهم هو ما يحمل معه هذا الخروج في هذه الغزوة لغرض تثبيت الحق بدولة الإسلام، والذي جاهد النبي ﷺ كثيراً لمحاولة إقامته حتى في أيامه الأخيرة.

وقد تطرق جورجيو إلى ذلك بقوله: «وقد شاع بين بعض أمراء سوريا وولاتها التابعين للإمبراطورية البيزنطية نبأ وفاة النبي ﷺ فقررت بيزنطة عندئذ أن تحمل على الجزيرة عن طريق سوريا لإنهاء وجود المسلمين ووصول خبر هذه الحملة إلى النبي ﷺ.... لذا أعلن التعبئة العامة»<sup>(٤)</sup>، وهو ما يفند ما ذكره جلكرايست في أنه لا يوجد تهديد في الجزيرة العربية على الإسلام في حين إن هناك تهديد الروم إضافة إلى ظهور الأنبياء الكذابين في شبه الجزيرة العربية فقد ذكر ظهور مسيلمة

١- أسامة بن زيد بن الحارثة بن شرحبيل، مولى النبي ﷺ أمره النبي ﷺ على جيشه في سرية مؤتة ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج ١، ص ٢٠؛ أبو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١١٣٦.

٢- الواقدي، مغازي الرسول، ج ٢، ص ١١٢١.

٣- البيهقي، دلائل النبوة، ج ١، ص ٢٥٣.

٤- نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ص ٣٨٠.



الكذاب<sup>(١)</sup> في اليمامة والأسود<sup>(٢)</sup> في اليمن وطلحة<sup>(٣)</sup> في سميراء<sup>(٤)</sup> ولم يتم اتخاذ أي إجراء ضدهم؛ وذلك بسبب مرض النبي ﷺ<sup>(٥)</sup>.

وقد أبدى جلوب رأيه في ذلك بقوله: (مرض الرسول في يونيو عام ٦٣٢ م وقد أصيب كما يظن بذات الرئة، وانتقل إلى الرفيق الأعلى بعد عشرة أيام من مرضه)<sup>(٦)</sup>.

وقد تطرق بروكلمان في عرضه لأسباب وفاة النبي ﷺ مرض الملاريا على الأرجح وكان من أمراض المدينة المألوفة، وعلى الرغم من أن سنه لم تكن قد تجاوزت الستين على الأكثر فقد تطرق الضعف إلى نشاطه بسبب من المصاعب التي حفلت بها سنواته الأخيرة<sup>(٧)</sup>.

وقد اتفق كل من جلوب وبروكلمان في هذا الأمر مع جلكرايست في محاولة منهم أن يبعدوا اليهود عن التهم والتآمر وما كانوا يتصفون به من المكر والخديعة فقد ذكر: «فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث<sup>(٨)</sup> امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقبل لها الذراع فأكثر فيها السم فسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور<sup>(٩)</sup>، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال إن هذا

١- مسيلة الكذاب، هو أبو تمامة مسيلة بن ثامة بن كبير الحنفي الوائلي، ادعى النبوة كان يدعى رحمان اليمامة. ينظر: ابن ماكولا، الإكمال، ج ٤، ص ٣٧.

٢- الأسود العنسي يلقب بذئ الحمار لأنه كان معتماً متخمرأ دائماً، واسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسي وقد سمى نفسه رحمن اليمن متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن. كان بطاشاً جباراً. أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ﷺ فكان أول مرتد في الإسلام. وادعى النبوة، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها للمزيد ينظر: المقرئ، امتاع الاسماع، ج ١٤، ص ٢٢٥؛ الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ١١١؛ رضا، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، ص ٣٢.

٣- طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر وكان يزعم أنه يأتيه جبريل بالوحي، فأرسل إليه أبو بكر، خالد بن الوليد، فقاتله بنواحي سميراء. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٩٤.

٤- سميراء: وهو منزل بطريق مكة بعد توز مصعداً وقبل الحاجز، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٥٥.

٥- الملاح، التاريخ الوسيط، ص ٢٩٦.

٦- جلوب، إمبراطورية العرب، ص ٤٠.

٧- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٦٧.

٨- زينب بنت الحارث بن سلام، ذكر معمر في جامعه عن الزهري - أنها اليهودية التي كانت دسّت الشاة المسمومة للنبي ﷺ. فأسلمت، فتركها النبي ﷺ، ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٨، ص ١٥٥.

٩- بشر بن معرور بن صخر بن خنساء بن عبيد، شهد العقبة وبدراً وأحدًا والخندق والخديبة وخيبر مع النبي ﷺ، توفي سنة ٧ هـ شهيداً مسموماً ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٥٠٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٦٩؛ ابن حجر، الإصابة، ج ١، ص ٤٢٦.

العظم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت: إن كان نبياً فسيخبر وإن كان ملكاً استرحت منه فتجاوز عنها النبي ﷺ ومات بشر بن البراء من البراء من أكلته التي أكل»<sup>(١)</sup>.

في حين إن هناك رواية أخرى ذكرت أن سبب وفاة النبي ﷺ: «فاجتمع إليه نساء من نسائه: أم سلمة<sup>(٢)</sup>، وميمونة<sup>(٣)</sup>، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عميس<sup>(٤)</sup>، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يلدوه، وقال العباس: لألدنه، قال: فلدوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ قال: من صنع هذا بي؟ قالوا: يا رسول الله عمك، قال: هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض، فأشار نحو الحبشة، قال: ولم فعلتم ذلك؟ فقال عمه العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب، فقال: إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقدفني به، لا يبق في البيت أحد إلا لد إلا عمي فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة، لقسم رسول الله ﷺ، عقوبة لهم بما صنعوا به»<sup>(٥)</sup>.

هذا بالإضافة إلى أن جلكريا يست كان يولي أحداثاً غير ضرورية وغير مهمة والتي أراد من ذكرها المستشرق تشويه سيرة النبي ﷺ. أما الأخبار التي هي من جوهر الموضوع الذي نبحت عنه فنراه يتغافل عنها، فنراه لم يتطرق إلى مسألة الوفود التي حضرت إلى النبي ﷺ فهو يمر عليها مرور الكرام؛ إذ قال جلكريا يست: «وجاءت الوفود من جميع

١- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٠٥.

٢- أم سلمة: أم المؤمنين هند بنت أبي أمية واسمه سهيل زاد الركب بن المغيرة كانت أول النساء المهاجرات تزوجها النبي ﷺ في العام الرابع الهجري بعد وفاة زوجها وكانت لها حظوة كبيرة عند النبي ﷺ واشهر ما اشتهرت به هو حديث الكساء وحديث القارورة حول استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٨٦.

٣- ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم تزوجها النبي ﷺ سنة سبع للهجرة وهي آخر امرأة تزوجها النبي ﷺ بعد عمرة القضاء وتولى تزويجها العباس عم النبي ﷺ توفيت عام (٥١هـ) ولها اختان من أمها هما أسماء بنت عميس، وسلمى بنت عميس، للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ١٣٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٣٥، ص ٢٩٧.

٤- أسماء بنت عميس، أسلمت في مكة وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت عبد الله، وعندما عادت من الحبشة قال لها عمر: يا حبشية فذهبت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال ﷺ: (لنأس هجرة واحدة ولكم هجرتان) ثم تزوجها أبو بكر بعد استشهاد جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة (٨هـ) فولدت له محمد بن أبي بكر ثم تزوجت بعد ذلك الإمام علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعونا، توفيت سنة (٣٨هـ)، للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٨٠-٢٨٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٣٥، ص ٢٩٧.

٥- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٥١؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ٧، ص ١٦٩؛ الهروي، جمع الوسائل، ج ٢، ص ٢٠٦.



أنحاء شبه الجزيرة العربية إلى المدينة للقسم على ولأئهم لمحمد واعتناق الإسلام»<sup>(١)</sup>. كما أنه لم يتطرق إلى حجة الوداع إلا بشيء من الاقتضاب، وذلك في مسألة الخطبة التي ألقاها النبي ﷺ في عرفة، كذلك بيعة الغدير والتي ذكرت: «لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمين، فقال: كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن ينفرقا حتى يردا علي الحوض»<sup>(٢)</sup>، وهو أمر أكدته المستشرق هاينس هالم<sup>(٣)</sup> بقوله: «فقد جمع النبي أتباعه من حوله وقال: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: نعم يارسول الله، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه»<sup>(٤)</sup>، مما يدل على مدى قناعة المستشرق هالم في صحة هذه الرواية، والتي أدت به من ثم إلى تأييدها، بل إنه لم يتردد في أن ينقلها.

ثم يذكر جلكريست: «انتهت حياة نبي الإسلام العظيم، ودفن في غرفة زوجته المفضلة عائشة وقبره يشكل جزءاً من الجامع الكبير في المدينة حتى يومنا هذا، لم يمض وقت طويل بعد وفاته، وانتشر الإسلام بسرعة»<sup>(٥)</sup>.

في حين إن عبد الله بن عباس ذكر: لما حضرت النبي ﷺ الوفاة وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب فقال النبي ﷺ هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال: «لا تأتوه بشيء فإنه قد غلبه الوجد، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: قوموا عني وكان ابن عباس

1- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p46-

٢- النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١١٨؛ البغدادي، أبو طاهر، المخلصيات وأجزاء أخرى، ص٣١٣.  
٣- هاينس هالم: مستشرق ألماني ولد في مدينة أندرنناخ عام ١٩٤٢م درس العلوم الإسلامية، والعصور الوسطى، واللغات السامية، ثم اخذ بعد ذلك بالتدريس في العلوم الإسلامية في جامعة توبنجن، للمزيد ينظر: هالم، الغنوصية في الإسلام، ص٤ مقدمة المترجم.

٤- Halm, Die schitten the original publishers, p.21 -  
٥- Gilchrist, Mnhammad the prophet of Islam, p47-

يقول: ...الرزية كل الرزية ما حال بين النبي ﷺ وبين أن يكتب لنا ذلك الكتاب من اختلافهم ولغتهم<sup>(١)</sup>، وهو ما يعرف بكتب التاريخ فرية الخميس<sup>(٢)</sup>، وهو ما يؤكد رأي الباحث في أن المستشرق جلكريست كان على جهل في التاريخ الإسلامي أو أنه اعتمد على مصادر لم تتطرق إلى هذا الأمر، أو أنه تغافل من قبله، وهو أمر أكده المستشرق بروكلمان بقوله: «وفي يوم الأحد ٧ تموز حاول أن يملي وصيته الأخيرة ولكن عمر رأى من الخير أن يمنعه من ذلك خشية صدور بعض الأوامر عن النبي»<sup>(٣)</sup>، والتي يتغافل عن ذكرها المستشرق لكنه يؤكد من جديد استمرار العرب في غزو المناطق الاخرى ولاسيما الإمبراطورية البيزنطية والتي يمكن أن نتوصل إلى مدى التأثير للجانب الديني في معرفة توجهات المستشرق ولاسيما أن الإمبراطورية البيزنطية هي الحامي الرئيس للديانة المسيحية .

ومما لا يمكن قبوله كيف يترك النبي ﷺ المسلمين بدون خليفة يخلفه في قيادة الأمة، وهو أمر وافق جلكريست غيره من المستشرقين به ومنهم كون ان الصحابي الجليل سلمان المحمدي<sup>(٤)</sup> والذي يقول: «وبالرغم من هذا التطور فإن محمداً ترك أمر تنظيم خلافته، ومع أنه كان يعيش في ديار مدينة يثرب بضعة رجال أكفاء إلا أنه لم يشأ إعطاء أحد منهم سلطة في حياته»<sup>(٥)</sup>، وتناسى كون ان الصحابي الجليل سلمان المحمدي رضي الله عنه أن النبي محمد ﷺ كلف امير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كثير من المهام منها أنه ولاه أمر المدينة عند خروجه إلى تبوك، وأن ما قام به النبي للإمام علي رضي الله عنه في خيبر عندما

١- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٤٤؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٦٩؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٥٥.

٢- فرية الخميس : عندما أراد النبي ﷺ أن يكتب وصية للمسلمين وأخبرهم أن يدونوا ما يقول لهم، ولكن الخليفة عمر بن الخطاب رفض ذلك، وقال: إنه يهجر، فقال لهم النبي ﷺ: ((دعوني فالذي أنا فيه خير))، ينظر : الصنعاني، الأمالي، ص ٣٨؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٦، ص ٩.

٣- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٦٧.

٤- جرهارد كونسلمان : (١٩٣٢م) أحد أشهر المستشرقين الألمان، إذ عمل في الصحافة وكذلك في التلفزيون، وقد تسنى له من خلال عمله أن يكون أكثر اطلاعاً على قضايا المنطقة العربية، من أهم آثاره : الخلفاء العظام، سيف الله - انطلاق الشيعة ) وغيرها من الكتب الأخرى، للمزيد ينظر : كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص ٣١٣.

٥- كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص ١٢.

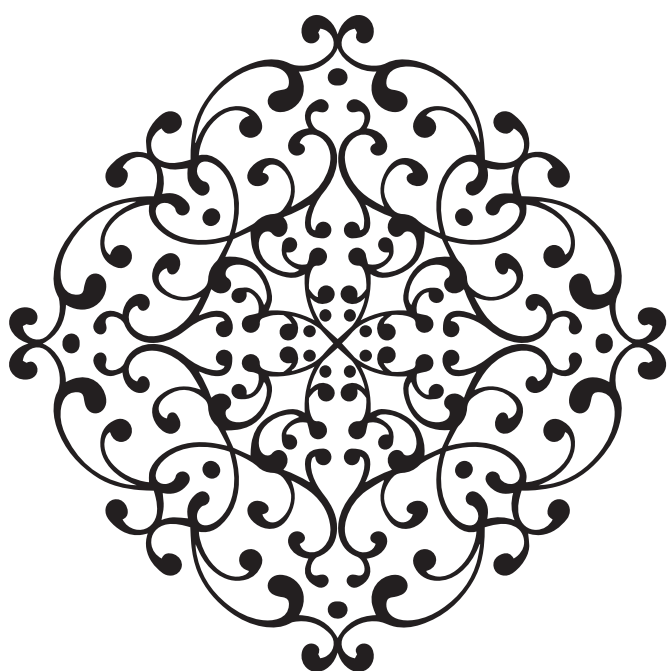
قلده سيفه، وغيرها من المهام الأخرى التي تزخر بها كتب التاريخ، وهل ماجرى في بيعة الغدير كان من نفس النبي ﷺ أم أنها أوامر قد صدرت من السماء وما على النبي ﷺ سوى التنفيذ، ولكن السبب الذي دفع هؤلاء المستشرقين لعرض مثل هكذا أحداث هو أنهم كانوا معدين مسبقاً لتحقيق مثل هكذا أهداف، أو أنهم لم يطلعوا على المصادر التي تحوي على معلومات أكثر تفصيلاً عن هذه الأحداث، كما أن كلام كون ان الصحابي الجليل سلمان المحمدي ﷺ وكذلك جلكرايست لا يمكن الاتكاء عليه، لأن كلامهم مبني على هدم الحقائق التي احتوتها المصادر التي اعتمدوا عليها وبالأخص قول النبي الأكرم في الإمام علي عليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي، وسمعت يقول يوم خير: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتناولوها فقال: ادعوا لي علياً فأتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ﷺ فقال: اللهم هؤلاء أهلي»<sup>(٢)</sup>.

ويمكننا أن نستدل على عظم شخصية النبي الأكرم بقول المستشرق كلود «اصطبغت شخصية محمد ﷺ بصبغة تاريخية قد تجدها عند أي مؤسس آخر من مؤسسي الديانات الكبرى... يبدو للمؤرخ المنصف أن محمداً ﷺ كان في عداد الشخصيات النبيلة السامية التي سعت في كثير من الحماس والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التي عاش فيها أخلاقياً وفكرياً»<sup>(٣)</sup>.

١- آل عمران، ٦١.

٢- ابن حنبل، مسند احمد، ٣، ص ١٦٠؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٩؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ١٨٧١.

٣- نقلاً عن، خليل، قالوا في الإسلام، ص ١٢٥.





## الاستنتاجات

توقفنا في هذه الرسالة مع أحد المستشرقين المعاصرين الذين لم يسلط الضوء عليهم لكي نطلع على كتابة السيرة النبوية بالأسلوب الحديث للمستشرقين المعاصرين؛ وذلك لإبراز ماورد فيها من افتراءات وتخرصات على شخصية النبي ﷺ، ولقد توجهت الكتابات الاستشراقية وما تحمله من تفسيرات وآراء وافتراءات نحو سيد الكونين ﷺ وسيرته وأخلاقه لأنه رمز الإسلام وكما عبر عنه أن ظهور الإسلام المتمثل بنبيه ﷺ يعد الخضم اللدود للغرب ورجال الكنيسة .

ثم إن الرد على مثل هكذا افتراءات ومناقشات والتي تكلم بها عدد ليس بالقليل من المستشرقين واليوم يمثل هذا الاتجاه جلكريايت عن سيرة النبي ﷺ لذلك يجب أن يكون الرد من خلال الأدلة العلمية الواضحة وأمامنا كتب السيرة النبوية لناخذ منها تلك الأدلة الدامغة والتي يبدو أن المستشرق لم يقرأها قراءة حقيقية والتي تعكس بصورة لا تقبل الشك بأن النبي ﷺ كان متمكلاً لزام الأمور من كل النواحي النفسية والخطابية والجسمية ولم يرد لنا شيء من أنه تصرف تصرفاً لا ينطبق مع هذه الصفات فكيف هؤلاء المستشرقين يتهمونه بمثل هكذا اتهامات، فقد انشغل المستشرقون على اختلاف توجهاتهم وانتفاءهم ومدارسهم الاستشراقية بدراسة الكثير من الموضوعات والوقائع التاريخية في الأطوار الأولى للدعوة الإسلامية ومن بين تلك الأحداث التي كانت موضع اهتمام ودراسة موضوع السيرة النبوية المشرفة متبعين في تلك الدراسات الكثير من المناهج بحيث حاول الباحث من خلال هذه الدراسة تتبع تلك المناهج البحثية في دراساتهم.

إن الاستشراق وجه آخر من أوجه الاستعمار الفكري، وإن الشبهات التي أشار إليها جلكريايت كان منصفاً في قسم منها لغرض محاولة دفع القارئ أو تجهيز القارئ لطرح أهدافه وغاياته، فقد حاول جلكريايت التشكيك في أغلب أحداث السيرة وأول ماكان من ادعاءاته أنه تلقى من بحيرا الراهب العلم بأحداث رسالته وهي إحدى



الغايات التي سعى إلى إثباتها عدد كبير من المستشرقين لإرجاع أصول الديانة الإسلامية إلى اليهودية أو المسيحية بحسب معتقدات المستشرق الفكرية والدينية وهو ما لم يثبت أن النبي ﷺ تلقى تعليمه على يد أحد هؤلاء الرهبان من قبل .

ثم يزعم جلكريست أن الوحي هو من داخل النفس البشرية لمحمد الإنسان العادي في محاولة منه لنفي النبوة عنه وذلك من خلال عرضه لحادثة شق الصدر التي وجد فيها المستشرق الدليل من وجهة نظره للطعن بنبوة النبي ﷺ في حين إن الوحي تم باصطفائه من الله عز وجل، ليذهب بعدها إلى اتهام النبي ﷺ بالشهوانية والذي دفعه من ثم إلى تعدد الزوجات متناسياً أن كل زواج كان له أسبابه وظروفه الخاصة، ثم إن زواجه المتعدد لم يكن إلا بعد أن تعدى الخمسين من العمر وفي هذا السن تضعف الرغبة لدى الرجال نحو النساء هذا إذا ما أضفنا أن جميع زوجاته ثيبات وأرامل باستثناء السيدة عائشة فهي البكر الوحيدة ولو كان شهوانياً لتزوج في ذروة شبابه ولتزوج بالبكر الصغيرة وليس بالثيب والكبيرة.

وشكك جلكريست بحادثة الإسراء والمعراج فتارة يتناولها على شاكلة القصص الأسطورية التي احتوتها الديانة اليهودية بالمقطوعات الشعرية المدرائية، وتارة أخرى يذكرها بوصفها تأثرت بالديانة الفارسية الزرادشتية القديمة، وهو بذلك يستكثر على نبينا محمد ﷺ أن يكرمه الله بهذه المعجزة متغافلاً ومعتزلاً في الوقت نفسه بمعجزات أنبياء الله السابقين .

وينطلق جلكريست ليعرض علينا علاقة النبي ﷺ بالقبائل اليهودية الثلاث (القينقاع، النضير، قريظة) لكي يسوق لنا سبب قيام النبي ﷺ بقتالهم وإخراجهم من المدينة هو لأغراض مادية أو محاولة منه للسيطرة على ثرواتهم وهو ما لا يمكن الركون له لأن السبب الأساسي الذي دفع النبي ﷺ إلى مثل هكذا عمل هو نقض اليهود للعهد والمواثيق التي تم عقدها مع النبي في المدينة.

وإن أهم ماتوصل إليه الباحث أنه لا يمكن دراسة الرؤية الاستشرافية لدى الكثير من المستشرقين للسيرة النبوية والوقوف على معرفة أبعادها وأسسها بدون معرفة المنهجية التي كونت هذه الرؤيا، وأن هذه الصورة لم تتكون إلا نتيجة تأثرهم بالمناهج والمدارس الغربية التي عاصروها.

ومما تقدم عرضه يمكن أن نتوصل إلى النتائج الآتية:-

١- إن الاستشراق هو جزء لا يتجزأ من الاستعمار الفكري الذي يمارسه الغرب بإزاء دول الشرق، وإن هذا التوجه ظهر نتيجة الصراع الدامي في الحروب الصليبية إلى أن تحول إلى صراع الحضارات ليتحول فيما بعد إلى حوار الحضارات ليخفف من وطأة كلمة الصراع .

٢- إن أغلب من حاول التطرق إلى سيرة النبي الأكرم ﷺ هم من رجال اللاهوت ولقد كانت الكنيسة البابوية تطمح أن تتجه نحو الشرق من أجل تنصير المسلمين أولاً، وأن تدعم المسيحيين ضعيفي الإيمان من أن يتأثروا بالإسلام ثانياً لذلك فإن معظمهم يفسرون حياة النبي ﷺ وفق معتقداتهم الدينية تارة وتوجهاتهم المادية تارة أخرى وهي كثيراً ما تتعارض مع شخصية النبي ﷺ.

٣- إن المستشرق جلكريست هو أحد المستشرقين المعاصرين والذي لا يزال يمارس دوراً كبيراً في العمل التبشيري في جنوب أفريقيا، لغرض التأثير في المسلمين هناك.

٤- إن قراءة جلكريست لمصادر السيرة النبوية جاء بالصورة الانتقائية للمصادر فتارة تكون إيجابية وتارة أخرى تكون سلبية إضافة إلى أنه لم يتناول بعض الأحداث المهمة التي تخص جوانب مهمة من الرسالة الإسلامية كما أنه لم يتناول الغزوات التي خاضها النبي ﷺ جميعها.

٥- إن المستشرق جلكريست تقف وراءه منظمات عالمية غايتها نشر الديانة المسيحية وكانت هي السبب وراء هذا الغموض الذي يكتنف حياته، إضافة إلى أن المستشرق جلكريست يمثل في تطلعاته ومنهجه المنهج الذي سارت عليه المدرسة الإنكليزية .



٦- تعد الرواية التي أعدها جلكريايت من أخطر الروايات التي ظهرت في العصر الحديث نظراً لتأثيرها بالنظرة المتحاملة للقرون الوسطى دون أن يضع أهمية للمكانة الروحية والرمزية للنبوة المحمدية .

٧- إن ماحملته الرؤية الاستشراقية الحديثة والتي أوجدها جلكريايت بل غاص في مضامينها نراها قد اعتمدت على ثلاثة مضامين أساسية أولها التدوين المنهجي التاريخي للرواية، والثاني المضمون الفولكلوري الشعبي، والثالث الميثولوجي الخرافي وهذا انعكاس في تطور العقلية الاستشراقية المعاصرة والذي ظهر بفعل تطور الغرب وقوة الكنيسة.

٨- انجلى للباحث أهمية الخطاب الاستشراقي لدى المستشرق جلكريايت والذي تم توجيهه إلى طائفتين الأولى هي طائفة المبشرين بالمسيحية لتكون حججاً وأدلة في أيديهم لمناكفة المسلمين في معركة التبشير والتي ماتزال مستمرة في جنوب أفريقيا، والطائفة الثانية شريحة المسلمين لدعوتهم لإعادة النظر في موروثهم الديني وتشكيكهم بعقيدتهم مما يدل على أن الخطاب الاستشراقي أصبح ذا تأثير مزدوج.

٩- يمثل جلكريايت أنموذجاً للشخصية السياسية والتبشيرية؛ إذ كان للعقلية النصرانية المتشددة أتباع اعتمدوا المنهج التاريخي والمنهج الجدلي اللاهوتي والذي يمتلكه أكثر المبشرين والمنصرين بمنتهى البراعة، وهو مادعاهم إلى انتدابه للعمل بالتبشير في جنوب أفريقيا، هذا بالإضافة إلى ما يمتلكه من قدرة إقناعية لما يحظى به من خلفية قانونية بالمحاماة أوجبت له إيجاد الدليل في الرد على خصومه لتحقيق غاية الاستشراق الاستعماري — طريق الأنشطة التنصيرية .

١٠- غياب النظرة الموضوعية لدى جلكريايت فتارة نرى في طيات متونه يقدم لنا صورة مضطربة لشخصية النبي ﷺ بأنه شخص له سجل مرضي اضطرابي وتارة أخرى يظهره بصورة الإصلاحي الذي غير خارطة الوثنية في شبه الجزيرة العربية وهو ما يمكن إرجاعه الى تأثير الموروث الديني بوصفه مبشراً للمسيحية .

١١- إن قراءة جلكريست لجزيئات تاريخ الوحي والنبوة يظهر أنه كان مولعاً بالتاريخ الإسلامي ومدار اهتمامه كان في السيرة النبوية مما أدى به إلى الاطلاع على المصادر العربية المتنوعة لغرض رسم الصورة التي كان يعمل على إيجادها والتي تلبي تطلعاته بوصفه مبشراً.

### التوصيات

١- ضرورة كشف التوجهات الاستشراقية والمتضمنة الغزو الفكري الموجه ضد الإسلام ومحاولة تشكيل المراكز الخاصة بالاستشراق وتنقية المناهج الدراسية والمؤلفات الأدبية والتاريخية مما دسه هؤلاء المستشرقون.

٢- ضرورة الرد على هذه الافتراءات بالدراسات العربية على أن تترجم إلى اللغات الأجنبية وعدم الاعتماد على الدراسات الاستشراقية المنصفة؛ لأنها لا يمكن أن تقدم الصورة الحقيقية عن الإسلام ونبه.

٣- من الضروري إعادة دراسة وتحقيق الكتابات الاستشراقية التي حاولت الصيد في الماء العكر بالرد عليها بالصورة العلمية والدليل القاطع لإسكات مثل هذه التخرصات.

٤- ومن الوصايا التي يقول الباحث بوجوبها التركيز على دراسة المصادر العربية الأصيلة دراسة نقدية تحليلية لأن العلة فيها وهو مادفع بعدد ليس بالقليل من المستشرقين للاعتماد على الشاذ والضعيف منها .

وخلاصة ما توصل إليه الباحث أن جميع ما أورده جلكريست حول سيرة النبي ﷺ هو مجموعة من الآراء والأفكار وخليط سيء من التفسيرات الشاذة والمشوهة والباطلة لروايات السيرة والتشويه المغرض لحقائق التاريخ، وفي ختام عملي المتواضع هذا أسأل الله العلي الأعلى أن يوفقنا ويسدد خطانا في سبيل خدمة ديننا للذود عنه أمام مزاعم الحاقدين. ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾<sup>(١)</sup>



## القرآن الكريم

كتاب العهد القديم

كتاب العهد الجديد

أولاً المصادر:

\* ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

\* الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، ط٢، مط: دار صادر، (بيروت - ١٩٦٦ م).

\* ابن الاثير، مجد الدين أبو السعادات (ت: ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م).

\* النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، مط: المكتبة العلمية، (بيروت - ١٩٧٨م).

\* الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م).

\* كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، مط: دار الأضواء، (بيروت - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

\* الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد (ت: ٢٥٠هـ / ٨٦٤م).

\* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس للنشر، (بيروت - د.ت)،

\* الأزهري . أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت: ٣٧٠هـ / ٩٨٠م).

\* تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، ط١، مط: دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ٢٠٠١م).

\* ابن إسحاق، محمد بن يسار المطليبي بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ / ٧٦٨م).

\* سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تح:

سهيل زكار، ط١، مط: دار الفكر، (بيروت - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)

\* الإسكافي، محمد بن عبد الله (ت: ٢٤٠هـ / ٨٥٤م).

\* المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تح: محمد باقر المحمودي، بلامط، (د.ت - ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)

\* الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ / ١١٤٠م).

\* سير السلف الصالحين، تح: كرم بن حلمي، دار الراية للنشر والتوزيع، (الرياض - د.ت).

\* الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت: ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م).

\* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تح: سعيد بن سعد الدين خليل الاسكندراني، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ٢٠٠١م).

\* معرفة الصحابة، تح: عادل بن يوسف العزازي، ط١، مط: دار الوطن للنشر، (الرياض - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨).

\* الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت: ٣٦٩هـ / ٩٧٩م).

\* طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تح: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت - ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

\* الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر (ت: ٣٢٨هـ / ٩٣٩م).



- \* الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت- ١٤١٢هـ- ١٩٩٢).
- \* الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م).
- \* البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، (بيروت- ١٤٢٠هـ).
- \* الباعوني، محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي، (ت: ٨٧١هـ / ١٤٦٦م).
- \* جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (قم- ١٤١٦هـ).
- \* البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ / ٨٦٩م).
- \* الأدب المفرد، مؤسسة الكتب الثقافية، (بيروت- ١٩٨٦م).
- \* التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد، الدكن- د.ت).
- \* صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت- ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).
- \* البرقي، أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد الكوفي، (ت: ٢٤٧هـ / ٨٦١م).
- \* الرجال، تح: السيد كاظم الموسوي، انتشارات دانكشاه، (طهران- ١٣٨٣هـ).
- \* المحاسن، تح: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، (طهران - ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م).
- \* ابن البطريق، يحيى بن الحسن، (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م).
- \* عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، بلامطبعة، (د.مكا- ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
- \* البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- \* تاريخ بغداد وذيوله، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤١٧هـ).
- \* تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت- ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).
- \* البغدادي، أبو طاهر المخلص، محمد بن عبد الرحمن بن العباس (ت: ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م).
- \* المخلصيات وأجزاء أخرى، تح: نبيل سعد الدين جرار، ط ١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (لدولة قطر- ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- \* البغدادي، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي (ت: ٢٢٤هـ / ٨٣٨م).
- \* غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، ط ١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد- الدكن - ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).
- \* البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: ٥١٦هـ / ١١٢٢م).
- \* شرح السنة، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، ط ٢، المكتب الإسلامي دمشق، (بيروت- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

- \* البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبَان (ت: ٣١٧هـ / ٩٢٩م).
- \* معجم الصحابة، تح: محمد الأمين بن محمد، مكتبة دار البيان، (الكويت- ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- \* ابن بكار، محمد عبد الحسن بن زباله (ت ١٩٩هـ / ٨١٤م).
- \* المنتخب من كتاب أزواج النبي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بلا مطبعة (السعودية - ١٩٨١م).
- \* البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م).
- \* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط ٣، عالم الكتب، (بيروت- ١٤٠٣هـ).
- \* البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م).
- \* دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤٠٥هـ).
- \* السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط ٣، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤٣٤هـ / ٢٠٠٣م).
- \* شعب الإيمان، تح: عبد العلي عبد الحميد ومختار أحمد، مكتبة الرشد، الدار السلفية (الرياض- ٢٠٠٣م).
- \* الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت: ٢٩٧هـ / ٩٠٩م).
- \* الجامع الصحيح، تح: أحمد محمد شاكر وكمال يوسف الحوت، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧).
- \* الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي (ت ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م).
- \* الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح عبد الفتاح أبو سنة، ومحمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- ١٤٢٨هـ).
- \* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م).
- \* كتاب العثمانية، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، (القاهرة - ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م).
- \* الجرجاني، أبو أحمد بن عدي (ت: ٣٦٥هـ / ٩٧٥م).
- \* الكامل في ضعفاء الرجال، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط ١، الكتب العلمية، (لبنان- ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).
- \* الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ / ١٤١٣م).
- \* كتاب التعريفات تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- \* أبو جعفر الإسكافي، محمد بن عبد الله المعتزلي (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م).
- \* المعيار والموازنة، تح: محمد باقر المحمودي، ط ١، بلا مطبعة (د.مكا - ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م).
- \* ابن جماعة، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م).
- \* المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، تح: سامي مكّي العاني، دار البشير (عمان- ١٩٩٣).

- \* الجمحي، أبو عبد الله، محمد بن سلام بن عبيد الله (ت: ٢٣٢هـ / ٨٤٦م).
- \* طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، (جدة - د.ت).
- \* ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).
- \* صفة الصفوة، دار الجيل (بيروت، د.ت).
- \* المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).
- \* الوفا بأحوال المصطفى ص، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٨٧م).
- \* الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٢٩٣هـ / ٩٠٥م).
- \* تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، دار الملايين، (بيروت - ١٩٩٠م).
- \* الجياني، أبو علي الحسين بن محمد الغساني (ت: ٤٩٨هـ / ١١٠٤م).
- \* ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين، تحقيق: د محمد زينهم محمد عذب ومحمود نصار، دار الفضيلة، (القاهرة - د.ت).
- \* ابن حاتم العاملي، جمال الدين يوسف بن فوز بن مهند الشامي (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م).
- \* الدر النظيم، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين مؤسسة النشر الإسلامي، (قم - د.ت).
- \* ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٠م).
- \* الجرح والتعديل، ط١، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م).
- \* تفسير القرآن، تح: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، (المملكة العربية السعودية - ١٤١٩هـ).
- \* الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن حمويه (ت: ٤٠٥هـ / ١٠١٤م).
- \* المستدرک على الصحيحين، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، (بيروت - د.ت).
- \* ابن حبان بن أحمد السبتي (ت ٣٥٤هـ / ٩٧٦م).
- \* الثقات، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
- \* السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صححه وعلق عليه: الحافظ عزيز بك وآخرون، ط٣، الكتب الثقافية، بيروت، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- \* مشاهير علماء الأمصار، تح: مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، (المنصورة - ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).
- \* ابن حبيب، بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت: ٢٤٥هـ / ٨٥٩م).
- \* المنمق في أخبار قريش، تح: خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، (بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥).
- \* ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).

- \* الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل بن أحمد بن عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)
- \* تلخيص التحرير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م).
- \* تهذيب التهذيب، ط٤، مطبعة دائرة المعارف النظامية، (الهند - ١٣٢٦هـ).
- \* فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت - د.ت).
- \* لسان الميزان، تح: مؤسسة المعارف العثمانية - الهند، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت - ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م)
- \* الحجري، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك (ت: ٣٢١هـ/ ٩٣٣م).
- \* شرح معاني الآثار، تح: محمد زهري النجار، ط٣، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٩٥م).
- \* ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين بن عبد الحميد (ت: ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).
- \* شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، (قم - د.ت).
- \* الحرضي، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري (ت: ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م).
- \* بهجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشئال، دار صادر، بيروت - د.ت).
- \* الحلبي، علي بن برهان الدين الشافعي (ت: ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م).
- \* إنسان العيون في سيرة الأمين والمؤمن المعروف بالسيرة الحلبية، دار المعرفة، (بيروت - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
- \* الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
- \* معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)
- \* معجم البلدان، ط٢، دار صادر، (بيروت - ١٩٩٥)
- \* الحموي أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي (ت: ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)
- \* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، (بيروت - د.ت)
- \* الحميري، أبو العباس عبد الله بن جعفر (ت: ٣هـ/ ٩م).
- \* قرب الإسناد، تح: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط١، مطبعة مهر، (قم - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)
- \* الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).
- \* الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، (بيروت - ١٩٨٠م).
- \* ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م).
- \* مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة (د.مكا، ٢٠٠١).



- \* الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، (ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م).  
 \* فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، (المدينة النبوية-١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م).  
 \* الحنبلي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م).  
 \* مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجليل، (بيروت- ١٤١٢هـ).  
 \* الحنظلي، أبو محمد عبد الرحمن بن المنذر، (ت: ٣٢٧هـ / ٩٣٨م).  
 \* الجرح والتعديل، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م).  
 \* أبو حنيفة، بن محمد بن منصور التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م).  
 \* شرح الأخبار، تح: محمد الحسيني الجلاي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم - د.ت).  
 \* الخركوشي، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٠٧هـ / ١٠١٦م).  
 \* شرف المصطفى، دار البشائر الإسلامية (مكة- ٢٠٠٣م).  
 \* الخصيبي، أبو عبد الله الحسن بن حمد (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م).  
 \* الهداية الكبرى، ط٤، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت - ١٤١١هـ / ١٩٩١م).  
 \* الخطيب التبريزي، ولي الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٤١هـ / ١٣٤١م).  
 \* الإكمال في أسماء الرجال، تح: أبو أسد الله بن الحافظ محمد بن عبد الله الأنصاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم - د.ت).  
 \* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).  
 \* تاريخ ابن خلدون، ط٤، مط: دار إحياء التراث العربي، (بيروت - د.ت).  
 \* ابن خلكان أبو العباس الأربلي، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).  
 \* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ط١. دار صادر، (بيروت - ١٩٠٠).  
 \* ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م).  
 \* طبقات خليفة، تح: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت - ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).  
 \* الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي (ت: ٣٨٥هـ / ٩٩٥م).  
 \* المؤتلف والمختلف، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، دار الغرب الإسلامي - (بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).  
 \* ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: ٣٢١هـ / ٩٤٢م).  
 \* جهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٨٧م).

\* المقتنى في سرد الكنى، تح: محمد صالح عبد العزيز المراد، المجلس العالمي بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ( المملكة العربية السعودية - ١٤٠٨هـ).

\* ميزان الاعتدال، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت - ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

\* الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م).

\* مختار الصحاح، تح: أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٩٤م).

\* الراوندي، سعيد بن هبة الله بن الحسن (ت: ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م).

\* الخرائج والجرائح، تح: محمد باقر الموحّد الأبّطحي، مطبعة العلمية، (قم - ١٩٨٨م).

\* الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م).

\* تفسير الكشاف، علق عليه: خليل مأمون شبحا، ط٣، دار المعرفة، (بيروت - ٢٠٠٩م).

\* الزيلعي، جمال الدين (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٥٢م).

\* تخرّيج الأحاديث والآثار، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، دار ابن خزيمة، (الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

\* السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م). سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل، طبعة خاصة، دار الرسالة العالمية، (دمشق - ٢٠٠٩). \* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، (بيروت - د.ت).

\* الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

\* غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، (قم - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

\* المعارف، تح: محمد إسماعيل وعبد الله الصاوي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

\* الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

\* الذرية الطاهرة النبوية، تح: سعد المبارك الحسن، ط١، الدار السلفية، (الكويت - ١٤٠٧هـ).

\* الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت: ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م).

\* تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر، (بيروت - د.ت).

\* الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

\* تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

\* تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).

\* سير أعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

\* الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، ط١، دار القبة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، ( جدة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

- \* ابن سلام، أبو عبيدة القاسم (ت: ٢٤٤هـ / \* الدر المنثور، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٣م).  
٨٥٨م).  
\* الأموال، علق عليه :محمد حامد الفقي،  
المكتبة التجارية الكبرى، (القاهرة - ١٣٥٣هـ)  
\* السمعاني، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن  
منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ / ١١٦٦م).  
\* الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى  
المعلمي اليماني وغيره، ١، مجلس دائرة  
المعارف العثمانية، (حيدر آباد - ١٣٨٢ هـ -  
١٩٦٢ م).  
\* السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد  
الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن (ت:  
٩١١هـ / ١٥٠٥م).  
\* وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ١، دار  
الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١٩).  
\* ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى  
(ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م).  
\* عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير،  
مكتبة القدسي (القاهرة - ١٩٨٦م)  
\* السيوطي، عبد الرحمن بن أبي  
بكر، (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م).  
\* تاريخ الخلفاء، تح: محمد غسان نصوح، ٢،  
مركز دار المنهج للدراسات والتحقيق العلمي،  
(قطر - ٢٠١٣).  
\* حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،  
تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب  
العربية، (القاهرة - ١٣٨٧هـ).  
\* الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية،  
بيروت - د.ت).
- \* الدر المنثور، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٣م).  
\* طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية،  
(بيروت - ١٤٠٣هـ).  
\* طبقات المفسرين العشرين، تح: علي محمد  
عمر، ١، مكتبة وهبة، (القاهرة - ١٣٩٦)  
\* ابن شاذان، الفضل الأزدي النيسابوري  
(ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣م).  
\* الإيضاح، تح: السيد جلال الدين الحسيني  
الأرموي المحدث، مطبعة انتشارات، (طهران  
- د.ت).  
\* الشاشي، الهيثم بن كليب بن سريج  
(ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م).  
\* المسند، تح: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة  
العلوم والحكم (المدينة المنورة - ١٩٨٩م).  
\* الشامي، محمد بن يوسف (ت: ٩٤٢هـ /  
١٥٣٥م).  
\* سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد،  
وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في  
المبدأ والمعاد، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود  
وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية بيروت،  
لبنان - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).  
\* ابن شبة النميري، أبو زيد عمر بن شبة  
البصري (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥م).  
\* تاريخ المدينة المنورة، تح: فهمي محمد شلتوت،  
ط١، مطبعة قدس، (قم - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)  
\* ابن شمائل، عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي  
(ت: ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م).  
\* مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة  
والبقاع، ط١، دار الجيل، (بيروت - ١٤١٢هـ).

- \* ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م).
- \* مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من العلماء، المطبعة الحيدرية، (النجف - ١٩٥٦م).
- \* الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت: ٥٤٨هـ / ١١٥٣م).
- \* الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، (د.مكا- د.ت).
- \* الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت: ٢٤١هـ / ٨٥٥م).
- \* الأسامي والكنى للإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه صالح، تح: عبد الله بن يوسف الجديع، ط١، مكتبة دار الأقصى، (الكويت - ١٤٠٦ - ١٩٨٥).
- \* الرد على الجهمية والزنادقة، تح: صبري بن سلامة شاهين، ط١، دار الثبات للنشر والتوزيع (د.مكا- د.ت).
- \* ابن الشيخ الشافعي، موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن الشارعي (ت: ٦١٥هـ / ١٢٢٨م).
- \* مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، ط١، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة - ١٤١٥هـ).
- \* الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت: ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م).
- \* طبقات الفقهاء، هذب: محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م)، تح: إحسان عباس، ط١، دار الرائد العربي، بيروت، (لبنان - ١٩٧٠).
- \* الصالح، محمد بن يوسف الشامي، (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م).
- \* سبل الهدى، تح: أحمد عادل، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١٤هـ).
- \* الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م).
- \* الخصال، تح: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، (قم - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م).
- \* من لا يحضره الفقيه، تح: علي أكبر غفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم - ١٤٠٤م).
- \* الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).
- \* الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- \* صفي الدين، أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العلم الخزرجي (ت: بعد ٩٢٣هـ / ١٥١٧م).
- \* خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتخاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البار علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط٥، مكتب المطبوعات الإسلامية - دار البشائر، (بيروت - ١٤١٦هـ).
- \* صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م).
- \* مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجليل، (بيروت - ١٤١٢هـ).



- \* ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م).
- \* معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تح: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، (بيروت- ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- \* الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني (ت: ٢١١هـ / ٨٢٦م).
- \* الأُمالي في آثار الصحابة للحفاظ الصنعاني، تح: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، (القاهرة- د.ت).
- \* المصنف، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي، (بيروت- ١٤٠٣).
- \* ابن طائوس، أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م).
- \* الطرائف في معرفة مذهب الطوائف، ط ١، مطبعة الخيام، (قم- ١٣٩٩هـ / ١٩٨٧م).
- \* الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ / ٩٧٠م).
- \* المعجم الأوسط، تح: قسم التحقيق بدار الحرمين، مط: دار الحرمين، (مكة - ١٩٩٥م).
- \* المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، (القاهرة - د.ت).
- \* الروض الداني (المعجم الصغير)، تح: محمد شكور محمود الحاج أمير، ط ١، المكتب الإسلامي، دار عمار، (بيروت - ١٤٠٥ / ١٩٨٥).
- \* الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م).
- \* إعلام الوري بأعلام الهدى، تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، (مطبعة ستارة، قم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
- \* مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط ٢، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م).
- \* جامع البيان في تأويل آي القرآن، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، (بيروت - ١٤١٥هـ).
- \* الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسين (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م).
- \* الأُمالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط ١، دار الثقافة، (قم - ١٤١٤هـ).
- \* التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط ١، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).
- \* تهذيب الأحكام، تح: حسن الموسوي الخرسان، ط ٣، دار الكتب الإسلامية، (طهران - ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).
- \* رجال الطوسي، تح: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، ط ١، المكتبة الحيدرية، (النجف الاشرف - ١٣٨١هـ).
- \* الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت: ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م).
- \* جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، (بيروت - د.ت).
- \* ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو (ت ٢٨٧هـ / ٩٠٠م).

- \* الأوائل، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٨٦م).
- \* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- \* الاستذكار، تح: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
- \* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط ١، دار الجليل، (بيروت - ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- \* الإنباه على قبائل الرواة، تح: إبراهيم الأبياري، ط ١، دار الكتاب العربي بيروت، (لبنان - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- \* التمهيد، تح: مصطفى بن أحمد القلوب - محمد عبد الحكيم البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، (المغرب - ١٣٨٧هـ).
- \* الدرر في اختصار المغازي والسير، تح: الدكتور شوقي ضيف، ط ٢، دار المعارف، (القاهرة - ١٤٠٣هـ).
- \* العبسي، أبو بكر بن أبي شيبه، (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م).
- \* الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، (د.مكا - ١٤٠٩هـ).
- \* ابن العجمي، موفق الدين أبو ذر سبط (ت: ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م).
- \* كنوز الذهب في تاريخ حلب، تح: شوقي شعث وفالح البكور، ط ١، دار القلم، (حلب - ١٤١٧هـ).
- \* العزيزي، الحسن بن أحمد المهلب (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م).
- \* الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، بلا. مط، (د.مكا - د.ت).
- \* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م).
- \* تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.مكا - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
- \* ابن عقبة، موسى (ت ١٤١هـ / ٧٥٨م).
- \* المغازي النبوية، تح: حسين مرادي نسب، ط ١، بلا مطبعة، (طهران - ١٤٢٤هـ).
- \* ابن عقدة الكوفي، عبد الرزاق حرز الدين (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م).
- \* فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، تح: عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين، بلا مط، (د.مكا - د.ت).
- \* العوتبي، المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري (ت: ٥١١هـ / ١١١٧م).
- \* أنساب العرب = تاريخ العوتبي، بدون مطبعة، (د.مكا - د.ت).
- \* العياشي، محمد بن مسعود، (ت: ٣٢٠هـ / ٩٣١م).
- \* تفسير العياشي، تح: هاشم الرسولي، المكتبة العلمية للنشر، طهران (د.ت).
- \* الفاسي، محمد بن أحمد بن علي (ت: ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م).

- \* شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، دار الكتب العلمية، (د.مكا- ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).
- \* الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م).
- \* أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تح: عبد الملك عبد الله دهش، ط٢، دار خضر، (بيروت - ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- \* الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري (ت: ١٧٠هـ / ٧٨٦م).
- \* كتاب العين، تح: دمهدي المخزومي، دإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.مكا- د.ت).
- \* الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن (ت ٣٠١هـ / ٩١٣م).
- \* كتاب القدر، تح: عبد الله بن حمد المنصور، أعضاء السلف، (السعودية - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).
- \* الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (٨١٧هـ / ١٤١٤م).
- \* القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت- ٢٠٠٥).
- \* الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م).
- \* التفسير الصافي، ط٢، مطبعة مؤسسة الهادي، قم - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
- \* القرشي، محيي الدين أبو محمد عبد القادر سالم الحنفي (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م).
- \* الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، بلا مط، (د.مكا- د.ت).
- \* القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت: ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- \* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجليل، (بيروت- ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- \* القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م).
- \* معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.مكا- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- \* القزويني، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد (ت: ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م).
- \* الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح: محمد سعيد عمر إدريس، ط١، مكتبة الرشد، (الرياض- ١٤٠٩هـ).
- \* القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
- \* آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت- د.ت).
- \* القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (المتوفى: ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م).
- \* إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط١، المكتبة العنصرية، (بيروت- ١٤٢٤هـ).
- \* القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت ٣٢٩هـ / ٩٤١م).
- \* تفسير القمي، تح: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، (النجف الأشرف - ١٣٨٧هـ / ١٩٦٥م).

- \* ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م).  
\* زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، ط ٢٧ (بيروت، ١٩٩٤).  
\* هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تح: عثمان جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.مكا- ١٤٢٩هـ).  
\* ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ / ١٣٦٢م).  
\* البداية والنهاية، تح: علي شيري، مط: دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ١٩٨٨م).  
\* السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت - ١٣٩٦هـ / ١٩٧١م).  
\* الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان (ت ٤٤٩هـ / ١٠٥٦م).  
\* كنز الفوائد، ط ٢، مكتبة المصطفوي، (قم - د.ت).  
\* الكلاعي، سليمان بن موسى (ت ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م).  
\* الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تح: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي، (القاهرة - ١٩٦٨م).  
\* الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩م).  
\* نسب معد واليمن الكبير، تح: الدكتور ناجي حسن، ط ١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، (د.مكا- ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).  
\* الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩هـ / ٩٤١م).  
\* الكافي، تح: علي أكبر الغفاري، ط ٣، مطبعة حيدري، (طهران - ١٣٨٨هـ / ١٩٧٨م).  
\* ابن ماکولا، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت: ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م).  
\* الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت، (لبنان - ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).  
\* المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م).  
\* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة، (بيروت - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).  
\* محب الدين الطبري: أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م).  
\* ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مكتبة القدسي، (القاهرة - ١٣٥٦هـ).  
\* مجير الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١م).  
\* الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، تح: عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس، (عمان - د.ت).  
\* المزني، أبو الحجاج جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م).  
\* تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت - ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).  
\* ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي (ت: ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م).

- \* تاريخ إربل، تح: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، (العراق - ١٩٨٠).
- \* المسعودي، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م).
- \* مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ١، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت - ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
- \* التنبيه والإشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، (القاهرة - ١٩٣٨).
- \* المشهدي، ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي (ت ١١٢٥هـ / ١٧١٤م).
- \* تفسير كنز الدقائق، تح: آقا مجتبی العراقي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
- \* المعتزلي، القاضي عبد الجبار بن أحمد (ت: ٤١٥هـ / ١٠٢٤م).
- \* تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى، (القاهرة - د.ت).
- \* المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان بن المعلم (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م).
- \* الإرشاد إلى أئمة العباد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- \* الاختصاص تح: علي أكبر غفاري، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت - ٢٠٠٩).
- \* المقدسي، المطهر بن طاهر (ت: ٣٥٥هـ / ٩٦٥هـ).
- \* البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد - د.ت).
- \* المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م).
- \* إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفلة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٩م).
- \* ابن مندة، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى (ت: ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م).
- \* فتح الباب في الكنى والألقاب، تح: أبو قتيبة نظر محمد، ط ١، مكتبة الكوثر، (الرياض - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- \* معرفة الصحابة، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور عامر حسن صبري، ط ١، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، (الامارات - ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
- \* ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (ت: ٧١١هـ - / ١٣١١م).
- \* لسان العرب، ط ١، بلا. مط، (قم، ١٤٠٥هـ).
- \* مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط ١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، (سوريا - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م).
- \* النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).
- \* فهرست أسماء مصنفی الشيعة المشهور برجال النجاشي، تح: موسى الشيرازي، ط ٥، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

\* المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ - صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - د.ت).

\* الهاشمي، صالح بن الحسين الجعفري، (ت: ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م).

\* تحجيل من حرف التوراة والإنجيل، تح: محمود عبد الرحمن قدح، ط ١، (مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨).

\* ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافيري (ت: ٢١٣هـ / ٨٢٨م).

\* السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرون، ط ٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (مصر - ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م).

\* الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى (ت: ٥٨٤هـ / ١١٨٨م).

\* الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تح: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (د.مكا - ١٤١٥هـ).

\* الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م).

\* مغازي رسول الله، ط ١، القاهرة، (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م).

\* ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).

\* تاريخ ابن الوردي، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٩٦).

\* اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ / ١١٢٠م).

\* النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، (ت: ٣٣٨هـ / ٩٤٩م).

\* إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط ١، (منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠).

\* ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق (ت: ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م).

\* الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، ط ٢، دار المعرفة بيروت، (لبنان - ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

\* النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: ٣٠٣هـ).

\* السنن الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

\* النووي، محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م).

\* شرح صحيح مسلم، تح: وهبة الزحيلي، ط ١، المكتبة العصرية، (بيروت - ٢٠٠١م).

\* تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار

الكتب العلمية، بيروت، (لبنان - د.ت).

\* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٩٣هـ / ١٣٩٣م).

\* نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد محمد قميحة وحسن نور الدين، ط ١، دار الكتاب العربي، (بيروت - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

\* النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م).

- \* الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مزيل  
بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ  
الشفاء، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد  
الشمي (ت: ٨٧٣هـ)، دار الفكر، (بيروت  
- ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م).  
\* اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب  
بن واضح (ت: ٢٩٢هـ / ٩٠٤م).  
\* تاريخ اليعقوبي، تح: خليل المنصور،  
شريعة، ط ٢، (قم - ١٤٢٥هـ).  
\* الفحام، محمد محمد واخرون. ht



The researcher was able to reach several result that Orientalism is an integral part of the intellectual colonization exercised by the West towards the countries of the East and that trend appeared as a result of bloody conflict in the Crusades until it turned into a clash of civilizations and later turned into a dialogue of civilizations to alleviate the impact this word.

Most of Christians who tried to address the biography of the Noble Prophet (peace upon him ) are the men of theology. The Pontifical Church aspired to turn to the East in order to convert Muslims and to support the Christians against Islam in order not to turn to Islam. the reading of the sources of the Prophet's biography Selectivity of resources is both positive and negative.the novel that prepared by John Gilchrist is one of the most serious novels that have appeared in the modern times because it is affected by the impact on the medievalwithout regard to the spiritual and symbolic status of the Prophet Muhammad's prophet hood. the vision of modern orientalism, which was created by John Gilchrist based on three things first, the historical systematic of the novel. second,the popular folklore. finally,the mythological mythology.

This is a reflection of the evolution of contemporary Orientalist mentality, which emerged from the development of the West and the power of the Church.



spot of the Islamic vision We critique these views in scientific criticism The researcher follows the chronological order of the events that were discussed by the orientalist with reference to the correct Islamic sources, with a focus on the sources of biography and reference to some orientalist writings and answer to support the discussion in order to attempt to uncover the effects of the intellectual invasion of the Orientalist and to influence the biography of the Prophet.

then, I refuted all the lies that the orientalist John Gilchrist addressed to the facts of the Prophet's biography, which came from the Islamic sources, depending on the weak events, and the writings of the orientalist John Gilchrist about the Prophet (ﷺ) was not studied and criticized scientifically, and highlight what in these studies, he followed multiple approaches in his works. the researcher divided the message into three chapters:-

### Chapter One

This chapter is devoted to the orientalist's life, writings, debates, resources, and the orientalist methodology.

### Chapter two

the researcher dealt with the life of the Prophet Muhammad in Mecca where he lived and grew from the book of Muhammad the Prophet in Islam by the orientalist John Gilchrist.

### Chapter Three

In this chapter, the researcher touched upon the life of the Prophet Muhammad in the city since the migration until the fifth year of migration and its events.

### chapter fourth

In which the researcher mentioned the life of the Prophet since the fifth year until the death of the Prophet.



### Abstract

The subject of the study of the Prophet's biography is very importance because it was not written before by missionaries to get benefit from their position in South Africa and their contact with Muslims to change them from Islam to Christianity..

John Gilchrist is one of the most important people who studied the Prophet's biography (~) at this time with some fairness and objectivity in some of his subjects, but we see him deliberately mislead and try to distort the biography of the Noble Prophet (~) in other subjects, but in a different style from other orientalists. we can consider him on the top of Orientalists because he adopted a new method which is holding debates and try to argue with opponents, whether direct debates or the writing of books and articles. the articles did not stop at this point, but he is still evangelizing in South Africa. therefore, he is in have full contact with Muslims and that gives him the opportunity to change his style from time to time for the purpose of influencing Muslims. Therefore, it is necessary to mention this orientalist and try to prevent such ideas. we have to point out that Orientalism has great effects on a large number of Muslim children, which led to the deviation of many of them and try to stand up against many of those who want to become Muslims. they use special ways. they have a preconceived idea and then take the facts of the events, including what supports their idea.

Since the scientific studies do not allow to judge on the orientalist because his identity or nationality, it is necessary to identify the orientalist and his works. we also try to search in his words using the analytical approach. we have to present his words and compare them with the Islamic narrative the researcher found himself in front of a great responsibility to try to stop the arrows that are directed to the Prophets (~). the researcher tries to respond to them. as we know, there is no study of the orientalist John Gilchrist, especially in the subject of his book Muhammad the Prophet in Islam and exposed to him to deal with his biography in the



In presenting this work to the esteemed reader, the House of the Greatest Messenger (P.B.H.U.&H) remains committed to its fundamental objective: defending the noble character of the Prophet (P.B.H.U.&H) Therefore, it calls upon intellectuals to dedicate their efforts and pens to confronting any blemish that has been or is intended to be—affected upon the final Messenger (P.B.H.U.&H), the perfect human being, and his blessed life. All of this is guided by the Book that speaks nothing but the truth, and who is more truthful than God in speech? Our final supplication is that all praise belongs to God, Lord of the Worlds



### **A word from the Dar al-Rasul al-A'zam Center (P.B.H.U.&H)**

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful

All praise is due to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the noblest of prophets and the master of messengers, Abu al-Qasim Muhammad, and upon his pure and righteous family. The life of Islam and its Prophet (P.B.H.U.&H)

has captivated the minds of writers and thinkers from the East and the West. They have addressed it and presented it according to their own perspectives and ideas. Perhaps the most prominent of those who wrote about the life of the Chosen Prophet (P.B.H.U.&H)

are the Orientalists, whose writings have fluctuated between fairness and unfairness, each according to their own references and starting points.

The importance of this publication, entitled "The Orientalist John Gilchrist and His Role in Writing the Prophet's Biography Through His Book 'Muhammad the Prophet in Islam,'" which won tenth place in the Second International Competition for University Theses and Dissertations, is highlighted by this master's thesis. Given its significant intellectual and methodological value, this work, published by the House of the Greatest Messenger (P.B.H.U.&H)

, affiliated with the Department of Intellectual Affairs at the Holy Abbasid Shrine, addresses the arguments of a contemporary South African Orientalist who engages in missionary work. The analysis is objective and academic, grounded in the principles of scientific research methodology for refuting and debunking ideas. The publishing house adopts the printing of this thesis, which is announced every two years, as it is a field for researchers to gain the lead and present their solid academic, scientific and intellectual outputs.



ORIENTALIST  
JOHN GILCHRIST  
AND HIS ROLE IN WRITING  
THE BIOGRAPHY OF THE PROPHET THROUGH  
HIS BOOK  
MUHAMMAD THE PROPHET OF ISLAM

MESSAGE PRESENTED BY  
SALAH FALAH AMRAN AL - KHAFAJI

TO THE COUNCIL OF COLLEGE OF EDUCATION FOR HUMAN SCIENCES- BABYLON UNIVERSITY AS A PART OF REQUIREMENTS TO ATTAIN THE MASTER DEGREE IN ISLAMIC HISTORY

1439 A. H. 2018 A. C.